



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir



حياة

الامام الرضا عليه السلام

السيد جعفر مرتضى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# حياة الإمام الرضا (عليه السلام)

كاتب:

علامه سيد جعفر مرتضى عاملی

نشرت في الطباعة:

موسسه فرهنگى تبيان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٧	حياة الإمام الرضا (عليه السلام)
٧	اشارة
٧	الإهداء
٨	تقديم
٨	تمهيد
١١	"القسم الأول: ممهديات"
١١	قيام الدولة العباسية
٣٣	مصدر الخطر على العباسيين
٣٧	سياسة العباسيين ضد العلويين
٥٣	سياسة العباسيين مع الرعية
٦٤	فشل سياسة العباسيين ضد العلويين
٦٧	شخصية الإمام الرضا (ع)
٧١	من هو المأمون
٧٥	آمال المأمون وآلامه
٩١	ظروف البيعة وأسبابها
١١٩	أسباب البيعة لدى الآخرين
١٢٨	"القسم الثالث: أضواء على الموقف"
١٢٨	عرض الخلافة ورفض الإمام
١٣٠	قبول ولاية العهد بعد التهديد
١٣٢	مدى جدية عرض الخلافة
١٣٨	موقف الإمام
١٤٣	خطة الإمام

- ١٦٦ ..... مع بعض خطط المأمون
- ١٨١ ..... كاد المريب أن يقول: خذوني
- ١٨٣ ..... ما يقال حول وفاة الإمام
- ١٩٨ ..... دعبل والمأمون
- ١٩٩ ..... كلمة ختامية
- ٢٠٠ ..... وثائق هامة
- ٢٠٠ ..... رسالة الفضل بن سهل إلى الإمام
- ٢٠١ ..... وثيقة ولاية العهد
- ٢٠٥ ..... رسالة المأمون إلى العباسيين
- ٢٠٩ ..... رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون
- ٢١٠ ..... رسالة سفيان إلى هارون
- ٢١٢ ..... قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني
- ٢١٣ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريبات الكمبيوترية

## حياة الإمام الرضا (عليه السلام)

## إشارة

- عنوان : حياة الإمام الرضا (عليه السلام)
- پدید آورندگان : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴-م. (پدید آور)
- صاحب محتوا : موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان
- موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان
- توصیفگر : تاریخ اسلام
- سرگذشت نامه های فردی
- سیره امامان
- رده بندی : -
- وضعیت نشر : قم : موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان، ۱۳۸۷
- ویرایش : -
- مشخصات فیزیکی : -
- خلاصه :
- فهرست مطالب : -
- مخاطب :
- یادداشت : ،ملزومات سیستم: ویندوز ۹۸+؛ با پشتیبانی متون عربی؛ +IE۶ شیوه دسترسی: شبکه جهانی وبعنوان از روی صفحه نمایش عنوان داده های الکترونیکی
- شناسه : [oai:tebyan.net/۳۷۲۶۳](http://oai.tebyan.net/۳۷۲۶۳)
- مکان : -
- شرایط دسترسی : -
- تاریخ ایجاد رکورد : ۱۳۸۸/۱۲/۲
- تاریخ تغییر رکورد : -
- ملحقات : -
- تاریخ ثبت : ۱۳۸۹/۷/۴
- قیمت شیء دیجیتال : رایگان

## الإهداء

الإهداء إليك يا أعز من في الوجود على.. يا من تعيش لأجلي، وتشعر بآلامي، وتحس بمشاكلي.. دون أن أراك، ودون أن أعرف مكانك، بل وحتى دون أن أفطن في كثير من الأحيان لوجودك. إليك يا أملی الحی، الذی یمدنی بالقوة، ویجدد فی العزيمة. ویا قیس الهدی والنور، الذی لولاه لکنت أعیش فی الظلام.

ظلم الوحدة، والحيرة، والضياح.

إليك. يا من تملأ الأرض قسطا، وعدلا، بعدما ملئت ظلما، وجورا.

إليك. يا سيدى، ومولاي، يا صاحب الزمان. أرفع كتابى هذا.

راجيا منك القبول.

جعفر. (٧) صفحهمفاتيح البحث: العزة (١)

## تقديم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين:

وبعد:

فقد كان هذا الكتاب نتيجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بين مد وجزر. وهو يبحث في ظروف وأسباب حدث تاريخى هام فى

التاريخ الإسلامى.. ألا وهو "أخذ البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد للمأمون."

ورغم الأهمية البالغة لهذا الحدث، وكونه جديرا بالدراسة، والبحث، والتمحيص. فإننا رأينا المؤرخين والباحثين - ولأسباب مختلفة -

يضربون عنه صفحا، ويحاولون تجاهله، والتقليل من أهميته.

وعلى كل حال.. ومهما كانت الحقائق التى أوردتها فى هذا الكتاب موافقة لهوى قوم، ومثيرة لحق آخرين.. فإن ما أريد أن أؤكد

عليه هو: (٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الصلاة (١)، الطهارة (١)

إننى لثقتى من نفسى بأننى ما ادخرت وسعا، ولم آل جهدا فى تمحيص الحقائق، وإبراز المعالم الأصيله للصورة، التى أريد - لسبب أو

لآخر - طمسها، وتشويه معالمها، وأيضا لحسن ظنى بالقارئ، وثقتى بنزاهته، ونظرتة الواعية.

من أجل ذلك أقول - وبكل رضى، وارتياح، واطمئنان :-

إننى لا- أريد أن أفرض ما فى هذا الكتاب من آراء، واستنتاجات على أحد.. بل سوف أترك الحكم فى ذلك للقارئ نفسه، الذى

يمتلك كامل الحرية فى أن يقبل، أو أن يرفض، إذا اقتضى الأمر أيا من الرفض، أو القبول.

والله ولينا. وهو الهادى إلى سواء السبيل.

جعفر مرتضى الحسينى

صفحة (١٠)

## تمهيد

تمهيد صلة الماضى بالحاضر والمستقبل:

.. بديهى أن بعض الأحداث التاريخية، التى تمر بالأمه، تؤثر تأثيرا مباشرا، أو غير مباشر فى واقعها، إن حاضرا، وإن مستقبلا.

بل وقد تؤثر فى روح الأمه، وعقلها، وتفكيرها.. ومن ثم على مبادئها العامه، التى قامت عليها قوانينها ونظمها، التى تنظم لها سيرتها،

وتهيمن على سلوكها.. فقد تقوى من دعائمها، وتؤكد وجودها، واستمرارها، وقد تنسفها من أسسها، إن كانت تلك المبادئ على

درجة كبيرة من الضعف والوهن فى ضمير الأمه ووجدانها.. وعلى صعيد العمل فى المجال العملى العام.

فمثلا.. نلاحظ أن الاكتشافات الحديثه، والتقدم التقنى قد أثر أثرا لا ينكر حتى فى عاطفة الإنسان، التى يفرضها، واقع التعايش.

وحتى فى مواهبه وملكاتة، فضلا عن سلوكه، وأسلوب حياته.



وحيث إن المبادئ الاجتماعية لم تكن على درجة من الرسوخ والقوة في ضمير الإنسان ووجد أنه، ولم تخرج عن المستوى الشكلي في حياته العملية - وإن انغرست في أعماق بعض أفراده أحيانا في دورات تاريخية صفحته (١١)

قصيرة - نرى أنها بدورها قد تأثرت بذلك، ونسفت أو كادت من واقع هذه الأمة، وهدمت أو كادت من دائرة حياتها. وليكون البديل - من ثم - عنها لدى هذا الكائن هو " الذاتية " الكافرة بكل العواطف الاجتماعية، والعوض عنها في نفسه هو المادة الجافة، التي لا ترحم ولا ترضى، ولا تلين، لا يجد لذة العاطفة، ولا حلاوة الرحمة، وليعود الإنسان - بعد لأي - متشائما حاقدا، لا يثق بمستقبله، ولا يأمن من يحيط به، ولا يطمئن إلى أقرب الناس إليه.

وبطبيعة الحال، سوف يتأثر النشء الجديد بذلك، ثم ينتقل ذلك إلى الجيل الذي يليه. وهكذا..

وهكذا.. فإن الحدث التاريخي الذي كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتى في واقع حياتنا التي نعيشها اليوم. وإذن.. فنستطيع أن نستخلص من هذا: أن الأحداث التاريخية مهما بعدت، ومن أي نوع كانت تؤثر في وضع الأمة، وفي تصرفاتها، وفي حياتها، وسلوكها على المدى الطويل. وتتحكم - إلى حد ما - في مستقبلها، وإن العالم التاريخي له أثر كبير في فرض المستوى الذي يعيشه المجتمع بالفعل، سواء في ذلك الأدبي منه. أو العلمي، أو الديني، أو السياسي، أو الاقتصادي، أو غير ذلك. وغنى عن القول هنا. أن التأثير بالأحداث يختلف من أمة لأخرى، ومن عصر لآخر.

\*\*\* لماذا كان تدوين التاريخ:

ومن هنا تبرز أهمية التاريخ. ونعرف أنه يلعب دورا كبيرا في حياة

صفحة (١٢)

الأمة، مما يجعلنا لا نجد كثير عناء في الإجابة على سؤال: لماذا عنيت الأمم على اختلافها بالتاريخ. تدوينا. ودرسا، وبحثا، وتمحيصا؟! فإن ذلك لم يكن إلا لأنها تريد أن تستفيد منه، لتتعرف على واقعها الذي تعيشه، لتستفيد من ذلك لمستقبلها الذي تقدم عليه.. ولتكتشف منه عوامل رقيها. وانحطاطها، ولتنطلق من ثم لبناء نفسها على أسس متينة وسليمة.. فمهمة التاريخ إذن - تاريخ الأمة المدون - هي: أن يعكس بأمانه ودقه ما تمر به الأمة من أحوال وأوضاع، وأزمات فكرية، واقتصادية، وظروف سياسية واجتماعية، وغير ذلك.

\*\*\* ونحن. هل نملك تاريخا!!

ونحن أمة.. لكننا لا نملك تاريخا - وأقصد بذلك كتب التاريخ - نستطيع أن نستفيد منه الكثير في هذا المضمار، لأن أكثر ما كتب لنا منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، والهوى المذهبي، والتزلف للحكام، وأقصد ب " النظرة الضيقة " عملية ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره وأسبابه التي تلقى الضوء الكاشف على حقيقته وواقعه.

نعم.. إننا بمرارة - لا نملك تاريخا نستطيع أن نستفيد منه الكثير، لأن المسيرة قد انحرفت، والأهواء قد لعبت لعبتها (١) وأثرت أثرها المقيت (١) ومن أراد أن يعرف المزيد عن ذلك، فليراجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص ٧٢ إلى ص ٧٩ والغدير ج ٥ ص ٢٠٨ إلى ص ٣٧٨، و ج ١١ من ص ٧١، إلى ص ١٠٣، و ج ٩ من ص ٢١٨ إلى آخر المجلد، وغير ذلك من مجلدات هذا الكتاب وصفحاته والاحتجاج للطبرسي، وخمسون ومئة صحابي مختلق للعسكري، وغير ذلك كثير (... ١٣) صفحهمفاتح البحث: كتاب الكافئة للشيخ المفيد (١)

البعيضا، حتى في تدوين التاريخ نفسه.

وإنه لمما يدمى قلوبنا، ويملاً نفوسنا أسى وألما، أن نكون قد فقدنا تاريخنا، ودفنا تحت ركام من الأنانيات. والعصيات، والأطماع الرخيصة، حتى لم يبق منه سوى الرسوم الشوهاء، والذكريات الشجيرة..

ومرة أخرى أقول: إن كل ما لدينا هو - فقط - تاريخ الحكام والسلاطين، الذين تعاقبوا على كراسى الحكم، وحتى تاريخ الحكام هذا، رأينا مشوها، وممسوخا، حيث لم يستطع أن يعكس بأمانه وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، وأعمالهم وتصرفاتهم. وما ذلك إلا- لأن المؤرخين لم يكونوا أحرارا في كتابتهم للتاريخ، بل كانوا يؤرخون ويكتبون حسب ما يريد الحكام أنفسهم، ويخدم مصالحهم.

إما رهبة من هؤلاء الحكام، أو رغبة، أو تعصبا لمذهب، أو غيره.

ومن هنا.. فليس من الغريب جدا أن نرى المؤرخ يعنى بأمور تافهة وحقيرة، فيسهب القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة، حتى لا يفوته شيء منه، أو يختلق ويفتعل أحداثا لم يكن لها وجود إلا في عالم الخيالات والأوهام، أو يتكلم عن أشخاص لم يكن لهم شأن يذكر، بل قد لا- يكون لهم وجود أصلا.. بينما نراه في نفس الوقت يهمل بالكلية شخصيات لها مكانتها، وخطرها في التاريخ، أو يحاول تجاهل الدور الذي لعبته فيه.. ويهمل أو يشوه أحداثا ذات أهمية كبرى.

صدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره. ومن بينها ما كان له دور هام في حياة الأمة، ومستقبلها، وأثر كبير في تغيير مسيرة التاريخ، أو يحيطها - لسبب أو لآخر - بستار من الكتمان، والإبهام.

\* \* \* ومن تلك الأحداث ...

وفي طليعة تلك الأحداث التي كان نصيبها ذلك "البيعة للإمام

صفحة (١٤)

الرضا عليه السلام بولاية العهد " من قبل الخليفة العباسي عبد الله المأمون!.

هذا الحدث الذي لم يكن عاديا، وطبيعيا، كسائر ما يجرى وما يحدث، والذي كان نصيبه من المؤرخين أن يتجاهلوه، ويقللوا ما أمكنهم من أهميته، وخطره، وأن يحيطوا أسبابه ودوافعه، وظروفه بستائر من الكتمان. وعندما كانت تواجههم الأسئلة حوله تراهم يرددون تلك التفسيرات التي أراد الحكام أن يفهموها للناس، دون أن يكون من بينها ما يقنع، أو ما يجدى..

إلا أننا مع ذلك، لم نعدم في هذا الذي يسمى، بـ "التاريخ" بعض الفلتات والشذرات المتفرقة هنا وهناك، التي تلقى لنا ضوءا، وتبعث فينا الرجاء والأمل بالوصول إلى الحقائق التي خشيها الحكام، ففضوا عليها - بكل قسوة وشراسة - بالعدم، والاندثار..

ولو فرض: أنه كان للمؤرخين القدامى العذر - إلى حد ما - في تجاهل هذا الحدث، والتقليل من أهميته، لظروف سياسية، واجتماعية، ومذهبية معينة.. فإن من الغريب حقا أن نرى الباحثين اليوم - مع أنهم لا يعيشون تلك الظروف، وينعمون بالحرية بمفهومها الواسع -

يحاولون بدورهم تجاهل هذا الحدث، والتقليل من أهميته، عن قصد أحيانا، وعن غير قصد أخرى، وإن كنا نستبعد هذا الشق الأخير، إذ أننا نشك كثيرا في أن لا يسترعى حدث غريب كهذا انتباههم، ويلفت أنظارهم.

وأيا ما كان السبب في ذلك، فإن النتيجة لا تختلف، ولا تتفاوت، إذ أنها كانت في الواقع الخارجي سلبية على كل حال.

\* \* \* (١٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، السب (١)

وبدافع من الشعور بالواجب ومن هنا. وبدافع من الشعور بالمسؤولية، رأيت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف على حقيقة دوافعه وأسبابه، وواقع ظروفه وملابساته.

وكانت نتيجة تلك الدراسة، التي استمرت ثلاث سنوات ما بين مد وجزر هي: هذا الكتاب الذي بين يديك..

لا أدعى: أن كل ما في هذا الكتاب من آراء واستنتاجات، لا تعدو الحقيقة، لا تشذ عن الصواب.

ولا أدعى أيضا: أنني استطعت أن أضع يدي على كل خيوط القضية، وأن أنفذ إلى جميع جذورها العميقة والرئيسة، فإن ذلك ليس من الأمور السهلة بالنسبة لأي حدث تاريخي مضى عليه العشرات والمئات من السنين، فكيف إذا كان إلى جانب ذلك مما قد أريد له

- كما قلنا - أن تبقى دوافعه وأسبابه طي السرية والكتمان، وظروفه وملابساته رهن الإبهام والغموض..

لا.. لا أدعى هذا، ولا ذاك. وإنما أقول:

إن هذا الكتاب قادر - ولا شك - على أن يرسم علامة استفهام كبيرة حول "طبيعية" هذا الحدث، وحول المأمون، ونواياه، وتصرفاته المشبوهة.

وإنه - على الأقل يمكن أن يعتبر خطوة على طريق الكشف الكامل عن جميع الحقائق، والتعرف على كافة العوامل والظروف، التي اكتتفت هذا الحدث التاريخي الهام. (١٤) صفحهمفاتيح البحث: الكتمان (١) تقسيم الكتاب.. باختصار..

ومن أجل استيفاء البحث من جميع جوانبه، كما لا بد لنا من تقسيم الكتاب إلى أقسام أربعة: الأول: يتناول قيام الدولة العباسية، وأساليب دعوتها، ويعطى لمحة عن موقف العلويين، والعباسيين، كل منهما من الآخر، وردود الفعل لذلك، وغير ذلك من أمور..

الثاني: يبحث حول ظروف البيعة، وأسبابها، ونتائجها.

الثالث: يتكفل بإلقاء أضواء كاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلى المأمون، أو بالنسبة إلى الإمام (ع)..

الرابع: نعرض فيه لبعض الأحداث التي تلقى لنا ضوءاً على حقيقة نوايا المأمون، وتكشف لنا عن بعض مخططاته.. وغير ذلك مما يتصل بذلك، ويرتبط به، بنحو من الارتباط والاتصال..

هذا:

وقد وضعنا في آخر الكتاب بعض الوثائق التاريخية الهامة، التي آثرنا أن يطلع القارئ بنفسه على نصها الكامل..

ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً. ويهدينا سبيل الرشاد.. (١٧) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)

## "القسم الأول: ممهّدات"

القسم الأول ممهّدات.

١ - قيام الدولة العباسية.

٢ - مصدر الخطر على العباسيين.

٣ - سياسة العباسيين ضد العلويين.

٤ - سياسة العباسيين مع الرعية..

٥ - فشل سياسة العباسيين ضد العلويين. (١٩) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)

## قيام الدولة العباسية

قيام الدولة العباسية العلويون في الماضي البعيد..

بعد أن أمعن الأمويون في الانحراف عن الخط الإسلامي القويم، وأصبح واضحاً لدى كل أحد، أن هدفهم ليس إلا الحكم والسيطرة، والتحكم بمقدرات الأمة وإمكاناتها.. وأن كل همهم كان مصروفاً إلى الملذات والشهوات، أينما كانت، وحيثما وجدت.. وليس لمصلحة الأمة، وسعادتهما، ورفاهها عندهم أي اعتبار..

وبعد أن لجوا في عداوتهم لأهل البيت عليهم السلام، وبلغوا الغاية فيهم، قتلاً، وعسفاً، وتشريداً، وخصوصاً ما كان منهم في وقعة كربلاء

التي لم يعرف التاريخ أبشع، ولا أفظع منها.. وجعلهم لعن على عليه السلام سنة لهم. يشب عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير..

ثم ملاحقتهم لولده، ولكل من يتشيع لهم. تحت كل حجر ومدبر، وفي كل سهل وجبل، ليعفوا منهم الآثار، ويخلو منهم الديار.

بعد كل هذا.. وبفضل جهاد أهل البيت المتواصل، في سبيل توعية الأمة، وتعريفها بأحقيتهم، وبحقيقة، وواقع تلك الطغمة الفاسدة.. كان من الطبيعي أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت (٢١) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، الهدف (١)

ويزيد، كلما ازداد نفورهم من الأمويين، ونقمتهم عليهم، وذلك تبعاً لتزايد وعيهم. وتكشف الحقائق لهم، ولأنهم أدركو من واقع الأحداث التي مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السلام هم: الركن الوثيق، الذي لا نجاة لهم إلا بالالتجاء إليه، وذلك الأمل الحي، الذي تحيا به الأمة، وتحلو معه الحياة..

\*\*\* العرش الأموي في مهب الريح.

ولهذا نجد: أن الثورات والفتن ضد الحكم الأموي كانت تظهر من كل جانب ومكان. طيلة فترة حكمهم، حتى أنهكت قواهم، وأضعفتهم إلى حد كبير، وفنوا وأفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، ولا السيطرة على العباد.. وكانت تلك الثورات تتخذ الطابع الديني على العموم، مثل: ثورة أهل المدينة المعروفة بـ "وقعة الحرة" وثورته قراء الكوفة والعراق، المعروفة بـ "دير الجماجم" سنة ٨٣ هـ.. وقبلها ثورة المختار والتوابين سنة ٦٧ هـ. وأيضاً ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سنة ١٢٦ هـ. وكذلك ثورة عبد الله بن الزبير، الذي تغلب على البلاد ما عدا دمشق، وما والاها مدة من الزمن.. ثم الثورة التي قامت ضد هشام في إفريقيا. وثورته الخوارج بقيادة المتسمى بـ "طالب الحق" سنة ١٢٨ هـ.

وأيضاً ثورة الحارث بن سريح في خراسان، داعياً إلى كتاب الله، وسنة رسوله سنة ١١٦ هـ. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه واستقصائه.. (٢٢) صفحهمفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (١)، ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي (١)، مدينة الكوفة (١)، مدرسته المعتزلة (١)، عبد الله بن الزبير (١)، خراسان (١)، الخوارج (١)، دمشق (١)

وأما ما كان منها بدافع غير ديني، بل من أجل الحكم، والسلطان، فنذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سنة ١٠٢ هـ. وثورته مطرف بن المغيرة..

\*\*\* وأما في زمن مروان.

وفي زمن مروان بن محمد الجعدي، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع في السوء والتدهور قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية، حيث بلغ من انشغال مروان بالثورات والفتن، التي كانت قد شملت أكثر الأقطار: أنه لم يستطع أن يصغي إلى شكوى عامله في خراسان نصر بن سيار، الذي كان بدوره يواجه الثورات والفتن، ومن جملتها دعوة بني العباس، التي كانت تزداد قوة يوماً بعد يوم. بقيادة أبي مسلم الخراساني.

\*\*\* من خلال الأحداث.

كل ذلك يكشف عن مدى تبرم الناس بحكم بني أمية، وبسلطانهم، الذي كان قائماً على أساس من الظلم والجور، والابتزاز، والتحكم بمقدرات الأمة، وإمكاناتها.. ويتضح لنا ذلك جلياً إذا لاحظنا:

أن ما كان يتقاضاه الولاة لا يمكن أن يخطر على قلب بشر، ويكفي مثلاً على ذلك أن نشير إلى أن خالداً القسري، كان يتقاضى راتباً سنوياً قدره " ٢٠ مليون درهم، بينما ما كان يختلسه كان يتجاوز (٢٣) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (١)، خراسان (١)، الظلم (١) ال " ١٠٠ مليون (١)، وإذا كان هذا حال الولاة، فكيف ترى كان حال الخلفاء، الذين كانوا يحقدون على كل القيم، والمثل، والكمالات الإنسانية.. والذين وصف الكميته رأيهم في الناس، فقال:

رأيه فيهم كراى ذوى الثلة فى التائج جنح الظلام.

جز ذى الصوف وانتقاء لذى المخة، نعقا ودعدعا بالهام (٢).

نعم.. لقد كانت الأمة قد اقتنعت اقتناعا كاملا ونهايا: بأن بنى أمية ليس لهم بعد حق فى أن يفرضوا أنفسهم قادة للأمة، ولا روادا لمسيرتها، لأن نتيجة ذلك ستكون - حتما - هى جر الأمة إلى الهاوية.

حيث الدمار والفناء، فلفظتهم، وانقلبت عليهم، تأخذ منهم بعض الحقوق التى لها عندهم، إلى أن تمكنت أخيرا من أن تخلى منهم الديار، وتعفى منهم الآثار..

\*\*\* وكان نجاح العباسيين طبيعيا..

ومن هنا نعرف: أن نجاح العباسيين فى الاستيلاء على مقاليد الحكم - (١) السيادة العربية ص ٣٢، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكى إبراهيم.

وفى البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٥: أن دخل خالد القسرى كان فى كل سنة "١٣" مليون دينار، ودخل ولده يزيد بن خالد كان "١٠" ملايين دينار سنويا، ولا بأس بمطالعة كتاب السيادة العربية، ليعرف ما أصاب، وخصوصا العراقيين والخراسانيين فى عهد الأمويين.

(٢) الهاشميات ص ٢٦، ٢٧. والثلة: القطعة الكثيرة من الضان. والتائج: الصائحات.

وانتقاء: اختيار، وأراد بذى المخة: السمينه، ونعقا: أى صياحا. والدعدعة:

زجر البهائم.

يقول: رأى الواحد من هؤلاء الخلفاء فى رعيته، ومعاملته لها كراى أصحاب الغنم فى غنمهم، فلا يراعون العدل، ولا الإنصاف فيهم..

(٢٤) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، يزيد بن خالد (١)، الإختيار، الخيار (١)

فى ذلك الحين - لم يكن ذلك الأمر المعجزة، والخارق للعادة. بل كان أمرا طبيعيا للغاية، إذا ما أخذت الحالة الاجتماعية، والظروف والملابسات آنذ بنظر الاعتبار، فإن الأمة كانت مهياة نفسيا لقبول التغيير، أى تغيير. بل كانت تراه أمرا ضروريا، لا بد منه، ولا غنى عنه، إذا كانت تريد لنفسها الحياة الفاضلة، والعيش الكريم.

ولهذا.. فليس من الغريب أن نقول:

إنه كان بإمكان أية ثورة أن تنجح، لو أنها تهيأت لها نفس الظروف، وسارت على نفس الخط، واتبعت نفس الأساليب، التى اتبعها العباسيون فى دعوتهم، وثورتهم.

ونستطيع أن نتبين أساليب العباسيين تلك فى ثلاثة خطوط عريضة وواضحة.

الخط الأول:

"كانوا يصورون أنفسهم على أنهم ما جاءوا إلا لينقذوا الأمة من شرور بنى أمية، وظلمهم، وعسفهم، الذى لم يكن يقف عند حدود. وكانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشير بالخلاص، وأنهم سوف يقيمون حكما مبدؤه العدل، والمساواة، والأمن والسلام. وقد كانت وعودهم هذه كسائر الوعود الانتخابية، التى خلقتها الدعوة العباسية فى الجماهير مسؤولة إلى حد كبير عن ردود الفعل العنيفة، التى ألفناها من ساسة العصر الحديث... بل لقد كانت الأمانى التى خلقتها الدعوة العباسية فى الجماهير مسؤولة إلى حد كبير عن ردود الفعل العنيفة، التى حدثت ضد الحكم العباسى بعد ذلك، حيث كان حكمهم قائما على الطغيان المتعشش إلى سفك الدماء (١)."

(١) راجع: إمبراطورية العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خيرى حماد. (٢٥) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (١)، الكرم، الكرامة (١)

الخط الثانى:

إنهم لم يعتمدوا كثيرا على العرب، الذين كانوا يعانون من الانقسامات الداخلية الحادة، وإنما استعانوا بغير العرب، الذين كانوا فى عهد بنى أمية محتقرين، ومنبوذين، ومضطهدين، ومحرومين من أبسط الحقوق المشروعة، التى منحهم إياها الإسلام. حتى لقد أمر

الحجاج أن لا يؤم في الكوفة إلا عربى.. وقال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربى (١)..

كما طرد غير العرب من البصرة، والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وامحمدا وأحمدا. ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن نرى أهل البصرة يلحقون بهم، ويشتركون معهم فى نعى ما نزل بهم من حيف وظلم (٢) بل لقد قالوا: "لا يقطع الصلاة إلا: حمار، أو كلب، أو مولى (٣)".. وقد أراد معاوية أن يقتل شطرا من الموالى، عندما رأهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلك (٤).

وتزوج رجل من الموالى بنتا من أعراب بنى سليم، فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينة، ووالها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، (١) ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٤، والعقد الفريد ج ١ ص ٢٠٧، ومجلة الهادى، السنة الثانية العدد الأول ص ٨٩، وتاريخ التمدن الإسلامى المجلد ٢ جزء ٤ ص ٣٤٣.

(٢) السيادة العربية ص ٥٦، ٥٧، ولا بأس بمراجعة: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول ج ٢ ص ٢٧٤ (٣) العقد الفريد طبع مصر سنة ١٩٣٥ ج ٢ ص ٢٧٠، وتاريخ التمدن الإسلامى جزء ٤ ص ٣٤١ (٤) المصدران السابقان.. (٢٦) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (٢)، القتل (١)، الصلاة (١)

فشكا إليه ذلك، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مأتى سوط، وحلق رأسه، وحاجبه، ولحيته. فقال محمد ابن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة وحكمت عدلا \* ولم ترث الخلافة من بعيد (١) ولم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك (٢) ويقول أبو الفرج الأصفهانى: "كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربى من السوق، ومعه شئ، ورأى مولى، دفعه إليه، فلا يمتنع (٣)". بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من أمهات أعجميات (٤). وأخيرا.. فإن البعض يقول: إن قتل الحسين كان "الكبيرة، التى هونت على الأمويين أن يقاوموا اندفاع الإيرانيين؟ إلى الدخول فى الإسلام (٥)".

وبعد هذا. فإن من الطبيعى أن يبذل الموالى أرواحهم، ودماءهم وكل غال ونفيس فى سبيل التخلص من حكم يعاملهم هذه المعاملة، وله فيهم هذه النظرة، فاعتماد الدعوة العباسية على هؤلاء كان منتظرا (١) الأغانى ج ١٤ ص ١٥٠، وضحى الإسلام ج ١ ص ٢٣، ٢٤. (٢) السيادة العربية والشيعنة والإسرائيليات ص ٤٠، ولا بأس أيضا بمراجعة: تاريخ التمدن الإسلامى، والمجلد الأول، الجزء الثانى ص ٢٨٢، ٢٨٣ (٣) ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٥.

(٤) ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٥، والعقد الفريد ج ٦ ص ١٣٠، ١٣١، طبعه ثالثة، ومجلة الهادى، السنة الثانية، العدد الأول ص ٨٩. (٥) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٩٥. (٢٧) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، ثورة المختار بن أبى عبيدة الثقفى (١)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (١)، الزوجة (١)، القتل (١) ومتوقعا، كما أن اندفاع هؤلاء فى نصره الدعوة العباسية كان متوقعا، ومنتظرا أيضا. الخط الثالث:

أنهم - أعنى العباسيين - قد حاولوا فى بادئ الأمر أن يربطوا دعوتهم وثورتهم بأهل البيت عليهم السلام. وطبيعة البحث تفرض علينا أن نتوسع فى بيان هذه النقطة بالذات وذلك لما لها من الأهمية البالغة، بالنظر لما تركته من آثار بارزة على مدى التاريخ، ولأنها كانت الناحية التى اعتمد العباسيون عليها اعتمادا كليا، وتعتبر السبب الرئيس فى وصول العباسيين إلى السلطة، وحصولهم على مقاليد الحكم.. ولهذا. فنحن نقول:

دولة بنى العباس فى صحيفة ابن الحنفية:

قد نقل ابن أبى الحديد (١) عن أبى جعفر الإسكافى: أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، وعن غيرهم من أرباب الحديث، أنه: لما مات على أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمد بن الحنفية من أخويه: الحسن، والحسن ميراثه من العلم، فدفعوا إليه صحيفة، لو

أطلعاه على غيرها لهلك، وكان في هذه الصحيفة ذكر لدولة بنى العباس. فصرح ابن الحنفية لعبد الله بن العباس بالأمر، وفصله له. والظاهر أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبي هاشم، وعن طريقه وصلت إلى بنى العباس. ويقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء (١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٩، ١٥٠. (٢٨) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، ابن أبي الحديد المعتزلى (١)، عبد الله بن عباس (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، بنو عباس (٣)، الموت (١)، السب (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١) حربهم مع مروان بن محمد الجعدى (١)، آخر خلفاء الأمويين.

وقد ذكرت هذه الصحيفة في كلام بنى العباس، وخلفائهم كثيرا، وسيأتى لها ذكر في رسالة المأمون للعباسيين، التي سوف نوردها في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله.

\*\*\* متى بدأ العباسيون دعوتهم، وكيف؟

وبعد هذا. فإن الشئ المهم هنا هو تحديد الزمن الذى بدأ به العباسيون دعوتهم، وكيف؟ ونستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، وبالتحديد من قبل أبي هاشم، عبد الله بن محمد الحنفية، وهو الذى نظم الدعاء، ورتبهم، وقد انضم تحت لوائه: محمد بن على بن عبد الله بن العباس، ومعاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، وغيرهم.. وهؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، وأطلعهم على أمر دعائه.

وقد قرأ محمد بن على، ومعاوية بن عبد الله تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، ووجد كل منهما ذكرا للجهة التى هو فيها.

ولهذا نلاحظ: أن كلا من محمد بن على، ومعاوية بن عبد الله، قد ادعى الوصاية من أبي هاشم، مما يدل دلالة واضحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، وإنما عرفهما دعائه فقط. (١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٩. (٢٩) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، الدولة الأموية (١)، بنو عباس (١)، عبد الله بن الحارث بن نوفل (١)، معاوية بن عبد الله (٢)، عبد الله بن محمد (١)، محمد بن على (٣)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١)

هذا. وبعد موت معاوية بن عبد الله، قام ابنه عبد الله يدعى الوصاية من أبيه. من أبي هاشم.. وكان له فى ذلك شيعه، يقولون بإمامته سرا حتى قتل.

وأما محمد بن على فقد كان بمنتهى الحنكة والدهاء، وقد تعرف - كما قلنا - من أبي هاشم على الدعاء، واستطاع بما لديه من قوة الشخصية، وحسن الدهاء أن يسيطر عليهم، ويستقل بهم (١)، ويبيدهم عن معاوية بن عبد الله، وعن ولده، ويبيدهما عنهم.

واستمر محمد بن على يعمل بمنتهى الحذر والسرية. وكان عليه أن:

١ - يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، وأبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم - إن استطاع - لصالحه، وصالح دعوته.

ولقد فعل ذلك هو وولده كما سيتضح.

٢ - وكان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التى لن يكون تعامله معها فى صالحه، وفى صالح دعوته.

٣ - والأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، وعن نشاطاته، ويضلهم، ويعمى عليهم السبل.

\*\*\* ولذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعائه إليها. وأوصاهم بوصيته (١) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٠. (٣٠) صفحهمفاتيح

البحث: الدولة الأموية (١)، معاوية بن عبد الله (٢)، محمد بن على (٢)، خراسان (١)، القتل (١)، الحج (١)

المشهوره، التى يقسم فيها البلاد والأمصار: هذا علوى، وذاك عثمانى، وذلك غلب عليه أبو بكر وعمر، والآخر سفيانى. إلى آخر ما سيأتى (١). (١) ولقد بذل محمد بن على جهدا جبارا فى إنجاح الدعوة، وكانت أكثر نشاطاته فى حياة والده، على بن عبد الله، الذى

يبدو أنه لم يكن له في هذا الأمر دور يذكر. وتوفي والده على ما يظهر في سنة ١١٨ هـ. وكان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأيدينا من الدلائل التاريخية من سنة ١٠٠ هـ. أي بعد وفاة أبي هاشم بسنتين. إذ في سنة ١٠٠ هـ. وجه محمد بن علي بن أرض الشراء ميسرة إلى العراق ووجه محمد بن خنيس، وأبا عكرمة السراج، وهو أبو محمد الصادق، وحيان العطار إلى خراسان. وفيها أيضا جعل اثني عشر نقيبا، وأمر دعائه بالدعوة إليه، وإلى أهل بيته.

وفي سنة ١٠٢ هـ. وجه ميسرة رسله إلى خراسان، وظهر أمر الدعوة بها وبلغ ذلك سعيد خدينة، عامل خراسان، فأرسل، وأتى بهم، واستنطقهم، ثم أخذ منهم ضمنا وأطلقهم.

وفي سنة ١٠٤ هـ. دخل أبو محمد الصادق، وعدة من أصحابه، من أهل خراسان إلى محمد بن علي، فأراهم السفاح في خرقة، وكان قد ولد قبل خمسة عشر يوما، وقال لهم "والله، ليطمن هذا الأمر، حتى تدركو تارككم من عدوكم."

وفي سنة ١٠٥ هـ. دخل بكير بن ماهان في دعوة بني هاشم. وفيها مات ميسرة، فجعل محمد بن علي بكيرا هذا مكانه في العراق.. وفي سنة ١٠٧، أو ١٠٨ هـ وجه بكير بن ماهان عدة من الدعوة إلى خراسان، فظفر بهم عامل خراسان، فقتلهم، ونجا منهم عمارة، فكان هو الذي أخبر محمد ابن علي بذلك.

وفي سنة ١١٣ هـ. صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمان رجلا منهم، فقتله، وقال: "من أصيب منهم فدمه هدر."

وفي سنة ١١٧ هـ. أخذ عامل خراسان أسد بن عبد الله وجوه دعاة بني العباس، وفيهم النقباء، ومنهم سليمان بن كثير، فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس آخرين.

وفي سنة ١١٨ هـ وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد - وهو خدش - واليا على شيعة بني العباس، فنزل مروا، ودعا إلى محمد بن علي، ثم غلا..

وفي سنة ١٢٠ هـ. وجهت شيعة بني العباس سليمان بن كثير إلى محمد بن علي في أمر خدش.

وفي سنة ١٢٤ هـ. قدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة. وفيها أيضا اشترى بكير بن ماهان أبا مسلم. راجع في ذلك كله:

تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة ج ٥ ص: ٣١٦، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٦٧، ٥١٢، وغير ذلك من كتب التاريخ. (٣١) صفحهمفاتيح البحث: الغل (١)، دولة العراق (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (١)، بنو عباس (٥)، علي بن عبد الله (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، بنو هاشم (١)، عمار بن يزيد (١)، عبد الرحمان (١)، محمد بن علي (٦)، خراسان (٨)، الصدق (٢)، القتل (١)، الموت (١)، الوفاة (١)

وأمرهم - أعنى الدعوة بالتحاشي عن الفاطميين، لكنه ظل هو شخصيا، ومن معه من العباسيين، الذين استنوا بسنته، وساروا من بعده بسيرته - ظلوا - يتظاهرون للعلويين بأنهم معهم، وأن دعوتهم لهم، ولم يكن إلا القليلون يعرفون بأنه: كان يدبر الأمر للعباسيين.

وقد أعطى دعائه شعارات مبهمه، لا تعين أحدا، وصالحة للانطباق على كل فريق، كشعار: "الرضا من آل محمد" و "أهل البيت". ونحو ذلك.

\*\*\* مدى سرية الدعوة:

والظاهر. أن عبد الله بن معاوية كان من جملة أولئك المخدوعين بهذه الشعارات، إذ قد ذكر المؤرخون، ومنهم أبو الفرج في مقاتل الطالبين ص ١٦٨، وغيره: أنه بعد أن استظهر ابن ضبارة على عبد الله ابن معاوية توجه عبد الله إلى خراسان، وكان أبو مسلم قد ظهر بها، فخرج إلى أبي مسلم طمعا في نصرته! فأخذه أبو مسلم، فحبسه، ثم قتله.. (٣٢) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (١)، الفرج (١)

وهذا يدل دلالة واضحة على أن عبد الله بن معاوية كان يظن أن أبا مسلم سوف ينصره، وأنه - يعني أبا مسلم - كان يدعو إلى أهل



البيت، والرضا من آل محمد على الحقيقة، ولم يخطر في باله: أن الدعوة كانت للعباسيين، وتبديير من أعظم داهية فيهم!!.. بل لعلنا نستطيع أن نقول: إن محمد بن علي قد استطاع أن يخفي هذا الأمر حتى عن ولديه: السفاح، والمنصور، ولذا نراهما قد التحقا مع جميع بنى هاشم العباسيين والعلويين على حد سواء، وبعض الأمويين (١) ووجه قريش بعبد الله بن معاوية الخارج سنة ١٢٧ هـ. في الكوفة، ثم في شيراز، حيث تغلب على: فارس، وكورها، وعلى حلوان، وقومس، وإصبهان، والرى وعلى مياه الكوفة، وعلى مياه البصرة، وعلى همدان، وقم، وإصطخر، وعظم أمره جدا (٢).

وقد تولى المنصور من قبل عبد الله بن معاوية هذا على "إيدج" (٣) كما تولى غيره غير ذلك من الأمصار. فقبول المنصور لولاية "إيدج" من قبله، باعتباره من الهاشميين يكشف عن أنه لم يكن يعلم: أن والده كان ابتداء من سنة مئة، أى قبل خروج عبد الله بن معاوية بـ "٢٨" سنة يسعى جاهدا، ويشقى ويتعب فى تدبير الأمر للعباسيين، وتركيز الدعوة لهم.. وإنما كان يعلم أن الدعوة كانت لأهل البيت، والرضا من (١) الأغاني ج ١١ ص ٧٤، ومقاتل الطالبين ص ١٦٧، والوزراء والكتاب ص ٩٨.

(٢) راجع أنساب الأشراف ص ٦٣، والأغاني ج ١١ ص ٧٤، ومقاتل الطالبين ص ١٦٧، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥، ٢٦، و ص ٣، وعمدة الطالب، وزاد فى تاريخ الجنس العربى: المدائن، ونيسابور.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ص ٦٣، وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب طبع بمبئى ص ٢٢، والوزراء والكتاب ص ٩٨ و ٩٩، وفرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠، وفيه: أن سليمان بن حبيب بن المهلب أخذه، فحبسه، وأراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف على القتل.. وليراجع الجهشيارى أيضا. (٣٣) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة

(١)، بنو هاشم (١)، محمد بن علي (١)، الظن (١)، كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى (٢)، كتاب البداية والنهاية (١)، القتل (٣)

آل محمد - المنطبق - بالطبع - على العلويين أكثر من غيرهم على الاطلاق.

وإلا فلو كان لمحمد بن علي دعوة واضحة، ومشهورة، ومتميزة، وكان المنصور يعلم بها لكان توليه لايدج من قبل عبد الله بن معاوية مضرا جدا فى دعوة أبيه، وضربة قاضية لها.

اللهم إلا أن يكون ثمة غرض آخر أهم، فيكون ذلك منهم حنكة ودهاء - كأن يكون نظرهم إلى أنه: لو نجحت دعوتهم، فيها. وإلا.. فلو نجحت دعوة عبد الله بن معاوية، فباستطاعتهم أن يحتفظوا فيها بمراكزهم، ونفوذهم، إذ لهم أن يقولوا: إننا كنا من المعاونين والمساهمين فى هذه الدعوة.. كما أن بذلك تنصرف أنظار الحكام عنهم، ويأمن العلويون جانبهم، فلا يناهضون دعوتهم ولا يقفون فى وجهها.

وبهذه الأسباب نستطيع أن نفسر بيعه العباسيين جميعا، أكثر من مرة لمحمد بن عبد الله العلوى، وبه أيضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد الله هذا، حيث قال: "هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن، مهدينا أهل البيت" ويأخذ بركابه. ويسوى عليه ثيابه (١).

وأیضا قوله فى مجلس البيعة لمحمد هذا: "ما الناس أصور أعناقا، ولا أسرع إجابة منهم لهذا الفتى". كما سيأتى.

ومما يوضح أيضا مدى تكتم العباسيين بأمر دعوتهم، أن: إبراهيم الإمام قد بشر بأنه قد أخذت له البيعة بخراسان - وهو فى نفس الاجتماع الذى كان قد عقد ليجددوا فيه البيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن. وسيأتى المزيد من الشواهد لهذا أيضا إن شاء الله تعالى.

وهكذا. فإن النتيجة تكون هى: أن العباسيين ظلوا يتسترون (١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩، ٢٤٠. (٣٤) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، عبد الله العلوى (١)، محمد بن عبد الله (٢)، محمد بن علي (١)، خراسان (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)

بالعلويين، ويخدعونهم، على اعتبار أنهم لو نجحوا فى دعوتهم السرية، فإن بيعتهم للعلويين، ودعوتهم، لهم لا تضرهم، وإذ ما فشلوا فإنهم سوف يحتفظون بنفوذهم ومراكزهم فى دولة أبناء عمهم.

هذا مجمل الكلام بالنسبة للدعوة العباسية، ولكن طبيعة البحث تفرض علينا التوسع في بيان المراحل التي مرت بها هذه الدعوة، ولا سيما فيما يتعلق بربطها بأهل البيت عليهم السلام، والعلويين، ومدى اعتمادهم على هذا الربط. فنقول:

لا بد من ربط الثورة بأهل البيت.

إن كان لا بد للعباسيين من ربط الثورة والدعوة بأهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم كانوا بحاجة إلى:

أولاً: صرف أنظار الحكام عنهم.

ثانياً: كسب ثقة الناس بهم، والحصول على تأييدهم لهم.

ثالثاً: أن لا تقابل دعوتهم بالاستغراب، والاستهجان، حيث إنهم لم يكونوا معروفين في أقطار، وأنحاء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، ولا كان يعرف أحد لهم حقاً في الدعوة لأنفسهم، كما هو الحال بالنسبة إلى العلويين، مما يجعل الدعوة لهم مع وجود العلويين مستغربة ومستهجنة إلى حد ما.

رابعاً: - وهو أهم ما في الأمر - أن يطمئن إليهم العلويون، ويثقوا بهم. حتى لا تكون لهم دعوة في مقابل دعوتهم، لأن ذلك بلا شك سوف يضعفهم، ويوهن قوتهم، لما يتمتع به العلويون من نفوذ ومكانة في نفوس الناس بشكل عام.

ولهذا نرى أبا سلمة الخلال، يعتذر لأبي العباس السفاح، عن كتابته (٣٥) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الكسب (١)

للإمام الصادق عليه السلام، بأن يجعل الدعوة باسمه، ويبايعه - يعتذر - بأنه " كان يدبر استقامه الأمر (١). "

نعم. لقد كان لربطهم الثورة بأهل البيت عليهم السلام أثر كبير في نجاح ثورتهم، وظهور دعوتهم. وقد أكسبها ذلك قوة ومنعة، وجعلها في منأى ومأمن من طمع الطامعين، وتطلع المتطلعين، الذين كانوا يرجون لأنفسهم حظاً من الحياة الدنيا، وما أكثرهم.

كما وأن ذلك قد أثر أثراً بالغاً في اكتسابهم عطف الأمة، وتأييدها، وخصوصاً الخراسانيين، الذين كانوا لا يزالون يعيشون الإسلام بعيداً عن أهواء المبتدعين، وتلاعب المتلاعبين، والذين " وإن كانوا أقل غلوا (أى من أهل الكوفة)، فقد كانوا أكثر حماسةً للدعوة لأهل البيت (٢) "، وذلك لأنهم لم يعاملوا معاملة حسنة في الواقع، ولم يسر فيهم بسيرة محمد والقرآن إلا على بن أبي طالب عليه السلام (٣).

كما أنهم لم ينسوا بعد ما لاقوه في الدولة الأموية من العسف والتنكيل، ولذا فمن الطبيعي أن نراهم مستعدين لتقبل أية دعوة لأهل البيت عليهم السلام، والتفاعل معها، بل والتفاني في سبيلها. كما أن بلدتهم كان بعيداً من مركز الخلافة بالشام ولم يكن فيه فرق وأحزاب متناحرة كالعراق الذي كان فيه شيعة وخوارج ومرجئة وغير ذلك، وكانت وطأة الحكم العباسي على العراق ومراقبتهم لكل حركة فيه أشد منها في خراسان.

وبالفعل لقد شيد الخراسانيون، الذين كانوا يحبون أهل البيت عليهم السلام أركان دولة بني العباس، وقامت خلافتهم على أكتافهم، واستقامت (١) تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٨٧.

(٢) السيادة العربية، والشيعه، والإسرائيليات ص ١٠٦.

(٣) نفس المصدر ص ٣٩. (٣٦) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما

السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (٢)، مدينة الكوفة (١)، بنو عباس (١)، القرآن الكريم (١)، خراسان (١)، الشام (١)، الخوارج (١)

لهم الأمور بفضل سواعدهم، وأسيافهم، وسيأتي إن شاء الله المزيد من الكلام عن الإيرانيين، وعن سر تشيعهم، وخاصة الخراسانيين منهم في فصل: ظروف المأمون الخ. وغيره من الفصول.

المراحل التي مرت بها عملية الربط:

ولقد مرت عملية الربط هذه بثلاث مراحل أو أربع، طبقاً للظروف التي كانت قائمة آنذاك. وإن كانت هذه المراحل قد تبدو متداخلة.

وغير مميزة في أحيان كثيرة (١). إلا- أن ذلك كان تبعاً للظروف المكانية، والزمانية، والاجتماعية، التي كانت تتفاوت وتختلف باستمرار إلى حد كبير.. وهذه المراحل هي:

الأولى: دعوتهم في بادئ الأمر " للعلويين " الثانية: دعوتهم إلى " أهل البيت، " و " العترة. "

الثالثة: دعوتهم إلى " الرضا من آل محمد. "

الرابعة: ادعائهم للخلافة بالإرث، مع حرصهم على ربط الثورة بأهل البيت، بدعوى: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين. وليرفعوا عنهم الظلم الذي حاق بهم.

المرحلة الأولى:

وإذ قد عرفنا أن الدعوة كانت في بدء أمرها للعلويين، فلا يجب (١) قال في العيون والحداث ص ١٨٠: " وكان قد انتشر في خراسان دعاء من الشيعة، وقد انقسموا قسمين: قسم منهم يدعو إلى آل محمد على الإطلاق، والقسم الثاني يدعو إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وكان المتولى لهذه الدعوة إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله ابن كثير، وكان الدعاء يرجعون في الرأي والفقه إلى أبي سلمة الخ. (٣٧.. " صفحهمفاتيح البحث: الظلم (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، خراسان (١)

أن نستغرب كثيراً، إذا قيل لنا: إن جلة العباسيين، حتى إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور كانوا قد بايعوا للعلويين أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة، فإن ذلك ما كان إلا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعناية فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلويين خاصة، ومع الناس بشكل عام.

ويمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هي المرحلة الأولى من تلك المراحل المشار إليها آنفاً.

فراهم عدا تعاونهم الواضح مع عبد الله بن معاوية، قد بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن أكثر من مرة أيضاً، فقد:

"اجتمع آل عباس، وآل علي عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، وهناك قال صالح بن علي: " إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعه أحدكم، فتفرقوا في الآفاق، فادعوا الله، لعل أن يفتح عليكم، وينصركم، " فقال أبو جعفر، أي المنصور: " لأى شئ تخدعون أنفسكم؟ والله، لقد علمتم: ما الناس أصور (أى أميل) أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، " يريد محمد بن عبد الله العلوى.

قالوا: " قد والله صدقت، إنا لنعلم هذا، " فبايعوا جميعاً محمداً، وبايعه إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور، وصالح بن علي، وسائر من حضر " طبعاً ما عدا الإمام الصادق عليه السلام. "

وخرج دعاء بنى هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهره فضل علي بن أبي طالب وولده، وما لحقهم من القتل، والخوف، والتشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه.

ولم يجتمعوا (أى المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن (٣٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، علي بن أبى طالب (١)، عبد الله العلوى (١)، بنو هاشم (١)، صالح بن علي (٢)، القتل (٢)، الوصية (١)

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى إبراهيم الإمام، فشاوره بشئ، فقام وتبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلك، فإذا الرجل قد قال لإبراهيم: " قد أخذت لك البيعة بخراسان، واجتمعت لك الجيوش. "

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد الله العلوى مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. والأخرى: بالمدينة. وبايعه مرةً ثالثةً أيضاً:

فى نفس مكة، وفى المسجد الحرام بالذات.

ومن هنا نعرف السبب فى حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد ابن عبد الله العلوى، فإن ذلك لم يكن إلا بسبب ما كان له فى أعناقهما من البيعة (١). (١) قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، وخصوصاً: مقاتل الطالبين، لأبى الفرج الأصفهاني، صاحب الأغاني ص ٢٣٣، ٢٣٤. ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٩٥، وغيرها. وعلى كل فإن كون الدعوة العباسية كانت فى بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شك فيه، ومما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، والنصوص التاريخية، التى سوف نشير إلى شطر منها فى هذا الفصل..

ولا بأس أن يراجع بالإضافة إلى مقاتل الطالبين فى الصفحات المشار إليها: النصوص التى وردت فى: النزاع والتخاصم للمقريزى ص ٥٠، وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣، و ج ٣، ص ١٨٧، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ التمدن الإسلامى ج ٤ ص ٣٩٧، ٣٩٨، والبحار ج ٤٧ ص ١٢٠ و ص ٢٧٧، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨٤، والخرائج والجرائح ص ٢٤٤، وجعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الأهل ص ١١٥، فما بعدها، وغاية الاختصار ص ٢٢، وإعلام الورى ص ٢٧١، ٢٧٢، وإرشاد المفيد ص ٢٩٤، ٢٩٦، وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٨٣، ٣٨٤، وابن أعثم الكوفى فى كتابه: الفتوح على ما نقله فى طبيعة الدعوة العباسية. وأشار الطبرى إلى ذلك فى تاريخه ج ١٠ ص ١٤٣، فقال:

قد ذكروا أن محمداً كان يذكر أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمين يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بنى مروان.. وأشار إلى ذلك أيضاً ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧٠، ويراجع أيضاً شرح ميمية أبى فراس ص ١١٤، و ص ١٠٤.

١٠٥، وغير هؤلاء كثير. (٣٩) صفحهمفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (٣)، عبد الله العلوى (٢)، مسجد الحرام (١)، خراسان (١)، السب (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، مدينة بيروت (١)، ابن الأثير (١)، بنو هاشم (١)، عبد العزيز (١)

وقد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه البيعة فى قصيدته المشهورة، المعروفة بـ "الشافية" فقال:

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن \* أباهم العلم الهادى وأهمهم لا- بيعة ردعتكم عن دمائهم \* ولا يمين، ولا قربى، ولا ذمم وذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل محمد إلى البصرة، فأخذ وأتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟! قال له عثمان:

بايعته أنا وأنت بمكة، فوفيت بيعتى، وغدرت بيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل (١).

وذكر البيهقى: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد الله بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، قال لمطير بن عبد الله: "أما تشهد أن محمداً بايعنى؟" قال: "أشهد بالله، لقد أخبرتنى أن محمداً خير بنى هاشم، وأنتك بايعت له". قال: يا ابن الزانية الخ:

وكانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوتد فى عينيه، فما نطق! (٢) إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة، التى يتضح معها بما لا مجال معه للشك: أن الدعوة كانت فى بدء أمرها لخصوص العلويين، وباسمهم، ثم استغلت بعد ذلك لمصلحة العباسيين.

المرحلة الثانية.

ثم رأينا بعد ذلك: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين. (١) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢.

(٢) المحاسن والمساوى للبيهقى ص ٤٨٢. (٤٠) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، ابو فراس الحمدانى (١)، ابن الأثير (١)، مدينة البصرة (١)، بنو هاشم (١)، محمد بن

خالد (١)، القتل (٢)، الشهادة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)

وتتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، والسياسة، حيث اقتصروا في دعوتهم - بعد ذلك - على أنهال " أهل البيت، " و " العتره " وهذه هي المرحلة الثانية من المراحل الأربع التي أشرنا إليها. وكان الناس لا يفهمون من كلمة " أهل البيت " إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند إطلاق هذه العبارة، وذلك بسبب الآيات والروايات الكثيرة، التي استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم. فهذا أبو داود يقول للنقباء.. " أفتظنونه - أي النبي صلى الله عليه وآله - خلفه - أي العلم - عند غير عترته، وأهل بيته، الأقرب، فالأقرب!؟

إلى أن قال: أفتشكون أنهم معدن العلم، وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟! (١) وهذا أبو مسلم الخراساني القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول " إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فيه، فأنا أبايعك. "؟

فأجابه الإمام صلى الله عليه وآله وسلم. " ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانى، " ثم جاء أبو مسلم، وبايع السفاح، وقلده الخلافة (٢). وقال السيد أمير على بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبي هاشم. " وقد لاقت هذه القصة بعض القبول في بعض المناطق الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد، (١) الطبرى، طبع ليدن ج ٩ ص ١٩٦١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، طبع مؤسسة الحلبي في القاهرة ج ١ ص ١٥٤، وطبع العنانية ص ٨٧، وينابيع المودة للحنفى ص ٣٨١، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخارى. (٤١) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، كتاب فصل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (١)، كتاب ينابيع المودة (١)

فقد ظل دعاة العباسيين يؤكدون لهم أنهم يعملون لحساب: أهل البيت، وحتى ذلك الوقت كان العباسيون يظهرن الولاء التام لبني فاطمة، ويخلعون على حركتهم، وعلى سياساتهم مظهر الوصول إلى هدف ضمان العدالة، والحق لأحفاد محمد. وكان ممثلوا أهل البيت، ومحبوهم، ولا يخامرهم الشك في الغدر، الذى تبطنه هذه الاعترافات من العباسيين، فشمولوا محمد بن على، وجماعته بعطفهم وحمايتهم، الذين كانوا فى حاجة إليهما (١). ويقول. " وكانت كلمة " أهل البيت " هى السحر الذى يؤلف بين قلوب مختلف طبقات الشعب، ويجمعهم حول الراية السوداء. " (٢).

المرحلة الثالثة:

ثم تأتى المرحلة الثالثة، ويتقلص ظل العلويين، وأهل البيت عن هذه الدعوة، أكثر فأكثر، كلما ازدادت قوتها، واتسع نفوذها، حيث رأينا أخيرا إنها اتسعت بحيث تستطيع أن تشمل العباسيين أيضا مع العلويين. حيث أصبحت إلى " الرضا من آل محمد، " وإن كانوا لا يزالون يذكرون فضل على، وما لحق ولده من القتل والتشريد، كما يتضح بأدنى مراجعة لكتب التاريخ.

وهذه العبارة، وإن كانت لا تختلف كثيرا عن عبارة " العتره، وأهل البيت، " ونحوها. إلا أنها كانت فى أذهان العامة أبعد من أن يراى بها العلويون على الخصوص. ولكن مع ذلك بقيت الجماهير (١) روح الإسلام ص ٣٠٦ و ٣٠٨. ولا بأس بمراجعة ما ورد فى كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ جزء ٢ ص ٥٣٢. والسيادة العربية والشيعه والإسرائيليات ص ٩٤. وإمبراطورية العرب ص ٤٠٦، وطبيعة الدعوة العباسية، وغير ذلك.

(٢) تقدم تحت رقم ١. (٤٢) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن على (١)، القتل (١)، الصدق (١)

تعتقد أن الخليفة سيكون علويا، كما كان العلويون يعتقدون ذلك (".. ١) على حد تعبير أحمد شلبي. وإذا صح هذا، وفرض - ولو بعيدا - أن شعار: الرضا من آل محمد لا يختلف عن شعار: العترة، وأهل البيت في أذهان عامة الناس، فلسنا نصر على جعل هذا مرحلة مستقلة، بل يكون داخلا فيما سبقه، وتكون المراحل حينئذ ثلاثة، لا أربعة. ملاحظات لا بد منها في المرحلة الثالثة:

وقبل الانتقال إلى الكلام على المرحلة الرابعة، والأخيرة، لا بد من ملاحظة أمور:

أ: إنهم في نفس الوقت الذي نراهم فيه يبعدون الدعوة عن أهل البيت، كما يدلنا عليه قول محمد بن علي العباسي لبكير بن ماهان: "وحذر شيعتنا التحرك في شيء مما تتحرك فيه بنو عمنا آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول، وقايمهم مخذول، وليس لهم من الأمر نصيب" وسأخذ بثأرهم (".. ٢).

وكما يدلنا عليه ما رواه الطبري من أن محمد بن علي نهى دعائه عن رجل اسمه: غالب، لأنه كان مفرطا في حب بني فاطمة (٣). نراهم من جهة ثانية: وحتى لا يصطدموا بالعلويين وجها لوجه.

كانوا في جميع مراحل دعوتهم يتكتمون جدا باسم الخليفة، الذي يدعون الناس إليه، وإلى بيعته، بل إن الشخص الذي كانوا يدعون كانوا في جميع مراحل دعوتهم يتكتمون جدا باسم الخليفة، الذي يدعون الناس إليه، وإلى بيعته، بل إن الشخص الذي كانوا يدعون

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأحمد شلبي ج ٣ ص ٢٠.

(٢) طبيعة الدعوة العباسية ١٥٢، نقلا عن: مخطوطة العباسي ص ٩٣، أ، ٩٣ ب.

(٣) راجع: تاريخ الجنس العربي ج ٨ ص ٤١١. (٤٣) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن علي (٢)

الناس إليه، وإلى بيعته.. بل وكان الناس يباعدون ما كانوا يعرفونه، بل يعرفه الدعوة فقط، وعلى الناس أن يباعدوا إلى "الرضا من آل محمد" ولا بأس بمراجعة نص البيعة في تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الأول، الجزء الأول ص ١٢٥.

ولعل هدفهم من ذلك كان أيضا: هو أن لا يربطوا الدعوة بفرد معين، حتى لا تضعف إذا ما مات، أو اغتيل..

وعلى كل فقد نص ابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٣١٠، حوادث سنة ١٣٠ على أن أبا مسلم كان يأخذ البيعة إلى الرضا من آل محمد. ومثل ذلك كثير في كلمات المؤرخين، وإليك بعض النصوص التاريخية، التي تدل على ذلك..

ففي الكامل، ج ٤ ص ٣٢٣ نص على أن محمد بن علي بعث داعيا إلى خراسان يدعو إلى "الرضا من آل محمد" ولا يسمى أحدا، ولعل الذي أرسله هو أبو بكره الآتي ذكره.

وقد قال محمد بن علي العباسي لأبي بكره: "فلتكن دعوتك إلى "الرضا من آل محمد"، فإذا وثقت بالرجل، في عقله، وبصيرته، فاشرح له أمركم.

وليكن اسمي مستورا من كل أحد، إلا عن رجل عدلك في نفسك، وتوثقت منه، وأخذت بيعته."

ثم أمره بالتحاشي عن الفاطميين (١).

ويقول أحمد شلبي: "كانوا (أي العباسيون) يوهمون العلويين بأنهم يعملون لهم. ولكنهم في الواقع كانوا يعملون لأنفسهم" (٢). (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ١٥٥، نقلا عن: CID. OP ص ٩٥ / أ ٩٥ ب.

(٢) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ٢٠. (٤٤) صفحهمفاتيح البحث: ابن الأثير (١)، محمد بن علي (٢)، خراسان (١)، الموت (١)، الهدف (١)

ويقول أحمد أمين: "ومع هذا فكان من إحكام أمرهم أنهم لم يكونوا يصرحون عند دعوتهم في كثير من المواقف باسم الإمام، ليتجنبوا انشقاق الهاشميين بعضهم على بعض" (١).

ولو كان الخليفة معينا ومعروفا عند الناس، لما استطاع أبو مسلم، وأبو سلمة، وسليمان الخزاعي، أن يكتابوا الإمام الصادق عليه السلام، وغيره من العلويين، أنهم يباعدونهم، ويجعلون الدعوة لهم. وباسمهم.

وقد تقدمت رسالة أبي مسلم للإمام الصادق عليه السلام، التي يصرح فيها بأنه، إنما دعا الناس إلى موالاة أهل البيت فقط، أى من دون تصريح باسم أحد.

وقد قال أحدهم: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: "ليس لكتابك جواب. أخرج عنا (" ٢).

وقال السيد أمير على عن أبي مسلم: "وقد ظل إلى هذا الوقت مواليا، بل مخلصا، بل متحمسا لأبناء على (" ٣).

وقال صاحب قاموس الأعلام: "وعرض أبو مسلم الخراساني الخلافة ابتداء على الإمام الصادق، فلم يقبلها (٤). (" ١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) روضة الكافي ص ٢٧٤، والبحار ج ٤٧ ص ٢٩٧.

(٣) روح الإسلام ص ٣٠٦.

(٤) راجع المجلد الأول، الجزء الأول من كتاب: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ص ٥٧، نقلا- عن: قاموس الأعلام ج ٣ ص ١٨٢١ طبع استانبول تأليف:

ش. سامي.

ورغم أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات قامت باسم العلويين، على ما فى كتاب:

طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، ٢٥٣، فإننا نعتقد أن رسائله هذه، ورسائله التي أرسلها إلى المنصور يظهر فيها الندم على أنه زوى الأمر عن أهله، ووضعه فى غير محله. هى السر، والسبب الحقيقي الكامن وراء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسية (ومن سل سيف البغى قتل به)، ومشيد أركانها. وقد استظهر ذلك أيضا المستشرق العلامة (بلوشيه) على ما فى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، وأشار إليه أيضا السيد أمير على فى كتابه: روح الإسلام ص ٣١١. (٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٢)، الصدق (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، القتل (٢)

وأما أبو سلمة: فإنه عندما خاف من انتقال الأمر عليه، بسبب موت إبراهيم الإمام، أرسل - والسفاح فى بيته - إلى الإمام الصادق عليه السلام يطلب منه القدوم عليه ليبيعه، وتكون الدعوة باسمه، كما أنه كتب بمثل ذلك إلى عبد الله بن الحسن. لكن الإمام عليه السلام، الذى كان فى منتهى اليقظة والحزم. رفض الطلب، وأحرق الكتاب، وطرد الرسول (١).

وقد نظم أبو هريرة الأبار، صاحب الإمام الصادق عليه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

ولما دعا الداعون مولاي لم يكن \* ليثنى إليه عزمه بصواب ولما دعوه بالكتاب أجابهم \* بحرق الكتاب دون رد جواب (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٣، ٢٥٤، وينايع المودة ص ٣٨١، وتاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٨٦، والوزراء والكتاب ص ٨٦، وهامش ص ٤٢١ من إمبراطورية العرب، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٤، ١٥٥ وروح الإسلام ص ٣٠٨، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨٢، ٨٣، والكامل لابن الأثير.

ونقله فى المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٩، والبحار ج ٤٧، ص ١٣٢ عن ابن كادش العكبرى فى: مقاتل العصابة. لكنهما (أعنى المناقب والبحار) ذكرا أن الذى كتب للإمام هو أبو مسلم.. وفى المناقب ج ٤ آخر ص ٢٢٩، والبحار ج ٤٧ ص ١٣٣ نقلا عن رامش الأفرارى أن الذى كتب إلى الإمام هو أبو مسلم الخلال!!.

وواضح أن هذا هو السبب الحقيقي لقتل أبي سلمة، وقد صرح بذلك جمع من المؤرخين والباحثين. (٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، أبو هريرة العجلي (١)، الخوف (١)، الرفض (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب ينايع المودة (١)، مدينة بيروت (١)، ابن شهر آشوب (١)، القتل (٢)، السب (١)

وما كان مولاي كمشرى ضلالة \* ولا ملبسا منها الردى بثواب ولكنه لله فى الأرض حجة \* دليل إلى خير، وحسن مآب (١) وكتب

إليه أبو سلمة أيضا مرة ثانية، عندما أقبلت الرايات " : إن سبعين ألف مقاتل وصل إلينا، فانظر أمرك. " فأجابه الإمام بالرفض أيضا (٢).

وأما سليمان الخزاعي: المدبر الحقيقي للثورة في خراسان، فإنه اتصل بعبد الله بن الحسين الأعرج، وهما يسيران أبا جعفر المنصور في خراسان، عندما أرسله السفاح إليها، قال سليمان لعبد الله " : إنا كنا نرجو أن يتم أمركم، فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون، "!! فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سليمان هذا (٢).

بل إن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كثيرا من الدعاة ما كانوا يعرفون: أن الخليفة سيكون عباسيا، فضلا عن أن يكونوا يعرفونه باسمه الصريح.

قال الدكتور فاروق عمر " : على أننا نستطيع القول: إن اسم الإمام كان معروفا لدى الحلقات الخاصة من الشيعة الهاشمية، أو العباسية، وأن الكثير من الأنصار، الذين ساندوا الثورة، ومنهم ابن الكرماني نفسه، لم يكن يعرف أن " الرضا من آل البيت " سيكون عباسيا، مع أن ابن الكرماني كان قائدا كبيرا، وكان يطمع إلى الاستيلاء على (١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٣٠، والبحار ج ٤٧، ص ١٣٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٩، والبحار ج ٤٧ ص ١٣٣، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٧.

(٣) الطبري ج ١٠ ص ١٣٢، والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٢٥. (٤٧) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسين (١)، خراسان (٢)، القتل (٢)، الضلال (١)، الحج (١)، ابن شهر آشوب (٢)

خراسان (١). ".

ب: يلاحظ أن العباسيين قد موهوا على الناس، واستطاعوا أن يخدعوه. حيث خيلوا لهم في بادئ الأمر أن الثورة كانت للعلويين.

ثم بدءوا يعدون العدة لما سوف يقولون للناس عند اكتشافهم لحقيقة الأمر، فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من على بن أبي طالب، إلى محمد ابن الحنفية، وإلى أبي هاشم، فإلى علي بن عبد الله بن العباس.

وهكذا. وهي في الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية، كما سنشير إليها في بعض الهوامش الآتية.

وقد جازت حيلتهم هذه على الناس، الذين كانوا يظنون أنهم يعملون للعلويين (٢)، حتى لقد خفى أمرهم عن عبد الله بن معاوية حسبما قدمنا، بل لقد كان من جملة المخدوعين، الذين اكتشفوا الحقيقة بعد فوات الأوان، سليمان الخزاعي، الذي تقدم أنه - باعتدافه - كان يرجو هذا الأمر للعلويين، وأبو مسلم الخراساني الذي صارح المنصور بأن السفاح كان قد خدعه. وأنه خدع أيضا من قبل

إبراهيم الإمام، حيث ادعى الوصاية والإمامة، وحرفا الآيات الواردة في أهل البيت لتتنطبق عليهم، مما كان من نتيجته أن زوى الأمر عن أهله، ووضع (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٠٩. ولقد اشتبه الأمر على الدكتور فاروق عمر، فإن ابن الكرماني كان من عمال الأمويين، ولم يكن من الشيعة في أي وقت من الأوقات، وإنما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به.. ولم يكن أبو مسلم ولا غيره من الدعاة والنقباء ليصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذي يخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتى عمن هم مثل المنصور.

(٢) إمبراطورية العرب ص ٢٠٦، وغير ذلك كثير. (٤٨) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (١)، علي بن أبي طالب (١)، خراسان (١)، الظن (١)، الدولة الأموية (١)

في غير محله (١).

أما انخداع ابن الكرماني فهو من الأمور الواضحة والمعروفة. بل لقد رأينا البعض يذكر أن أبا سلمة الخلال كان أيضا من جملة المخدوعين، حيث كان يتوهم: أن الخليفة سيكون علويا لا عباسيا (٢).

ج: ومما تجدر الإشارة إليه هنا، هو ما تقدم: من رفض الإمام القاطع لعرض كل من أبي سلمة، وأبي مسلم في جعل الدعوة له، وباسمه.

وما ذلك إلا لعلمه عليه السلام: بأن هؤلاء ليس لهم من هدف، إلا الوصول إلى مأربهم من الحكم والسلطان، ثم يتخلصون من كل



من لا يعودون بحاجة إليه، إذا اعتبروه عقبه في طريقهم. كما كان الحال في قتلهم أبا مسلم، وسليمان بن كثير، وأبا سلمة. وغيرهم. شاهدنا على ذلك جواب الإمام عليه السلام لأبي مسلم: "ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانى." وكذلك المحاوره التي جرت بينه عليه السلام، وبين عبد الله بن الحسن، عندما جاءه كتاب من أبي سلمة مثل كتابه.

وأيضاً قوله عليه السلام: ما لى ولأبى سلمة، وهو شيعه لغيرى. بل ومما يدل على ذلك دلالة قاطعه. ما قدمناه من اعتذار أبى سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، وغيره من العلويين، بأنه: "كان يدبر استقامه الأمر" بل يذكر الطبرى ج ٦ ص ١٠٢ وابن الأثير ج ٥ (١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء ٢ ص ٥٣٣، وسنشير إلى مصادر أخرى لذلك فيما يأتى إن شاء الله.

(٢) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلاميه ج ٣ ص ٢٥٤، وفي كتاب: السيادة العربية لفان فلوتن ص ٩٧: أن النقباء أمروا بعض الدعاء بستر اسم المدعو له، وأخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر.. (٤٩) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، ابن الأثير (١)، القتل (١)، الصدق (٢)، الرضى (١)

ص ٤٣٧: أنه عندما جمع السفاح خاصته ليستشيرهم بقتل أبى سلمة وأخبرهم بمكاتبتة للعلويين. نجد أن بعض خاصته انبرى ليقول: ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان من رأى أبى مسلم (١). وعليه فلا يصح قول صاحب العيون والحداث ص ١٨١: "ولم يكن هوى أبى سلمة معهم، وإنما كان هواه مع الصادق جعفر الخ". فإن لجوءه إلى الصادق إنما كان لأجل استقامه الأمر. بل إن بعض المحققين لا يستبعد أن يكون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلك، إلى الصادق، و عبد الله ابن الحسن، وغيرهما من العلويين. هو معرفة إن كان هؤلاء يطمحون إلى الحكم، ويرغبون فيه أولاً. وذلك ليستعد العباسيون - من ثم - لمواجهة دعوتهم، ورصد كل حركاتهم، وسكناتهم، ومن ثم شل حركتهم، والقضاء عليهم. وهذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لكن الإمام الصادق عليه السلام تنبه للمكيدة، وعمل على إحباطها.

د: وتصريح أبى سلمة هذا وموقف الإمام منه، وقوله: إنه شيعه لغيره يلقى لنا ضوءاً على الروايات التي تتهمه، وتتهم أبى مسلم بميول علوية. وأن أبى مسلم أراد أن يعلن خلافة علوية، بمجرد وصوله إلى خراسان، كما عن الذهبى، وشارح شافية أبى فراس، وتاريخ الخميس. فإن ذلك لا شاهد له إلا رسائلهما التي أشرنا إليها. مع أنها لم يكن الهدف منها إلا استقامه الأمر للعباسيين. خصوصاً إذا لاحظنا أن أبى مسلم قد قضى على عدة ثورات للعلويين، وباسمهم - كما أشرنا إليه - (١) وأما كتابه للصادق فهو لا يدل على إخلاصه له، بل هو فقط - كان يدبر استقامه الأمر، وقتله من قبل العباسيين بهذا الجرم ليس إلا تغاضياً عن حقيقة الأمر بهدف الوصول إلى أهدافهم فى التخلص بطريقة مشروعه. (٥٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، خراسان (١)، الصدق (٣)، القتل (١)، الشهادة (١)، الهدف (١)

وأنه كان يلاحقهم تحت كل حجر ومدبر، وفى كل سهل وجبل، على حد تعبير الخوارزمى (١).

المرحلة الرابعة:

ثم تأتى المرحلة الرابعة والأخيرة، وهى: ادعائهم الخلافة بالإرث، كما أشرنا إليه. ولكنهم استمروا يربطون الثورة بأهل البيت عليهم السلام من ناحيتين:

الأولى: ادعائهم الخلافة بالإرث عن طريق على بن أبى طالب، ومحمد بن الحنفية، كما سيأتى بيانه.

الثانية: ادعائهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين. فأما ادعائهم استحقاقهم الخلافة بالإرث، عن طريق على بن أبى طالب عليه السلام، واحتجاجهم بقرباهم النسيه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإننا نلمحها فى كثير من مواقفهم، حيث كانوا يستطيون على الناس بهذه القربى، ويحتجون بها فى مختلف المناسبات (٢). (١) ولكننا لا نجد فيما بأيدينا من الشواهد التاريخية، ما يؤيد دعوى الخوارزمى هذه عدا ما ذكروه من أنه: قتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين.

(٢) حيث قد ظلوا بحاجة لأن يصلوا حقهم الذى كانوا يدعونهم. بحق على بن أبى طالب عليه السلام، ووصايتهم بالوصاية التي له،

والتي لا يجهلها أحد، وليصححوا بهذه الوسيلة خلافتهم، ويتقبلها الناس. فكانت السلسلة التي سيأتي بيانها هي معتمدتهم، مضيفين إليها تبرأهم من أبي بكر وعمر وعثمان.

وفي الحقيقة أن تلك هي عقيدة الكيسانية انتحلوها لأنفسهم بوحى من مصالحتهم الخاصة.

حتى إذا ما وصلوا إلى الحكم نراهم قد قطعوا جبل صلتهم بعلي، وولده، وجعلوا الخلافة حقا للعباس وولده.. ثم تخلوا عن ذلك كله فيما بعد، ورجعوا إلى العقيدة التي أسسها معاوية، ولكنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا عليا، وجعلوه في المرتبة الرابعة، وكان ذلك بداية وجود أهل السنة بخصائصهم، ومميزاتهم المذهبية، ولهذا البحث مجال آخر، والله هو الموفق والمستعان. (٥١) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، علي بن أبي طالب (٣)، الخوارزمي (٢)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، الحسين بن علي بن الحسين (١)، القتل (١)

فقد قال داوود بن علي، أول خطيب لهم على منبر الكوفة، في أول كلام له أمام السفاح. "وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا (١)".

ونرى السفاح في خطبته الأولى أيضا في مسجد الكوفة، بعد أن ذكر عظمة الرب تبارك وتعالى، وفضل النبي صلى الله عليه وآله "قد قاد الولاية والوراثة، حتى انتهى إليه، ووعد الناس خيرا (٢)".

ويقال: إن من جملة ما قاله السفاح في خطبته الأولى. "فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفئ، والغنيمة نصيبنا، تكرمة لنا وفضلا علينا.

وزعمت السبائية الضلال: أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة. إلى أن قال: ورد علينا حقنا (٣) ("). (١) الطبري، طبع ليدن ج ١٠ ص ٣١، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٤١، وشرح النهج للمعتزلي ج ٧ ص ١٥٤، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٥. (٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٩، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٦، والطبري ج ١٠ ص ٣٧، طبع ليدن. (٣) الطبري ج ١٠ ص ٣٩، ٤٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٧، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٤١، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٤، ٣٢٥.

لكن الظاهر أن لعن السبائية (وهم الشيعة الإمامية حسب مصطلحهم) مفتعل على لسان السفاح. لأن كلمة داوود بن علي المتقدمة تدل على إنكار العباسيين - في بدء أمرهم - خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وتمسكهم بخلافة علي عليه السلام، حيث يصلون جبل وصايتهم بها.. وإن كانوا قد رجعوا عن هذه العقيدة بعد ذلك حسبما أشرنا إليه إلى العقيدة التي كان قد روجها معاوية.. ولكن من المؤكد أنهم استمروا على عقيدتهم تلك، أعنى إنكار خلافة الثلاثة، ووصلهم جبل وصايتهم بعلي عليه السلام، إلى زمن المنصور، الذي كان أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين كما سيأتي.. (٥٢) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مسجد، جامع الكوفة (١)، مدينة الكوفة (١)، الضلال (١)، شيعة أهل البيت عليهم السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، كتاب الكامل لابن الأثير (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، خلافة أبي بكر بن أبي قحافة (١) ويقول داوود بن علي في خطبته الأولى في مسجد الكوفة أيضا:

"وأحيا شرفنا وعزنا، ورد إلينا حقنا وإرثنا (١). (١) الطبري ج ١٠ ص ٣٢، طبع ليدن، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٥.

أمر هام لا بد من التنبيه عليه:

إننا إذا تتبعنا الأحداث التاريخية، نجد: أن كل مطالب بالخلافة كان يدعى أول ما يدعى الرحيمية والقربى من رسول الله صلى الله عليه وآله. وأول من بدأ ذلك أبو بكر في يوم السقيفة، وتبعه على ذلك عمر، حيث قررا أن ليس لأحد الحق في أن ينازعهم سلطان

محمد، إذ أنهم أمس برسول الله رحما (على ما فى نهاية الإرب ج ٨ ص ١٦٨، وعيون أخبار ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣، والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨، طبع دار الكتاب العربى، والأدب فى ظل التشيع ص ٢٤، نقلًا- عن البيان والتبيين للجاحظ)، ولأنهم هم أولياؤه وعشيرته، على ما ذكره الطبرى ج ٣ ص ٢٢٠، طبع دار المعارف بمصر، والإمامة والسياسة ص ١٤، ١٥ طبع الحلبي بمصر، وشرح النهج للمعتزلى ج ٦ ص ٧، ٨، ٩، ١١، والإمام الحسين للعلايلى ص ١٨٦، و ص ١٩٠، وغيرهم. أو لأنهم عتره النبى صلى الله عليه وآله وأصله والبيضة التى تفقت عنه كما فى العثمانية للجاحظ ص ٢٠٠. فأسقطا بذلك دعوى الأنصار عن الاعتبار.

كما أن أبا بكر قد استدل على الأنصار بالحديث الذى صرح باستفاضته جهابذة أهل السنة (على ما فى ينابيع المودة للحنفى)، وهو قوله صلى الله عليه وآله مشيرا إلى خلفائه الاثنى عشر:

"يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة، كلهم من قريش.. - استدل به - بعد أن تصرف فيه، بأن حذف صدره، واكتفى بذكر: أن الأئمة من قريش على ما فى صواعق ابن حجر ص ٦، وغيره..

وأصبح كون الأئمة من قريش تقليدا متبعا، بل ومن عقائد أهل السنة المعترف بها، وقد استدل ابن خلدون على ذلك بالإجماع. ولكن قول عمر: لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته، قد أوقع ابن خلدون. كما أوقع غيره من جهابذة أهل السنة فى حيص بيص، لعدم كون سالم قرشيا، فضلا عن أن يكون أمس رحما برسول الله من غيره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤، وغيره من كتبهم. أما ابن كثير فإنه قد استشكل بالأمر من ناحية أخرى، حيث قال - وهو يتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الكندى.. " :- والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة، وليس هو من قريش، وإنما هو كندى من اليمن، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا- فى قريش، واحتج عليهم الصديق بالحديث فى ذلك، حتى أن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك.. ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد، الذى دعا إلى ذلك أولا، ثم رجع عنه.. " انتهى. راجع البداية والنهاية ج ٩ ص ٥٤.

فتراه يستشكل فى عمل من بايعوا محمد بن الأشعث بامرة المؤمنين، التى رآها مخالفة للإجماع المدعى يوم السقيفة. وتراه يعترف بمخالفة سعد ثم يدعى أنه رجع عن ذلك..

ولست أدرى كيف رجع عنه، مع أنه من المتسالم عليه تاريخيا: أنه استمر على الخلاف معهم، حتى اغتيل بالشام - اغتالته السياسة، على حد تعبير طه حسين فى كتابه: من تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١٤٦، وغيره.. وذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان. وعلى كل حال.. فإن ما يهمنى هو الإشارة إلى أن كون الأئمة من قريش ليس فقط أصبح تقليدا متبعا، بل هو قد أصبح من عقائد أهل السنة المعترف بها.

ولكن ما تأتى به السياسة، تذهب به السياسة، إذ بعد تسعماية سنة جاء السلطان سليم، وخلع الخليفة العباسى، وتسمى هو ب " أمير المؤمنين " مع أنه لم يكن من قريش.

وبهذا يكون قد ألغى هذا التقليد عملا من عقائد طائفة من المسلمين، وأبطله.

ومهما يكن من أمر فإن أول من ادعى استحقاق الخلافة بالقربى النسبية من رسول الله صلى الله عليه وآله كان أبو بكر، ثم عمر، وجاء بعدهما بنو أمية، فعرفوا أنفسهم ذوى قربى النبى صلى الله عليه وآله حتى لقد حلف عشرة من قواد أهل الشام، وأصحاب النعم والرياسة فيها - حلفوا - للسفاح:

على أنهم لم يكونوا يعرفون إلى أن قتل مروان، أقرباء للنبي صلى الله عليه وآله، ولا- أهل بيت يرثونه غير بنى أمية. فراجع النزاع والتخاصم للمقريزى ص ٢٨، وشرح النهج للمعتزلى ج ٧ / ١٥٩، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٣.

بل لقد ذكر المسعودى والمقريزى: أن إبراهيم بن المهاجر البجلي، الموالى للعباسيين قد نظم قضية هؤلاء الأمراء شعرا، فقال:

أيها الناس اسمعوا أخبركم \* عجبا زاد على كل العجب عجبا من عبد شمس إنهم \* فتحوا للناس أبواب الكذب ورثوا أحمد فيما

زعموا \* دون عباس بن عبد المطلب كذبوا والله ما نعلمه \* يحرز الميراث إلا من قرب ويقول الكميت عن دعوى بنى أمية هذه: وقالوا: وراثتها أبانا وأمنا \* ولا وراثتهم ذاك أم ولا أب وفي العقد الفريد ج ٢ / ١٢٠ طبع دار الكتاب العربي: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاوية.. " : ونبينا صلى الله عليه وآله هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أقرب إليه منكم، وأولى بهذا الأمر الخ."

ثم جاء العباسيون، وادعوا نفس هذه الدعوى، كما هو واضح من النصوص التي ذكرناها، ونذكرها. بل لقد ادعى نفس هذه الدعوى أيضا أكثر إن لم يكن كل من خرج مطالبًا بالخلافة، سواء كان خروجه على الأمويين أو على العباسيين.

وهذا يعني أن العامل النسبي قد لعب دورا هاما في الخلافة الإسلامية، وكان الناس بسبب جهلهم. وعدم وعيهم لمضامين الإسلام يصدقون ويسلمون بأن القربى النسبية تكفى وحدها في أن تجعل لمدعيها الحق في منصب الخلافة. ولعل أكثر ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة من الوصايا بأهل البيت عليهم السلام، والأمر بمودتهم، ومحبتهم، والتمسك بهم جعل الناس يظنون أن سبب ذلك هو مجرد قرباهم النسبية منه صلى الله عليه وآله. وكان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطيء هذا. بل لقد حاولوا ما أمكنهم تكريسه، وتثيته.

إلا- أن حقيقة الأمر هي غير ذلك، فإن منصب الخلافة في الإسلام، لا- يدور مدار القربى النسبية منه. بل هو يدور مدار الأهلية والجدارة، والاستعداد الذاتى لقيادة الأمة قيادة صالحة، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يقودها، بذلك على ذلك أننا لو رجعنا إلى النصوص القرآنية.

وإلى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن الخليفة بعده، فلعلنا لا نعثر على نص واحد منها يفهم منه أن استحقاق الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله، وحسب.

وكل ما ورد في القرآن، وعنه صلى الله عليه وآله من الأمر بموالاة أهل بيته، وحبهم، والتمسك (٥٣) صفحهمفاتيح البحث: مسجد، جامع الكوفة (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٨)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، الدولة الأموية (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، أروى بنت الحارث بن عبد المطلب (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، القرآن الكريم (٢)، بنو أمية (٣)، محمد بن الأشعث (٢)، سعد بن عباد (١)، الشام (٢)، السقيفة (٣)، الصدق (٢)، القتل (١)، الظن (١)، الضرب (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

بهم، ومن تعيينه خلفاءه منهم، فليس لأجل قرباهم النسبية منه صلى الله عليه وآله، بل لأن الأهلية، والجدارة الحقيقية لهذا النصب قد انحصرت في الخارج فيهم. فهو على حد تعبير الأصوليين:

من باب الإشارة إلى الموضوع الخارجى. وليس تصريحه صلى الله عليه وآله بالقربى لأجل بيان الميزان والمقياس والملاك في استحقاقهم الخلافة.

وواضح أنه كان لا بد من الالتجاء إلى الله ورسوله لتعيين الشخص الذى له الجدارة والأهلية لقيادة الأمة، لأن الناس قاصرون عن إدراك حقائق الأمور، ونفسيات، وغرائز، وملكات بعضهم البعض.. إدراكا دقيقا وحقيقيا، وعن إدراك عدم طرو تغير أو تبدل عليه فى المستقبل. ولقد عينه صلى الله عليه وآله بالفعل، ودل عليه بمختلف الدلالات، بالقول، تصريحاً، وتلويحاً، وكنياً، ونصاً، ووصفاً، وغير ذلك، وبالفعل أيضاً، حيث أمره على المدينة، وعلى كل غزوة لا يكون هو صلى الله عليه وآله فيها، ولم يؤمر عليه أحداً، وغير ذلك.

هذا هو رأى الشيعة، وهذا هو رأى أئمتهم فى هذا الأمر، وكلماتهم طافحة ومشحونة بما يدل على ذلك. ولا يبقى معه مجال لأى لبس أو توهم، فراجع كلام الإمام على فى شرح النهج للمعتزلى ج ٦ ص ١٢، وغيره مما قد يتعسر استقصاؤه..

ومما ذكرنا نستطيع أن نعرف أن ما ورد عن الإمام على عليه السلام، أو عن غيره من الأئمة الطاهرين، من قولهم: أنهم هم الذين

عندهم ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما يقصدون به الميراث الخاص، الذى يختص الله به من يشاء من عباده، أعنى: ميراث العلم، على حد قوله تعالى: " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ". وقد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم، وعلى كل فلقند أنكر على عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقراية والصحابه أشد الانكار، فقد جاء فى نهج البلاغة قوله عليه السلام: " واعجبا!! أتكون الخلافة بالصحابه والقراية النسبية.؟! "

وأما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما اقتضاه الحجاج مع الخصوم، فهو من باب: " الزموم بما الزموا به أنفسهم. " ويدل على هذا المعنى ويوضحه ما قاله الإمام على عليه السلام لأبى بكر، عندما جىء به ليبيع، فكان مما قاله..: " واحتججتهم عليهم (أى على الأنصار) بالقراية من النبى صلى الله عليه وآله..

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الأنصار، نحن أولى الخ.. " راجع: الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨.

ويشير أيضا عليه السلام - إلى هذا المعنى فى بعض خطبه الموجودة فى نهج البلاغة فمن أراد فليراجع.. كما ويشير إليه أيضا ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما فى نهج البلاغة) وهو قوله:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم \* فكيف بهذا والمشرون غيب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم \* فغيرك أولى بالنبى وأقرب ولكن أحمد أمين المصرى فى كتابه: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٦١، و ص ٣٠٠، و ص ٢٢٢، و ص ٢٣٥، وكذلك سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الإسلام ص ٥.

والخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١٦٦: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله وحسب، رغم اعتراف أحمد أمين فى نفس الكتاب، وبالتحديد فى ص ٢٠٨، ٢١٢: بأن الشيعة يحتجون بالنص فى خصوص الخليفة بعد الرسول. بل والخضرى يعترف بذلك أيضا حيث قال: " أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوى، فإنه كان منظورا فيه إلى الوراثة الخ. "

وهى نسبة غريبة حقا - بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، ومن غيرهم - فإن عقيدة الشيعة - تبعا لأئمتهم هى ما ذكرنا، أى ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله، وأدلة الشيعة تنطق وتصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأى حال من الأحوال استحقاق الخلافة، وإنما لا بد من النص المعين لذلك الشخص الذى يمتلك الجدارة والأهلية والاستعداد الذاتى لها.

إنهم يستدلون على خلافة على عليه السلام بالنصوص القرآنية، والنبوية المتواترة عند جميع الفرق الإسلامية، ولا يستدلون بالقربى إلا من باب: الزموم.. أو من باب تكثير الأدلة، أو فى مقابل استدلال أبى بكر وعمر بها، وإذا ما شد واحد منهم، واستدل بذلك، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، وقله معرفة، أو لفهمه - خطأ - ما ورد عنهم عليهم السلام. من أن عندهم ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، ومن ثم القول بأن ذلك هو قولهم، وأن تلك هى عقيدتهم.

ولعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!!

أو أنه راجعها، واشتبه عليه الأمر!!

أو أنه. لا هذا. ولا ذاك.. وإنما أراد التشنيع عليهم، فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم!

ويدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامة على عليه السلام بالنص، لا بالقربى!!..

وخلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هى الملاك فى استحقاق الخلافة. ولم تكن دعوى أنها كذلك، لا من الأئمة، ولا من شيعتهم. وإنما كانت من قبل أبى بكر، وعمر، ثم الأمويين، فالعباسيين.

وإذا كان أهل السنة - تبعا لأئمتهم - قد جعلوا كون الإمامة فى قريش من عقائدهم.

وإذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، وهللوا وكبروا لها. فمن الحق لنا إذن أن نقول:

"رمتني بدائها وانسلت."

وأخيراً.. فلقد كان من أبسط نتائج هذه العقيدة لدى أهل السنة، وقبولهم أن القربى النسبية تجعل لمدعيها الحق في الخلافة.. أن سنحت الفرصة لأن يصل أشخاص إلى الحكم من أبرز مميزاتهم، وخصائصهم جهلهم بتعاليم الدين، وانسياقهم وراء شهواتهم، أينما كانت، وحيثما وجدت، جاعلين الحكم والسلطان، وسيلة إليها، مسدلين على حماقاتهم هنا، وتفاهاتهم هناك ستارا من القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله. وهو من هؤلاء وأمثالهم برئ.

ولما لم يعد ذلك الستار يقوى على المنع من استكناه واقعهم، وحقيقته نواياهم وتصرفاتهم، كان لا بد لهم من الالتجاء إلى أساليب أخرى، تبرر لهم واقعهم، وتحمي تصرفاتهم، وتؤمن لهم الاستمرار في الحكم، ولعل بيعة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد هي من تلك الأساليب، كما سيتضح إن شاء الله تعالى.. (٥٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، الدولة الأموية (١)، كتاب نهج البلاغة (٣)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الشهوة، الإشتهاء (١)، الوراثة، التراث، الإرث (٤)، الطهارة (١)

وعندما ذهب داوود بن علي إلى مكة، واليا عليها، من قبل أخيه السفاح، وأراد أن يخاطب في مكة خطبته الأولى، طلب منه سديف بن ميمون أن يأذن له في الكلام، فأذن له، فوقف، وقال من جملة ما قال:

... "أترعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بترائه؟! ولم؟!"

وبم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابه، دون ذوى القرابة؟

الشركاء فى النسب، والورثه للسلب ("١).

ويقول داوود بن علي فى نفس المناسبة، أعنى فى أول خطبة له:

"لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا علي بن أبي طالب، وهذا القائم فيكم" .. وأشار إلى السفاح (٢). (١) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٩، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ٤ ص ٤٨٥ (٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٥٦، والطبرى ج ١٠ ص ٣٣ و ٣٧، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٥٢، وتاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٧، ٨٨، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٦، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٩ و ١٧٣، وإمبراطورية العرب ص ٤٢٢، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٤٢، وشرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٥، وفيه "إنه لم يخاطب على منبركم هذا خليفة حق إلخ.. " وبرواية أخرى فيه " أقسم بالله قسما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أحق به من علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا.. " (٥٨) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مدينة مكة المكرمة (٢)، علي بن أبي طالب (٢)، الضلال (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن الأثير (١)

وقال المنصور فى خطبة له " وأكرمنا من خلفته، وميراثنا من نبيه ("١).

ولكنهم بعد المنصور - بل وحتى من زمن المنصور نفسه كما سيتضح - قد غيروا سلسلة الإرث هذه، وجعلوها عن طريق العباس، وولده عبد الله، ولكنهم أجازوا بيعه على، لأن العباس نفسه كان قد أجازها.

كما سيأتى بيانه.. فكانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلى الإرث عن هذا الطريق..

فترى المنصور يبين فى رسالته منه لمحمد بن عبد الله بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس فى جملة ما ورثه من النبي صلى الله عليه وآله، وأنها فى ولده (٢).

وكان الرشيد يقول " ورثنا رسول الله، وبقيت فىنا خلافة الله (٣) " وقال الأمين عندما بويع له، بعد موت أبيه الرشيد.. " وأفضت خلافة الله، وميراث نبيه إلى أمير المؤمنين الرشيد (٤). "

ومدح البعض المأمون، وعرض بأخيه الذي غدر به، فقال في جملة أبيات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد ووصى كل مسدد وموفق (٥) (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١، والطبري ج ١٠ ص ٤٣٢.

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٢١٥، والعقد الفريد طبع دار الكتاب ج ٥ ص ٨١ إلى ٨٥، وصبح الأعشى ج ١ ص ٣٣٣، فما بعد، والكامل للمبرد، وطبيعة الدعوة العباسية..

(٣) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢١٧، (٤) تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٦٣.

(٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٩. (٥٩) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن

الحسن (ع) (١)، الجهل (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (٢)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الكامل للمبرد (١)

إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه.. ولنعد إلى ما كنا فيه أولا، فنقول:

دعوى الأخذ بثارات العلويين:

وأما ادعواؤهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، واستمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، وتسلمهم لازمة الحكم والسلطان - وهذه هي الناحية الثانية من المرحلة الرابعة - فذلك أوضح من أن يخفى.. وقد تقدم قول محمد بن على لكبير بن ماهان:

"وسأخذ بثأرهم". يعنى بثارات العلويين.. وتقدم أيضا قول داوود ابن على: "وإنما أخرجنا الآنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا".

ويقول السفاح، عندما أتى برأس مروان: "ما أبالى متى طرقتى الموت، فقد قتلت بالحسين، وبنى أبيه من بنى أمية مائتين، وأحرق شلو هشام بابن عمى زيد بن على، وقتلت مروان بأخى إبراهيم". (١).

ويقول صالح بن على لبنات مروان: "ألم يقتل هشام بن عبد الملك، زيد بن على بن الحسين، وصلبه فى كناسة الكوفة؟. وقتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفى؟!

ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، وصلبه بخراسان؟! (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٧ وفى شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٣١، وحية الإمام موسى بن جعفر للقرشى ج ١ ص ٣٣٧، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا. "وقد قتلت بالحسين ألفا من بنى أمية. إلى أن قال: وقتلنا سائر بنى أمية بحسين، ومن قتل معه، وبعده من بنى عمنا أبى طالب.. (٦٠) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، هشام بن عبد الملك (١)، بنو أمية (٢)، يحيى بن زيد (١)، على بن الحسين (١)، صالح بن على (١)، زيد بن على (١)، محمد بن على (١)، خراسان (١)، القتل (٥)، الغضب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، موسى بن جعفر (١)

ألم يقتل الدعى عبيد الله بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟!

ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين (١)؟!.

وبرواية ابن أبى الحديد، أنه قال له. "إذن، لا نستبقى منكم أحدا، لأنكم قد قتلتم إبراهيم الإمام، وزيد بن على، ويحيى بن زيد، ومسلم بن عقيل.

وقتلتم خير أهل الأرض حسينا، وإخوته، وبنيه، وأهل بيته، وسقتم نساءه سبايا - كما يساق ذرارى الروم - على الأقتاب إلى الشام.. (٢).

ولا بأس بمراجعة ما قاله داوود بن على عندما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة (٣).

وكذلك فإنهم ما لقبوا بأسلمة الخلال، أول وزير فى الدولة العباسية ب "وزير آل محمد،" وأبا مسلم الخراسانى ب "أمين، أو أمير آل محمد (٥). "إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، ولتبقى - من ثم - محتفظة بقوتها، وحيويتها.

وأخيرا. فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن والأسى (١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٣٢، ومروج الذهب ج ٣ ص

٢٤٧، ولا بأس بمراجعة خطبة السفاح في مروج الذهب أيضا ج ٣ ص ٢٥٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٩٢.

(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٥، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٧١، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٥٤، والطبرى ج ١٠ ص ٦٠، وتاريخ التمدن الإسلامى، المجلد الأول، جزء ١ ص ١٥٢، وغيرهم، فإنه مما نص عليه أكثر المؤرخين.. (٦١) صفحهمفاتيح البحث: مسلم بن عقيل عليه السلام (٢)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة الكوفة (١)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، زيد بن على (١)، الشام (١)، القتل (٣)، الحزن (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (٣)

لما نال أهل البيت فى عهد بنى أمية (١).

وهكذا. يتضح، بما لا مجال معه للشك: أنهم كانوا يستغلون سمعة العلويين، ودماءهم الزكية فى محاولاتهم للوصول إلى الحكم، وتثبيت أقدامهم فيه..

بل إن من الملاحظ أن كثيرا من الثورات التى قامت بعد ثورة بنى العباس، كانت تحاول ذلك - بطريقه أو بأخرى - أى أنها كانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البيت عليهم السلام، وأنها تحظى بتأييدهم، وموافقتهم، وكثير منها كان يرفع شعار "الرضا من آل محمد".

نهاية المطاف.

وبعد كل ما تقدم.. يتضح لنا بجلاء، الأسلوب الذى انتهجه (١) هذا يصح بالنسبة للملابس السوداء. وأما كون الرايات سوداء، فيحتمل أن يكون لأجل ذلك، حسبما صرح به ابن خلدون ص ٢٥٩، ويحتمل أن يكون لما ورد من أن راية على عليه السلام يوم صفين كانت سوداء، على ما نص عليه فإن فلوتن فى هامش: ص ١٢٦ من كتابه السيادة العربية، أو لأن رايات النبى صلى الله عليه وآله فى حروبه مع الكفار كانت سوداء، يقول الكميت مشيرا إلى ذلك:

وإلا فارفعوا الرايات سودا \* على أهل الضلالة والتعدى وفى صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٧٠، نقلا- عن القاضى الماوردى فى كتابه "الحاوى الكبير": "أن السبب فى اختيارهم السواد هو أن النبى صلى الله عليه وآله قد عقد فى يوم حنين ويوم الفتح لعمه العباس راية سوداء. وفى صبح الأعشى أيضا ج ٣ ص ٣٧١ نقل عن أبى هلال العسكرى فى كتابه "الأوائل" "أن سبب ذلك هو قتل مروان لإبراهيم الإمام، حيث لبس شيعته السواد حدادا عليه، فلزمهم ذلك، وصار شعارا لهم..

ونرجح أن حادثة قتل يحيى بن يزيد، ولبس الخراسانيين السواد عليه سبعة أيام، هى التى شجعت العباسيين على اتخاذ السواد شعارا لهم، إظهارا للحزن والأسى لما نال أهل البيت فى الدولة الأموية. ويذهب إلى هذا رأى السيد عباس المكى فى نزهة الجليس ج ١ ص ٣١٦. بل صرح البلاذرى فى أنساب الأشراف ج ٣ ص ٢٦٤ بما يدل على ذلك فراجع. (٦٢) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، بنو أمية (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة الأموية (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (١)، يحيى بن يزيد (١)، القتل (٢)، السب (١)، الهلال (١)

العباسيون، والخطة التى اتبعوها، من أجل كسب ثقة الناس بهم، وتأييدهم لهم، وصرف أنظار الحكام عنهم.

وأىضا الطريقة التى اتبعوها فى إبعاد العلويين عن مجال السياسة، وأن بيعتهم لهم ما كانت إلا خداعا وتمويها، من أجل تنفيذ خطتهم، وإنجاح دعوتهم.

كما وظهر أن كون الدعوة - فى بادئ الأمر - باسم العلويين، لم يكن أمرا عفويا، وتلقائيا. وإنما كان ضمن خطة دقيقة، ومدروسة،



وضعت بعناية فائقة، كما توضحه لنا النصوص المتقدمة.

وظهر أيضا: كيف أن العباسيين قد حرصوا كل الحرص على ربط الثورة بأهل البيت عليهم السلام، وكانوا يعتمدون على هذا الربط كل الاعتماد، ويصرون، ويؤكدون عليه، كلما سنحت لهم الفرصة، وواتاهم الطرف، حتى عندما وصلوا إلى الحكم، وفازوا بالسلطان. وقد انقاد الناس لهم في البداية، واستقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نيتهم، وسلامة طويتهم.

\* \* \* ولكن. ماذا كانت النتيجة بعد ذلك، بالنسبة للناس عامة، وبشكل خاص بالنسبة للعلويين، الذين قامت الثورة باسمهم ونجحت بفضلهم؟!!

وماذا كان نصيبهم، ومصيرهم، من هذه الثورة ومعها؟!

هذا. ما سوف نحاول الإجابة عليه فيما يأتي من الفصول. (٦٣) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الكسب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

### مصدر الخطر على العباسيين

مصدر الخطر على العباسيين العلويون هم مصدر الخطر:

قد تقدم معنا: أن الدولة العباسية إنما قامت - في بداية أمرها - على الدعوة لخصوص العلويين، ثم لأهل البيت، ثم إلى الرضا من آل محمد.. وأن سر نجاحها ليس إلا ربطها بأهل البيت عليهم السلام.

وإن كانت قد انحرفت فيما بعد، حيث تحكّم العباسيون وتسلطوا على الأمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن هنا. فإن من الطبيعي، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين، وخلافتهم، هو من جهة أبناء عمهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجة، وأقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله منهم، باعتراف العباسيين أنفسهم (١).. (١) سيأتي اعتراف عيسى بن موسى بذلك، واعتراف الرشيد للكاظم عليه السلام والمأمون للرضا عليه السلام في الكتاب التي سنورده في أواخر هذا الكتاب، وأيضا قوله للرضا عليه السلام: أنتم والله أمس برسول الله رحما، وبيعه السفاح والمنصور وغيرهم لمحمد بن عبد الله العلوي وكلام المنصور في مجلس البيعة يدل على ذلك أيضا، إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه واستقصائه..

وقد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ. (٦٤) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، الحج (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، عبد الله العلوي (١)

فادعأوهم الخلافة إذن، له مبرراته الكاملة، سيما وأن من بينهم من له الجدارة والأهلية، ويتمتع بأفضل الصفات والمؤهلات لهذا المنصب من العلم، والعقل، والحكمة، وبعد النظر في الدين والسياسة. هذا بالإضافة إلى كان يكثر الناس لهم، من مختلف الفئات والطبقات، من الاحترام والتقدير، الذي نالوه بفضل تلك المميزات والصفات، وبفضل سلوكهم المثالي، وترفعهم عن كل المشينات، والموبقات.

أضف إلى ذلك كله. أن رجالات الإسلام، وأبطاله، كانوا هم آل أبي طالب "رضى الله تعالى عنه"، فأبو طالب مربي النبي صلى الله عليه وآله وكفيله، وعلي عليه السلام وصيه وظهره، وكذلك الحسن، والحسين، وعلي زين العابدين، وباقي الأئمة. ومنهم زيد بن علي الخارج على بنى أمية، وغيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد كانت بطولات العلويين، ومواقفهم على كل شفة ولسان، وفي كل قلب وفؤاد، حتى لقد ألفت الكتب الكثيرة في وصف تلك البطولات، وبيان هاتيك المواقف.

وخلاصة الأمر: إنه لم يكن هناك مجال لإنكار نفوذ العلويين الواسع في تلك الفترة، أو تجاهله، فإن ذلك إما أن يكون عن قصر نظر، وقلة معرفة، أو مكابرة وعنادا.

تخوف العباسيين من العلويين:

وقد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ، للعلويين، ويتخوفون منه، منذ أيامهم الأولى في السلطة. ومما يدل على ذلك: (٦٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، زيد بن علي (١) أن السفاح، من أول عهده كان قد وضع الجواسيس على بنى الحسن، حيث قال لبعض ثقاته، وقد خرج وفد بنى الحسن من عنده: "قم بإنزالهم ولا- تأل في أظافهم، وكلما خلوت معهم، فأظهر الميل إليهم، والتحامل علينا، وعلى ناحيتنا. وأنهم أحق بالأمر منا، وأحص لي ما يقولون، وما يكون منهم في مسيرهم، ومقدمهم (١)".

وقد تنوعت هذه المراقبة، وتعددت أساليبها بعد عهد السفاح، يظهر ذلك لكل من راجع كتب التاريخ (٢).

خوف المنصور من العلويين ومما يدل على مدى تخوف العباسيين من العلويين وصية المنصور لولده المهدي، التي يحثه فيها على القبض على عيسى بن زيد العلوي، يقول المنصور:

"يا بني، إنى قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها. ولست أخاف عليك إلا أحد رجلين:

عيسى بن موسى، وعيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطانى من اليهود والمواثيق ما قبلته، ووالله، لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك، فأخرجه من قلبك، وأما عيسى بن يزيد، فانفق هذه الأموال، واقتل هؤلاء الموالى، واهدم هذه المدينة، حتى تظفر به، (١) الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ٧٥٢، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٧٤، وتاريخ التمدن الإسلامى، وغير ذلك.. (٢) وقد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبة فى بعض خطبه: فراجع: الطبرى ج ١٠ ص ٤٣٢، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١. (٦٦) صفحهمفاتيح البحث: عيسى بن زيد (٢)، الوصية (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١) ثم لا ألومك (١)".

وليس تخوف المنصور إلى هذا الحد من عيسى بن زيد لعظمه خارقة فى عيسى هذا، وإنما كل ما فى الأمر أن المجتمع الإسلامى كان قد قبل - فى تلك الفترة من الزمن - أن الخلافة الشرعية إنما هى فى ولد على عليه السلام. وإذا ما قام عيسى بن زيد بثورة، فإنه سوف يلقى تأييدا واسعا، فهو من جهة ابن زيد الشهيد، الثائر على بنى أمية.

ومن جهة أخرى. كان من المعاونين لمحمد بن عبد الله العلوى - قتيلى المدينة - الذى كان السفاح والمنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، والذى ادعى على نطاق واسع - باستثناء الإمام الصادق عليه السلام - أنه مهدى هذه الأمة. - كما أنه - أى عيسى بن زيد - كان من المعاونين لإبراهيم أخى محمد بن عبد الله الأنف الذكر، والذى خرج بالبصرة، وقتل بياخمرى. ومما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عندما كان مشغولا بحرب محمد بن عبد الله، وأخيه إبراهيم، كان لا ينام الليل فى تلك الأيام. وأهديت له جاريتان، فلم ينظر إليهما، فكلم فى ذلك، فنهز المتكلمة، وقال: "ليست هذه الأيام من أيام النساء، لا سبيل لى إليهما، حتى أعلم: رأس إبراهيم لى، أم رأسى لإبراهيم؟ (٢). (١) الطبرى طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٤٨.

وتحسن الإشارة هنا إلى أن الأموال التى خلفها المنصور للمهدى تبلغ ٦٠٠ مليون درهم، و ١٤ مليون دينار. راجع أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ٣٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، والطبرى ج ١٠ ص ٣٠٦، وتاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١١٤، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣،

والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨.

وأنساب الأشراف ج ٣ ص ١١٨، ولكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور. (٦٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، عبد الله العلوي (١)، محمد بن عبد الله (٢)، بنو أمية (١)، عيسى بن زيد (٣)، الوسعة (١)، الشهادة (١)، الخوف (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

وهيئت له آتذ عجينه من مخ وسكر، فاستطابها، فقال "أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأمثاله (١)."

وأرسل إلى كل باب من أبواب عاصمته - وهي الكوفة آنئذ - إبلا ودوابا، حتى إذا أتى إبراهيم وجيشه من ناحية، هرب هو إلى الري من الناحية الأخرى (٢).

وفي حربه - أي المنصور - مع محمد بن عبد الله اتسخت ثيابه جدا، حيث لم ينزعها عن بدنه أكثر من خمسين يوما (٣). وكان لا يستطيع أن يتابع كلامه من كثرة همه (٤).

وأخيرا. فكم من مرة رأيناه يجلب الإمام الصادق عليه السلام، ويتهدده ويتوعده، ويتهمه بأنه يدبر للخروج عليه وعلى سلطانه. فكل ذلك يدل دلالة واضحة على مدى رعب المنصور، وخوفه من العلويين، وما ذلك إلا لإدراكه مدى ما يتمتعون به من التأكيد، في مختلف الطبقات، وعند جميع الفئات. (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٨.

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٣١٧، طبع ليدن، وتاريخ يعقوب ج ٣ ص ١١٣. ومرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٩، وشرح ميمية أبي فراس ص ١١٦، وفرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠، نقلا عن تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٤.

(٣) الطبري ج ١٠ ص ٣٠٦، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨، والمحاسن والمساوي ص ٣٧٣، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٣ ص ١١٨.

(٤) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣، وقال الياقعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٨، ٢٩٩:

.. "ولم يأو إلى فراش خمسين ليلة، وكان كل يوم يأتيه فتق من ناحية. هذا، ومئة ألف سيف كامن له بالكوفة، قالوا: ولولا السعادة لسئل عرشه بدون ذلك." (٦٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (٢)، محمد بن عبد الله (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١) حتى إنه عندما سئل عن المبايعين لمحمد بن عبد الله أجاب..:

ولد علي، وولد جعفر، وعقيل، وولد عمر بن الخطاب، وولد الزبير بن العوام، وسائر قريش، وأولاد الأنصار (١)."

وسيمر معنا أن المنصور ادعى أن ولده هو المهدي، عندما رأى أن الناس - ما عدا الإمام الصادق عليه السلام - قد قبلوا بمهدوية محمد بن عبد الله العلوي. وسيمر معنا أيضا طرف من معاملته للعلويين فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

خوف المهدي من العلويين:

وأما خوف المهدي من العلويين، فذلك لعله من أوضح الواضحات، فمثلا- نرى أنه: عندما أخرج الإمام الكاظم عليه السلام من السجن، يطلب منه أن لا يخرج عليه، ولا على أحد من ولده (٢).

كما أنه قد مكث مدة يطلب عيسى بن زيد، والحسن بن إبراهيم، بعد هربه من السجن.. فقال المهدي يوما لجلسائه "لو وجدت رجلا من الزيدية، له معرفة بآل حسن، وبعيسى بن زيد، وله فقه. فأجتلبه عن طريق الفقه، فيدخل بيني وبين آل حسن، وعيسى بن زيد، فدلله الربيع على يعقوب بن داوود، فلم يزل أمره يرتفع عند الخليفة المهدي، حتى استوزره، وفوضه جميع أمور الخلافة، وخرج كتابه على الدواوين (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) راجع: مروج الذهب، وابن خلكان: ترجمة الإمام الكاظم، وفصل الخطاب، وينايع المودة، وكشف الغم، ومرآة الجنان، وصفة

الصفوة.

وصرح في ينابيع المودة ص ٣٨٢، ٣٨٣ باتفاق المؤرخين على ذلك. (٦٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، الحسن بن إبراهيم (١)، الزبير بن العوام (١)، عبد الله العلوي (١)، محمد بن عبد الله (١)، عيسى بن زيد (٢)، الخوف (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (٢)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)

بأنه: قد آخاه (١). كل ذلك من أجل أن يدلّه على الحسن بن إبراهيم، وعيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا كان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، والمهدى هو الذي أطلقه. ولكنه لما لم يدلّه على عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالي الطالبين فسجنه (٢) وبقي في السجن إلى زمن الرشيد، فأخرجه. وقد كف بصره.

خوف الرشيد من العلويين:

وأما الرشيد "الذي ثارت الفتن في زمنه بين أهل السنة والرافضة (٣)، (١) الطبري، طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٦٤، ٥٠٧، ٥٠٨، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، والفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨٤، ١٨٥، وليراجع: الوزراء والكتاب ص ١٥٥ وغير ذلك. وسيأتي في فصل: ظروف البيعة المزيد من الكلام حول نفوذ يعقوب هذا.. ونكتفي هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول أبياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم \* إن الخليفة يعقوب بن داوود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا \* خليفة الله بين الزق والعود (٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، وضحي الإسلام ج ٣ ص ٢٩٢، والطبري، وغير ذلك. وفي مرآة الجنان ج ١ ص ٤١٩ وغيره: أنه حبسه في بئر، وبنى عليه قبة، وليراجع الوزراء والكتاب ص ١٥٥ أيضا.

وقد دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي بعد أن سجن يعقوب، وقال له:

"إن يعقوب رجل رافضي.."

ومع ذلك. فإننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذي وشى للرشيد بالإمام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٣، وغيره...

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٧. (٧٠) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، الحسن بن إبراهيم (١)، عيسى بن زيد (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (٢)، بنو أمية (١) فقد كان معنيا بالمسألة عن آل علي، وكل من كان ذا نباهة وشأن منهم، كما سيأتي.

وقضيته مع يحيى بن عبد الله بن الحسن، الذي كان قد خرج في الديلم، وحالته السيئة، وهمومه في أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان. وكيف لا تأخذه الهموم، وتذهب به الوسوس، وقد اتبع يحيى "خلق كثير، وجم غفير، وقويت شوكته، وارتحل إليه الناس من الكور والأمصار، فانزعج للملك الرشيد، وقلق من أمره." "وكان الساعى بالصلح بينه وبين يحيى هو الفضل بن يحيى، وبسبب تمكنه من إخماد ثورة يحيى عظمت منزلته عند الرشيد جدا، وفرح بذلك الصلح فرحا عظيما (١). وإن كان قد غدر بيحيى بعد ذلك، كما هو معروف ومشهور.

كما أنه عندما ذهب إلى المدينة لم يعط الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، سوى مائتي دينار، رغم أنه كان يعطى من لا يقاسون به الآلاف منها، وكان اعتذاره عن ذلك لولده المأمون، أنه لو أعطاه أكثر من ذلك لم يأمن أن يخرج عليه من الغد مئة ألف سيف من شيعته، ومحبيه صلوات الله وسلامه عليه (٢). (١) راجع في ذلك كله: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٧، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ١٢٤، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩٢، والبحار ج ٤٨ ص ١٣١، ١٣٢.

وقد رأينا أن العباسيين ابتداء من المنصور، بل السفاح - مع الإمام الصادق عليه السلام - كانوا دائما يتهددون الأئمة - الذين ما كانوا يجدون الفرصة لأي تحرك، ومن أي نوع، كما سنوضحه - ويتهمونهم بأنهم كانوا يدبرون في الخفاء للخروج عليهم، ليجدوا الوسيلة من ثم - للتضييق عليهم، والمبرر لسجنهم، ومصادرة أموالهم و.

وكان الأئمة ينفون ذلك، ويدحضون تلك التهم باستمرار.. لكنهم ما كانوا يقبلون منهم ذلك!! (٧١) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، الفضل بن يحيى (١)، موسى بن جعفر (١)، الصلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، مدينة بيروت (١)، الإخفاء (١) ثم عاد وسجنه بعد ذلك بحجة أنه كان يجبى إليه الخراج، ثم يدس إليه السم، ويتخلص منه، وذلك هو مصير أكثر الأئمة على يد الخلفاء قبله وبعده.

وأما في زمن المأمون!

وأما في زمن المأمون: فقد كان الأمر أعظم، وأمر، وأدهى، حيث قد شملت الثورات والفتن الكثيرة من الولايات والأمصار، حتى لم يعد يعرف المأمون من أين يبدأ، ولا- كيف يعالج. وأصبح يرى، ويؤلمه أن يرى مصيره، ومصير خلافته في مهب الريح، تتقاذفه الأنواء، ويضرب به الأعصار.

عقدة الحقارة لدى العباسيين:

وكان ذلك بطبيعته يزيد من رعب العباسيين، ويضاعف من مخاوفهم..

سيما بملاحظة أنهم كانوا يعيشون عقدة الحقارة والمهانة.

يقول أبو فراس مشيرا إلى ذلك:

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم \* وما لهم قدم فيها ولا قدم لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا \* ولا يحكم في أمر لهم حكم ولا رأيهم أبو بكر وصاحبه \* أهلا- لما طلبوا منها وما زعموا فهل هم يدعوا غير واجبة \* أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا وقد كتب أبو مسلم للمنصور، من جملة رسالة له. " وأظهركم الله بعد الاخفاء، والحقارة والذل، ثم استنقذني بالتوبة الخ (١). ("). (١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٦٤. وغيره. (٧٢) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، التوبة (١)، الحج (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

وفي رسالة أخرى. " حتى عرفكم من كان جهلكم (١). ("

بل لقد صرح المنصور بذلك لعنه عبد الصمد بن علي، حيث قال له " نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقه، واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا باستعمال العقوبة، ونسيان العفو ". كما سيأتي.

في مواجهة الخطر:

وإذا كان العباسيون يدركون: أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلويين، فإن عليهم إذن. أن يتحركوا. أن يفعلوا شيئا. أن يواجهوا الخطر المحقق بهم بكل وسيلة، وبأى أسلوب كان. سيما وهم يشهدون عن كتب سرعة استجابة الناس للعلويين، وتأبيدهم، ومساندتهم لكل دعوة من قبلهم.

فكيف عالج العباسيون الموقف؟!.

وما هو مدى نجاحهم في ذلك؟ إن كان قدر لهم النجاح!! (١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٦٩، والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٣، وغير ذلك. (٧٣) صفحهمفاتيح البحث: عبد الصمد بن علي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

سياسة العباسيين ضد العلويين:

مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما يدل على مدى نفوذ العلويين، وعلى المكانة التي كانوا يتمتعون بها على العموم. وأنهم هم الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقي على العباسيين، ومركزهم في الحكم. وقد كان العباسيون يدركون بالفعل هذه الحقيقة، فكان عليهم أن يبعدوهم عن مجال السياسة بأى وسيلة كانت وأن يحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، ويضعفوا ما أمكنهم من قوتهم. وقد اتبعوا من أجل ذلك أساليب شتى، وطرق متنوعة: فحاولوا في بادئ الأمر أن يقارعوهم بالحجة بالحجة.. تطوير نظرية الإرث:

وكان من جملة أساليبهم في ذلك أنهم غيروا وبدلوا في السلسلة، التي كانوا يواجهون بها الناس في تقريرهم لشرعية خلافتهم من النبي صلى الله عليه وآله. (٧٤) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١) وذلك لأنهم كانوا في بدايته أمرهم يصلون جبل وصايتهم بأمر المؤمنين عليه السلام، ثم منه إلى ولده محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه أبى هاشم، ثم إلى على بن عبد الله بن العباس، فألى ولده محمد بن على، فأبراهيم الإمام، ثم منه إلى أخيه السفاح (١) وهكذا.. هذا. مع إنكارهم لشرعية خلافة أبى بكر وعمر، وعثمان، وغيرهم من خلفاء الأمويين، وغيرهم. ويتضح إنكارهم وتبرؤهم هذا من كثير من النصوص التاريخية. فمن ذلك قصة أبى عون مع المهدي، التي ستأتى فى بعض هوامش هذا الفصل.

ومن ذلك أيضا قول أبى مسلم فى خطبته فى أهل المدينة فى السنة التى حج فيها فى عهد السفاح، قال: "وما زلت بعد نبىه تختارون تيميا مرة، وعدويا مرة، وأسديا مرة وسفيانيا مرة، ومروانيا مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه، ولا بيته [يعنى نفسه] يضربكم بسيفه، فأعطيتموها عنوة، وأنتم صاغرون، ألا وإن آل محمد أئمة الهدى، ومنار سبيل التقى، القادة الذادة السادة الخ (٢)". وتقدم قول داوود ابن على: "لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله الخ" .. وروى أبو سليمان الناجى، قال: "جلس المهدي يوما يعطى قريشا صلوات لهم، وهو ولى عهد، فبدأ بنى هاشم، ثم بسائر قريش.

فجاء السيد أى [الحميرى]، فرفع إلى الربيع حاجب المنصور رقعة مختومة، وقال: إن فيها نصيحة للأمر، فأوصلها إليه. فأوصلها. فإذا فيها: (١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٣، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٨، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٤، ٤٥٥، طبع سنة ١٣١٠، وإمبراطورية العرب ص ٤٠٦، وغير ذلك، وقد أشرنا إلى أن هذه هى عقيدة الكيسانية، فراجع.

(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٦١، ١٦٢. (٧٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، الدولة الأموية (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، خلافة أبى بكر بن أبى قحافة (١)، بنو هاشم (١)، محمد بن على (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)

قل لابن عباس سمي محمد \* لا تعطين بنى عدى درهما احرم بنى تيم بن مرة أنهم \* شر البرية آخرا، ومقدما إن تعظهم لا يشكروا لك نعمه \* ويكافؤوك بأن تدم وتشتما وإن ائتمنتهم أو استعملتهم \* خانوك، واتخذوا خراجك مغنما ولئن منعهم لقد بدءوكم \* بالمنع، إذ ملكوا وكانوا أظلمنا منعوا تراث محمد أعمامه \* وابنيه، وابنته عديلة مريما وتأمرؤا من غير أن يستخلفوا \* وكفى بما فعلوا هنالك مأثما لم يشكروا لمحمد إنعامه \* أفيشكرون لغيره إن أنعموا والله من عليهم بمحمد \* وهداهم، وكسا الجنوب، وأطعما ثم انبرؤا لوصيه ووليه \* بالمنكرات، فجرعوه العلقما قال: فرمى بها إلى عبد الله معاوية بن يسار، الكاتب للمهدي، ثم قال: اقطع العطاء، فقطعه. وانصرف الناس. ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحكك، وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل. ولم يعظهم شيئا (١).".

ونرى السيد الحميرى فى مناسبة أخرى ينشد المنصور أبياتا يهجو بها سوارا القاضى، من جملتها:

إن سوار بن عبد \* الله من شر القضاء نعتلى، جملى، \* لكم غير مواتى (٢) (١) الأغانى ج ٧ ص ١٦، طبع دار الفكر، والغدير ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥، والأدب فى ظل التشيع ص ٢٠٧، ومستدرک أخبار السيد الحميرى للمرزبانى ص ٥٨، باختصار وديوان السيد الحميرى ص ٣٧٧، ٣٧٨، نقلًا عن الأولين، وعن:

أعيان الشيعة ج ١٢ ص ١٧٨، وتاريخ الإسلام ج ٢ ص ١٤٧، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٦٧، ٦٨.

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٤، والأغانى ج ٧ ص ٢٦١، والغدير ج ٢ ص ٢٥٦ (٧٦) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن عباس

(١)، كتاب أخبار السيد الحميرى للمرزبانى الخراسانى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، التاريخ الإسلامى (١)

ويقول القاسم بن يوسف:

هاشم فخر قصى كلها \* أين تيم وعدى والفخار لهم أيد طوال فى العلى \* ولمن ساماهم أيد قصار لهم الوحى وفيهم بعده \* أمر الحق وفى الحق منار وهم أولى بأرحامهم \* فى كتاب الله إن كان اعتبار ما بعيد كقريب سببا \* لا ولا يعدل بالطرف الحمار إلى أن قال:

خسر الآخذ ما ليس له \* عمد عين والشريك المستشار ولفيف ألقوا بينهم \* بيعه فيها اختلاط وانتشار ورسوله الله لم يدفن فما \* شغل القوم اغتمام وانتظار كان منهم قبل آل المصطفى \* أن يلوا الأمر حذار ونفار (١) إلى آخر الأبيات.

والقاسم بن يوسف معاصر لكل من الرشيد والمأمون، وتوفى سنة ٢١٣ هـ.

وكل ما ذكرناه يدل على إنكار العباسيين لشرعية خلافة أبى بكر وعمر.

ومثل ذلك كثير لا مجال لنا هنا لاستقصائه، وحسبنا هنا أقوال المؤرخين، فإنها القول الفصل، والحكم العدل.

هذا ما كان فى بداية الأمر. أى أنهم كانوا يصلون حبل وصايتهم بعلى عليه السلام، وينكرون شرعية خلافة الثلاثة، ثم عدلوا عن ذلك بعد فترة. وذلك لما يتضمنه من الاعتراف بأن الوصاية كانت فى ولد على عليه السلام. (١) الأوراق للصولى ص ١٨٠، وأخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص ١٠٨ - ١٠٩. (٧٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٢)، خلافة أبى بكر بن أبى قحافة (١)، الدفن (١)

فأسس المهدي فرقة (١) تدعى: أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو العباس بن عبد المطلب، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه على، ثم ابنه محمد. وهكذا إلى أن ينتهى الأمر إليهم. هذا. مع الاستمرار على البراءة من أبى بكر، وعمر، وعثمان. ولكنهم أجازوا بيعه على ابن أبى طالب، لأن العباس نفسه كان قد أجازها (٢). وتسمى هذه الفرقة بـ "الراونديّة والشيعة العباسية".

ولكننا لا نجد لهذه الفرقة أثرا فى عصر المأمون، لأن سياسة الخليفة قد اقتضت تجميد هذه المقالة، ولو لفترة من الزمان كما سنوضحه وعلى كل حال فيقول منصور النمرى يمدح الرشيد:

لولا عدى وتيم لم تكن وصلت \* إلى أمية تمرىها وترتضع إن الخلافة كانت إرث والدكم \* من دون تيم، وعفو الله متسع (٣) (١) هذا. ولكن الذى يبدو هو أن صاحب الفكرة الحقيقى هو المنصور. كما يظهر من رسالته لمحمد بن عبد الله بن الحسن، ومن كثير من كلماته، وخطبه. والمهدى كان هو المنفذ لها، والمخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل.. بل لقد سار المنصور فى إشاعة هذه الفكرة، وتركيزها شوطا بعيدا، حتى لقد تقرب إليه بها الشعراء، فهذا السيد الحميرى يقول - على ما يرويه لنا المرزبانى فى أخباره ص ٣٧ ويروى أيضا مكافأة المنصور المهمة له على ذلك - يقول السيد:

يا رهط أحمد إن من أعطاكم \* ملك الورى وعطاؤه أقسام رد الخلافة والوراثة فيكم \* وبنو أمية صاغرون رغام لمتمم لكم الذى أعطاكم \* ولكم لديه زيادة وتمام أنتم بنو عم النبى عليكم \* من ذى الجلال تحية وسلام وورثتموه وكنتم أولى به \* إن الولاء تحوزه الأرحام إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتبعية واستقصائه.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٨، ٤٩، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٣، ومروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٣٦، إلا أن النوبختي ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعه على أيضا.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٤، والشعر والشعراء ص ٥٤٦. (٧٨) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، العباس بن عبد المطلب (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، بنو أمية (١) تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

وقد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو فقل هذا الاتجاه، واستمروا يناصرونه إلى زمن هارون.

وقد حصل مروان ابن أبي حفصة من الخليفة العباسي "المهدي" على أعظم جائزة تعطى لشاعر في تلك الفترة، على قوله مخاطبا آل علي:

هل تظمسون من السماء نجومها \* بأكفكم أو تسترون هلالها أو تدفعون مقالة عن ربكم \* جبريل بلغها النبي فقالها نزلت من الأنفال آخر آية \* بترائهم، فأردتم إبطالها يشير إلى آية: "أولوا الأرحام".

فزحف المهدي من صدر مصلاه إعجابا، وأعطاه مئة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. وكانت هذه أول مئة ألف تعطى لشاعر في دولة بني العباس (١).

وأعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مئة ألف أيضا.

كما أن المهدي قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون وليس ذاك بكائن \* لبني البنات وراثه الأعمام أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، وكساه جبه، ومطرفا، وفرض على أهله ومواليه ثلاثين ألفا أيضا (٢). (١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٤٤، ١٤٥، ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٢١.

(٢) ولكن في العقد الفريد ج ١ ص ٣١٢، الطبعة الثالثة، والمحاسن والمساوي ص ٢١٩:

أنه أخذ منه ثلاثين، ومن أهل بيته سبعين. ولعل هذا هو الأقرب إلى الواقع، فقد ذكر في المحاسن والمساوي ص ٢٢٠: أن مروان هذا قال في هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشي من حباثة \* وما نالها في الناس من شاعر قبلي بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته..

وفي طبقات الشعراء ص ٥١ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما.. (٧٩) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، الصلب (١)، كتاب تاريخ بغداد للخليفة البغدادي (١)

وينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلك.

وبعد ذلك يقف مروان بن أبي الجنوب (ويقال: بل مروان بن أبي حفصة، وقد أنشدها المتوكل، على ما في الغدير ج ٤ ص ١٧٥)، وينشد الخليفة قصيدته التي مطلعها:

لكم تراث محمد \* وبعدلكم تشفى الظلامه إلى أن يقول:

ما للذين تحلوا \* ميراثكم إلا الندامة فيخلع عليه أربع خلع، وينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، ويعطيه عشرة آلاف درهم. ثم يعقد له - مع ذلك كله - ولاية على البحرين واليمامة (١).

بل لقد تمادى هارون، وأراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن ينكر حتى شرعية خلافة الإمام علي عليه السلام، فأحضر "أبا معاوية الضرير" وهو أحد محدثي المرجئة (٢)، وقال له: "هممت أنه من يثبت خلافة علي فعلت به وفعلت.. فنهاه أبو معاوية

عن ذلك، واستدل له بما أعجبه، فارتدع، وانصرف عما كان عزم عليه (٣). (١) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٣٨، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثاني، جزء ٣، ص ٢٢٨.

(٢) المرجئة الأولى كانوا لا يتولون عثمانا ولا عليا، ولا يتبرأون منهما.



(٣) راجع تفصيل ذلك في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٤٤، ونكت الهميان في نكت العميان ص ٢٤٧. (٨٠) صفحهمفاتح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، العقد (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، الصدق (١)

بل إن بعض النصوص التاريخية تفيد أن المهدي أيضا كان لا يريد أن يجيز بيعه علي عليه السلام (١).  
الإمام علي في ميزان الاعتبار:

وإذا ما عرفنا أن إظهار المأمون حبه لعلي بن أبي طالب، وولده، ليس إلا لظروف سياسية معينة كما سيأتي توضيحه. فإننا سوف نرى أنفسنا مقتنعين بأن تأرجح الإمام علي عليه السلام في ميزان الاعتبار في تلك الفترة والتي بعدها عند العباسيين، لم يكن إلا أمرا ظاهريا أملت الظروف السياسية، والاجتهادات المختلفة في أساليب مواجهة العلويين.

ولهذا نرى ارتباكهم في ذلك ظاهرا للعيان من وقت لآخر، ومن فترة لأخرى. وهكذا. نجد أن الإمام عليا لم يكن معتبرا عند المأمون، (١) فقد ذكر ابن الأثير في الكامل ج ٥ ص ٧٢، والطبري في تاريخه حوادث سنة ١٦٩ هـ: أن المهدي عندما رأى في وصية القاسم بن مجاشع التيمى المروزي عبارة:

.. "ويشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله، ووارث الإمامة من بعده. الخ.. " رماها من يده، ولم ينظر في باقيها..

كما أنه عندما ذهب لعيادة أبي عون، الذي كان من كبار رجال الدعوة، والذي أرسله أبو مسلم في ثلاثين ألفا في طلب مروان بن محمد، وكان هو الذي أنهى أمره في مصر علي ما في الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١١٦، ١١٩، ١٢٠. - عندما ذهب المهدي لعيادته -، وطلب منه أبو عون أن يرضى عن ولده، الذي كان يرى رأى الشيعة في الخلافة، أجاب: أنه علي غير الطريق، وعلي خلاف رأينا. فقال له أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين، علي الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه، فإن كان قد بدا لكم، فمرونا، حتى نطيعكم.. راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء ٢ ص ٥٦٩، وقاموس الرجال ج ٥ ص ٣٧٣، والطبري، وغير ذلك. (٨١) صفحهمفاتح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٣)، علي بن أبي طالب (٢)، ابن الأثير (١)، الصدق (١)، الوصية (١)

غير معتبر عند المنصور والرشيد، بل هو غير معتبر عندهم جميعا.

. ولسنا هنا في صدد تحقيق هذا الأمر، ولكن قد تكفى الإشارة في كثير من الأحيان.

استغلال لقب المهدي:

هذا.. ونلاحظ: أن المنصور أيضا قد حاول أن يقارع العلويين بالحجة، ولكن بنحو آخر، وأسلوب آخر.

فإنه عندما رأى أن الناس قد قبلوا على نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق عليه السلام) بأن محمد بن عبد الله العلوي هو المهدي.. حاول أن يموه هو بدوره على الناس، فلقب ولده، والخليفة بعده بـ "المهدي" من أجل أن يصرف الناس عن محمد بن عبد الله هذا..

فقد أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد الله، وقال له:

"اجلس عند المنبر، فاسمع ما يقول محمد" قال: فسمعتة يقول:

إنكم لا تشكون أنى أنا المهدي، وأنا هو " فأخبرت بذلك أبا جعفر، فقال: "كذب عدو الله، بل هو ابني (١)." "

ثم. ومن أجل إقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من يضع له الأحاديث، ويكذب على النبي صلى الله عليه وآله، وطبق واضعوها "مهدى الأمة" علي ولده الخليفة "المهدي" (٢). ويقول القاضي النعمان الإسماعيلي في أرجوزته: (١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٠، والمهدية في الإسلام ص ١١٧.

(٢) تجد بعض هذه الأحاديث في: الصواعق المحرقة ٩٨، ٩٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٢، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٦، ٢٤٧، وغير ذلك. (٨٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله العلوي (١)، محمد بن عبد الله (٢)، الكذب، التكذيب (١)، الوسعة (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١) من انتظاره وقد تسمى \* بهذه الأسماء ناس لما تغلبوا ليجعلوها حجة \* فعدلوا عن واضح المحجة إذ مثلوا الجوهر بالأشبه \* منهم محمد بن عبد الله ابن علي من بنى العباس \* ذوى التعدى الزمرة الأرجاس (١).

وقد أقر أحمد أمين المصرى بكذب هذه الأحاديث، ووضعها (٢)، كما أقر غيره بذلك.

بل إن المنصور نفسه - الذى كان قد اعترف بمهدوية محمد بن عبد الله العلوي، وتبجح، وافتخر بها (٣) - قد كذب نفسه فى ذلك، وكذبها فى مهدوية ولده أيضا.

يقول مسلم بن قتيبة: " أرسل إلى أبو جعفر، فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمد بن عبد الله، وتسمى بالمهدى، ووالله، ما هو به، وأخرى أقولها لك. لم أقلها لأحد قبلك، ولا أقولها لأحد بعدك.. وابنى والله، ما هو بالمهدى، الذى جاءت به الرواية، ولكننى تيمنت به، وتفاءلت به (٤)". والخليفة المهدي نفسه يقر بأن أباه فقط يروى أنه المهدي الذى بعده فى الناس (٥).

وأما اتخاذهم الزندقة ذريعة للقضاء على خصومهم، سواء من العلويين، أو من غيرهم.. فسيأتى توضيحه إن شاء الله تعالى. (١) الأرجوزة المختارة ص ٣١، (٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٤٠.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩، ٢٤٠، والمهدية فى الإسلام ص ١١٦، وجعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ص ١١٦، (٤) مقاتل الطالبين ص ٢٤٧، والمهدية فى الإسلام ص ١١٧.

(٥) الوزراء والكتاب ص ١٢٧. (٨٣) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، عبد الله العلوي (١)، محمد بن عبد الله (٢)، الكذب، التكذيب (١)، الحج (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، عبد العزيز (١) وكل ذلك لم يكفهم:

ولكن العباسيين قد وجدوا أن ذلك كله لم يكن ينطلى على أحد، وأن الأمور - مع ذلك - تسير فى غير صالحهم، ولهذا فإن من الأفضل والأجدى لهم أن لا يفسحوا المجال للعلويين للمنطق والحجاج، فإن ذلك من شأنه أن يظهر كل ما كان يتمتع به العلويون من خصائص ومميزات عليهم. هذا إن لم ينته الأمر بفضيحة ساحقة للعباسيين، وكشف حقيقتهم وواقعهم أمام الملأ، الأمر الذى كان يزعجهم، ويقض مضاجعهم إلى حد كبير..

وإذن.. فإن من الحكمة أن يتبعوا أساليب أخرى من أجل القضاء على العلويين..

ولم تكفهم مراقبتهم لهم، حتى لم يكونوا يغفلون عنهم طرفة عين أبدا، من أجل التعرف على أحوالهم، وإحصاء كل حركاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء على ذلك من بعده.

كما لم يكفهم.. التهديد والوعيد الذى كانوا يواجهونهم به، بهدف إضعاف شخصياتهم، وتحطيم معنوياتهم..

كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، وهدم بيوتهم، ومنعهم من السعى من أجل الحصول على لقمة العيش، حتى لقد بلغ البؤس بهم أن:

العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة (١).

وكذلك لم يكفهم. عزلهم عن الناس، ومنع كل أحد من الوصول إليهم، تمهيدا لتشويه سمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكذب والافتراء، (١) كان ذلك فى زمن المتوكل، راجع: بند تاريخ ج ١ ص ٧٢، ومقاتل الطالبين ص ٥٩٩. (٨٤) صفحهمفاتيح البحث:

الكذب، التكذيب (١)، الصلاة (١)، القتل (١)

وإن كانت سيرتهم الحميدة، وخصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، وسلوكهم المثالى يدحض كل افتراء.

وأما الاضطهاد والتشريد، وزج العشرات والمئات منهم في السجون الرهيبة، التي كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها، حيث إن دخول السجن إنما كان يعنى فى الحقيقة دخول القبر.. وأما دسهم السم لكل شخصية لا يستطيعون الاعتداء عليها جهاراً - أما ذلك - فلم يكن ليكيفهم أيضاً، ولا ليقنعهم قطعاً. حيث إنهم إنما كانوا متعششين إلى الولوغ فى دمائهم، ومشتاقين إلى التفتن فى تعذيبهم، واختراع أساليب جديدة فى ذلك، فسمروا بالحيطان من سمروا، وأماتوا جوعاً من أماتوا، ووضعوا فى الأسطوانات منهم من وضعوا. إلى غير ذلك مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، وتاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين.

وأما قتلهم لهم جماعات، فأشهر من أن يحتاج إلى بيان. وقضية المنصور مع بنى حسن لا يكاد يخلو منها كتاب تاريخى. وكذلك قضية الستين علوياء، الذين قتلوا بأمر من الخليفة "المنصور" باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضيه (١). (١) هذا ما نقله فى شرح شافية أبى فراس ص ١٧٤ عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذى رأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة، يضرع إلى الله بالمغفرة، وأقر له بأنه بنى على هؤلاء ما عدا الغلام المذكور بأمر من المنصور.. وفى عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٠٨، فما بعدها، وشرح ميمية أبى فراس ص ١٧٦، ١٧٧، والبحار ج ٤٨ ص ١٧٦ فما بعدها. قصة شبيهة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الذى كان يفطر فى شهر رمضان، لئاسه من مغفرة الله، لأنه قتل ستين علوياء فى ليلة واحدة بأمر من الرشيد.. ولكن الظاهر أن ذكر الرشيد اشتباه من الراوى، ولعله عمدى، لأن حميدا قد مات سنة ١٥٨، على ما صرح به فى البحار ج ٤٨ ص ٣٢٢، وخلافه هارون الرشيد إنما بدأت سنة ١٧٠، ولعل القصة الحقيقية هى ما عن أحمد بن حنبل، وإنما حرفها المحرفون لحاجة فى نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، والناقد البصير. (٨٥) صفحهمفاتيح البحث: القتل (٣)، القبر (١)، شهر رمضان المبارك (١)، هارون الرشيد (١)، الموت (١) موقف كل خليفة منهم على حدة:

وإننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:  
أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين.. "وكانت حياته حياة سفك للدماء، وقضاء على المعارضين (١)". وقال عنه الجنرال جلوب. "وكان السفاح والمنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، ولذا وطدا ملكهما - بعد نجاح الثورة - بكثير من سفك الدماء، ولا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بنى أمية، وبنى على بن أبى طالب (٢)".

ويقول الخوارزمى عن السفاح. "وسلط عليهم (يعنى على العلويين) أباً مجرم، لا أباً مسلم، يقتلهم تحت كل حجر ومدبر، ويطلبهم فى كل سهل، وجبل (٣)".

ومن ذلك يعلم أن إظهاره اللين اتجاههم أمام الناس ما كان إلا من أجل تثبيت دعائم حكمه، وتحكيم قواعد سلطانه، لكنه لم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، والتجسس على أحوالهم، بل وقتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلك، كما قدمنا. (١) ضحى الإسلام ج ١ ص ١٠٥.

(٢) إمبراطورية العرب ص ٤٩٩.

(٣) رسائل الخوارزمى ص ١٣٠، وضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧، وسيأتى شطر من هذه الرسالة. راجع ما علقناه على هذه الفقرة فى فصل: قيام الدولة العباسية. (٨٦) صفحهمفاتيح البحث: على بن أبى طالب (١)، بنو أمية (١)، الخوارزمى (٢)، القتل (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)

وأما المنصور:

الذى لم يتورع عن قتل ابن أخيه السفاح (١)، وعمه عبد الله بن على.

وأبى مسلم. مؤسس دولته. والذى سافر سنة ١٤٨ هـ. إلى الحج، وعزم على القبض على الإمام الصادق (ع)، إن كان لم يتم له ذلك (٢).

والذى سمي نفسه المنصور بعد انتصاره على العلويين (٣).

أما المنصور هذا. فهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين (٤).

وقد اعترف عندما عزم على قتل الإمام الصادق عليه السلام، بعدد ضخم من ضحاياه من العلويين، حيث قال:

"قتلت من ذرية فاطمة ألفا، أو يزيدون، وتركت سيدهم، ومولاهم، وإمامهم، جعفر بن محمد (٥)."

ولقد كان هذا القول منه في حياة الإمام الصادق عليه السلام، أى في صدر خلافة المنصور. فكيف بمن قتلهم بعد ذلك!!

وقد ترك خزانه رؤوس ميراثا لولده المهدي، كلها من العلويين، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، ومن بينها رؤوس شيوخ، وشبان، وأطفال (٦). (١) تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٩٤، نقلا عن: نفح الطيب ج ٢ ص ٧١٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٦ (٣) التنبية والإشراف ص ٢٩٥، وطبيعة الدعوة العباسية ص ١١٩.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤١، ومروج الذهب ج ٤ ص ٢٢٢. وشرح ميمية أبى فراس ص ١١٧، ومشاكله الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٢، ٢٣.

(٥) شرح ميمية أبى فراس ص ١٥٩، والأدب فى ظل التشيع ص ٦٨.

(٦) تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٤٦، والنزاع والتخاصم للمقريزى ص ٥٢، وغير ذلك. (٨٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٣)، عبد الله بن على (١)، جعفر بن محمد (١)، الحج (١)، القتل (٣)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

وهو الذى يقول لعنه عبد الصمد بن على، عندما لاهمه على أنه يعاجل بالعقوبة، حتى كأنه لم يسمع بالعفو - يقول له " - إن بنى مروان لم تبل رممهم، وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم - ونحن بين قوم رأونا بالأمس سوقه، واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا بنسيان العفو، واستعمال العقوبة (١)."

وهو الذى يقول للإمام الصادق عليه السلام: "لأقتلك، ولأقتلنك، ولأقتلن أهللك، حتى لا أبقى على الأرض منكم قامه سوط (٢)."

وعندما قال المنصور للمسيب بن زهرة: إنه رأى أن الحجاج أنصح لبنى مروان. أجابه المسيب: "يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج إلى أمر، فتخلفنا عنه، والله، ما خلق الله على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وآله، وقد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك، وفعلنا، فهل نصحناك (٣)!"

وهو أول من سن هدم قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء (٤).

وهو الذى كان يضع العلويين فى الأسطوانات، ويسمرهم فى الحيطان - كما نص عليه اليعقوبى، وغيره - ويتركهم يموتون فى المطبق جوعا، وتقتلهم الروائح الكريهة، حيث لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة، وكان يموت أحدهم، فيتترك معهم، حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا، وهم فى أغلالهم - كما فعل بنى حسن، كما هو معروف ومشهور. (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٧، وإمبراطورية العرب ص ٤٩١، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء ٢ ص ٥٣٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٧، والبحار ج ٤٧ ص ١٧٨.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٤.

(٤) تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار آل طعمه ص ١٩٣. (٨٨) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٢)، عبد الصمد بن على (١)، القتل (١)، الموت (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، ابن شهر آشوب (١)، الجود (١)

ولقد قال أحد العلويين، وهو أبو القاسم الرسى بن إبراهيم بن طباطبا، إسماعيل الديباج. عندما هرب من المنصور إلى السند:

لم يروه ما أراق البغي من دمنا \* في كل أرض فلم يقصر من الطلب وليس يشفى غليلا في حشاه سوى \* أن لا يرى فوقها ابن لبنت نبي (١) وعلى كل: فإن معاملة المنصور لأولاد علي، تعتبر من أسوأ صفحات التاريخ العباسي (٢). وستأتي عبارة الخضرى عنه عن قريب.. وأما المهدي:

الذى حبس وزيره يعقوب بن داوود، وبنى على المطبق الذى هو فيه قبة، وبقي فيه حتى عمى، وطال شعر بدنه، حتى صار كالأنعام - وحبسه - لاتهامه إياه بأنه يمالئ الطالبين، كما قدمنا. المهدي الذى عرفنا فيما تقدم موقفه من أبى عون، وولده، الذى كان يذهب مذهب الشيعة فى الخلافة.. وكذلك موقفه من وصية القاسم ابن مجاشع.

أما المهدي هذا فقد اتخذ الزندقة ذريعة للقضاء على كل مناوئيه، وخصوصا العلويين، والتمشيعين لهم: وقال الدكتور أحمد شلبي: "إن الرمي بالزندقة اتخذ وسيلة للإيقاع بالأبرياء فى كثير من الأحيان (٣). (١) النزاع والتخاصم للمقرىزى ص ٥١.

(٢) مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ١٨٤.

(٣) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامى ج ٣ ص ٢٠٠. (٨٩) صفحهمفاتح البحث: القاسم الرسى (١)، الوصية (١) وقال الدكتور أحمد أمين المصرى: "الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم، سواء فى ذلك "الشعراء، والعلماء، والأمراء، والخلفاء" (١).

وقد ألف له - أى للمهدى - ابن المفضل كتابا فى الفرق، اخترع فيه فرقا من عند نفسه، ونسبها لأولئك الذين يريد المهدي أن يتبعهم، ويقضى عليهم. مع أنهم لم يكونوا أصحاب فرق أصلا. كزرارة، وعمار الساباطى، وابن أبى يعفور، وأمثالهم، فاخترع فرقة سماها "الزرارية" نسبة لزرارة. وفرقة سماها "العمارية" نسبة لعمار، وفرقة سماها "اليعفرورية" وأخرى سماها "الجواليقية"، وأصحاب سليمان الأقطع.

وهكذا. إلا أنه لم يذكر "الهشامية" نسبة لهشام بن الحكم (٢). (١) ضحى الإسلام ج ١ ص ١٥٧. هذا.

وقد اتهم شريك بن عبد الله القاضى بالزندقة، لأنه لم يكن يرى الصلاة خلف الخليفة المهدي، فراجع: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٥٣، وحياء الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٣٧، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ٣ ص ٢٣٢. وأيضا. فقد أراد هارون أن يقتل عمه، الذى قال: كيف لقي آدم موسى؟ عندما ذكرت رواية مفادها ذلك. وذلك بتهمته الزندقة، راجع: تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٧، ٨، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢١٥، وحياء الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٣٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٨٥، والبصائر والذخائر ص ٨١.

وهذا يعنى أن لفظ الزنديق قد أطلق على كل من يناقش فى أحاديث الصحابة، وعلى كل من يعارض نظام الحكم، والحكام وأهوائهم، وأطلق أيضا على كل ماجن خليع كما يبدو لمن راجع رواية شريك القاضى فى مظانها وغيرها.. ولا بأس بمراجعة عبارة هامة لأحمد أمين تتعلق بهذا الموضوع فى كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثانى جزء ٣ ص ٢٣٢.

(٢) رجال المامقانى ج ٣ ص ٢٩٦، وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٢٤، والبحار ج ٤٨ ص ١٩٥، ١٩٦، ورجال الكشى ص ٢٧، طبع كربلاء.. وأشار إلى ذلك المسعودى أيضا، فراجع: ضحى الإسلام ج ١ ص ١٤١، واليعقوبى فى كتابه مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٤. (٩٠) صفحهمفاتح البحث: ابن أبى يعفور (١)، عمار الساباطى (١)، هشام بن الحكم (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب رجال الكشى (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، شريك بن عبد

الله (١)، موسى بن جعفر (٢)، الصدق (١)، القتل (١)، الشراكة، المشاركة (١)، الصلاة (١)

وقال عبد الرحمان بدوى: "إن الاتهام بالزندقة في ذلك العصر، كان يسير جنباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلك الأستاذ (فيدا) (١)."

يقول أبو حنيفة أو الطغرائي في جملة أبيات له:

ومتى تولى آل أحمد مسلم \* قتلوه أو وصموه بالإلحاد (٢).

إلى غير ذلك مما لا يمكننا تتبعه واستقصاؤه في مثل هذه العجالة..

وأما الهادي:

"فقد أخاف الطالبين خوفاً شديداً، وألح في طلبهم، وقطع أرزاقهم وأعطياتهم، وكتب إلى الآفاق بطلبهم (٣)."

ولم تكن واقعة فخ المشهورة إلى بسبب الاضطهاد الذي لحق العلويين، والمعاملة القاسية لهم. حسبما نص عليه المؤرخون.. والتي بلغ عدد الرؤوس فيها مئة ونيفاً، وسببت فيها النساء والأطفال، وقتل السبي حتى الأطفال منهم على ما قيل.

وأما الرشيد:

"الذي حصد شجرة النبوة. واقتلع غرس الإمامة،" على حد تعبير الخوارزمي. (١) من تاريخ الالحاد في الإسلام ص ٣٧.

(٢) نسب إلى الأول ملحقات إحقاق الحق ج ٩ ص ٦٨٨ نقلاً عن مفتاح النجا في مناقب آل العبا للعلامة البدخشي ص ١٢ مخطوط وعن قلندر الهندي الحنفي في روض الأزهر ص ٣٥٩ طبع حيدر آباد وهو منسوب للطغرائي أيضاً وهو مثبت في إحدى قصائده في ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء في ذلك..

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٦، ١٣٧. (٩١) صفحهمفاتيح البحث: عبد الرحمان (١)، الخوارزمي (١)، القتل (١)، الجنابة (١)، العصر (بعد الظهر) (١)، البدخشي (١)

والذي "لم يكن يخاف الله، وأفعاله بأعيان آل علي (ع)، وهم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من الله تعالى (١)."

والذي كان على حد تعبير أحمد شلي: "يكره الشيعة ويقتلهم (٢)."

والذي بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل علي عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ. أما الرشيد هذا.

فقد أقسم على استئصالهم، وكل من يتشيع لهم. فقال: "حتام أصبر على آل بني أبي طالب، والله لأقتلنهم، ولأقتلن شيعتهم، ولأفعلن وأفعلن (٣)."

وعندما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبين جميعاً من بغداد، إلى المدينة (٤) كرها لهم ومقتاً.

"وكان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، ويقتلهم (٥)."

"وأمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضاً (٦)."

وكان: "يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم (٧). (١) الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٠.

(٢) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ٣٥٢.

(٣) الأغاني، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ٥ ص ٢٢٥.

(٤) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٨٥، والطبري ج ١٠ ص ٦٠٦، وغير ذلك.

(٥) العقد الفريد ج ١ ص ١٤٢.

(٦) الولاة والقضاة للكندي ص ١٩٨، وليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلدار ص ١٩٦.

(٧) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٢ ص ١٨٠. (٩٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما

السلام (٢)، مدينة بغداد (١)، الخوف (١)، القتل (١)، الكراهية، المكروه (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، الجود (١)

وكان " مغرى بالمسألة عن آل أبي طالب، وعمن له ذكر ونباهة منهم (١). "

وعندما أرسل الجلودى لحرب محمد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبي طالب في المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب، وحلى. ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا (٢).

وعندما حضرته الوفاة كان يقول.. " :وا سوأتاه من رسول الله (٣). "

وهدم قبر الحسين، وحرث أرض كربلاء، وقطع السدره التي كان يستظل بها الزائرون لتلك البقعة المباركة، وذلك على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسي (٤).

ثم توج موبقاته كلها، وفضائعه تلك، بقتل سيد العلويين، وقائدهم، الإمام موسى بن جعفر، صلوات الله وسلامه عليه. (١) مقاتل الطالبين ص ٤٩٣، وبعد ذلك قال " :فسأل يوما الفضل بن يحيى - بعد أن عاد من خراسان - هل سمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا والله، ولقد جهدت فما ذكر لي أحد منهم، إلا أنى سمعت رجلا إلخ.. "

(٢) أعيان الشيعة، طبعه ثلثه، ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦١، والبحار ج ٤٩ ص ١٦٦.

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٠، ويلاحظ هنا: أن الإنسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. وقول الرشيد هذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، ويبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) تاريخ الشيعة ص ٨٩، وأمالى الشيخ. طبع النجف ص ٣٣٠، والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٧ وشرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٩، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩، وتاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار ص ١٩٧، ١٩٨، نقلا عن:

نزهة أهل الحرمين ص ١٦، والبحار ج ١٠ ص ٢٩٧، وتظلم الزهراء ص ٢١٨، ومجالى اللطف ص ٣٩، وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٤، وتسليمة المجالس، لمحمد بن أبي طالب، وغير ذلك (... ٩٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٢)، مدينة الكوفة (١)، محمد بن جعفر بن محمد (١)، موسى بن عيسى (١)، القبر (١)، القتل (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (٢)، مدينة النجف الأشرف (١)، الفضل بن يحيى (١)، ابن شهر آشوب (١)، خراسان (١)، الموت (١)، الجود (١)

ولقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

" وكانهم خافوا على قبرك أن ينبشه أشياخ على، رضى الله عنه، فدفنوك فى قبر الإمام العلوى، لتأمن فيه النبش والمهانة بعد الممات.

فمن عجب أن يلوذ أبناء على بملكك الطويل العريض، فيضيق بهم، وأن يبحث أتباعك عن ملاذ يحتمى به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه فى قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكتاف البلدان، من غير قرار، ولا اطمينان (١). "

يشير بذلك إلى قبر على بن موسى الرضا عليهما السلام، حيث إن الرشيد مدفون إلى جانبه، يقول محمد بن حبيب الضبى، رحمه الله مشيرا إلى ذلك:

قبران فى طوس الهدى فى واحد \* والغى فى لحد ثراه ضرام قرب الغوى من الزكى مضاعف \* لعذابه، ولأنفه الارغام ويقول دعبل رحمه الله:

قبران فى طوس خير الناس كلهم \* وقبر شرهم هذا من العبر ما ينفع الرجس من قرب الزكى وما \* على الزكى بقرب الرجس من ضرر ولقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن جعل الناس يعتقدون فيه بغض على عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن

نفسه، ويقسم على أنه يحبه، قال إسحاق الهاشمي " : كنا عند الرشيد، فقال:

بلغنى أن العامة يظنون فى بغض على بن أبى طالب. ووالله، ما أحب (١) راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار ص ١٩٩، نقلا عن: مجلة "الهلال"، عدد أكتوبر سنة ١٩٤٧ م. ص ٢٥، من مقال بعنوان " : حديث مع هارون الرشيد " للأستاذ العقاد. (٩٤) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٢)، على بن أبى طالب (١)، محمد بن حبيب (١)، الموت (١)، القبر (٣)، الظن (١)، الدفن (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، هارون الرشيد (١)، الجود (١)، الهلال (١)

أحدا حبى له، ولكن هؤلاء (يعنى العلويين) أشد الناس إلخ " (١).

ثم يلقى التبعة فى ذلك عليهم، ويقول: إنهم إلى بنى أمية أميل منهم إلى بنى العباس الخ كلامه.

بل لقد رأينا يعلن أمام أعظم العلماء عن توبته مما كان منه من أمر الطالبين ولسلهم (٢).

وذلك أمر طبيعى بعد أن كان يتتبع خطواتهم ويقتلهم " وبعد أن كانت سجون العباسيين، وخصوصا المنصور والرشيد، قد امتلأت من العلويين، وكل من يتشيع لهم " على حد تعبير أحمد أمين (٣).

وأخيرا. فقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن توهم البعض أن المأمون إنما بايع للرضا بولاية العهد، من أجل أن يمحو ما كان من أمر الرشيد فى آل على عليه السلام، كما عن البيهقى، عن الصولى (٤).

وأما المأمون:

فستأتى الإشارة إلى بعض ما فعله فى آل على فى تضاعيف الفصول الآتية إن شاء الله تعالى.

والشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:

وهكذا. يتضح لنا كيف أن العباسيين قد انقلبوا - بدافع من (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩٣.

(٢) شرح ميمية أبى فراس ص ١٢٧.

(٣) راجع: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٢، وغير ذلك. (٩٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)

خوفهم - على العلويين يوسعونهم قتلا، وعسفا وتشريدا، وأذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التى لم تكن لتخطر على قلب بشر، بهدف استئصالهم من الوجود، ومحو آثارهم، ليصفو لهم الجو، ولا يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذى يجب أن يكون لهم وحدهم. أو بالأحرى حتى لا يبقى من من شأنه ذلك. حتى لقد نسى الناس فعال بنى أمية معهم، عندما رأوا فعال بنى العباس بهم. وحتى لقد رأينا أحد شعراء ذلك الوقت يقول:

تالله ما فعلت أمية فيهم \* معشار ما فعلت بنو العباس (١) وقال آخر - وهو أبو عطاء، أفلح بن يسار الندى، المتوفى سنة ١٨٠ هـ. وهو من مخضرمى الدولتين: الأموية والعباسية: قال فى زمن السفاح.

يا ليت جور بنى مروان دام لنا \* وليت عدل بنى العباس فى النار (٢) وقال منصور بن الزبيرقان النمري، المتوفى فى خلافة الرشيد:

آل النبى ومن يحبهم \* يتطامنون مخافة القتل أمن النصارى واليهود هم \* من أمة التوحيد فى أزل (٣).

وقد أنشد الرشيد هذين البيتين بعد موت منصور هذا، فقال الرشيد، بعد أن أرسل إليه من يقتله، فوجده قد مات " : لقد هممت أن أنبش (١) شرح ميمية أبى فراس ص ١١٩.

(٢) المحاسن والمساوى ص ٢٤٦، والشعر والشعراء ص ٤٨٤، ونظريه الإمامة ص ٣٨٢، والمهدية فى الإسلام ص ٥٥، وطبيعة الدعوة



العباسية ص ٢٧٢.

(٣) الأزل: الضيق والشدة. (٩٦) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، بنو عباس (٣)، بنو أمية (١)، الموت (١)، القتل (١)، العذاب، العذب (١)، النسيان (١)، الوفاة (١)

عظامه فأحرقها (١.. " ) بل في رسالة الخوارزمي، الآتي شطر منها:  
أن قبره قد نبش بالفعل.

ويقول أبو حنيفة أو الطغرائي على اختلاف النسبة في جملة أبيات له:

ومتى تولى آل أحمد مسلم \* قتلوه أو وسموه بالإلحاد ويقول إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، يذكر العلويين، الذين قتلهم المنصور،  
ويقال: إن القائل هو غالب الهمداني.

أصبح آل الرسول أحمد في \* الناس كذى عرة به جرب ويقول دعبل بن علي الخزاعي في رثاء الرضا، وهو شعر معروف، ومشهور،  
وقد أنشده للمأمون نفسه:

وليس حتى من الأحياء نعلمه \* من ذى يمان، ولا- بكر، ولا- مضر إلا- وهم شركاء في دمائهم \* كما تشارك أيسار على جزر قتلا،  
وأسرا، وتحريقا، ومنهبة \* فعل الغزاة بأهل الروم والخزر أرى أمية معذورين إن فعلوا \* ولا أرى لبنى العباس من عذر أما أبو فراس  
الحمداني فيقول: (١) زهر الآداب هامش ج ٢ من المستطرف ص ٢٤٦ والشعر والشعراء ص ٥٤٧، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة،  
المجلد الأول جزء ١ ص ٢٥٤، وطبقات الشعراء ص ٢٤٦، وفيه في ص ٢٤٤: أن الرشيد بعد سماعه لمذائح النمري في أهل البيت، أمر  
أبا عصمة الشيعي بأن يخرج من ساعته إلى الرقة، ليسل لسان منصور من قفاه، ويقطع يده. ورجله. ثم يضرب عنقه، ويحمل إليه رأسه،  
بعد أن يصلب بدنه، فخرج أبو عصمة لذلك، فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمري، فرجع إلى الرشيد فأعلمه، فقال له الرشيد "  
ويلي عليك يا بن الفاعلة، فألا إذا صادفته ميتا فأحرقته بالنار!." (٩٧) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، أبو فراس  
الحمداني (١)، بنو عباس (١)، دعبل بن علي (١)، الخوارزمي (١)، القبر (١)، الصدق (١)، الضرب (١)

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت \* تلك الجرائر إلا- دون نيلكم (١) ويقول علي بن العباس. الشاعر المعروف بابن الرومي، مولى  
المعتصم من قصيدة له:

بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم \* لبلواكم عما قليل مفرج أكل أو ان للنبي محمد \* قتيل زكى بالدماء مخرج إلى أن قال:  
أفى الحق أن يمساو خماسا وأنتم \* يكاد أخوكم بطنه يتبعج وتمشون مختالين فى حجراتكم \* ثقال الخطى اكفالكم تترجرج وليدهم  
بأدى الطوى ووليدكم \* من الريف ريان العظام خدلج ولم تقنعوا حتى استتارت قبورهم \* كلابكم فيها بهيم وديزج والقصيدة طويلة  
جدا، من أرادها فليراجعها.

نصوص أخرى:

يقول فان فلوتن.. " : ولا غرو، فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا فى عهد الأولين من خلفاء بنى العباس.. (٢).

ويقول الخضرى. " : فكان نصيب آل على فى خلافة بنى هاشم، أشد وأقسى مما لاقوه فى عهد خصومهم من بنى أمية، فقتلوا، وشردوا  
كل مشرد، وخصوصا فى زمن المنصور، والرشيد، والمتوكل من بنى العباس. وكان اتهام شخص فى هذه الدولة بالميل إلى واحد من  
(١) سوف نورد قصيدة أبى فراس، وهى المعروفة ب " الشافية " وكذلك شطرا من قصيدة دعبل، فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله  
تعالى.

(٢) السيادة العربية والشيعنة والإسرائيليات ص ١٣٣. (٩٨) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، بنو أمية (١)، على بن العباس (١)، بنو  
هاشم (١)، القبر (١)، الحرب (١)، الأكل (١)

بنى على كافيلا لإتلاف نفسه، ومصادرة ماله. وقد حصل فعلا لبعض الوزراء، وغيرهم الخ (١). "

ولما دخل إبراهيم بن هرمه، المعاصر للمنصور المدينة، أتاه رجل من العلويين، فسلم عليه، فقال له إبراهيم: "تنح عني، لا تشط بدمي."  
(٢٠).

بل يظهر من قضية أخرى لابن هرمه أن العباسيين كانوا يعاقبون حتى على حب أهل البيت عليهم السلام في زمن الأمويين، فإنه -  
أعنى ابن هرمه - عندما سئل في عهد المنصور عن قوله في عهد الأمويين:  
ومهما ألام على جبههم \* فإني أحب بني فاطمة أجاب "من عض ببطر أمه."  
فقال له ابنه: ألسنت قائلها؟!  
قال: بلى.

قال: فلم تشتم نفسك؟!

قال: "أليس يعرض الرجل ببطن أمه خير له من أن يأخذه ابن قحطبة (٣٠.؟) بل إن الجلودي الذي أمره الرشيد بالإغارة على دور آل  
أبي طالب - كما قدما - قد قال للمأمون، عندما جعل ولاية العهد للرضا: (١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ١٦١.  
(٢) تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٢٩، وحياء الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٨٤.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠، ٢١، والأغانى ج ٤ ص ١١٠، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٦٩، نقلا- عن تنبيه البكري،  
وملحقات إحقاق الحق ج ٩ ص ٦٩٠ نقلا عن الحضرمي في رشفة الصادي ص ٥٦ طبع القاهرة. (٩٩) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت  
النبي صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (٢)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، موسى بن جعفر (١)  
"أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذي جعله الله لكم، وخصكم به، وتجعله في أيدي أعدائكم، ومن كان آباؤك  
يقتلونهم، ويشردونهم في البلاد (١.. ١).

وأمر الرشيد عامله على المدينة: بأن يضمن العلويين بعضهم بعضا (٢.. ٢) وكانوا يعرضون على السلطات، فمن غاب منهم عوقب!  
والمأمون أيضا يعترف:

وجاء في كتاب المأمون، الذي أرسله إلى العباسيين، بعد ما ذكر حسن سياسة الإمام على عليه السلام مع ولد العباس ما يلي:  
"حتى قضى الله بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيقتنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم، ويحكم، إن بني أمية قتلوا من سل سيفنا،  
وإننا معشر بني العباس قتلناهم جملا.. فلتسألن أعظم الهاشمية بأى ذنب قتلت، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت  
ببغداد، والكوفة أحياء الخ." وسنورد الرواية، ونذكر مصادرها في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله.  
جانب من رسالة الخوارزمي لأهل نيشابور:

وحسب القارئ أن يرجع إلى مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني، (١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٦٦، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص  
٢٦٧.

(٢) لقد كان ذلك قبل الرشيد أيضا فراجع تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢١٥، فإنه قال:

.. "وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضا، ويعرضون، فغاب إلخ."

ثم يسوق واقعة فخر المشهورة، وبعض أسبابها.. ولا- بأس بمراجعة الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٥ وغيره (١٠٠...) صفحهمفاتيح  
البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج  
الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، مدينة الكوفة (١)، نهر الفرات (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (٢)، الخوارزمي (١)، القتل (٢)، كتاب عيون  
أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)، كتاب بحار الأنوار (١)

مع أنه لم يستوف كل شيء، وإنما اكتفى بذكر بعض منهم، وكذلك إلى ما ذكره ابن الساعي في مختصر أخبار الخلفاء ص ٢٦،  
وغيرها.

وغير ذلك من كتب التاريخ والرواية، ليعلم مقدار الظلم والعسف الذي حاق بأبناء علي، وشيعتهم في تلك الحقبة من الزمن. وحسبنا هنا بعد كل الذي قدمناه، أن نذكر فقرات من رسالة أبي بكر الخوارزمي، التي أرسلها إلى أهل نيشابور، يقول أبو بكر، بعد أن ذكر كثيرا من الطالبين، الذين قتلهم الأمويون، والعباسيون - ومنهم الرضا الذي تسمم بيد المأمون -:

"فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم العظيم، غضب الله عليهم، وانتزع الملك منهم، فبعث عليهم "أبا مجرم" لا-أبا مسلم، فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابه العلوية، وإلى لين العباسية، فترك تقاه، واتبع هواه، وباع آخرته بدينياه، بقتله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وسلط طواغيت خراسان، وأكراد إصفهان.

وخوارج سجستان على آل أبي طالب، يقتلهم تحت كل حجر ومدبر، ويطلبهم في كل سهل وجبل، حتى سلط عليه أحب الناس إليه، فقتله كما قتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه: أن أسخط الله برضاه، وأن ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقي (١) الدنيا، فخطب فيها عسفا، وتقضى فيها جورا وحيفا. وقد امتلأت سجونته بأهل بيت الرسالة، ومعدن الطيب والطهارة، قد تتبع غائبهم، وتلقط حاضرهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى بالسند، على يد عمر بن هشام الثعلبي، فما ظنك بمن قرب متناولته عليه، ولأن مسه على يديه. (١) في مجمع الفوائد": وخت إلى الدوانيقي "ولعله هو الصواب. (١٠١) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة إصفهان (١)، عبد الله بن معاوية بن عبد الله (١)، عبد الله بن محمد بن عبد الله (١)، الخوارزمي (١)، خراسان (١)، الخوارج (١)، الثعلبي (١)، الظلم (١)، القتل (٤)، الغصب (١)

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن (١) بن علي بفتح من موسى، وما اتفق على علي بن الأفظس الحسيني من هارون، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي، وعلى القاسم بن علي الحسيني من حبسه، وعلى غسان بن حاضر الخزاعي، حين أخذ من قبله، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة. وأنتم أصلحكم الله، أعظم نصيبا في الدين من الأعمش، فقد شتموه، ومن شريك، فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم، فقد أخافوه، ومن علي بن يقطين، فقد اتهموه."

إلى أن يقول: بعد كلام له عن بني أمية:

.. "وقل في بني العباس، فإنك ستجد بحمد الله مقالا، وجعل في عجائبهم، فإنك ترى ما شئت مجالا.

يجب فيؤهم، فيفرق على الديلمي، والتركي، ويحتمل إلى المغربي، والفرغاني. ويموت إمام من أئمة الهدى، وسيد من سادات بيت المصطفى، فلا- تتبع جنازته، ولا- تجصص مقبرته، ويموت (ضراط) لهم، أو لا-عب أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاء، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاء..

ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا، أو سوسفطائيا، ولا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا ومانويا، ويقتلون من عرفوه شيعيا، ويسفكون دم من سمى ابنه عليا.

ولو لم يقتل من شيعه أهل البيت غير المعلى بن خنيس، قتيل داوود (١) الظاهر أن الصحيح هو "الحسين" كما في مجمع الفوائد. (١٠٢) صفحهمفاتيح البحث: شيعه أهل البيت عليهم السلام (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، القاسم بن علي (١)، المعلى بن خنيس (١)، هشام بن الحكم (١)، علي بن يقطين (١)، علي الزيدي (١)، القتل (٢)، الموت (١)، الشراكة، المشاركة (١)، الجنابة (١)

ابن علي، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي، لكان ذلك جرحا لا يبرأ، واثرة لا تطفأ، وصدعا لا يلتئم، وجرحا لا يلتئم. وكفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعارا يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام، ويعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم.

ودونت أخبارهم، ورواها الرواة، مثل: الواقدي، ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي، والشرقي ابن القطامي، والهيثم بن عدى، ودأب

بن الكنانى، وأن بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى، بل ذكر معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى، وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدى، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى، وكما دمر على دعبل بن على الخزاعى. مع رفقتهم من مروان بن أبى حفصة اليمامى، ومن على بن الجهم الشامى. ليس إلا لغولهما فى النصب، واستيجابهما مقت الرب، حتى إن هارون بن الخيزران، وجعفر المتوكل على الشيطان، لا- على الرحمان، كانا لا يعطيان مالا- ولا- يبذلان نوالا- إلا- لمن شتم آل أبى طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل: عبد الله ابن مصعب الزبيرى، ووهب بن وهب البخترى، ومن الشعراء مثل:

مروان بن أبى حفصة الأموى، ومن الأدباء مثل: عبد الملك بن قريب الأصمعى. فأما فى أيام جعفر فمثل: بكار بن عبد الله الزبيرى، وأبى السمط ابن أبى الجون الأموى، وابن أبى الشوارب العبشمى". وبعد كلام له عن بنى أمية أيضا قال:

"وما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤوسهم بالحق، وإن كرهوه، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون: (١٠٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، الكميت بن زيد الاسدى (١)، بكار بن عبد الله (١)، عبد الله بن عمار (١)، الهيثم بن عدى (١)، بنو أمية (١)، وهب بن وهب (١)، وهب بن منبه (١)، دعبل بن على (١)، القبر (١)، القتل (١)، الجهل (١)، الوصية (١)

آل النبى ومن يحبهم \* يتطامنون مخافة القتل أمن النصارى واليهود وهم \* من أمه التوحيد فى أزل وقال دعبل، وهو صنيعه بنى العباس وشاعرهم:

ألم تر أنى مذثمانين حجج \* أروح، وأغدو دائم الحسرات أرى فيئهم فى غيرهم متقسما \* وأيديهم من فيئهم صفرات وقال على بن العباس الرومى، وهو مولى المعتصم:

تأليت أن لا- يبرح المرء منكم \* يشل على حر الجبين فيعفج كذاك بنى العباس تصبر منكم \* ويصبر للسيف الكمى المدجج (١) لكل أوان للنبى محمد \* قتيل زكى بالدماء مضرج (٢) وقال إبراهيم بن العباس الصولى - وهو كاتب القوم وعاملهم - فى الرضا لما قرب به المأمون:

يمن عليكم بأموالكم \* وتعطون من مئة واحدا وكيف لا يتنقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا ويملاؤون ديار الترك والديلم فضة وذهبا، يستنصرون المغربى والفرغانى، ويجفون المهاجرى والأنصارى، ويولون أنباط السواد وزارتهم، وتلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم، وفى جدهم.

يشتهى العلوى الأكلة، فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف إلى ابن أبى مريم المدينى، وإلى إبراهيم الموصلى، وابن جامع السهمى، وإلى زلز الضارب، وبرصوما الزامر، وأقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل (١) فى مقاتل الطالبين": لذاك بنى العباس يصبر مثلكم ويصبر للموت."

(٢) فى مقاتل الطالبين": أكل أوان. (١٠٤) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٣)، على بن العباس (١)، القتل (١)، الحج (١)، الصبر (٢)، الضرب (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهانى (٢)، الموت (١)، الأكل (١) بلد، وجارى بغا التركى، والافشين الأشروسنى كفاية أمه ذات عدد.

والمتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية، أو سندية. وصفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاغنة، وعلى موائد المخاتنة، وعلى طعمة الكلابيين، ورسوم القرادين، وعلى مخارق وعلوية المغنى، زرزر، وعمر بن بانه المهلبى، ويبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربة، ويصارفونه على دائق وحب، ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفى برزق عسكر.

والقوم الذين أحل لهم الخمس، وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكفون ضرا، ويهلكون فقرا، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئة بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب إلا أن جده النبي، وأبوه الوصي، وأمه فاطمة، وجدته خديجة، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن. وحقوقه مصروفة إلى القهرمانه والمضطرة وإلى المغمزة، إلى المزررة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، والقردة، وعلى رؤوس اللعبة واللعبة، وعلى مريه الرحلة.

وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، وأجروا لعبادة وذويه الجرايات، وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زواره إلى البلدان، وما أصف من قوم هم: نطف السكارى في أرحام القيان؟ وماذا يقال في أهل بيت منهم نبع البغا، وفيهم راح التخيث وغدا، وبهم عرف اللواط؟! كان إبراهيم بن المهدي مغنيا، وكان المتوكل مؤثنا موضعا، وكان المعتر مخنثا، وكان ابن زبيدة معتوها مفركا، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر أباه، وسم موسى بن المهدي أمه، وسم المعتضد عمه. ولقد كان في بني أمية مخازى تذكر، ومعائب تؤثر. ("١٠٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، بنو أمية (١)، القرآن الكريم (١)، اللواط (١)، القتل (٢)، الخمس (١)، التصدق (١)، الوصية (١)

وبعد أن عدد بعض مخازى بني أمية، ومعائبهم قال:

.. "وهذه المثالب مع عظمتها وكثرتها، ومع قبحها وشنعها، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين.. إلى آخر ما قال (".. ١).

هذا جانب من رسالة الخوارزمي، وقد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكنني رأيت أن المجال لا يتسع لذلك. وعلى كل فإن:

ذلك كله غيظ من فيض. ولعل فيما ذكرناه كفاية.. (١) راجع: رسائل الخوارزمي طبع القسطنطينية سنة ١٢٩٧ من ص ١٣٠، إلى ص ١٤٠، ونقل شطرا كبيرا منها: سعد محمد حسن في كتابه: المهدية في الإسلام ابتداء من ص ٥٨ وذكر شطرا منها أيضا الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٧ فما بعدها، فراجع. وهي موجودة بتمامها في مجموعة خطية من تأليف سيدي الوالد أيده الله، سماها: "مجمع الفوائد، ومجمل العوائد" ابتداء من ص ٤٥.. (١٠٦) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، الخوارزمي (٢)، الجنابة (١)

## سياسة العباسيين مع الرعية

سياسة العباسيين مع الرعية نظرة عامة:

لا نريد في هذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائح، التي كان العباسيون يمارسونها، فإن ذلك مما لا يمكن الالمام به واستقصاؤه في هذه العجالة.

وإنما نريد فقط أن نعطي لمحة سريعة عن سيرتهم السيئة في الناس، ومدى اضطهادهم وظلمهم لهم، وجورهم عليهم، الأمر الذي أسهم إسهاما كبيرا في كشف حقيقتهم، وبيان واقعهم أمام الملأ.. حتى لقد قال الشعراء في وصف الحالة العامة في زمن خلفائهم الشئ الكثير، فمن ذلك قول سليم العدوي في الثورة على الوضع القائم:

حتى متى لا نرى عدلا نسر به \* ولا نرى لولاة الحق أعوانا مستمسكين بحق قائمين به \* إذا تلون أهل الجور ألوانا يا للرجال لداء لا دواء له \* وقائد ذى عمى يقتاد عميانا (١) وقال سديف: (١) المستطرف ج ١ ص ٩٧، وطبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٢، وضحى الإسلام ج ٢ ص ٣٧.

صفحه (١٠٧)

إننا لنأمل أن تترد ألفتنا \* بعد التباعد والشحناء والإحن وتنفضى دوله أحكام قادتها \* فينا كأحكام قوم عابدى وثن فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن: يدفنه حيا، ففعل (١).

وقد ذكر أبو الفرج أبياتا كثيرة بالإضافة إلى هذين البيتين، ونسبها يحيى بن عبد الله بن الحسن، بحضرة الرشيد، إلى عبد الله بن مصعب الزبيري، ومن جملتها قوله:

فطالما قد بروا في الجور أعظمتنا \* برى الصناعات قدام النبع بالسفن (٢) وقال آخر، وهو أحمد بن أبي نعيم، الذي نفاه المأمون بسبب هذا البيت إلى السند:

ما أحسب الجور ينقضى وعلى \* الناس أمير من آل عباس (٣) وقد تقدم قول أبي عطاء السندی، المتوفى سنة ١٨٠ هـ:

يا ليت جور بني مروان دام لنا \* وليت عدل بني العباس في النار وقال الدكتور أحمد محمود صبحي: "لكن ذلك المثل الأعلى للعدالة، والمساواة الذي انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح وهما من الأوهام، فشراسة المنصور والرشيد، وجشعهم، وجور أولاد علي بن (١) راجع: العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ٧٥، ٧٦، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٥ ص ٨٧، وهامش طبقات الشعراء ص ٤١، (٢) مقاتل الطالبين ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٣) راجع: وفيات الأعيان: ترجمة يحيى بن أكثم، ومروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٥، وضحي الإسلام ج ٢ ص ٣٨، ونهاية الإرب ج ٨ ص ١٧٥، وطبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، وطبقات الشعراء ص ٣٧٨، لكنه نسب لابن أبي خالد، لكن في العقد الفريد ج ٦ ص ٤١٨، قد نسب يحيى بن أكثم هذا البيت إلى دعبل.

وفيه: أنه هو الذي نفى إلى السند. (١٠٨) صفحهمفاتيح البحث: الحافظ أبو نعيم (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، بنو عباس (١)، عبد الصمد بن علي (١)، عبد الله بن مصعب (١)، الفرج (١)، الوفاة (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، يحيى بن أكثم (٢)

عيسى، وعبثهم بأموال المسلمين، يذكرون بالحجاج، وهشام، ويوسف ابن عمرو الثقفي، وعم الاستياء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد الله، المعروف بـ "السفاح" وكذلك المنصور بالإسراف في سفك الدماء، على نحو لم يعرف من قبل (١)."

ويقول صاحب إمبراطورية العرب.. "إنه بالرغم من أن جيش خراسان هو الذي أوصل العباسيين إلى الملك، فإن الفتن في خراسان ظلت قائمة في عهد العباسيين، كما كانت في عهد الأمويين. وكان الشعار الذي رفعه الخراسانيون الآن "أنهم هم الذين أوصلوا آل البيت "إلى الحكم، لإقامة عهد من الرحمة والعدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغيان، المتعطش إلى سفك الدماء.. إلى أن يقول:

لكن الشيء الذي لا ريب فيه: هو أن الأحلام بإقامة عهد السلام والعدل، التي كانت السبب في الثورة العامة ضد الأمويين قد تبخرت الآن، ولو لم يكن العباسيون أسوأ حالا من الأمويين، فإنهم لم يكونوا - على أي حال - خيرا منهم (٢). "وقريب منه كلام غيره (٣) وستأتي في فصل: آمال المأمون إلخ. عبارة فان فلوتن الهامة، والقيمة عن الحكم العباسي، وسياساته مع الرعية. فانتظر.

ولعل قصيدة أبي العتاهية، التي مطلعها:

من مبلغ عنى الإمام \* نصائحا متواليه (١) نظرية الإمامة ص ٣٨١، لكن كنية السفاح هي "أبو العباس" لا أبو عبد الله و عبد الله هو: اسمه، واسم المنصور أيضا، الذي كان أكبر من السفاح.

(٢) إمبراطورية العرب ص ٤٥٢.

(٣) راجع: حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٦٢ عن كتاب "النكبات" للريحاني، وضحي الإسلام ج ١ ص ١٢٧ حتى ١٣١. (١٠٩)

صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (٣)، العدل الإلهي (١)، أبو عبد الله (٢)، خراسان (٢)، السب (١)، موسى بن جعفر (١)

تعبير تعبيراً صادقا عن الحالة العامة، التي كانت سائدة آنذاك، وهي معروفة ومشهورة ومذكورة في ديوانه ص ٣٠٤. وهي بحق من الوثائق الهامة. المعبرة عن واقع الحياة في تلك الفترة من الزمن.

مع موقف الخلفاء بالتفصيل:

وبعد هذا. وإذا ما أردنا أن نقف عند بعض جبايات وجرائم كل واحد منهم فإننا نقول:

أما السفاح:

الذي أظهر نفسه في صورة مهدي (١).

فهو الذي يقول عنه المؤرخون: إنه "كان سريعا إلى سفك الدماء، فاتبعه عماله في ذلك، في المشرق والمغرب، واستنوا بسيرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، وصالح بن علي بمصر، وخازم بن خزيمة، وحמיד بن قحطبة، وغيرهم (٢)."

حتى لقد خرج عليه شريك بن شيخ المهري، الذي كان - علي ما يظهر - من دعاء العباسيين - خرج عليه - ببخارا، في أكثر من ثلاثين ألفا، فقال "ما علي هذا بايعنا آل محمد، تسفك الدماء، (١) البداية والنهاية ج ١ ص ٦٩ والتنبيه والإشراف ص ٢٩٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٢٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٩.

ومشاكله الناس لزمانهم لليعقوبي ص ٢٢، وليراجع إمبراطورية العرب ص ٤٣٥. (١١٠) صفحهمفاتح البحث: محمد بن الأشعث (١)، صالح بن علي (١)، الشراكة، المشاركة (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)

ويعمل بغير الحق (١). فوجه إليه السفاح أبا مسلم، فقتله، ومن معه..

وقضية عامل السفاح - وهو أخوه، وقيل: ابن أخيه، يحيى - مع أهل الموصل، حيث ذبح الآلاف الكثيرة منهم في المسجد. هذه القضية معروفة ومشهورة.

وينص المؤرخون، على أنه: لم يبق من أهل الموصل على كثرتهم إلا أربع مئة إنسان، صدموا الجند، فأفروا لهم. كما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثة أيام يقتلون النساء، لأنه سمع أنهن يبكين رجالهن. وينص المؤرخون أيضا: على أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلك المذبحة، ولم يسمع لهم بعدها صوت، ولا قامت لهم قائمة (٢).

وعندما سألت السفاح زوجته أم سلمة، بنت يعقوب بن سلمة:

"لأي شيء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف؟! قال لها:

وحياتك ما أدري (١٣)."

وقد تقدمت عبارة الدكتور أحمد محمود صبحي عن السفاح والمنصور معا عن قريب. (١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤٢، والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٩، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥٤ طبع صادر، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٥٦، وتاريخ التمدن الإسلامي ج ٢ ص ٤٠٢، وغيرهم.. وفي كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٣٠ قال: إنه "لذلك نقل ولائه للعلويين، وثار ببخارا، وانضم إليه أنصار العلويين في خراسان، وكذلك ولاية العباسيين على بخارا، وبرزم، وكانت حركته شعبية.

وجابه أبو مسلم صعوبات كبيرة في القضاء عليها .. انتهى.

(٢) راجع تفاصيل هذه القضية في: النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٤٨، ٤٩، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢، حوادث سنة ١٣٢، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٧، وغاية المرام للموصل ص ١١٥، وتاريخ يعقوبي، طبع صادر ج ٢ ص ٣٥٧، وشرح ميمية أبي فراس ص ٢١٦.

(٣) النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٤٩، وغير ذلك. (١١١) صفحهمفاتح البحث: السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (١)، الزوجة (١)، القتل (١)، السجود (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن الأثير (١)، خراسان (١)

وأما المنصور:

الذي أظهر نفسه في صورة مهدي كما يظهر من قول أبي دلامة مخاطبا أبا مسلم الذي قتله المنصور:

أبا مجرم ما غير الله نعمه \* على عبده حتى يغيرها العبد أفي دولة المهدي حاولت غدره \* ألا إن أهل الغدر آباءك الكرد (١) والذي

قتل خلقا كثيرا حتى استقام له الأمر (٢).

فأمره في الظلم والجور وانتهاك الحرمات أشهر من أن يذكر، حتى لقد أنكر عليه ذلك.. " : رجل من أعظم الدعاة قدرا، وأعظمهم غناء، وهو أبو الجهم بن عطية، مولى باهلة. وهو الذي أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة، حفص بن سليمان الخلال، وحرسه، وقام بأمره حتى بويع بالخلافة، فكان أبو العباس يعرف له ذلك. وكان أبو مسلم يثق به، ويكاتبه. فلما استخلف أبو جعفر المنصور، وجار في أحكامه، قال أبو الجهم:

ما على هذا بايعناهم، إنما بايعناهم على العدل، فأسرها أبو جعفر في نفسه، ودعاه ذات يوم. فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق اللوز، فلما وقعت في جوفه هاج به وجع، فتوهم: أنه قد سم، فوثب، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟! فقال: إلى حيث أرسلتني، ومات بعد يوم أو يومين فقال: (١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٥٨. ويحتمل أن يقصد بالمهدى هنا: السفاح.

(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٩، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢٤. (١١٢) صفحهمفاتيح البحث: حفص بن سليمان (١)، الظلم (١)، القتل (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١) احذر سويق اللوز لا تشربنه \* فإن سويق اللوز أردى أبا الجهم (١).

وأنكر عليه ذلك أيضا - بالإضافة إلى عمه كما تقدم - جماعة من قواده، فقاموا عليه، ودعوا الناس إلى موالة أهل البيت، فحاربهم عبد الرحمان الأزدي سنة ١٤٠ هـ. فقتل طائفة منهم، وحبس آخرين (٢).

وقال الطبري في حوادث سنة ١٤٠ هـ. أيضا. " : وفيها ولي أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، وذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب، منهم:

مجاشع بن حريث الأنصاري، وأبو المغيرة، مولى لبني تميم، واسمه خالد ابن كثير، وهو صاحب قوهستان، والحريش بن محمد الذهلي، ابن عم داوود، فقتلهم وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبي، ومعبد بن الخليل المزني، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان (٣).

ولعل من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المنصور كان يعاشر الراوندية القائلين بألوهيته، ولا ينههم ولا يردعهم عن مقاتلتهم تلك، وعندما سأله أحد المسلمين عن ذلك قال له - علي ما في تاريخ الطبري -:

"لأن يكونوا في معصية الله وطاعتنا، أحب إلى من أن يكونوا في طاعة الله ومعصيتنا."

ولكنه عندما ثاروا عليه في الهاشمية، وضع فيهم السيف وقتلهم، ولكن لا لأجل مقاتلتهم الشنيعة تلك، وإنما لأجل عدم طاعتهم له!.

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٥٢، وليراجع: الوزراء والكتاب ص ١٣٦ - ١٣٧ وفيه: أن أبا الجهم كان وزيرا للسفاح.

(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٧٥.

(٣) الطبري، طبع ليدن ج ١٠ ص ١٢٨. (١١٣) صفحهمفاتيح البحث: علي بن أبي طالب (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، أبو المغيرة

(١)، عبد الرحمان (١)، خراسان (٢)، القتل (٢)، كتاب البداية والنهاية (١)

هذا.. وعندما قال لعبد الرحمان الإفريقي، رفيق صباه:

"كيف رأيت سلطاني من سلطان بني أمية.؟"

أجابه عبد الرحمان " : ما رأيت في سلطانهم شيئا من الجور إلا رأيت في سلطانك (١) .. (١).

وعندما قدم عليه عبد الرحمان هذا من إفريقيا، ودخل عليه، بعد أن بقى ببابه شهرا، لا يستطيع الوصول إليه، قال له عبد الرحمان:

"ظهر الجور ببلادنا، فجنث لأعلمك، فإذا الجوز يخرج من دارك. ورأيت أعمالا سيئة، وظلما فاشيا، ظننته لبعده البلاد منك، فجعلت

كلما دنوت منك كان الأمر أعظم."



فغضب المنصور. وأمر بإخراجه (٢).

وقال لابن أبي ذؤيب "أى الرجال أنا؟"

فأجابته "أنت والله عندى شر الرجال، استأثرت بمال الله، ورسوله، وسهم ذوى القربى، واليتامى. والمساكين، وأهلكت الضعيف، وأتعبت القوى، وأمسكت أموالهم. (٣). وحج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب، فقال: نشدتك الله، أأست عمل بالحق؟ أليس ترانى أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذ نشدتنى بالله فأقول: اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك لتستعمل الظلمة، وتترك أهل الخير (٤). (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٨، وغيره.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢١٥، والإمام الصادق، والمذاهب الأربعة المجلد الأول جزء ٢ ص ٤٧٩.

(٣) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٥.

(٤) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٧٥. (١١٤) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (١)، عبد الرحمان (٤)، الحج (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، الصدق (١)

وعندما كان يطوف بالبيت سمع أعرابيا يقول "اللهم إنى أشكو إليك ظهور الفساد، وما يحول بين الحق وأهله، من الطمع،". فطلبه المنصور، فأتى به، فاستمع المنصور منه إلى شرح واف عن الظلم، والجور، والفساد، الذى كان فاشيا آنذاك، وهى قصة طويلة لا مجال لذكرها، وعلى مريرها المراجعة إلى مظانها (١).

ولأبأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبيد، فى موعظته الطويلة له، ومن جملتها. "إن وراء بابك نيرانا تتأجج من الجور، والله، ما يحكم وراء بابك بكتاب الله، ولا بسنة نبيه إلخ (".. ٢).

وقد لقي أعرابيا بالشام، فقال له المنصور "إحمد الله يا أعرابى، الذى دفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت."

فأجابته الأعرابى "إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون."

فسكت، ولم يزل يطلب له العلل حتى قتله (٣). (١) المحاسن والمساوى من ص ٣٣٩، إلى ص ٣٤١ والعقد الفريد للملك السعيد ص ١١٦، ١١٧، ١١٨، وحياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ١٩٠، ١٩١، طبع سنة ١٣١٩، وعيون الأخبار، لابن قتيبة ج ٢ من ص ٣٣٣، إلى ص ٣٣٦، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤، ١٠٥، طبع سنة ١٣٤٦، وضحى الإسلام ج ٢ ص ٤٠، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٢ ص ٤٨٠، نقلا عن: تاريخ ابن الساعى ص ١٩، والفتوحات الإسلامية لدحلان ج ٢ ص ٤٤٥، حتى ٤٤٨ مطبعة مصطفى محمد. والموفقيات ص ٣٩٢، ٣٩٣ (٢) مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ٣٣٦، ٣٣٧، والمحاسن والمساوى، طبع صادر ص ٣٣٨، ٣٣٩، وعيون الأخبار، لابن قتيبة باختصار ج ٢ ص ٣٣٧، ونور القبس ص ٤٤.

(٣) روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٨٦ وأساس الاقتباس، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ١٢٣، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٥، وفى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر III ص ٣٩١: أن الذى قال للمنصور ذلك هو منصور بن جعونة الكلابى: وأن قوله له هو "إن الله أعدل من أن يسلط علينا الطاعون والعباسيين معا. (".. ١١٥) صفحهمفاتيح البحث: الشام (١)، الظلم (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)، القتل (١)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، ابن عساكر (١)، دمشق (١)، الصدق (١)

وقد كتب له سديف، الذى كان من المتحمسين للدولة العباسية:

أسرفت فى قتل الرعية ظالما \* فاكف يديك أظلمها " مهديها (" ١) ويريد ب " مهديها " محمد بن عبد الله بن الحسن على ما يظهر. وقضية الرجل الهمدانى، الذى أراد عامل المنصور أن يسلبه ضيعته، فأبى عليه ذلك، فكلبه بالحديد، وسيره إلى المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا يسأل عنه أحد، هذه القضية معروفة، ومشهورة (٢).

وعندما بنى مدينة " المصصية " قد أخذ أموال الناس، حتى ما ترك عند أحد فضلا (٣) وعندما أراد أن يبنى مدينة أخرى ثار الناس

عليه ووقع القتال، لأنهم علموا أنه سوف لا يبقى عندهم فضلا أيضا.

وأما ما فعله عبد الوهاب ابن أخي المنصور في أهل فلسطين، فذلك يفوق كل وصف ويتجاوز كل بيان (٤).

بعض ما يقال عن المنصور:

وأخيرا.. فقد قال عنه البيهقي إنه: "كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدوا ما عليهم" (٥). (١) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٥ / ٨٨. ويقال: إن هذا هو سبب قتل سديف.

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٨١، ٢٨٢، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٨.

(٣) تاريخ يعقوبى ج ٣ / ١٢١.

(٤) الوزراء والكتاب ص ١٣٧، (٥) المحاسن والمساوى ص ٣٣٩. (١١٦) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)، عبد

الله بن الحسن (ع) (١)، القتل (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)

هذا.. وقد وصف اليافعى والذهبي المنصور بأنه كان: "فيه جبروت وظلم" (١).

ووصفه السيد أمير على بأنه: "كان غادرا خداعا، لا يتردد البتة في سفك الدماء.. إلى أن قال: وعلى الجملة: كان أبو جعفر سادرا في

بطشه، مستهترا في فتكه. وتعتبر معاملته لأولاد على من أسوأ صفحات التاريخ العباسى" (٢).

ولا بأس بمراجعة ما قاله الريان، مولى المنصور لجعفر بن أبي جعفر، حيث ينص على أنه قتل أهل الدنيا، ممن لا يعد ولا يحصى، وإن

فرعون لا يقاس به (٣).

وأما المهدي:

الذى اتخذ الزندقة ذريعة للفتك بالأبرياء.. فقد كفانا الجهشياري مؤونة الحديث عنه، حيث قال: إنه فى زمن المهدي هذا:

"كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، والزنابير والسنانير" (٤). وقد خرج عليه يوسف البرم بخراسان، منكرا

عليه أحواله، وسيرته، وما يتعاطاه (٥). (١) العبر للذهبي ج ١ / ٢٣٠، ومرآة الجنان لليافعى ج ١ / ٣٣٤.

(٢) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ص ١٨٤، وليراجع تاريخ التمدن الإسلامى ج ٤ / ٣٩٩. والتاريخ الإسلامى والحضارة

الإسلامية ج ٣ / ٦١.

(٣) الوزراء والكتاب ص ١٣٠.

(٤) الوزراء والكتاب ص ١٤٢.

(٥) البداية والنهاية ج ١٠ / ١٣١. (١١٧) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن أبي جعفر (١)، خراسان (١)، القتل (١)، العذاب، العذب (١)،

كتاب البداية والنهاية (١)

وأما الهادى:

فقد كان: "يتناول المسكر، ويحب اللهو والطرب، وكان ذا ظلم وجبروت" (١).

وكان "سئ الأخلاق، قاسى القلب، جبارا، يتناول المسكر، ويلعب" (٢).

وقد قال عنه الجاحظ: "كان الهادى شكس الأخلاق، صعب المرام، سئ الظن. قل من توقاه، وعرف أخلاقه إلا أغناه، وما كان شئ

أبغض إليه من ابتدائه بسؤال. وكان يأمر للمغنى بالمال الخطير الجزيل" (٣).

وقال الجهشياري: "كان فظا قاسيا، غير مأمون على وفاء بوعد" (٤).

نعم. لقد كان يأمر للمغنى بالمال الخطير - من بيت مال المسلمين - كما يقول الجاحظ.. وقد بلغ من إسرافه فى إجازة الخلاء

والمغنين، أن دفع إسحاق الموصلى لأن يقول: "لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة" (٥) وأخيرا.. فقد قال عنه

الذهبي: "قد كان جبارا ظالم النفس" (٦) إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتبعه. (١) تاريخ الخميس ج ٢ / ٣٣١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧٩، وغيره.

(٣) التاج للجاحظ ص ٨١.

(٤) الوزراء والكتاب ص ١٧٤.

(٥) الأغاني، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ٥ / ١٦٣.

(٦) العبر للذهبي ج ١ / ٢٥٨. ولا بأس بمراجعة: مشاكله الناس لزمانهم ص ٢٤. (١١٨) صفحهمفاتيح البحث: الظن (١)، الظلم (١)،

جلال الدين السيوطي الشافعي (١)

وأما الرشيد:

فسيرته تكفي عن كل بيان.. ويكفيه أنه - كما ينص المؤرخون - يشبه المنصور في كل شيء إلا في بذل المال (١)، حيث يقولون إن المنصور كان بخيلاً.

وقد تسلط - كالمصور - بعد مدة من خلافته على الأمور، فأفسد الصنائع، وأحب جمع الأموال (٢).

"وكان جباراً سفاكاً للدماء، على نمط من ملوك الشرق المستبدين" (٣).

وقد عسف عامله أهل خراسان، وقتل ملوكها، ووجوه أهلها وأشرفها وصناديدها، وأخذ أموالهم. فأرسلها إلى الرشيد، الأمر الذي كان سبباً في انتقاضها عليه (٤).

وكان يعذب الناس في الخراج، حيث: "أخذ العمال، والتناء، والدهاقين، وأصحاب الصنائع، والمتباعين للغلات، والمقبلين. وكان عليهم أموال مجتمعة، فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام. فطال بهم بصنوف من العذاب. إلى أن دخل عليه ابن عياض، فرأى الناس يعذبون في الخراج، فقال: ارفعوا عنهم، إنني سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة، فأمر بأن يرفع العذاب عن الناس، فرفع (٥.. ٥). (١) ولكن لا- في سبيل الله، وإنما على ملذاته وشهواته، وعلى المغنين والمضطرين كما في رسالة الخوارزمي المتقدمة، وكما ينص عليه أي كتاب تاريخي يتحدث عن سيرته وأفعاله.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٩٩.

(٣) هذا قول الأمير شكيب أرسلان، في تعليقه على: حاضر العالم الإسلامي، نقلها عنه:

محمد بن عقيل هامش ص ٢٠ من كتابه: العتب الجميل.. وهو من منشورات هيئة البحوث الإسلامية في إندونيسيا.

(٤) الوزراء والكتاب ص ٢٢٨.

(٥) تاريخ يعقوبى ج ٣ / ١٤٦. (١١٩) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم القيامة

(١)، عبد الله بن الهيثم (١)، خراسان (١)، القتل (١)، العذاب، العذب (١)، سبيل الله (١)، محمد بن عقيل (١)، الخوارزمي (١)

وكان قد ولي رجلاً يضرب الناس، ويحبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج (١).

وقال أبو يوسف، في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج:

"بلغنى أنه: قد يكون فى حاشية العامل، أو الوالى جماعة، منهم من له حرمة، ومنهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار ولا- صالحين، يستعين بهم. ويوجههم فى أعماله، يقتضى بذلك الذمات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، ولا- ينصفون من يعاملونه، إنما مذهبهم أخذ شئ، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم إنهم يأخذون ذلك كله - فيما بلغنى - بالعسف، والظلم، والتعدى (٢)..

وقال: وبلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج فى الشمس، ويضربونهم الضرب الشديد، ويعلقون عليهم الجرار، ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، وهذا عظيم عند الله، شنيع فى الإسلام (٣.. ٣).

وبعد. فقد كان فى قصره أربعة آلاف امرأة: من الجوارى والحظايا (٤) وكان على حد تعبير بعضهم "حريصاً على اللذات المحرمة،

وسفك (١) البداية والنهاية ج ١٠ / ١٨٤.

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ١١٦ ط سنة ١٣٩٢ هـ.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٨.

(٤) البداية والنهاية ج ١٠ / ٢٢٠، نقلا عن الطبري. وفي نفس الجزء من البداية والنهاية ص ٢٢٢ قال: "قال بعضهم: إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سرارى حسان."

وجاء في ضحى الإسلام ج ١ / ٩. أنه: "كان للرشيد زهاء ألفى جارية: من المغنيات، والخدمة في الشراب في أحسن زى، من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر،". وإذن فكيف بالسراى الذين هم أربعة آلاف، وبقية الجوارى، اللواتى يحتاج إليهن فى كثير من الشؤون. فالرقم الحقيقى أكثر من أربعة آلاف بكثير، بل لعله يزيد عما كان عند المتوكل، الذى كان يتسرى باثنى عشر ألف سرية، كما نص عليه الخوارزمى فيما تقدم، وجبور عبد النور فى كتاب الجوارى ٣٦ من سلسلة أقرأ. (١٢٠) صفحهمفاتيح البحث: الضرب (١)، كتاب البداية والنهاية (٣)، الخوارزمى (١)

الدماء، وغضب حقوق الناس، وكان ظالما لأهل البيت (ع) وكانت جوائزه خاصة لأهل اللهو، واللعب، والمغنين، والراقصات. "وستأتى عبارة فان فلوتن عنه فى فصل: آمال المأمون الخ.. فانتظر.

وحسب الرشيد. رساله سفیان، التى أرسلها إليه من غير طى، ولا ختم، والتى تلقى لنا ضوءا على جانب من سيرته وسلوكه. ولسوف نشتها - نظرا لأهميتها - مع الوثائق الهامة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. وأما الأمين.

.. "الذى رفض النساء، واشتغل بالخصيان، ووجه إلى البلدان فى طلب الملهين، واستخف حتى بوزرائه، وأهل بيته (" ١).

فقد كان: "قبيح السيرة، ضعيف الرأى، سفاكا للدماء، يركب هواه، ويهمل أمره، ويتكل فى جليلات الأمور على غيره الخ (" ٢).

ويضيف هنا القلقشندى قوله: منهمكا فى اللذات واللهو (" ٣).

ويكفيه أن كلا من العبرى، وابن الأثير الجزرى يقول عنه: إنه:

"لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره (" ٤).

ولقد كانت أيامه على الناس، أيام حروب، وويلات، وسلب (١) مآثر الإنافه ج ١ / ٢٠٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠١، ومختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، والكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ / ١٧٠، والطبرى، وغير ذلك.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٣٠٢.

(٣) مآثر الإنافه فى معالم الخلافة للقلقشندى ج ١ / ٢٠٤.

(٤) مختصر أخبار الدول ص ١٣٤، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢. (١٢١) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله

عليه وآله (١)، ابن الأثير (١)، الرفض (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)

ونهب، وما إلى ذلك، مما لا تفره شريعة، ولا يرضى به خلق كريم.

وأما المأمون:

فإنه لم يكن فى كل ما ذكرناه أفضل من أسلافه، ولا كانت أيامه بدعا من تلك الأيام. كما سنوضح ذلك فى أواخر فصل: آمال

المأمون، وظروفه فى الحكم، حيث سيتضح أن حال الرعية فى أيامه كان قد تنهى فى السوء، وبلغ الغاية فى التدهور.

وصية إبراهيم الإمام:

وبعد كل الذى قدمناه، لم يعد يخفى على أحد، كم سفك العباسيون من الدماء البريئة - عدا عما سفكوه من دماء بنى عمهم العلويين

- ونزيد هنا: أن إبراهيم الإمام أرسل إلى أبى مسلم يأمره: "بقتل كل من شك فيه، أو وقع فى نفسه شئ منه، وإن استطاع أن لا يدع

بخراسان من يتكلم بالعربية إلا قتله فليفعل، وأى غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله، وأن لا يخلى من مضر ديارا (" ١).

ولعل سر أمره له بقتل كل عربي يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلك يرضى الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدي العرب. كما أنه كان يعلم أن العرب ين استجبوا له استجابة واسعة ضد الأمويين، لأن الدولة الأموية كانت ترضى غرور العربي، وتؤكد اعتزازه بجنسه ومحتده. (١) الطبري، طبع ليدن ج ٩ / ص ١٩٧٤، و ج ١٠ / ٢٥، والكمال لابن الأثير، ج ٤ / ٢٩٥، والبداية والنهاية ج ١٠ / ٢٨، و ص ٦٤، والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١١٤، والنزاع والتخاصم للمقريزي ص ٤٥، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ٤ / ٤٧٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ / ٢٦٧، وضحى الإسلام ج ١ ص ٣٢. (١٢٢) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (٢)، خراسان (١)، القتل (٣)، الكرم، الكرامة (١)، الوسعة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التي كانت تمزق صفوفهم وتوهن قوتهم.

وأما المضربة فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالي للأمويين، واليمانية كانوا جماعة ابن الكرمانى المناهض لنصر (١).

أبو مسلم ينفذ الوصية:

وقد حرص أبو مسلم على تنفيذ وصية إبراهيم الإمام كل الحرص.

حتى لقد قتل - كما يقول الذهبي واليا فعى " - خلقا لا يحصون محاربة وصبرا، وكان حجاج زمانه (٢). "

ويقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسلم صبيرا قد بلغ " ست مئة ألف نفس " من المسلمين، من المعروفين، سوى من لم يعرف، ومن قتل فى الحروب، وتحت سنا بك الخيل (٣).

وقد اعترف المنصور نفسه بذلك، عندما عاتب أبا مسلم، ثم قتله، فكان من جملة ما عاتبه به قوله: " فأخبرنى عن ست مئة ألف من المسلمين، قتلتم صبيرا. "؟! ولم ينكر أبو مسلم ذلك، وإنما أجابه بقوله: (١) راجع: تاريخ الجنس العربى ج ٨ / ٤١٧.

(٢) العبر للذهبي ج ١ / ١٨٦، ومرآة الجنان ج ١ / ٢٨٥.

(٣) البداية والنهاية ج ١٠ / ٧٢، ووفيات الأعيان ج ١ / ٢٨١، طبع سنة ١٣١٠ هـ.

ومختصر تاريخ الدول ص ١٢١، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٤، وشرح شافية أبى فراس ص ٢١١، وغاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلى ص ١١٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ / ٢٦١، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ١ / ١٧٨، والنزاع والتخاصم للمقريزي ص ٤٦. (١٢٣) صفحهمفاتيح البحث: القتل (٣)، الوصية (٢)، النفاذ، التنفيذ (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، مدينة بغداد (١)

"لنستقيم دولتكم (١)!!"

واعترف جعفر البرمكى بذلك أيضا (٢).

وأبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمئة ألف منها أيضا فى مناسبة أخرى (٣).

وأما من قتلهم فى حروبه مع بنى أمية وقوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف وستمئة ألف (٤).

وكل ذلك غير بعيد. إذا ما عرفنا أن ثورة أبى السرايا قد كلفت جيش المأمون فقط (٢٠٠) ألف جندي، كما سيأتى. وكذلك إذا ما لاحظنا ما يذكره المؤرخون عن عدد القتلى فى الوقائع المختلفة، التى خاضها أبو مسلم.

وبعد هذا. فإننا نرى أبا مسلم نفسه يقول فى رسالته منه للمنصور:

"فوترت أهل الدنيا فى طاعتكم، وتوطئة سلطانكم (٥). " وفى رسالته أخرى منه له أيضا يقول.. " إن أخاك أمرنى أن أجرد السيف، وأخذ بالظنة، وأقتل على التهمة، ولا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمت حتم الله صونها، وسفكت دماء فرض الله حقنها، وزويت الأمر عن أهلها، ووضعت فى غير محله (٦). "

يقصد ب " أهلها: " أهل البيت (ع)، وقد أوضح ذلك فى رسالته (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٤٥، نقلا عن العيني فى: دولة بنى العباس والطلولونيين والإخشيديين ص ٣٠، فما بعدها.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ج ٢ / ٤٣٥، نقلا عن: زينه المجالس (فارسي).

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ / ١٠٢، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ / ١٠٣.

(٤) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢١٤، وليراجع صبح الأعشى ج ١ / ٤٤٥ أيضا.

(٥) البداية والنهاية ج ١٠ / ٦٩.

(٦) تاريخ بغداد ج ١ / ٢٠٨، والبداية والنهاية ج ١٠ / ١٤، ولا بأس بمراجعة ص ٦٩.

والنزاع والتخاصم ص ٥٣، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة جلد ١ ج ٢ / ٥٣٣. (١٢٤) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، بنو أمية (١)، القتل (٢)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، بنو عباس (١)، الصدق (١)

الأخرى للمنصور التي يقول فيها: أن أخاه قد استخف بالقرآن وحرفه، وأنه أوطأه في غيرهم من أهل بيتهم العشوة، بالإفك والعدوان، وأنه ظهر له بصورة مهدى.

أي أن أخا المنصور قد حرف الآيات الواردة في أهل البيت (ع) لتتطبق على العباسيين، وأنه بذلك تمكن من إغراء أبي مسلم بالعلويين، ففعل بهم ما فعل بالإفك والعدوان.. ويصرح بذلك في رسالته أخرى للمنصور، فيقول: "وأوطأت غيركم من كان فوقكم من آل رسول الله بالذل والهوان، والإثم والعدوان". ويشير بذلك إلى العلويين (١).

وعلى كل فإننا سوف لا نستغرب إذا رأينا أنه قد بلغ من ظلم أبي مسلم أنه عندما حجج: "هربت الأعراب عن المناهل، التي يمر بها ذهابا وإيابا، فلم يبق منهم أحد، لما كانوا يسمعون من سفكه للدماء" (٢).

وقال المقرئ: "وقتل (يعني أبو مسلم) زياد بن صالح، من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول: إنما بايعنا على إقامة العدل، وإحياء السنن، وهذا جائر ظالم، يسير بسيرة الجبابرة، وإنه مخالف وكان لزياد بلاء في إقامة الدولة، فلم يرع له، فغضب عيسى ابن ماهان، مولى خزاعة لقتل زياد، ودعا لحرب أبي مسلم سرا، فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته إلخ". ثم ذكر كيفية احتيال أبي مسلم وقتله إياه (٣). (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٣٣، نقلا عن كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي.. ولا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلك فيما تقدم من المراجع، وفي النزاع والتخاصم ص ٥٢، ٥٣، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة جلد ١ ج ٢ / ٥٣٣، ٥٣٤، والبداية والنهاية ج ١٠ / ٦٩، والإمامة والسياسة ج ٢ / ١٣٢، ١٣٣، وغير ذلك، (٢) النزاع والتخاصم ص ٤٦، (٣) نفس المصدر والصفحة. (١٢٥) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، زياد بن صالح (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (٣)، الحج (١)، الظلم (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، الصدق (١)

وقد قال أبو مسلم ليونس بن عاصم عندما قال له: هذا جزائي؟!

"ومن جازيناه بجزائه، وضعت سيفي فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتلته" (١).

وقال أبو مسلم أيضا: "إن أطفيت من بنى أمية جمرة، وألهمت من بنى العباس نيرانا، فإن أفرح بالإطفاء، فواحننا من الإلهاب" (٢).

وقال أبو مسلم أيضا: "إنى نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس، فكم من خارج الخ (٣). ولا مجال ثمة للشك:

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على مدى الظلم الذي كان يمارسه العباسيون مع الناس بصورة عامة، ومع العلويين، بشكل خاص.. والمتتبع للأحداث التاريخية يرى أن الأمة كانت تعيش في رعب دائم ومستمر، خصوصا وأن كل أحد كان يرى ويعلم: كيف أن الآلاف من الناس، كانوا يذبحون لأتفه الأسباب وأحقرها.

وأعود فأذكر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمي، التي تعتبر بحق الوثائق الهامة. كما اعترف به غير واحد من الباحثين.

وبعد فلا بد لنا من كلمة أخرى:

كانت تلك - كما قلنا - لمحمة خاطفة عن حالة العباسيين من الناس عامة، ومع العلويين خاصة.. ولعل من الظلم للحقيقة وللتاريخ هنا، (١) النزاع والتخاصم ص ٤٧.

(٢) المحاسن والمساوى لليهقي ص ٢٩٨، طبع صادر وشرح ميمية أبي فراس ص ٢١٤.

(٣) المحاسن والمساوى طبع مصر ج ١ / ٤٨٢، والكنى والألقاب ج ١ / ١٥٧ / ١٥٨ نقلا- عن ربيع الأبرار للزمخشري. (١٢٤) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، بنو أمية (١)، الخوارزمي (١)، القتل (١)، الظلم (٣)، الزمخشري (١) أن نمضى ولا نعطي للقارئ لمحمة عن حياتهم الخاصة، وسلوكهم الخلقى.

ولذا نرى لزاما علينا: أن نلم المامة سريعه ببعض ما يحدثنا به التاريخ فى هذا الموضوع، فنقول العباسيون فى حياتهم الخاصة: أما حياتهم الخاصة، وما كان يمر بها من رذائل وقبائح، يندى لها جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، ويقطر قلبه لها دما وألما، فتلك حدث عنها ولا حرج. وقد تقدم فى رساله الخوارزمي بعض ما يشير إلى ذلك. وحيث أن الاستقصاء فى هذا الموضوع مما تنوء به العصبه أو لولو القوة، فإننا لن نحاول التصدى لذلك، سيما وأن هذا الكتاب غير معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

ولعل الكلمه التى تجمع صفات بنى العباس الخلقية هى الكلمه التى كتبها المأمون، وهو فى مرو فى رساله منه للعباسيين، بنى أبيه فى بغداد، والتى قلنا إننا سوف نوردتها فى أواخر هذا الكتاب مع الوثائق الهامه، إن شاء الله تعالى. والمأمون: هو من أهل ذلك البيت، الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه، لأنهم عاشوا فى خضم الأحداث، وشاهدوا كل شىء، وكل القضايا عن كتب. يقول المأمون فى تلك الرساله:

.. "وليس منكم إلا-لاعب بنفسه، مأفون فى عقله، وتدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. والله، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فليل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا ودثارا، وصناعه وأخلاقا، ليس منكم إلا- من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا- (١٢٧) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، مدينه بغداد (١)، الخوارزمي (١)، المنع (١)

تأنفون، ولا- ترجعون إلا- خشية، وكيف يأنف من بيت مركوبا، ويصبح بإثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبى مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصيه أو أعانه فى فاحشه، تنظفه المخموره الخ."

فهذه القطعه تبين لنا بجلاء - كما يتبين من كثير أمثالها - كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين فى الملدات والشهوات.. وتبين لنا نظرتهم للحياه وأهدافهم منها. ولولا أن المقام يطول لأوردنا سبلا من الشواهد والدلائل على مدى استهتارهم، وانتهاكهم، للحرمت، وارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، وكذلك أقوال الخوارزمي، وغيرهما مما تقدم غير مبالغ فيها، وأن الحقيقه هى أعظم من ذلك بكثير وأن ذلك ليس إلا غيضا من فيض. وكتب التاريخ والأدب خير شاهد على ذلك، وإن حاولت بعض الأيدى الأثيمه تشويه الحقيقه، والتستر على واقعهم ذاك المزرى والمهين.

وفى نهايه المطاف:

وإذا كانت تلك هى سيره العباسيين فى حياتهم الخاصة، وتلك هى سياساتهم مع الناس ومع خصومهم، فماذا يمكن أن تكون حالة وزراءهم وقوادهم، وسائر رجال دولتهم!؟

التاريخ وحده هو الذى يتولى الإجابة على هذا السؤال.

أما نحن.. فنكتفى بهذا القدر، وننتقل إلى الحديث عن بعض نتائج سياسات العباسيين تلك.. وخصوصا ما كان منها يتعلق بالعلويين.

(١٢٨) صفحهمفاتيح البحث: الخوارزمي (١)، القتل (١)، الطواف، الطوف، الطائفه (١)

## فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين سؤال لا بد منه:

والآن. وبعد أن عرفنا موقف العلويين من العباسيين، وقدمنا لمحة من معاملتهم للرعية، التي لم تكن أحسن حالا، ولا أهدأ بالا من العلويين، سيما وأنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على الناس فئة لا تفقه للرحمة معنى، ولا تجد الشفقة إلى قلوبها أى سبيل، همها الدنيا، وغايتها الاستئثار بكل شئ، وتمتع بحماية مطلقة من قبل الخلفاء، حتى عندما كانت تعبت بأموال الناس، وحتى فى دمائهم وأعراضهم.

وكيف لا!! والخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، ولا أقل انحرفا، وبعدا عن تعاليم السماء، والخلق الإنسانى منها.

بعد أن عرفنا ذلك. وغيره مما تقدم، فإن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

ما هى نتائج وآثار سياسات العباسيين تلك؟. وهل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ وعما كانوا يرونه منهم من تميعهم، واستهتارهم بكل القيم، والفضائل الأخلاقية؟.

وهل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الأمة، بعد أن فعلوا بها، وبأهل بيت نبيها ما فعلوا؟!.

صفحة (١٢٩)

أما الجواب:

الواقع.. أن نتيجة ذلك كانت وبالا على العباسيين: " ولا يحق المكر السئ إلا بأهله. " فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة وسيرة ولاتهم مع الرعية، وكان من الطبيعى جدا أيضا: أن يثير الناس ويسؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد فى حياتهم الخاصة، وإيثارهم للذات المحرمة على كل شئ، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتجب عن الناس منهمكا بلذاته وشهوته. وقد كان الرشيد يحمد الله على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم (١)، وتركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، وكذلك كانت حال والده المهدي من قبل، وعلى ذلك جرى ولده الأمين من بعد.

وغيرهم وغيرهم ممن لا نرى ضرورة لتعداد أسمائهم. وحسبنا تلك الشواهد الكثيرة فى التاريخ، الذى قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا وتجد فيها ما لا يسر، وما لا يغبط عليه أحد.

وكان مما ساعد على إدراك الناس لحقيقة نوايا العباسيين، وواقعهم، الذى طالما جهدوا فى التستر عليه، وإخفائه، بحيث لم يعد ثمة شك فى أنهم ليسوا بأفضل من الأمويين، إن لم يكونوا أكثر منهم سوءا. هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبنى عمهم آل أبى طالب، الذين ضحوا بكل شئ فى سبيل هذا الدين، وأعطوا وبذلوا حتى أرواحهم فى سبيل هذه الأمة. والذين كانوا هم الأمل الحى لهذه الأمة المضطهدة، والمغلوبه على أمرها، التى كانت ترى فيهم كل الفضائل، والكمالات الإنسانية..

والذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين فى الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق. (١) الوزراء والكتاب ص ٢٢٥. (١٣٠) صفحهمفاتح البحث: الدولة الأموية (١)

لقد رأوهم جميعا متفقين - حتى المأمون كما سيتضح - على العداة لهم، ووجوب التخلص منهم، لكن الفرق هو أن الخلفاء الذين سبقوا المأمون كانت أساليبهم تجاههم، تتميز - عموما - بالعنف والقسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جديدا، وفريدا فى القضاء عليهم، والتخلص منهم.

ولقد كان هذا الموقف مفاجأة للأمة، وصدمة لها، ولذا فمن الطبيعى أن يتسبب فى ردود فعل عنيفة فى ضمير الأمة ووجدانها، وبخيبة أمل قاسية لها فيهم.

بل لقد كان ذلك سببا فى زيادة تعاطفها معهم، ومضاعفة احترامهم لهم - ولو بدافع إنسانى بحت - ومن هنا نلاحظ أنهم كثيرا ما



يذكرون في سبب نكبات الوزراء، والعمال، بل والعلماء أيضا - صدقا كان ذلك أو كذبا - أنه أجاز علويا، أو أطلقه من السجن، ودله على طريق النجاة، وقد ذكرت هذه المنقبة للإمام أحمد بن حنبل أيضا (١)، وأما موقف أبي حنيفة، والشافعي، وغيرهم من العلماء، فهو أشهر من أن يذكر.

ولعل الأهم من ذلك كله:

ولعل الأهم من ذلك كله أن الناس الذين كانوا يرون سلوك العباسيين مع العلويين، ومع الناس عامة، وأيضا سلوكهم اللاأخلاقي في حياتهم الخاصة.. كانوا يرون في مقابل ذلك: زهد العلويين، وورعهم، وترفعهم عن كل الموبقات والمشينات، وخصوصا الأئمة منهم عليهم السلام.

وقد جعلهم ذلك ينساقون معهم لا إراديا، حيث رأوا أنهم هم الذين يمتلكون كل المؤهلات، ويتمتعون بكافة الفضائل والمزايا، التي (١) راجع كتاب: شيخ الأئمة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزيز سيد الأهل. (١٣١) صفحهمفاتح البحث: أحمد بن حنبل (٢)، الزهد (١)، عبد العزيز (١)

تجعلهم جديرين بخلافه محمد صلى الله عليه وآله، وأهلا لقيادة الأمة، قيادة سالحة وسليمة، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يقودها من قبل.

وواضح أن تلك الخصائص، وهاتيكن المؤهلات والمميزات لأئمة أهل البيت (ع) وذلك السلوك المثالي لهم - كل ذلك - كان يغري العباسيين بمضايقتهم، وملاحقتهم أشد الاغراء، وكان أيضا يدفع الحساد للوشاية بهم. وتحريض الخلفاء على الايقاع والتنكيل فيهم.

ولهذا نرى أن الخلفاء! لم يكونوا يألون جهدا، أو يدخرون وسعا في ملاحقتهم، واضطهادهم، وسجنهم. حتى إذا تمكنوا منهم قضاوا عليهم، بالوسائل التي تضمن - بنظرهم - عدم إثارة شكوك الناس وظنونهم.

التشيع للعلويين:

وبعد كل الذي قدمناه، فإن من الطبيعي أن نرى العلويين يتمتعون بالاحترام والتقدير من مختلف الفئات والطبقات، وأن نرى ازدياد احترام الناس، وتقديرهم لهم باستمرار.. حتى لقد كان لهم في نفوسهم من عميق الحب، وصادق المودة، ما أربه العباسيين، وأرعبهم. وحتى لقد رأينا الرشيد نفسه - وهو طاغية بنى العباس بلا منازع - يشكو لعظيم البرامكة، يحيى بن خالد غمه وحيرته في أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) كان في السجن. ونرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام "المسجون" قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! (١) ولا يجب أن نستغرب شكوى الرشيد لتلك. ولا اعتراف يحيى هذا (١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٠، والبحار. (١٣٢) صفحهمفاتح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، بنو عباس (١)، يحيى بن خالد (٢)، الشيخ الطوسي (١)

بعد أن التشيع (١) يجد سبيله إلى كل قلب، وكل فؤاد، حتى وزراء العباسيين، وقوادهم، بل وحتى نساء الخلفاء أنفسهم.

فهذه أم الخليفة المهدي تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، وتجري عليه كل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد (٢).

وهذه بنت عم المأمون، التي كان لها نفوذ قوى عنده، يذكر المؤرخون أنها كانت تميل إلى الإمام الرضا (ع).

بل وحتى "زيدة"، زوجة الرشيد، وحفيده المنصور، وأعظم عباسية على الاطلاق، يقال: إنها كانت تشيع، وعندما علم الرشيد بذلك حلف أن يطلقها (٣).. ولعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بنى بويه وقبر الكاظم (ع) وذلك عندما وقعت الفتنة العظيمة بين السنة والشيعه سنة ٤٤٣ هـ (٤).

وأما وزراء العباسيين، فأمرهم أظهر من أن يحتاج إلى بيان، فإن التاريخ يحدثنا: أن العباسيين، ابتداء من السفاح، كانوا غالبا يبطشون بوزرائهم، بسبب اطلاعهم على تشيعهم، وممالاتهم للعلويين، ابتداء بأبي سلمة، فأبي مسلم، فيعقوب بن داوود. وهكذا إلى أن ينتهي

الأمر بالفضل بن سهل، وغيره من بعده، بل وحتى نكبة البرامكة يقال:

إن سبها هو تشيعهم للعلويين! حتى لقد أصبح التسمية بـ "الوزير" ("١") كلمة "التشيع" التي ترد في هذا الكتاب، لا أقصد بها غالباً - التشيع بمفهومه الأخص، والمذهب المعروف، وإنما أقصد بها مجرد الولاء والحب للعلويين، وتأيدهم ضد خصومهم، سواء أكان ذلك من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الأخرى.

(٢) الطبري ج ١١ / ٧٥٢، طبع ليدن.

(٣) ذكر ذلك الصدوق في المجالس، فراجع: رجال المامقاني، مادة "زيدة".

(٤) الكنى والألقاب ج ٢ / ٢٨٩ نقلاً عن ابن شحنة في روضة المناظر. (١٣٣) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الفضل بن سهل (١)، القبر (١)، الزوج، الزواج (١)، السب (١)، الشيخ الصدوق (١)

يعتبر شؤماً: وينفر الناس منه كل النفور، كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما عن أمرائهم وقوادهم، فالأمر فيهم أوضح وأجلى، حيث إنهم ما كانوا يرون إلا والياً أو قائداً يخرج عليهم داعياً للعلويين، أو آخر قد خلع طاعتهم، واستجاب لدعوة خصومهم آل علي، أو ثالث يخشى أن يميل إليهم، ويتعاطف معهم.. وقد بدأ قوادهم بالخروج عليهم من زمن السفاح، الذي خرج عليه ابن شيخ المهري، داعياً لآل علي، وبعد ذلك كانت ثورة القواد على المنصور داعين إلى موالاته أهل البيت، وقامت ثورة ضد المنصور، وداعية للعلويين في نفس خراسان، وذلك في سنة (١٤٠ هـ). وبعد ذلك وفي زمن المهدي العباسي قامت ثورة أخرى في خراسان تدعو إلى آل أبي طالب بقيادة صالح بن أبي حبال. وعظم شأنه جداً، ولم يمكنهم القضاء عليه إلا بإعمال الحيلة (١) وأما في زمن الرشيد، فقد ثارت الفتن بين أهل السنة والرافضة، على حد تعبير النجوم الزاهرة. الخطر الحقيقي:

وأما الذي كان يكمن فيه الخطر الحقيقي، وكان يهز الدولة، ويزعزع من أركانها. فهو ثورات العلويين أنفسهم، حتى ليقال:

إنه قد بويع لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وأخيه إبراهيم في أكثر الأمصار، وذلك في سنة ١٤٥ هـ. وبعد ذلك كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلك، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويًا تائراً، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون، حيث بلغت الحالة فيه (١) راجع: لطف التدبير ص ١٠٥. (١٣٤) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، خراسان (٢) في سوء والتدهور الغاية، وأوفت على النهاية. حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التي قامت فيما بين عهد السفاح، وأوائل عهد المأمون، وبالتحديد إلى حوالي سنة ٢٠٠ هـ أي فيما يقل عن سبعين عاماً، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الأخرى التي كانت تدعو لهم. وإلى موالاتهم.

وستأتي الإشارة إلى بعض الثورات العلوية التي قامت ضد المأمون بالخصوص، وإلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين، - بل وجميع آل طاهر (١) - وكذلك وزيره الفضل بن سهل، وهرثمة بن أعين، وغيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين. ولسوف يتضح أن الوضع في عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيهاً بالوضع الذي كان سائداً في أواخر عهد الأمويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلك الفارق الضعف والوهن، وذلك الفارق هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلك المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!

ويبقى هنا سؤال:

لماذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم. تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، في مختلف فئات الشعب، وطبقاته؟!..

وجوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذي يراجع التاريخ يرى - بما لا مجال معه للشك - أن تلك الثورات لم يكن يسبقها التخطيط، (١)

راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٢٥٠ هـ. (١٣٥) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، طاهر بن الحسين (١)، الفضل بن سهل (١)، الوسعة (١)، الطهارة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١) والإعداد الكافيان، وما كان العباسيون يعطوها الفرصة لتخطيط وإعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين.

هذا بالإضافة إلى فساد القيادة القبلية آنذاك، والتي كانت السبب الأول والأخير لنجاح أية ثورة أو فشلها.. وسيأتي تفصيل ذلك على النحو الكافي والشافى، فى فصل: مدى جدية العرض، إن شاء الله. ونتيجة كل ذلك:

وهكذا.. يتضح: أن سياسات العباسيين، لم تستطع أن تحقق لهم الأهداف التى كانوا يتوخون تحقيقها، وإنما كانت نتائجها عكسية بالنسبة إليهم، ودمارا ووبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أى من خصومهم. وبالأخص أبناء عمهم العلويين. (١٣٦) صفحهمفاتيح البحث: السب (١) القسم الثانى ظروف البيعة وأسبابها:

- ١ - شخصية الإمام الرضا (ع).
- ٢ - من هو المأمون؟.
- ٣ - آمال المأمون، وآلامه..
- ٤ - ظروف البيعة وأسبابها.
- ٥ - أسباب البيعة لدى الآخرين. (١٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)

## شخصية الإمام الرضا (ع)

شخصية الإمام الرضا عليه السلام لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبى صلى الله عليه وآله: على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، ابن الحسين، ابن على، بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين. ستة آباؤهم من هم أفضل من يشرب صوب الغمام كنيته: أبو الحسن. ومن ألقابه: الرضا، والصابر، والزكى، والولى. نقش خاتمه: حسبى الله. وقيل: بل نقشه: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله (١).

ولد فى المدينة سنة ١٤٨ هـ. أى: فى نفس السنة التى توفى فيها (١) لنا رأى بالنسبة للقب، ونقش الخاتم: وهو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، وظروف اجتماعية، وسياسية، ونفسية، وغير ذلك. وكذلك عن مميزات، وملكات شخصية خاصة. ونأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى فى فرصة أخرى إن شاء الله. (١٣٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، على بن موسى بن جعفر بن محمد (١)

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء والمؤرخين مثل:

المفيد فى الإرشاد، والشبراوى فى الإتحاف بحب الأشراف، والكلينى فى الكافى، والكفعمى فى المصباح، والشهيد فى الدروس، والطبرسى فى أعلام الورى، والفتال النيسابورى فى روضة الواعظين، والصدوق فى علل الشرايع، وتاج الدين محمد بن زهرة فى غاية

الاختصار، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والأردبيلي في جامع الرواة، والمسعودي في مروج الذهب، وإن كان في كلامه اضطراب، وأبو الفداء في تاريخه، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب، وابن الأثير في كامله، وابن حجر في صواعقه، والشبلنجي في نور الأبصار، والبغدادى في سبائك الذهب، وابن الجوزى في تذكرة الخواص، وابن الوردى في تاريخه، ونقل عن تاريخ الغفارى، والنوبختى. وكان عتاب بن أسد يقول: إنه سمع جماعة من أهل المدينة يقولون ذلك، وغير هؤلاء كثير وذهب آخرون - وهم الأقل - إلى أن ولادته (ع)، كانت سنة ١٥٣ هـ. منهم: الإربلى في كشف الغمّة، وابن شهر آشوب في المناقب، والصدوق في عيون الأخبار، وإن كان في كلامه اضطراب، والمسعودي في إثبات الوصية، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن عبد الوهاب في عيون المعجزات، والياقنى في مرآة الجنان..

وقيل: إن ولادته كانت سنة ١٥١ هـ.

والقول الأول هو الأقوى والأشهر. ولم يذهب إلى القولين الأخيرين إلا قلة..

وتوفى (ع) في طوس سنة ٢٠٣ هـ. على قول معظم العلماء، والمؤرخين، والشاذ النادر لا- يلتفت إليه.. (١٤٠) صفحهمفاتح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزى (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب روضة الواعظين (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب كشف الغمّة للإربلى (١)، كتاب جامع الرواة لمحمد على الأردبيلي (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، ابن الأثير (١)، ابن شهر آشوب (١)، محمد بن زهرة (١)

وبعد:

فأما علمه، وورعه وتقواه:

فذلك مما اتفق عليه المؤرخون أجمع، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للكتب التاريخية، ويكفى هنا أن نذكر أن نفس المأمون قد اعترف بذلك، أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة. بل في كلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، وأعبدتهم. ولقد قال لرجاء بن أبي الضحاك:

"بلى يا ابن أبي الضحاك، هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم، وأعبدتهم (" ١).

وقد قال أيضا للعباسيين، عندما جمعهم، في سنة ٢٠٠ هـ. وهم أكثر من ثلاثة وثلاثين ألفا (٢):

"إنه نظر في ولد العباس، وولد على رضى الله عنهم، فلم يجد أحدا أفضل، ولا أروع، ولا أدين، ولا أصلح. ولا أحق بهذا الأمر من على بن موسى الرضا (٣). (١) راجع: البحار ج ٤٩ ص ٩٥، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٣، وغير ذلك.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤٠، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٦٦، وغاية المرام للعمرى الموصلى ص ١٢١، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ١ ص ٢١٢، والطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠٠٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٣٣، وغير ذلك.

وورد ذلك أيضا في رسالة الحسن بن سهل، لعيسى بن أبي خالد، فراجع: الطبرى ج ١١ ص ١٠١٢، وتجارب الأمم ج ٦ المطبوع مع العيون والحدائق ص ٤٣٠.

هذا. ولكن في تاريخ التمدن الإسلامى، ج ١ ص ١٧٦ ويؤيده ما فى وفيات الأعيان لابن خلكان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٣٢١، ويساعد عليه الاعتبار أيضا: أن الذين أحصوا آنذ هم: العباسيون خاصة المأمون، دون غيرهم من سائر بنى العباس.

(٣) راجع: مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٣، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، والطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠١٣، ومختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، وتجارب الأمم ج ٦ ص ٤٣٦.

وفى مرآة الجنان ج ٢ ص ١١، قال: إنه لم يجد فى وقته أفضل، ولا أحق بالخلافة، من على بن موسى الرضا. ونحو ذلك ما فى البداية

والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٧، وينايع المودة للحنفى ص ٣٨٥، ونظريه الإمامه ص ٣٨٦ ووفيات الأعيان طبع سنه ١٣١٠ هـ.

ج ١ ص ٣٢١، وإمبراطورية العرب، وغير ذلك. (١٤١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (٢)، كتاب البدايه والنهايه (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، بنو عباس (١)، الحسن بن سهل (١) قال عبد الله بن المبارك:

هذا على والهدى يقوده \* من خير فتیان قريش عوده (١) ولوضوح هذا الأمر نكتفى هنا بهذا المقدار، ومنتقل إلى الحديث عن أمور هامة أخرى، وما يهمننا فى المقام إعطاء لمحة سريعة عن مكانته، وشخصيته (ع)، فنقول:  
وأما مركزه وشخصيته (ع):

فهو من الأمور البديهيه، التى لا يكاد يجهلها أحد، وقد ساعده سوء الأحوال بين الأمين والمأمون على القيام بأعباء الرسالة، وعلى زيادة جهوده، ومضاعفة نشاطاته، حيث قد فسح المجال لشيعته للاتصال به، والاستفادة من توجيهاته، مما أدى بالتالى - مع ما كان يتمتع به (ع) من مزايا فريده، وما كان ينتهجه من سلوك مثالى - إلى تحكيم مركزه، وبسط نفوذه فى مختلف أرجاء الدولة الإسلاميه، يقول الصولى:

ألا- إن خير الناس نفسا ووالدا \* ورهطا وأجدادا على المعظم أتينا به للحلم والعلم ثامنا \* إماما يؤدى حجة الله يكتم (٢) بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. وهو يتحدث عن ولاية (١) مناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ٣٦٢.

(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٣٣٢، وهى فى مقتبس الأثر ج ٢٢، ص ٣٢٨، لكنه لم يذكر قائلها.. (١٤٢) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن المبارك (١)، الحج (١)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (١) العهد. " وما زادنى هذا الأمر، الذى دخلت فيه فى النعمة عندى شيئا، ولقد كنت فى المدينة، وكتابى ينفذ فى المشرق والمغرب، ولقد كنت أركب حمارى، وأمر فى سكك المدينة، وما بها أعز منى (" ١).

ويكفى أن نذكر هنا قول ابن مؤنس - عدو الإمام (ع)، وقد أسر (ع) للمأمون بشئ، قال ابن مؤنس:  
" يا أمير المؤمنين، هذا الذى بجنبك والله صنم يعبد دون الله (" ٢).

وفى الكتاب الذى طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، وفروعه، قال المأمون: إن الإمام " حجة الله على خلقه، ومعدن العلم، ومفترض الطاعة (" ٣). كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب: " أخيه، " ويخاطبه ب " يا سيدى. "

وكتب للعباسيين يصف الرضا، ويقول.. " وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، واختيار منى له.. إلى أن قال: وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن، فما بايع له إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أئين فضلا، ولا أظهر عفة، ولا أروع ورعا، ولا أزهذ زهدا فى الدنيا، ولا أطلق نفسا، ولا أرضى فى الخاصة والعامة، ولا أشد فى ذات الله منه (" ٤). (١) البحار ج ٤٩ ص ١٥٥، و ص ١٤٤، والكافى ج ٨ ص ١٥١، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٦٦، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٨، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦١، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٦.  
(٣) نظريه الإمامه ص ٣٨٨.

(٤) الرسالة المذكورة فى أواخر هذا الكتاب. (١٤٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، أصول الدين (١)، العزة (١)، الحج (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

وفى كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، ومركزه، وشخصيته. وكما يقولون " والفضل ما شهدت به الأعداء. " ومما يدل على مكانته وهيبته ما ورد فى رواية أخرى، يقول فيها المتحدث. " دخلنا (أى هو الرضا " ع) " على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله، ومحمد بن جعفر فى جماعة الطالبين والهاشميين، والقواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، وقام محمد بن

جعفر، وجميع بنى هاشم، فما زالوا وقوفا والرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس، فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلا عليه ساعة الخ (١)."

وأما ما جرى في نيسابور:

فلا يكاد يخلو منه كتاب يتعرض لأحوال الرضا (ع)، ومسيره إلى مرو، فإنه عندما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم ما لا يحصى، وتضرعوا إليه أن يريهم وجهه، فأقر عيون الخلائق بطلعته، والناس على طبقاتهم قيام كلهم. وكانوا بين صارخ، وبالك، وممزق ثوبه، وتمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته، ومطول عنقه إلى مظلة المهدي، إلى أن انتصف النهار، وجرت الدموع كالأنهار، وصاحت الأئمة:

"معاشر الناس، أنصتوا، وعوا، ولا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته". فأملى صلوات الله عليه، عليهم، بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة (١) مسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٧٦، والبحار ج ٤٩ ص ١٧٥، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٦. (١٤٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، أبو زرعة الرازي (١)، محمد بن أسلم الطوسي (١)، محمد بن جعفر (٢)، الصلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١) السند، قوله: "لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي".

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم، وقال: "بشروطها، وأنا من شروطها". فعد أهل المحابر والدوى، فأنافوا على العشرين ألفا. كذلك وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهيرة (١).. ولسوف نتحدث عن هذه القضية بالتفصيل في فصل: "خطئة الإمام" إن شاء الله تعالى.

وعن أسناد هذه الرواية، الذي أورده الإمام (ع)، يقول الإمام أحمد بن حنبل: "لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته". على ما في الصواعق المحرقة، ونزهة المجالس (٢) وغير ذلك.

ونقل أن بعض أمراء السامانية بلغه هذا الحديث بسنده، فكتبه بالذهب، وأوصى أن يدفن معه. (١) نقله في مجلة مدينة العلم، السنة الأولى ص ٤١٥ عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهي أيضا في الصواعق المحرقة ص ١٢٢، وحلية الأولياء ص ٣ ص ١٩٢، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٥، وأمالى الصدوق ص ٢٠٨، وينايع المودة ص ٣٦٤، و ص ٣٨٥، وقد ذكر قوله عليه السلام:

وأنا من شروطها، في الموضع الثاني فقط. والبحار ج ٤٩ ص ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٤٠، ونور الأبصار ص ١٤١، ونقلها في مسند الإمام الرضا ج ١ ص ٤٣، ٤٤، عن التوحيد ومعاني الأخبار وكشف الغمة ج ٣ ص ٩٨. وهي موجودة في مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله عليه السلام: "بشروطها، وأنا من شروطها" ولا يخفى السبب في ذلك.

(٢) وفيه في ج ١ ص ٢٢، قال: "إنه (أي الإمام أحمد) قرأها على مصروع فأفاق." (١٤٥) صفحهمفاتيح البحث: كتاب الصواعق المحرقة (٢)، أحمد بن حنبل (١)، الدفن (١)، الوصية (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب أمالي الصدوق (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب ينايع المودة (١)، السب (١)

وها نحن أمام نصوص أخرى:

وكذلك نرى هيبه الإمام (ع) وقوة شخصيته، في موقفه مع الفضل ابن سهل - أعظم رجل في البلاط العباسي - وذلك عندما طلب منه الفضل كتاب الضمان، والأمان، حيث أوقفه ساعة، ثم رفع رأسه إليه، وسأله عن حاجته، فقال: "يا سيدي. إلى أن قال الراوي: ثم أمره بقراءة الكتاب - وكان كتابا في أكبر جلد - فلم يزل قائما حتى قرأه! الخ (١)."

ثم رأينا المأمون عندما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستين، وشغب عليه القواد والجند، ومن كان من رجال ذى الرئاستين، وقد جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب عليه، ليصلوا إليه - قد رأينا - كيف هرع إلى الإمام، يطلب منه أن يتدخل لإنقاذه، فخرج (ع) إليهم، وأمرهم بالتفرق، فتفرقوا.. يقول ياسر الخادم "فأقبل الناس والله، يقع بعضهم على بعض، وما أشار لأحد إلا ركض، ومر، ولم يقف ("٢). ونجا المأمون بذلك بجلده، واحتفظ بحياته.

وفى كتاب العهد الذى كتبه المأمون بخط يده - كما صرح به كل من تعرض له - فقرات تدل على سجايا الإمام، وعلى مركزه، وشخصيته، يقول المأمون عنه.. "لما رأى من فضله البارع، وعلمه (١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٣، والبحار ج ٤٩ ص ١٦٨، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٨. (٢) المناقب ج ٤ ص ٣٤٧، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٣، وكشف الغممة ج ٣ ص ٧٠، والكافي ج ١ ص ٤٩٠، ٤٩١، وأعلام الورى ص ٣٢٤، وأعيان الشيعة ج ٤.

قسم ٢ ص ١١٠، ١٤٠، طبعة ثالثة، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٤، وإرشاد المفيد ص ٣١٤، والبحار ج ٤٩ ص ١٦٩، ومعادن الحكمة ص ١٨٣، وشرح ميمية أبى فراس ص ١٩٨، ١٩٩. (١٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، القتل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب كشف الغممة للإربلى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (٢) الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس. وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، والألسن عليه متفقه، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، وناشيا، وحدثا، ومكتهلا الخ ".. وكتاب العهد المذكور فى أواخر هذا الكتاب.. وفى نهاية المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرة، الذين هم على حد تعبير الجاحظ:

"كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، والذين هم بين خليفة، أو مرشح لها ("١).

وهو على ما فى النجوم الزاهرة "سيد بنى هاشم فى زمانه، وأجلهم، وكان المأمون يعظمه، ويجله، ويخضع له، ويتفانى فيه ("٢). ومثله ما عن سنن ابن ماجه، على فى خلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٢٧٨.

وقال عنه (ع) عارف تأمر "يعتبر من الأئمة الذين لعبوا دورا كبيرا على مسرح الأحداث الإسلامية فى عصره ("٣).

وأخيرا. فقد وصفه أبو الصلت، ورجاء بن أبى الضحاك، وإبراهيم ابن العباس، وغيرهم، وغيرهم. بما لو أردنا نقله لطلال بنا الكلام. وحسبنا ما ذكرنا، فإننا إذا أردنا أن نلم بما قيل فى حق الإمام (ع) لاحتجنا إلى تأليف خاص، ووقت طويل.. (١) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٤.

(٣) الإمامة فى الإسلام ص ١٢٥. (١٤٧) صفحهمفاتيح البحث: كتاب سنن ابن ماجه (١)، كتاب خلاصة تذهيب تذهيب الكمال للخزرجى الأنصارى اليمنى (١)، بنو هاشم (١)، الجود (١)، الطهارة (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)

## من هو المأمون

من هو المأمون؟

لمحات:

هو عبد الله بن هارون الرشيد.

أبوه: خامس خلفاء بنى العباس.. وهو سابعهم، بعد أخيه الأمين.

أمه: جارية خراسانية، اسمها " :مراجل. " وقد ماتت بعد ولادتها إياه، وهي ما تزال نفساء. فنشأ يتيم الأم.

وقد كانت أمه - كما يقول المؤرخون - أشوه، وأقذر جارية في مطبخ الرشيد.

وذلك هو الذى يجعلنا نصدق القصة التى تقال عن السبب فى حملها به (١). (١) وتحكى هذه القصة على النحو التالى: أن زبيدة لاعبت الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا، فغلبته، فحكمت عليه أن يطأ أقيح وأقذر وأشوه جارية فى المطبخ، فبذل لها خراج مصر والعراق لتعفيه من ذلك، فلم تقبل، ولم تجد جارية تجمع الصفات المذكورة غير مراجل، فطلبت إليه أن يطأها، فجاء المأمون.. راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٧٢، وأعلام الناس فى أخبار البرامكة، وبنى العباس للاتلیدی ص ١٠٦، ١٠٧، وعيون التواريخ. وأشار إليها إشارة واضحة: الإسحاقى فى لطائف أخبار الأول ص ٧٤، وكذلك فى روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار ص ١٥٧. ولا ينافى ذلك أن ولد فى الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة، فإن أولياء العهد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء، وقد قسم الرشيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، والقاسم، ولم يبق لنفسه شيئاً، وهو على قيد الحياة (... ١٤٨) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، عبد الله بن هارون (١)، السب (١)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)، دولة العراق (١)، الدميرى (١)، الشطرنج (١) دفعه أبوه إلى جعفر بن يحيى البرمكى، فنشأ فى حجره، كانت ولادته فى سنة ١٧٠ هـ. فى نفس الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة. وكانت وفاته سنة ٢١٨ هـ.

وكان مربيه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزيره، وهو المعروف بذى الرئاستين.

وكان قائده: طاهر بن الحسين ذو اليمينين..

ميزات وخصائص:

وقد كانت حياته حياة جد ونشاط، وتقشف، على العكس من أخيه الأمين، الذى نشأ فى كنف " زبيدة، " وما أدراك ما " زبيدة، " فقد كانت حياته حياة نعمه وترف، يميل إلى اللعب والبطالة، أكثر منه إلى الجد والحزم. يظهر ذلك لكل من راجع تاريخ حياة الأخوين.

ولعل سر ذلك يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشعر بأصالة محتده، ولا كان مطمئناً إلى مستقبله، وإلى رضا العباسيين به. بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفة وحاكماً، ولهذا. فقد وجد أنه ليس لديه أى رصيد يعتمد عليه غير نفسه، فشم عن ساعد الجد، وبدأ يخطط لمستقبله منذ اللحظة الأولى التى أدرك فيها واقعه، والمميزات التى كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه. (١٤٩) صفحهمفاتيح البحث: طاهر بن الحسين (١)، جعفر بن يحيى (١)، الفضل بن سهل (١)

بل نلاحظ: أنه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين، فإن " الفضل عندما رأى اشتغال الأمين باللهو واللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع والدين، وحسن السيرة، فأظهر المأمون ذلك.. وكان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة " (١). ومن هنا نعرف السر فيما يظهر من رسالته للعباسيين، حيث نصب فيها نفسه واعظاً تقياً، وأضفى عليها هالة من التقى والورع!! والزهد فى الدنيا!! والالتزام بأحكام الشريعة، وتعاليم الدين!! ليروه ويراه الناس نوعياً أخرى تفضل نوعياً أخيه الأمين، وتزيد عليها. ما يقال عن المأمون:

وعلى كل حال.. فإن المأمون كان قد برع فى العلوم والفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بنى العباس..

وقد قال بعضهم " :لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون " (٢).

وقال عنه ابن النديم إنه " :أعلم الخلفاء بالفقه والكلام " (٣).

وقال عنه محمد فريد وجدى " :لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفاً منه " (٤).

وفى الأخبار الطوال " :وكان شهماً، بعيد الهمة، أبى النفس، وكان نجم بنى العباس فى العلم والحكمة " (١). الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢. ولكن سيأتى أن المأمون هو الذى طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد والتقوى، وليس الفضل هو المشير عليه



بذلك..

(٢) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٧٢.

(٣) فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة في القاهرة ص ١٧٤.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٦٢٠. (١٥٠) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٣)، ابن النديم (٢)، كتاب حياة الحيوان للدميري (١)، الزهد (١)

بل لقد روى عن الإمام علي (ع)، أنه قال - وهو يصف خلفاء بني العباس " - سابعهم أعلمهم " (١).

وقد وصفه السيوطي وابن تغري بردي، وابن شاکر الکتبی، فقالوا:

"وكان أفضل رجال بني العباس: حزما، وعزما، وحلما، وعلما، ورأيا، ودهاء (٢) وهيبه، وشجاعه، وسؤددا، وسماحة، (١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٧٦، وسفينة البحار ج ٢ ص ٣٣٢، مادة " غيب".

(٢) دهاء المأمون، وحنكته، وسياسته من المسلمات، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد روى لنا ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ١ ص ١٢٣، والجهشياري في الوزراء والكتاب ص ٣١١: كيف أنه بين للفضل بن سهل: أن أخاه الأمين كان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التي يحكمها المأمون يخبرهم " أنه قد وضع عنهم الخراج إلى سنة. فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، وإن قبل لم يجد ما يعطى الجند، فيقومون ضده، وفي كلا الحالتين يكون النصر للأمين، لو وقعت بينهما الحرب، فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، وأتباعه إلى هذا الرأي. وإن كان في العقد الفريد للملك السعيد، ص ٥٠ ينسب هذا الرأي إلى الشيخ أبي الحسن القطيفي، وأنه أشار به على الأمين، فلم يقبله. وفي المحاسن والمساوي طبع مصر ج ٢ ص ٧٧، ٧٨، نسبة إلى شيخ مسن أشار به على الأمين فلم يقبل منه.

وقد رأينا أيضا: أنه عندما تسلم زمام الحكم قد طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد والتقوى والورع، ففعل.. راجع تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ٢٦١.

ورأينا كذلك: أنه يقتل الفضل، ويبيكى عليه، ويقتل قتلته، ويقتل الرضا، ثم يبكي عليه. ويقتل طاهرا، ويولي أبناءه مكانه.. ورأينا أيضا: أنه يولي الرضا العهد، ويوهم العباسيين: أن ذلك كان من تدبير الفضل، ويقتل أخاه، ويوهمهم أن الذنب في ذلك على الفضل وطاهر. إلى آخر ما هنالك، مما سيأتي، وغيره، مما يدل على عمقه، ودهائه، وحنكته، وسياسته.. وأن الفضل وغيره، ما كانوا إلا دمي له، يلهو ويلعب بها، ويحركها كيف شاء، وحيثما أراد.. (١٥١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، بنو عباس (٢)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، القتل (٦)، البكاء (١)، الطهارة (١)، الحرب (١)

لولا أنه شان ذلك كله. بالقول بخلق القرآن (١)، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه " (٢).

شهادة ذات أهمية:

وقد شهد له أبوه نفسه بالتقدم على أخيه الأمين، قال.. " وقد عنيت بتصحيح هذا العهد، وتصويره إلى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو: عبد الله.

وبنو هاشم - يعنى العباسيين - مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طوبته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء، والإماء في رأيه، و عبد الله المرضى الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبد الله، أسخظت بني هاشم، وإن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية. (٣).

وقال أيضا " : إنى لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي، ولو شئت أن أنسبه إلى الرابع - يعنى نفسه - لنسبته، وقد قدمت محمدا عليه، وإنى لأعلم أنه منقاد لهوه، مبذر (١) قال القلقشندى في كتابه: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ١ ص

٢١٣: إنه قد طعن الناس!! على المأمون ثلاثة أشياء: الأول: القول بخلق القرآن!! الثاني: التشيع.

الثالث: بث علوم الفلاسفة بين المسلمين.

فتأمل، بالله عليك بهذه الأمور، التي عدوها من المطاعن، وبعد ذلك: فاضحك، أو فابك على عقول هؤلاء الجهلاء، الذين يسميهم الناس، أو يسمون أنفسهم علماء!!!  
والعلم من هؤلاء وأمثالهم برئ..

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩، والنجوم الزاهرة، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) مروج الذهب طبع بيروت ج ٣ ص ٣٥٢، ٣٥٣. (١٥٢) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، بنو هاشم (٢)، القرآن الكريم (٢)، الشهادة (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، مدينة بيروت (١)، البكاء (١)

لما حوته يده، يشاركه في رأيه الإمام والنساء، ولولا أم جعفر - يعني زبيدة - وميل بنى هاشم، لقدمت عبد الله عليه (".. ١). يعني في ولاية العهد. (١) راجع شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٤٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٧، وقريب منه ما في الأخبار الطوال ص ٤٠١، والإتحاف بحب الأشراف ص ٩٦، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

هذا.. والشيد هنا يدعى النسك للمهدى مع أن كتب التاريخ زاخرة بأخبار بذخه، ولهوه ولعبه، ويكفى أن نذكر هنا: أنه قد سلم الأمر ليعقوب بن داوود، وانصرف إلى ملذاته وشهوته، حتى قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم \* إن الخليفة يعقوب بن داوود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا \* خليفة الله بين الزق والعود فراجع: الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨٤، ١٨٥، وتاريخ التمدن الإسلامي المجلد الأول جزء ٢ ص ٤٠٧، والبداية والنهاية، وأى كتاب تاريخي شئت..

هذا.. ولعل ما ينسب إليه من الزهد والورع إنما كان بلحاظ ما قدمناه: من تسمية أبيه له بـ "المهدى" لكي يكون مهدي الأمة الذي يملأ الأرض قسطا، وعدلا، واختراع أحاديث كثيرة لتأييد مدعاه هذا.

ولكن الحقيقة هي ما قدمناه، من أنه لم يكن يقل في تهتكه واستهتاره عن غيره من الخلفاء، حتى لقد ذكر الطبري في تاريخه، طبع مطبعة الاستقامة ج ٦ ص ٤٠٥، أنه ألبس ابنته "البانوقه" لباس الفتيان، لتمشى في مقدمة الجند والقواد، وقد رفع القباء ثديها الناهدين، وكانت سمراء، حسنة القد، حلوة، على حد تعبير الطبري.

فماذا كان يقصد "المهدى المنتظر!!" من تصرفه هذا!!! فهل كان يريد بذلك أن يملأ الأرض قسطا وعدلا؟!!

ولماذا كان الزاهد الورع!! و"المهدى المنتظر" يعذب الناس بالسنانير والزنابير، لبيتهم أموالهم، ويتخذ الاتهام بالزندقة ذريعة للقضاء على خصومه، كما قدمنا، وأيضا يشرب الخمر، ويسمع الغناء، حتى بلغ في ذلك حدا جعل يعقوب بن داوود يلومه على ذلك، ويقول له: "ما على هذا استوزرتني، ولا على هذا صحبتك الخ.."

وفي ذلك يقول بعض الشعراء، يعرض يعقوب، ويحث المهدي على الاستمرار في ذلك على ما في البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٤٨، ١٤٩ - يقول في ذلك :-

فدع عنك يعقوب بن داوود جانبا \* واقبل على صهبا طيبة النشر وأخيرا.. فإننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدي العباسي، هو المهدي الموعود، إلا- سلم الخاسر، فقد نقل ذلك عنه ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٠٤، ويدل على ذلك قول الخاسر في قصيدة له يمدح بها المهدي العباسي على ما في الأغاني ج ٢١ ص ١٨٧، طبع دار الفكر:

له شيم عند بذل العطاء \* لا يعرف الناس مقدارها و "مهدى أمتنا" والذي \* حماها وأدرك أوتارها والسيد الحميري أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدي حقا لكن فعالة قد بينت: أنه ليس هو، ولذلك يقول السيد حسبا يروي المرزباني أخبار السيد الحميري (المستدرک) ص ٥٨:

ظننا أنه " المهدي " حقا \* ولا تقع الأمور كما ظننا ولا والله، ما المهدي إلا \* إماما فضله أعلى وأسنى ولا بأس بالإشارة هنا إلى ما ذكره، من أن سبب تسميته بالخاسر: أنه كان عنده مصحف، فباعه، واشترى بثمنه طنبورا، فبقيت من ثمنه بقية، فاشترى بها خمرًا!!!.. فبورك من مهدي أتباعه أمثال هذا!!! وبوركت أمة تعترف بمهدي له تلکم الصفات!!.. (١٥٣) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (١)، كتاب أخبار السيد الحميري للمرzbاني الخراساني (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، بنو أمية (١)، اللبس (١)، الزهد (١)، الظن (١) وعلى كل حال، فإن كل من تعرض من المؤرخين وغيرهم، لشرح حال المأمون، قد شهد له بالتقدم، وبأنه رجل خلفاء بني العباس وواحدهم.

وما يهمنا هنا، هو مجرد الإشارة إلى حال المأمون، وما كان عليه من الدهاء والسياسة، وحسن التدبير. ولسنا هنا في صدد تحقيق أحواله، والإحاطة بكافة شؤونه، فإن ذلك لا يناسب الغرض الذي وضع من أجله هذا الكتاب. وسيمر معنا في الفصول الآتية المزيد من الكلام عن المأمون وظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الذي نحن بصدد تحقيقه من قريب، أو من بعيد، إن شاء الله تعالى.. (١٥٤) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، الشهادة (١)

## آمال المأمون وآلامه

آمال المأمون وآلامه العباسيون لا يرضون بالمأمون!

لا يشك المؤرخون بأن المأمون كان أجدر من الأمين، وأحق بالخلافة (١). بل لقد مر اعتراف الرشيد نفسه بذلك، لكنه اعتذر عن إسناده الأمر الأمين: بأن العباسيين، لا يرضون بالمأمون خليفة، وحاكما، رغم سنه وفضله وكياسته، وأنهم يرجحون أخاه الأمين عليه، قال الرشيد، حسبما تقدم: "وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه.. إلى أن قال: فإن ملت إلى ابني عبد الله. أسخطت بني هاشم، وإن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية الخ!!"!! ومر أيضا قول الرشيد.. "ولولا أم جعفر، وميل بني هاشم إليه (أي إلى الأمين) لقدمت عبد الله عليه..".

كما أن المأمون نفسه يقول في رسالته للعباسيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب.. "وأما ما ذكرت، مما مسكم من الجفاء في ولايتي، فلعمري ما كان ذلك إلا منكم: بمظافرتكم عليه، وممايلتكم إياه (١) ليس المراد هنا: الجدارة الحقيقية، التي قررها الله، وبينها محمد صلى الله عليه وآله، وإنما المراد الجدارة التي يفهمها هؤلاء، واعتاضوا بها عن حكم الله، وسنة نبيه (... ١٥٥) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)

(أي الأمين)، فلما قتلتها، تفرقت عبادي، فطورا أتباعا لابن أبي خالد، وطورا أتباعا لأعرابي، وطورا أتباعا لابن شكله، ثم لكل من سل سيفاً على. ولولا أن شيمتي العفو، وطبيعتي التجاوز، ما تركت على وجهها منكم أحدا، فكلكم حلال الدم الخ..".

سوف يأتي قول الفضل بن سهل للمأمون.. "وبنو أبيك معادون لك، وأهل بيتك الخ..".

إلى آخر ما هنالك من النصوص الدالة على حقيقة الموقف السلبي للعباسيين ضد المأمون، وتفضيلهم أخاه الأمين عليه.

سؤال قد تصعب الإجابة عليه:

فما هو السر يا ترى؟ في عدم رضا العباسيين بالمأمون؟! ولماذا يفضلون أخاه أمين عليه؟! مع أنه هو الأليق والأجدر والأحق بالخلافة!!..

إن الإجابة على هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلة صعبة، وشاقة.

ولكننا لن نستسلم لهذا الشعور، وسوف نحاول الإجابة عليه، معتمدين على بعض ما بأيدينا من النصوص التاريخية، التي تلقى لنا ضوءا

كاشفا على حقيقة القضية، وواقع الأمر: فنقول:

الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسيين عن المأمون إلى أخيه الأمين يرجع إلى أن الأمين كان عباسياً، بكل ما لهذه الكلمة من معنى:

فأبوه: هارون.. (١٥٦) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، القتل (١)

وأمه " زبيدة، " حفيذة المنصور، هاشمية (١)، والتي لو نشرت شعرها، لما تعلقنا - على ما قيل - (٢) إلا بخليفه، أو ولي عهد، والتي كانت أعظم عباسية على الإطلاق.

وكان في حجر الفضل بن يحيى البرمكي، أخى الرشيد من الرضاة، وأعظم رجل نفوذاً في بلاط الرشيد.

وكان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربي، الذى كان جده من طلقاء عثمان، والذى لم يكن ثمة من شك في ولائه للعباسيين.

أما المأمون:

فقد كان في حجر جعفر بن يحيى، الذى كان أقل نفوذاً من أخيه الفضل.

وكان مؤدبه، والذى يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذى لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص، لأنه كان متهماً بالميل إلى العلويين. والذى كانت العداوة بينه وبين مربى الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذى أصبح فيما بعد وزيراً للمأمون، ومدبراً لأمره، وأعنى به " الفضل بن سهل الفارسى، " وقد (١) وفي الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٣، وتاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٦٢: " أنه لم يتفق لخليفة عباسى أن يكون عباسى الأب والأم، غير الأمين ... " ولا بأس أيضاً بمراجعة: مختصر التاريخ ص ١٣٠، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢٠٣، وابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٣، وزهر الآداب ج ٢ ص ٩٩٣، طبع دار الجيل.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٦. (١٥٧) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن يحيى (١)، الفضل بن الربيع (١)، جعفر بن يحيى (١)،

الفضل بن سهل (١)، الرضاع (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (٢)

مل العباسيون الفرس، وخافوهم. ولذا سرعان ما استبدلواهم بالأتراك وغيرهم..

أما أم المأمون. فقد كانت خراسانية غير عربية، وقد ماتت أيام نفاسها به، وحتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها - وهى أشوه، وأقبح، وأقذر جارية فى مطبخ الرشيد - لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظيمة، ونفوذاً ولو قلنا إن موتها كان فى مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة، كيف وقد بلغ من مهانتها - فى نظر الناس - أن كان المأمون يعير بها.

فهذه زينب بنت سليمان. التى كانت عند بنى العباس بمنزلة عظيمة، عندما لم يحضر المأمون جنازة ابنها، واكتفى بإرسال أخيه صالح من قبله، تغضب، وتقول لصالح " قل له: يا بن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد، لوضعت ذيلك على فيك، وعدوت خلف جنازته " (١).

والرقاشى الشاعر يمدح الأمين، ويعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلد أمه تعرف فى السوق التجارا لا ولا حد، ولا خان، ولا فى الخزى جارا (٢) يعرض بالمأمون، وأن أمه كانت أمه تباع، وتشرى فى الأسواق.

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

وإذا تطاولت الرجال بفضلها \* فأربح فإنك لست بالمطاول (١) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٢٣٠، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٩٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة، طبع سنة ١٣٠٠، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢. (١٥٨) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، يحيى

بن الحسين بن زيد (١)، الغضب (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)

أعطاك ربك ما هويت وإنما \* تلقى خلاف هواك عند "مراجل" تعلو المناير كل يوم آملا \* ما لست من بعدى إليه بواصل (١) وقد أقذع في هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:

يا بن النى بيعت بأبخس قيمة \* بين الملاء في السوق هل من زائد ما فيك موضع غرزة من إبرة \* إلا وفيه نطفة من واحد فأجابه المأمون:

وإنما أمهات الناس أوعيه \* مستودعات وللأما أكفاء فرب معربه ليست بمنجبه \* وطالما أنجبت في الخدر عجماء (٢) وأخيرا. فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التي كان يعاني منها المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:

إنى من القوم الذين سيوفهم \* قتلت أخاك، وشرفتك بمقعد شادوا بذكرك بعد طول خموله \* واستنقذوك من الحضيض الأوهده (٣) مركز الأمين هو الأقوى:

وبعد كل ما تقدم. فإن ما لا بد لنا من الإشارة إليه هنا، هو: (١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٤.

(٢) غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلي ص ١٢١.

(٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٢، ووفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ هـ. ج ١ ص ١٧٩، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٤، والشعر والشعراء ص ٥٣٩، ٥٤٠، والغدير ج ٢ ص ٣٧٦، والعقد والفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٢ ص ١٩٦، وتاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني جزء ٣ ص ١١٥، وزهر الآداب طبع دار الجيل ج ١ ص ١٣٤، والكنى والألقاب ج ١ ص ٣٣١. (١٥٩) صفحهمفاتيح البحث: جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، مدينة بغداد (١)

قوة مركز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون، حيث قد كان للأمين حزب قوى جدا، وأنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، وفي سبيل تأمين السلطة له، وهم: أخواله، والفضل بن يحيى البرمكي، وأكثر البرامكة، إن لم يكن كلهم. وأمه: زبيدة، بل والعرب أيضا، كما سيأتي.

وإذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين كانوا يؤثرون على الرشيد كل التأثير، وكان لهم دور كبير في توجيه سياسة الدولة.. فلسوف نرى أنه كان من الطبيعي أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، وينصاع لها.

ومن ثم.. لتؤثر مساعيها أثرها. وتعطى نتيجتها في الوقت المناسب، فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، وهو الأمين، ويترك الأكبر - المأمون - ليكون ولي العهد الثاني بعد الأصغر.

ولعل تعصب بنى هاشم. وجلالة عيسى بن جعفر قد لعبا دورا كبيرا في فوز الأمين بالمركز الأول في ولاية عهد أبيه الرشيد (١). هذا عدا عن الدور الرئيسي. الذي لعبته "زبيدة" في تكريس الأمر لصالح ولدها (٢).

فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، وهو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، وقال له "أشددك الله، لما عملت بالبيعة لابن أختي، فإنه ولدك، وخلافته لك، وإن أختي زبيدة تسألك ذلك.. فوعده الفضل أن يفعل، وعندما انتصر على الخارجين هناك. بايع هو ومن معه من القواد والجند لمحمد (٣). (١) ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٥، والإتحاف بحب الأشراف ص ٩٦.

(٢) راجع تفصيل ذلك في: الطبري ج ١٠ ص ٦١١، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٦، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٨٨، وأشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون في تاريخه ج ٣ ص ٢١٨.

(٣) زهر الآداب طبع دار الجيل ج ٢ ص ٥٨١. (١٦٠) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن يحيى (٢)، بنو هاشم (١)، خراسان (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

رغم أن المأمون كان أسن من الأمين بستة أشهر، وعلى أقل الأقوال بشهر واحد.

وأصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذي أقدم على هذا الأمر، هو ذلك الرجل. الذي لا يمكن رد كلمته، والذي له من

النفوذ والسلطان، والخدمات الجلى، والأيدى البيضاء عليه، ما لا يمكن له، ولا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله.

ويلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذكر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، وزبيدة التي تخطى باحترام كبير عند العباسيين، ولها نفوذ واسع، وتأثير كبير على الرشيد - زبيدة هذه - يهتم البرامكة جدا بأن تكون معهم، وإلى جانبهم، وذلك ليبقى لهم سلطانهم، ويدوم لهم حكمهم، الذى أشار إليه عيسى بقوله: "فإنه ولدك، وخلافته لك" فإن فى هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة وصحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، ومصالح البرامكة بشكل عام. وبالنسبة لدورهم فى مستقبل الخلافة العباسية.. وهو فى الحقيقة يشتمل على إغراء وترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، وفى سبيله.

كما أن قول عيسى الآنف الذكر يلقى لنا ضوءا على الدور الذى لعبته زبيدة فى مسألة البيعة لولدها بولاية العهد. فهو يشير إلى أنها كانت قد استخدمت نفوذها فى إقناع رجال الدولة بتقديم ولدها. هذا بالإضافة إلى أنها كانت تحرض الرشيد على ذلك باستمرار (١)، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه: "لولا أم جعفر وميل بنى هاشم لقدم عبد الله على محمد، كما أشرنا إليه".

قال محمد فريد وجدى مشيرا إلى أن الرشيد لم يكن يريد جرح عاطفة (١) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨١، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩٠. (١٦١) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (١)، الوسعة (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)

زبيدة: "كانت ولاية الأمين بعهد من أبيه، قدمه على إخوته لمكان والدته، وكان الأحق بالتقديم المأمون لعلمه وفضله وسنه (".. ١) وبعد. فإننا لا نستبعد أنها كانت بالإضافة إلى ذلك قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولاية العهد لولدها الأمين، ولعل مما يشير إلى ذلك قول الفضل بن سهل للمأمون: "وهو ابن زبيدة، وأخواله بنو هاشم، وزبيدة وأموالها".

وأخيرا. فإن من المحتمل جدا أن يكون الرشيد - بملاحظة الدور الذى كانت تلعبه الأنساب فى التفكير العربى - قد لاحظ سمو نسب الأمين على المأمون، وكان لذلك أثر فى تقديمه له عليه، وقد ألمح بعض المؤرخين إلى ذلك فقال: "وفى سنة ١٧٦ هـ عقد الرشيد لابنه المأمون عبد الله العهد بعد أخيه الأمين. إلى أن قال:

وكان المأمون أسن من الأمين بشهر واحد، غير أن الأمين أمه زبيدة بنت جعفر هاشمية، والمأمون أمه أم ولد اسمها "مراجل" ماتت أيام نفاسها به (".. ٢).

محاولات الرشيد لصالح المأمون:

ومن كل ما تقدم يتضح لنا حقيقة موقف العباسيين، وأهل بيت المأمون، ورجال الدولة من المأمون.. ويظهر إلى أى حد كان مركز أخيه قويا، ونجمه عاليا، وأنه لم يكن له مثل ذلك الحظ الذى كان لأخيه الأمين. (١) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٦٠٦.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٤، وقرىب منه ما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى. (١٦٢) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (١)، الفضل بن سهل (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)

إلا أن أباه الرشيد، الذى كان يدرك حقيقة الموقف كل الادراك، قد حاول أن يضمن له نصيبه من الخلافة، فجعله ولى العهد بعد أخيه الأمين، وكتب بذلك العهود والمواثيق، وأشهد عليها، وعلقها فى جوف الكعبة، ولا نعلم خليفة، قبله ولا بعده فعل ذلك مع أولياء عهده، من أولاده أو من غيرهم، رغم أن غيره من الخلفاء قد أخذوا البيعة لأكثر من واحد بعدهم.

كما أنه قد حاول بطرق شتى أن يشد من عضد المأمون، ويقوى مركزه فى مقابل أخيه الأمين، لأنه كان يخاف منه على أخيه المأمون، فنراه يجدد أخذ البيعة للمأمون أكثر من مرة، ويولى الحرب، ويولى أخاه السلم (١) ويهب المأمون كل ما فى العسكر من كراع وسلاح. ويأمر الفضل بن الربيع، الذى كان يعرف أنه سوف يتآمر مع الأمين - يأمره - بالبقاء مع المأمون فى خراسان. إلى غير ذلك من مواقف، التى لا نرى حاجة لتتبعها واستقصائها.

مركز المأمون ظل فى خطر:

ولكن رغم كل محاولات الرشيد فقد ظل مركز المأمون فى خطر والكل كان يشعر بذلك، وكيف لا يعرف الجميع ذلك. ولا

يشعرون به، وهم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى العهود والمواثيق، وحلف الأيمان، بأنه: كان يظمر الخيانة لأخيه المأمون (٢).  
لقد كان الكثيرون يرون بأن هذا الأمر لا يتم، وأن الرشيد قد أسس العداة والفرقة بين أولاده"، وألقى بأسهم بينهم، وعاقبه ما صنع (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣، والطبرى حوادث سنة ١٨٦ هـ.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٢٢٢. (١٦٣) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن الربيع (١)، خراسان (١)، الخوف (١)، الحرب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)  
فى ذلك مخوفة على الرعية" وقالت الشعراء فى ذلك الشئ الكثير.  
ومن ذلك قول بعضهم:

أقول لغمه فى النفس منى \* ودمع العين يطرد اطرادا خذى للهول عدته بحزم \* ستلقى ما سيمنعك الرقادا فإنك إن بقيت رأيت أمرا \*  
يطيل لك الكآبة والسهادا رأى الملك المهذب شر رأى \* بقسمته الخلافة والبلادا رأى ما لو تعقبه بعلم \* لبيض من مفارقه السوادا  
أراد به ليقطع عن بنيه \* خلافهم ويتذلوا الودادا فقد غرس العداوة غير آل \* وأورث شمل ألفتهم بدادا والقح بينهم حربا عوانا \*  
وسلس لاجتتابهم القيادا فويل للرعية عن قليل \* لقد أهدى لها الكرب الشدادا وألبسها بلاءا غير فان \* وألزمها التضعضع والفسادا  
ستجرى من دمائهم بحور \* زواخر لا- يرون لها نفاذا فوزر بلائهم أبدا عليه \* أغيا كان ذلك أم رشادا (١) والمأمون وحزبه كانوا  
يدركون ذلك:

وبعد.. فإنه من الطبيعي جدا أن نرى أن المأمون وحزبه كانوا يدركون أن مركز المأمون كان فى خطر، وأن الأمين كان ينوى الخيانة  
لأخيه. ولقد رأينا الفضل بن سهل عندما عزم الرشيد على الذهاب إلى خراسان، وأمر المأمون بالمقام فى بغداد - رأينا - يقول  
للمأمون:

"لست تدري ما يحدث بالرشيد، وخراسان ولايتك، والأمين مقدم عليك. وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك، وهو ابن زبيدة،  
وأخواله (١) الطبرى حوادث سنة ١٨٦ هـ. (١٦٤) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (٢)  
بنو هاشم، وزبيدة، وأموالها (".. ١). وتقدم أيضا قوله له: إن أهل بيته وبنى أبيه، والعرب معادون له.  
والرشيد أيضا كان فى قلق:

بل لقد صرح الرشيد نفسه بأنه كان يخشى من الأمين على المأمون، فإنه قال لزبيدة، عندما عاتبته على إعطائه الكراع والسلاح  
للمأمون:

"إننا نتخوف ابنك على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويح (".. ٢).  
هذا بالإضافة إلى تصريحات الرشيد السابقة، والتي لا نرى حاجة إلى إعادتها.  
ولقد قال الرشيد، عندما بلغه ما يتهدد به محمد الأمين:

محمد لا تظلم أخاك فإنه \* عليك يعود البغى إن كنت باغيا ولا تعجلن الدهر فيه فإنه \* إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا (٣) ومهما يكن  
من أمر، فإن الحقيقة التى لا يمكن الجدل فيها، هى أن الرشيد كان فى قضية ولاية العهد مغلوبا على أمره، من مختلف الجهات.  
وكان يشعر أن ما أبرمه سوف يكون عرضة للانتقاض بين لحظة وأخرى، وكم كان يؤلمه شعوره هذا، ويحز فى نفسه.. حتى لقد  
ترجم مشاعره هذه شعرا فقال: (١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٩، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠٢، والكامل لابن الأثير، طبعه ثالثة ج  
٥ ص ١٢٧، والوزراء والكتاب ص ٢٦٦.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣. ولعله إنما فعل ذلك أيضا، من أجل أن يطيب خاطر المأمون، ويذهب ما فى نفسه - وهو الأفضل،  
والأكبر سنا من أخيه - من غل وحقد وضغينة..

(٣) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٥، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩. (١٦٥) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (١)،

الجدال (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)، ابن الأثير (١) لقد بان وجه الرأي لى غير أننى \* غلبت على الأمر الذى كان أحزما وكيف يرد الدر فى الضرع بعدما \* توزع حتى صار نهبا مقسما أخاف التواء الأمر بعد استوائه \* وأن ينقض الجبل الذى كان أبرما (١) على من يعتمد المأمون؟ وهكذا: وإذا كان أبوه قد استطاع أن يضمن له المركز الثانى بعد أخيه الأمين، وإذا كان ذلك لا يكفى لأن يجعل المأمون يطمئن إلى مستقبله فى الحكم، وأن يأمن أخاه وبنى أمية العباسيين، أن لا- يحلوا العقدة، وينكتوا العهد، فهل يستطيع المأمون أن يعتمد على غيرهم، لو تعرض مركزه ووجوده لتهديد فى وقت ما؟! ومن هم أولئك الذين يستطيع أن يعتمد عليهم؟! وكيف؟.. وما هو موقفهم فعلا منه؟! وكيف يستطيع أن يصل إلى الحكم، والسلطان؟! ومن ثم..

كيف يستطيع أن يحتفظ به، ويقوى من دعائه؟! إن نظرة شاملة على الفئات الأخرى فى تلك الفترة من الزمن، لكفيلة بأن تظهر لنا أنه لم يبق أمام المأمون غير العلويين، والعرب، والإيرانيين.

فما هو موقف هؤلاء منه، وأى الفئات تلك هى التى يستطيع أن يعتمد عليها؟ وكيف يستطيع أن يغير مجريات الأمور لتكون فى صالحه، وعلى وفق مراده؟!.

هذا هو السؤال الذى لا بد للمأمون من أن يضع الحل والإجابة عليه، بكل دقة ووعى وإدراك. وأن يتحرك من ثم على وفق تلك الإجابة، (١) ابن بدرون أيضا ص ٢٤٥، وزهر الآداب، طبع دار الجيل ج ٢ ص ٥٨١، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩. (١٦٦) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (١)

وعلى مقتضى ذلك الحل.. ولنلق أولا- نظرة سريعة على مواقف كل من هؤلاء من المأمون، ولنخلص من ثم إلى معرفة الفئة التى يستطيع المأمون أن يعتمد عليها فى مواجهة الأخطار والتحديات، التى تنتظره، وتنتظر نظام حكمه، بصورة عامة.. فنقول: موقف العلويين من المأمون:

أما العلويون.. فإنهم - بالطبع - لن يرضوا بالمأمون - كما لن يرضوا بغيره من العباسيين، خليفة وحاكما لأن من بينهم من هو أجدر من كل العباسيين، وأحق بهذا الأمر، ولأن المأمون، وغيره، كانوا من تلك السلالة، التى لا يمكن أن تصفو لها قلوب آل على، لأنها قد فعلت بهم أكثر من فعل بنى أمية معهم، كما تقدم.. فقد سفكت دماءهم، وسلبت أموالهم، وشردتهم عن ديارهم، وأذاقتهم شتى صنوف العذاب والاضطهاد. ويكفى المأمون عندهم: أنه ابن الرشيد، الذى حصد شجرة النبوة، واجتث غرس الإمامة، والذى قد عرفت طرفا من سيرته السيئة معهم فيما تقدم من الفصول.

موقف العرب من المأمون، ونظام حكمه:

وأما العرب: فإنهم لا يرضون بالمأمون خليفة وحاكما أيضا، كما أشار إليه الفضل بن سهل فيما تقدم.

أما أولا: فلأن أمه، ومؤدبه، والقائم بأمره، غير عربيين.

ولقد عانى العرب ما لله أعلم به، من تقديم أسلافه للموالى، حتى لم يعد لهم معهم أى شأن يذكر، وأصبح العربى أذل من نعجة، وأحق من الحيوان.

قال المسعودي: " وكان (أى المنصور) أول خليفة استعمل (١٦٧) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (١)، بنو أمية (١)، الفضل بن سهل (١)، العذاب، العذب (١)

مواليه وغلماؤه فى أعماله، وصرفهم فى مهماته، وقدمهم على العرب، فامثل ذلك الخلفاء من بعده، من ولده، فسقطت، وبادت العرب، وزالت رياستها، وذهبت مراتبها (١). "

وقال ابن حزم، وهو يتحدث عن العباسيين: " فكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، وغلبت عجم خراسان على الأمر،



وعاد الأمر كسرويا، إلا أنهم لم يعلنوا بسب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم. وافتقرت في دولة بني العباس كلمة المسلمين (٢).<sup>(١)</sup> ويقول الجاحظ.. "دولة بني العباس أعجمية، خراسانية، ودولة بني مروان عربية (٣)."<sup>(٢)</sup>

إلى آخر ما هنالك، مما يدل على سقوط العرب في تلك الفترة، وامتهانهم، ويبدو أن ذلك من المسلمات. وقد استوفى الباحثون - ومنهم أحمد أمين، في الجزء الأول من ضحى الإسلام - البحث في هذا الموضوع، فمن أراد فليراجع مظان وجوده.

وإذا ما عرفنا: أن من الطبيعي أن يكون ذهاب رئاسة العرب، وإبادتها، واضطهادها على يد الفرس، الذين كانوا هم أصحاب القدرة والسلطان آنذاك.. فلسوف نجد أن من الطبيعي أن يحقد العرب، الذين كانوا في وقت ما هم أصحاب الجبروت والقوة، على الفرس، وعلى كل من يتصل بهم. ويمت إليهم بسبب، من قريب أو من بعيد. (١) مروج الذهب، طبع بيروت ج ٤ ص ٢٢٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤، و ص ٢٦٩، ٢٧٠، و ص ٢٥٨، وفي طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٩، نقلا عن المقرئ في: السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ١٤ مثل ذلك. وليراجع أيضا كتاب: مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص ٢٣.

(٢) البيان المغرب، طبع صادر ص ٧١.

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٦٦. (١٦٨) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، خراسان (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، مدينة بيروت (١)

وأما ثانيا: فلسيرة أسلافه، وأبيه الرشيد بالخصوص، في الناس عامة، ومع أهل بيت نبيهم خاصة، والتي قدمنا شطرا منها في الفصول التي سبقت.

أما الأمين: فقد كان له - إلى حد ما - شافع عندهم، حيث إنه كان من أب وأم عربيين من جهة. وكان قد منحهم ثقته وحبه، وقربهم إليه، حتى كان وزيره الفضل بن الربيع منهم. من جهة ثانية، فتوسموا فيه أن يجعل لهم. وأن ينظر إليهم بغبر العين، التي كان أبوه وأسلافه ينظرون إليهم بها. أو على الأقل: سوف لا تكون نظرتهم إليهم. على حد نظرة المأمون نحوهم. وذلك ما يجعلهم يرجحونه - على الأقل - على أخيه المأمون، وإن كان المأمون أفضل، وأسن منه، فلقد كان عليهم أن يختاروا أهون الشرين، وأقل الضررين. حتى إن نصر بن شيب، الذي كان هواه مع العباسيين، لم يقيم بثورته ضد المأمون، التي بدأت سنة ١٩٨ هـ. واستمرت حتى سنة ٢١٠ هـ. إلا انتصارا للعرب، ومحاماة عنهم، لأن العباسيين كانوا يفضلون عليهم العجم، حسب تصريحات نصر بن شيب نفسه (١).

وحتى في مصر أيضا، قد ثارت الفتن بين القيسية، المناصرة للأمين، واليمانية المناصرة للمأمون..

وقال أحمد أمين. "إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، وأغلب العرب تعصبوا للأمين (٢).<sup>(١)</sup> كما أننا نكاد لا نشك في أن تعصب العرب للأمين ليس إلا للسببين المتقدمين، الذين أشرنا إليهما، وأشار إلى أحدهما نصر بن شيب.. (١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٠٤.

(٢) ضحى الإسلام ج ١ ص ٤٣. (١٦٩) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن الربيع (١)

ولكن فردينان توتل يرى في منجد الأعلام: أن تعصب العرب للأمين يرجع إلى أن "المأمون لم يستطع أن يجعل العرب يحبونه، حيث إنه كان يظهر ميلا للإيرانيين، ويقربهم إليه. وقد أعانه الإيرانيون في مبارزاته، وحروبهم، وخصوصا الخراسانيين منهم."<sup>(٢)</sup>

ولكن الذي يبدو لي هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقرب المأمون للإيرانيين، وتعبه للخراسانيين، وإنما عكس ذلك هو الصحيح، فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب وأهل بيته، والعلويين.

لا بد من اختيار خراسان:

وبعد أن فرغت يد المأمون من بني أبيه، والبرامكة (١)، والعرب، والعلويين، اضطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون والمساعدة، وتكون سلما لأغراضه، وأداة لتحقيق أهدافه ومآربه.

ولم يبق أمامه غير خراسان، فاختارها، كما اختارها محمد بن علي العباسي من قبل. فأظهر لهم الميل الحب، وتقرب إليهم، وقربهم

إليه، وأراهم: أنه محب لما ولمن يحبون، وكاره لما ولمن يكرهون. حتى إنه عندما علم منهم الميل إلى العلويين، والتشيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، ومتشيع لهم.

كما أنه كان من جهة ثانية قطع لهم على نفسه الوعود والعهود، برفع (١) ذكرنا للبرامكة هنا ليس عفويا، فإن محط نظرنا يشمل حتى الأيام الأولى، التي فتح بها المأمون عينيه، وعرف واقعه، وأدرك الأخطار، التي تتهدده، وتتهدد مستقبله في الخلافة مع أخيه الأمين، فلا يرد علينا: أن البرامكة قد نكبهم الرشيد قبل خلافة المأمون بزمان. مضافا إلى الدور الكبير الذي لعبه البرامكة في تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا (... ١٧٠) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن علي (١)، خراسان (٢)، الإختيار، الخيار (١) الظلم والحييف عنهم، ورد عنهم الكيد، الأمر الذي جعلهم يثقون به، ويطمنون إليه، ويعلقون كل آمالهم عليه. تشيع الإيرانيين:

هذا. وليس تشيع (١) الإيرانيين بالأمر الذي يحتاج إلى إثبات، بعد أن تقدم معنا: أن دولة العباسيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، وأهل البيت. وبعد أن رأينا الخراسانيين يظهر النياحة على " يحيى بن زيد " سبعة أيام، وكل مولود ولد في خراسان في سنة قتل يحيى سمي ب " يحيى " (٢). بل يذكر البلاذري: أنه لما استشار المنصور عيسى بن موسى في أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، فأشار عليه بأن يولى المدينة رجلا- خراسانيا، قال له المنصور: " يا أبا موسى إن محبة آل أبي طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، وإن وليت أمرها رجلا- من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه وبين طلبهما، والفحص عنهما، ولكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ " (٣).

وقد تقدم معنا: كيف وصف المؤرخون ما جرى في نيشابور، حين دخلها الإمام الرضا، وسيأتي في فصل: خطه الإمام، وصف ما جرى في مرو حينما خرج الإمام ليصلى بالناس. ولقد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عندما أرادوا قتله، انتقاما للفضل بن سهل. (١) قد تقدم منا ما نقصده بكلمة " التشيع " في هذا الكتاب، فلا نعيد.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٣، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٥٧، وليراجع أيضا نزهة الجليس ج ١ ص ٣١٦، فإن فيه ما يشير إلى ذلك.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٣ ص ١١٥. (١٧١) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، يحيى بن زيد (١)، خراسان (٣)، الشام (١)، الظلم (١)، القتل (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذري (١)

بل لقد بلغ من حب الإيرانيين لأهل البيت أن المأمون كان يخشى على نفسه أن يقتلوه، لو أنه أراد أن يرجع عن البيعة للإمام الرضا بولاية العهد (١).

ويقول جرجي زيدان: " وكان الخراسانيون، ومن والاهم من أهل طبرستان والديلم، قبل قيام الدولة العباسية، من شيعة علي، وإنما بايعوا للعباسيين مجاراة لأبي مسلم أو خوفا منه " (٢).

وقال أحمد أمين: " إن الفرس يجرى في عروقهم التشيع " (٣) ويقول الدكتور الشيبلي: " إن الفرس قد عادوا إلى التشيع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا، ثم المنصور، ثم الرشيد " (٤) ويقول أحمد شلبي: " إنه ربما كان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه يريد أن يحقق آمال الخراسانيين، الذين كانوا إلى أولاد علي أميل " (٥) ما هو سر تشيع الإيرانيين؟

يقول السيد أمير علي، وهو يتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضية بني فاطمة: " وقد أظهر الإمام علي منذ بداية الدعوة الإسلامية (١) تاريخ التمدن الإسلامي المجلد الثاني، جزء ٤ ص ٤٤٠.

(٢) نفس المصدر والمجلد، والجزء ص ٢٣٢، ولا يهمننا هنا مناقشة جرجي زيدان فيما جعله سببا لبيعتهم للعباسيين، ولعل ما قدمناه في فصل: قيام الدولة العباسية كاف في ذلك.

(٣) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥.

(٤) الصلوة بين التصوف والتشيع ص ١٠١.

(٥) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٠٧. (١٧٢) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (٢)

كل تقدير، ومودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام، لقد كان سلمان الفارسى، وهو أحد مشاهير أصحاب الرسول، رفيق على وصديقه.

وكان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه "النقدى" فى الأنفال لافتداء الأسرى. وكثيرا ما أقنع الخليفة عمر بمشورته، فعمد إلى تخفيف عبء الرعية فى فارس. وهكذا كان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح ("١).

ويرى فان فلوتن: إن من أسباب ميل الخراسانيين، وغيرهم من الإيرانيين للعلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، ولا رأوا عدلا إلا فى زمن حكم الإمام على (ع) (٢).

أما الأستاذ على غفورى فىرى (٣): أن الإيرانيين كانوا قبل الإسلام يعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاكمة، وأن عليهم أن ينفذوا الأوامر من دون: كيف؟ ولماذا؟. فجاء الإسلام بتعاليمه الفطرية السهلة السمحاء، فاعتنقوه بكل رضى وأمل، وبدأ جهادهم فى سبيل إقامة حكومة إسلامية حقيقية.

وبما أن أولئك الذين تسلموا زمام الأمور - باستثناء الإمام على طبعاً - كانوا منحرفين [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الأمويين] عن الإسلام، وتعاليمه، ويحاولون تلبس عاداتهم الجاهلية، حتى التمييز القبلى، والعرقى بلباس الإسلام. وإعطائها صفة القانونية والشرعية.

فإن الإيرانيين لم يجدوا أهداف الإسلام، وتعاليمه فى تلك الحكومات، ولهذا كان من الطبيعى أن يتوجهوا إلى على، والأئمة من ولده، الذين تعدى الآخرون على حقوقهم بالخلافة، والذين كان سلوكهم المثللى هو (١) روح الإسلام ص ٣٠٦.

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات.

(٣) يادبود هشتمين امام "فارسى". ("١٧٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، سلمان المحمدى (الفارسى) رضوان الله عليه (١)، الهدف (١)، الجهل (١)

المرآة الصافية، التى تنعكس عليها تعاليم الإسلام وأهدافه، ويمثلون الصورة الحقيقية للإسلام على مدى التاريخ. وكان صدق علمهم، وزهدهم، واستقامتهم يطبق الخافقين، وخصوصا الصادق والرضا، الذى اهتبل الفرصة إبان الخلاف بين الأمين والمأمون لنشر تعاليم الإسلام. وتعريف الناس على الحقائق، التى شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلك الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، وتتعرف عليها الأمة الإسلامية، وعلى فضائلها، وكماالاتها، لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزرى لأولئك الحكام، والمنزلقين لهم. والذين كانوا يتحكمون بمقدرات الأمة، وإمكاناتها، وإذا أدركوا ذلك فإن من الطبيعى أن لا يترددوا فى تأييد الأئمة، ومساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم. ولهذا فقد جهد الحكام فى أن يزوهم ويعدوهم ما أمكنهم عن الناس، ووضعهم تحت الرقابة الشديدة، وفى أحيان كثيرة فى غياب السجون. حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التى كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوك والظنون.

عودة على بدء:

وعلى كل حال.. فإن ما يهمنى هنا هو مجرد الإشارة إلى تشيع الإيرانيين، الذى حاول المأمون أن يستغله لمصالحه وأهدافه. حيث قد أثمرت وعود المأمون للخراسانيين، وتحميه لهم. وتقربه منهم، وتظاهره بالحب لعلى (ع) وذريته، الثمار المرجوة منها، لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئك الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون. ويضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح. وانتهاء بالرشيد، الذى لم يستطع يحيى بن خالد البرمكى أن (١٧٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير

المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، يحيى بن خالد (١)، الصدق (١)، القتل (١)، الظن (١)

يسمع لعلوى ذكرا في خراسان في زمانه. رغم أنه جهد كل الجهد من أجل ذلك. وفي سبيله، حسبما تقدم. كما أنهم - أعنى الخراسانيين - قد توسموا في المأمون أن يكون المنقذ لهم من أولئك الولاة، الذين ساموهم شتى ضروب العسف، والظلم والعذاب. والذين لم يكن بهمهم غير مصالحهم، وإرضاء شهواتهم وملذاتهم، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للتاريخ. وقد وثقوا إلى حد ما بعود المأمون تلك، التي كان يصدقها عليهم، وعلى غيرهم بدون حساب، وأمنوا جانبه، فكانوا جنده، وقواده، ووزراءه المخلصين، الذين أخضعوا له البلاد، وأذلو له العباد، وبسطوا نفوذ وسلطانه على كثير من الولايات والأمصار، التي كان يطمح إلى الوصول إليها، والسيطرة عليها.

كيف يثق العرب بالمأمون!؟

وهكذا إذن.. يتضح أن ميل المأمون للإيرانيين ما كان إلا دهاء منه وسياسة، استغلها المأمون أحسن ما يكون الاستغلال، حتى استطاع أن يصل إلى الحكم، ويتربع على عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزيز على العباسيين والعرب، وقضى على أشياعه بسيوف غير العرب، وذلك ذنب آخر لن يسهل على العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولى على بغداد رجلا غير عربى، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذى تكرهه بغداد والعرب كل الكره.. ثم إنه بعد هذا كله جعل مقر حكمه مروا الفارسية، وليس بغداد العاصمة العربية الأولى التى خربها ودمرها.. وكان ذلك من شأنه أن يثير المخاوف لدى العرب فى أن تتحول الإمبراطورية العربية إلى إمبراطورية (١٧٥) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (٣)، الحسن بن سهل (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (١)، القتل (١)

فارسية، وخصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذين أوصلوا المأمون إلى الحكم.. وقد أثبتوا جدارتهم، وأهليتهم فى مختلف المجالات، وخصوصا السياسة، وشؤون الحكم.

قتل الأمين وخيبة الأمل:

وإن قتل الأمين، وإن كان يمثل - فى ظاهره - انتصارا عسكريا للمأمون إلا أنه كان فى الحقيقة ذا نتائج سلبية وعكسية بالنسبة للمأمون، وأهدافه، ومخططاته.. سيما بملاحظة الأساليب التى اتبعتها المأمون للتشفى من أخيه الأمين، الذى كان قد أصدر الأمر لظاهر بالأمس بأن يقتله (١). حيث رأينا أنه قد أعطى الذى جاءه برأس أخيه - بعد أن سجد لله شكرا! - ألف ألف " أى مليون " درهم (٢). ثم أمر بنصب رأس أخيه على خشبة فى صحن الدار، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه، فكان الرجل يقبض، ويلعن الرأس، ولم ينزله حتى جاء رجل فلعن الرأس، ولعن والديه، وما ولدا، وأدخلهم فى " كذا وكذا " من أمهاتهم، وذلك بحيث يسمعه المأمون، فتبسم، وتغافل، وأمر بحط الرأس (٣)!

ويا ليتته اكتفى بكل ذلك.. بل إنه بعد أن طيف برأس الأمين بخراسان (٤) (١) لقد نص الأستاذ على غفورى فى كتابه الفارسي " يادبود هشتمين إمام " ص ٢٩ على أن المأمون " لم يرض بقتل الأمين فحسب، بل أنه هو الذى أمر بقتله " ..

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩، والطبرى، طبع دار القاموس الحديث ج ١٠ ص ٢٠٢، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٣، وحياة الحيوان ج ١ ص ٧٢، وتجارب الأمم المطبوع مع العيون والحدائق ج ٦ ص ٤١٦.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٤، وتتمه المنتهى ص ١٨٦ والموفقيات ص ١٤٠.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩٨. (١٧٦) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (١)، القتل (٣)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)

أرسل إلى إبراهيم بن المهدي يعنفه ويلومه على أنه أسف على قتل الأمين، ورثاه (١)!

فماذا ننتظر بعد هذا كله، وبعد ما قدمناه: أن يكون موقف العباسيين. والعرب، بل وسائر الناس منه..

إن أيسر ما نستطيع أن نقوله هنا: أنه كان لقتله أخاه، وفعاله الشائنة تلك.. أثر سئ على سمعته، ومن أسباب زعزعة ثقة الناس، به،

وتأكيد نفورهم منه، سواء في ذلك العرب، أو غيرهم.

وقد استمر ذلك الأثر أعواما كثيرة، حتى بعد أن هدأت نائرة الناس، ورجع إلى بغداد.

فقد جلس مرة يستاك على دجلة، من وراء ستر، فمر ملاح، وهو يقول: "أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه!"

قال: فسمعه المأمون، فما زاد على أن تبسم، وقال لجلسائه:

"ما الحيلة عندكم. حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل ("٢).

وقال له الفضل بن سهل، عندما عزم على الذهاب إلى بغداد:

"ما هذا بصواب، قتلت بالأمس أخاك، وأزلت الخلافة عنه، وبنو أبيك معادون لك، وأهل بيتك والعرب.. إلى أن قال: والرأى، (١)

البداية والنهاية ج ١٠ ص ٤٤٣.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٩، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٠، وروض الأختيار في منتخب ربيع الأبرار

ص ١٨٦، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٠. (١٧٧) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (٢)، الفضل بن سهل (١)، القتل (٣)، كتاب تاريخ

بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)

أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا، ويتناسوا ما كان من أمر أخيك ("١..).

المأمون في الحكم:

وإذا ما أردنا أن نعطف نظرنا على ناحية أخرى في سياسة النظام المأموني، فإننا سوف نرى أنه لم يكن موفقا في سياسته مع الناس،

سواء في ذلك العرب أو الإيرانيون، بالأخص أهل خراسان، حيث لم يحاول أن يتجنب سياسة الظلم والعسف والاضطهاد، التي كان

يمارسها أسلافه مع الرعية. بل لعله زاد عليهم، وسبقهم أشواطا بعيدة في ذلك، أما سياسته مع العرب:

فالمأمون، وإن استطاع أن يصل إلى الحكم إلا أنه فشل في مهمة الفوز بثقة العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالإضافة إلى ما قدمناه تحت

عنوان "كيف يثق العرب بالمأمون." ما نالهم منه، ومن عماله، من صنوف العسف والظلم - عدا عما فعلته فيهم تلك الحروب

الطاحنة، التي شنّها ضد أخيه الأمين - فإن ذلك يفوق كل وصف، ويتجاوز كل تقدير، (١) البحار ج ٤٩ ص ١٦٦، ومسند الإمام

الرضا ج ١ ص ٨٥، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٠، هذا.. وتجدر الإشارة هنا: إلى أن بعض

المحققين يرى: أن قتل الأخ في سبيل الملك، لم يكن من الأمور التي يهتم لها الناس كثيرا في تلك الفترة، سيما إذا كان المقتول هو

المعتدى أولا، والأمين هنا هو المعتدى على المأمون، بخلعه أولا، ثم بإرساله جيشا إلى إيران لمحاربتة، والذي هزم على يد طاهر بن

الحسين، ولكننا مع ذلك.. لا نزال نصر على رأينا في هذا المجال، سيما وأنا نرى في النصوص التاريخية ما يدعم هذا الرأى ويقويه.

(١٧٨) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (٢)، الظلم (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، دولة إيران (١)، كتاب أعيان الشيعة

للأمين (١)، طاهر بن الحسين (١)، القتل (١)

حتى لقد وصف: "ديونيسيوس" جباة الخراج في العراق في سنة (٢٠٠ هـ). بأنهم: "قوم من العراق، والبصرة. والعاقولاء، وهم عتاء،

ليس في قلوبهم رحمة، ولا إيمان، شر من الأفاعى، يضربون الناس، ويحبسونهم. ويعلقون الرجل البدين من ذراع واحد، حتى يكاد

يموت ("١).

والإيرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا:

ولم يكن حالا الإيرانيين من هذه الجهة بأفضل من حال أهل العراق.

ويذكر الجاحظ: أن المأمون ولي محمود بن عبد الكريم التضيف "فتحامل على الناس، واستعمل فيهم الأحقاد والدمن، فخفض

الأرزاق، وأسقط الخواص، وبعث في الكور، وأنحى على أهل الشرف والبيوتات، حسدا لهم، وإشفاء لغليل صاحبه منهم، فقصد لهم

بالمكروه والتعنت فامتنت طائفة من الناس من التقدم إلى العطاء، وتركوا أسماءهم، وطائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسين بخراسان،

فسقط بذلك السبب بشر كثير (".. ٢).

يقول الجنرال جلوب وهو يتحدث عن المأمون.. " وراح يلقي خطبته الأولى في الناس، فيعدهم بأن يكون حكمه فيهم طبقاً للشرع، وأن يكرس نفسه لخدمة الله وحده. وقد أثارت هذه الوعود التقيئة حماسة عند الناس. وكانت من أهم أسباب انتصاره. لكن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلى فجيعة نزلت بالناس، إذ أن الخليفة ما لبث أن نسيها (".. ٣) (١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم مترج ١ ص ٢٣٢.

(٢) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) إمبراطورية العرب، ترجمة، وتعليق خيرى حماد ص ٥٧٠. (١٧٩) صفحهمفاتيح البحث: دولة العراق (٣)، طاهر بن الحسين (١)، عبد الكريم (١)، خراسان (١)، الموت (١)، التقيئة (١)، السب (١) ويكفى أن نشير هنا إلى المجاعة التي أصابت أهل خراسان، والرى. وأصبهان، وعز الطعام، ووقع الموت، وذلك في سنة ٢٠١ للهجرة.. المأمون مع الرعية عموماً:

وعن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

" ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل، وتذكرنا شراهة المنصور، والرشيد، والمأمون، وجشعهم، وجور أولاد علي بن عيسى، وعبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج، وهشام، ويوسف بن عمر الثقفي. ولدينا البراهين الكثيرة على فجيعة الناس في هذا العرش الجديد، ومقدار انخداعهم به، " .. ثم يضرب أمثلة من الخارجين على سياسات العباسيين تلك. ثم يقول.. " كل ذلك يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والعسف لم يزل على ما كان عليه في عهد بنى أمية الأول (".. ١).

قال ابن الجراح: إن إبراهيم بن المهدي كان "يرمى المأمون بأمه (٢)، وإخوته، وأخواته، ومن أيسر ذلك قوله:

صد عن توبة وعن إخبات \* ولها بالمجون والقينات ما ييالي إذا خلا بأبي عيسى \* وسرب من بدن أخوات أن يغص المظلوم في حومة الجور \* بداء بين الحشا واللهاة (٣) (١) السيادة والعربية والشيعنة والإسرائيليات ص ١٣٢. (٢) ولكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!! ولعله يريد أن أمه كانت متهمه، فكان يعير بها..

(٣) الورقة، لابن الجراح ص ٢١، ولا- بأس بمراجعة كتاب: أشعار أولاد الخلفاء. (١٨٠) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية

(العباسيون) (١)، بنو أمية (١)، علي بن عيسى (١)، خراسان (١)، الطعام (١)، الضرب (١)، الموت (١)، الظلم (١)، النفاس (١)

وما يهمننا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملك إلا أن نقول " أهل البيت أدرى بالذى فيه. " ..

وعلى كل حال. فإننا لا نستغرب على المأمون صفة الظلم والعسف والجور. بعد أن رأينا أنه عندما عرضت عليه سيرة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (ع) يأبى أن يأخذ بها جميعاً، لأنه كان يجد في آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، ويضعونها في حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذي أراد الإعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير، لأن في آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، ويضعها كيف شاء.. وقال المأمون حينئذ " إن كان فهذا (!) " وفي رسالته عبد الله بن موسى للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع في أواخر هذا الكتاب.

وماذا بعد الوصول إلى الحكم:

وهكذا.. فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، وتخلص من من أشياعه ومساعديه، وبعد أن توتى الحملة الدعائية ضدهم ثمارها - كان يحسب ويقدر - أن الطريق يكون قد مهد له للاستقرار في الحكم، وأنه سوف يستطيع بعد هذا أن يطمئن، وينام قرير العين.

ولكن فآله قد خاب، وانقلبت مجريات الأمور في غير صالحه، فإن الإيرانيين قد " انفضوا بعد الحرب الأهلية المفجعة بين الأمين

والمأمون، عن (١) المحاسن والمساوي لليهقي ص ٤٩٥. (١٨١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، عبد الله بن موسى (١)، الظلم (١)، القتل (١)، الحرب (١)

تأييد العباسيين ("١). انفضوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم ومحبتهم، وتأييدهم، لأنهم يعرفون أنهم هم الذين يقيمون العدل، ويعملون بشريعة الله - وما موقف نيسابور، وصلاتي العيد، إلا الدليل الواضح والقاطع على تلك العاطفة، وذلك الحب والتقدير. وأيضا انفضوا عنه لأنه قد كشف لهم عن وجهه الحقيقي، وعرفهم بواقعه الأنانى البشع، وخصوصا بعد أن عانوا ما عانوا هم وغيرهم من صنوف الظلم والجور والاضطهاد، فى ظل نظام الحكم الذى طالما عملوا من أجله، وضحوا فى سبيله.

وحتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييدهم له، فإنه لا يستطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلك التأييد، وعلى ثقتهم به طويلا، فإنه كان من السهل - بعد أن فعل بأخيه وأشياعه، وغيرهم. ما فعل - أن يكتشفوا أن ذلك منه ما كان إلا سياسة ودهاء. كما أنه أصبح من الصعب عليهم - بعد تجربتهم الأولى معه، ومع وعوده، التى ما أسرع ما نسيها - أن يقتنعوا منه بالأقوال التى لا تدعمها الأفعال، ولسوف لا يطمثون إليه، ولن يتفادوا له - بعد هذا - بالسهولة التى كان يتوقعها.

الموقف الصعب:

كانت تلك لمحمة خاطفة عن موقف العباسيين، والعرب تجاه المأمون.

ذلك الموقف، الذى كان يزداد حساسية وتعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلك أيضا الخطر الذى كان يكمن فى موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، وسلموا إليه أزمة الحكم والسلطان..

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله، موقف العلويين، الذين اغتتموا فرصة (١) إمبراطورية العرب ص ٦٤٩. (١٨٢) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (١)

الصدام بينه وبين أخيه، لتجميع صفوفهم، ومضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع والظروف، التى كان يعانى منها المأمون، ونظام حكمه آنذاك.. سيما ونحن نراه فى مواجهة تلك الثورات العارمة، وبالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، التى كانت تظهر من جانب ومكان، وكل ناحية من نواحي مملكته.

ثورات العلويين. وغيرهم:

فأبو السرايا - الذى كان يوما ما من حزب المأمون (١) - خرج بالكوفة. وكان هو وأتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها (٢).

ويقال: إنه قد قتل من أصحاب السلطان، فى حرب أبى السرايا فقط، مئتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر (٣).

وحتى البصرة، معقل العثمانية (٤)، قد أيدت العلويين، ونصرتهم، (١) ففى الطبرى ج ١٠ ص ٢٣٦، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٥، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٩، طبعة ثالثة: أن المأمون قال لهرثمة "مألأت أهل الكوفة، والعلويين، وداهنت، ودسست إلى أبى السرايا، حتى خرج، وعمل ما عمل، وكان رجلا من أصحابك إلخ". واتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

(٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٤، ومقاتل الطالبين ص ٥٣٥.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٥٠، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٤٥.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٧٣، وسيأتى كلام محمد بن على العباسى. المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب.. (١٨٣) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (١)، القتل (٢)، الحرب (١)، كتاب مقاتل

الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، محمد بن على (١)

فقد خرج فيها زيد النار (١)، ومعه علي بن محمد، كما خرج منها من قبل علي المنصور إبراهيم بن عبد الله..  
وفي مكة، ونواحي الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذي كان يلقب بـ "الديباج" وتسمى بـ "أمير المؤمنين" (٢).  
وفي اليمن: إبراهيم بن موسى بن جعفر..

وفي المدينة: خرج محمد بن سليمان بن داوود، بن الحسن بن الحسين، ابن علي بن أبي طالب.  
وفي واسط: التي كان قسم كبير منها يميل إلى العمانيه - خرج جعفر ابن محمد، بن زيد بن علي. والحسين بن إبراهيم، بن الحسن بن علي.

وفي المدائن: محمد بن إسماعيل بن محمد..

بل إنك قد لا تجد قطرا، إلا وفيه علوى يمنى نفسه، أو يمنية الناس بالثورة ضد العباسيين - حسبما نص عليه بعض المؤرخين - حتى  
لقد اتجه أهل الجزيرة، والشام، المعروفة بتعاطفها مع الأمويين، (١) سمي بذلك. لأنه حرق دور العباسيين في البصرة بالنار، وكان إذا  
أتى برجل من المسودة، أحرقه بشابه.. على ما ذكره الطبرى ج ١١ ص ٩٨٦، طبع ليدن، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٧، وتاريخ ابن  
خلدون ج ٣ ص ٢٤٤، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٤٦.

وفي الروايات أن الرضا عليه السلام أظهر الاستياء من فعل أخيه زيد. ولعل سبب ذلك أنه بالإضافة إلى أنه أقدم في ثورته على أعمال  
تنافي أحكام الدين، وتضرر إضرارا بالغا بقضية العلويين العادلة.. كان يمالئ الزيدية.. أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زيد، وإبعاد  
التهمة عن نفسه، بأنه هو المدبر لأمر أخيه.

(٢) وليس في العلويين - باستثناء الإمام علي (ع) طبعاً - قبله، ولا بعده، من تسمى بـ "أمير المؤمنين" غيره، كما في مروج الذهب  
ج ٣ ص ٤٣٩.

و "الديباجة" لقب لأكثر من واحد من العلويين.. (١٨٤) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، إبراهيم  
بن موسى بن جعفر (١)، إبراهيم بن عبد الله (١)، محمد بن إسماعيل بن محمد (١)، الحسين بن إبراهيم (١)، علي بن أبي طالب (١)،  
محمد بن زيد بن علي (١)، الحسن بن الحسين (١)، محمد بن سليمان (١)، الحسن بن علي (١)، علي بن محمد (١)، محمد بن جعفر  
(١)، الشام (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، كتاب  
الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، مدينة البصرة (١)

وآل مروان.. إلى محمد بن محمد العلوى، صاحب أبي السرايا، فكتبوا إليه: أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا، ليسمعوا له، ويطيعوا  
..(١)

وأما ثورات غير العلويين، فكثيرة أيضا، وقد كان من بينها ما يدعو إلى "الرضا من آل محمد،" كثورة الحسن الهرش سنة ١٩٨ (٢)  
..

وسواها ولا مجال لنا هنا للتعرض إليها. ومن أرادها فعليه بمراجعة الكتب التاريخية المتعرضة لها (٣).

الزعيم العباسي الأول يعترف:

هذا مع أن أكثر تلك الأقطار لم تكن تؤيد العلويين، ولا تدين لهم بالولاء باعتراف الزعيم العباسي الأول: محمد بن علي بن عبد الله،  
والد إبراهيم الإمام، حيث قال لدعاته:

.. "أما الكوفة وسوادها: فهناك شيعه علي، وولده. وأما البصرة، وسوادها: فعثمانية، تدين بالكف. وأما الجزيرة: فحرورية مارقة، (١)  
مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.. راجع في بيان ثورات العلويين: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٤، إلى ص ٢٤٧، واليعقوبي ج ٣ ص ١٧٣،  
١٧٤، ومروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٩، ٤٤٠، ومقاتل الطالبين، والطبرى. وابن الأثير، وأي كتاب تاريخي شئت، لترى كيف أن الثورات  
في الفترة الأولى من عهد المأمون، قد عمت جميع الأقطار والأمصار..



(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٤، والطبري ج ١١ ص ٩٧٥، طبع ليدن.

(٣) وقد تغلب حاتم بن هرثمة على أرمينية، وكان هو السبب في خروج بابك الخرمي.

وتغلب نصر بن شبيب على كيسوم، وسمسياط، وما جاورها، وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي، وكثرت جموعه، ولم يستسلم إلا في سنة ٢٠٧ هـ. وهناك أيضا حركات الزط. وثورة بابك. وثورة المصريين التي كانت بين القيسية المناصرة للأمين واليمانية المناصرة للمأمون. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه.. (١٨٥) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، على بن عبد الله (١)، مدينة البصرة (١)، محمد بن محمد (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب البداية

والنهاية (٢)، نهر الفرات (١)، ابن الأثير (١)، القتل (١)، السب (١)

وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى. وأما الشام:

فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة راسخة، وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة: فغلب عليهما أبو بكر، وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان الخ (".. ١).

ونقل عن الأصمعي أيضا كلام قريب من هذا (٢).

دلالة هامة:

ومن بعض ما قدمناه في الفصول المتقدمة، سيما فصل: موقف العباسيين من العلويين، وأيضا مما ذكرناه هنا نستطيع أن نستكشف أن حق العلويين بالخلافة والحكم، قد أصبح من الأمور المسلمة لدى الناس، في القرن الثاني، الذي يعد من خير القرون.. حيث لم تكن عقيدة عامة الناس قد استقرت بعد على هذه العقيدة المتداولة لدى أهل السنة اليوم، والتي أشرنا إلى أنها العقيدة التي وضع أسسها معاوية.. وعليه.

فما يدعيه أهل السنة اليوم من أن عقيدتهم في الخلافة قد وصلت إليهم يدا بيد، إلى عصر النبي صلى الله عليه وآله غير صحيح على الإطلاق، بل إن الشيخ محمد عبده يرى: إن رسوخ عقيدة "إن حق الخلافة لأهل البيت، وشيوع ذلك في العرب خاصة." هو الذي دعا المعتصم إلى تشييد ملكه على الترك، وغيرهم من العجم، يقول الشيخ محمد عبده: "كان الإسلام دينا عربيا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد أن كان (١) البلدان للهمداني ج ٢ ص ٣٥٢، وأحسن التقاسيم للمقدسي ص ٢٩٣، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠٤، والسيادة العربية، والشيعنة والإسرائيليات ص ٩٣، ولا بأس بمراجعة: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٠٢، (٢) روض الأختيار، المنتخب من ربيع الأبرار ص ٦٧، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٦، ص ٢٤٨. (١٨٦)

صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، خراسان (١)، الشام (١) يونانيا، ثم أخطأ خليفته في السياسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيرا: ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفته علوي، لأن العلوي ألقى بيت النبي صلى الله عليه وآله، فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبياً من الترك والديلم وغيرهم من الأمم التي ظن أنه يستعدها بسلطانه، ويصطنعها بإحسانه، فلا تساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملك (".. ١).

عودة على بدء:

وعلى كل حال.. فإننا إذا أردنا تقييم تلك الثورات، التي كانت تواجه الحكم العباسي، فإننا سوف نجد: أن ما كان يكمن فيه الخطر الحقيقي هو ثورات العلويين، لأنها كانت تظهر في مناطق حساسة جدا.

في الدولة، ولأنها كانت بقيادة أولئك الذين يمتلكون من قوة الحجّة، والجدارة الحقيقية، ما ليس لبني العباس فيه أدنى نصيب..

وكان في تأييد الناس لهم. واستجابتهم السريعة لدعوتهم دلالة واضحة على شعور الأمة. بمختلف طبقاتها، وفئاتها تجاه حكم العباسيين، ونوعية تفكيرها تجاه خلافتهم، وعلى مدى الغضب الذي كان يستبد بالنفوس، نتيجة استهتار العباسيين، وظلمهم، وسياساتهم الرعناء، مع الناس عامة. ومع العلويين بشكل خاص.

وقد كان المأمون يعلم أكثر من أى شخص آخر، كم سوف يكون حجم الكارثة، لو تحرك الإمام الرضا - الذى اهتبل فرصة الحرب بينه وبين أخيه، لتحكيم مركزه، وبسط نفوذه ضد الحكم القائم.. (١) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده. (١٨٧) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، بنو عباس (١)، الوسعة (١)، الغضب (١)، الحرب (١)، الظن (٢)

الناس لم يبايعوا المأمون كلهم بعد:

وبعد كل ما تقدم.. فإن من الأهمية بمكان، أن نشير هنا، إلى أن العلويين، وقسما كبيرا من الناس، بل وعامة المسلمين، لم يكونوا قد بايعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد، فحالهم فى الخلاف عليه أشهر من أن يذكر، وقد قدمنا فى أول هذا الفصل عبارته فى رسالته، التى كان قد أرسلها للعباسيين فى بغداد..

وأما أهل الكوفة - التى كانت دائما شيعة على وولده - فلم يبايعوا له، بل بقوا على الخلاف عليه، إلى أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسى، يدعوهم، ففعدوا عنه، ولم يجبه إلا البعض منهم، وقالوا: "إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك. فلا حاجة لنا فى دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك، أجنبناك". (١).

ويلاحظ هنا: كيف قد اختير رجل علوى، وأخو الإمام الرضا (ع) بالذات، ليرسل إلى الكوفة، المعروفة بالتشيع للعلويين.. ويلاحظ أيضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما كان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسي.

وأما أهل المدينة، ومكة، والبصرة، وسائر المناطق الحساسة فى (١) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٩٠، وتجارب الأمم ج ٦ المطبوع مع العيون والحدائق ص ٤٣٩، وفى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ١٠٢٠، طبع ليدن، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٨: أنه قد أجابه قوم كثير منهم، ولكن قعد عنه الشيعة وآخرون..

لكن ظاهر حال الكوفة التى كانت دائما شيعة على وولده هو أن المجيبين له كانوا قلة.

كما ذكر ابن الأثير. (١٨٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٣)، العباس بن موسى (١)، مدينة بغداد (٢)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، ابن الأثير (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١) الدولة، فقد تقدم ما يدل على حقيقة موقفهم منه، ومن نظام حكمه.

وقد كتب المأمون نفسه بخط يده، فى وثيقة العهد للإمام يقول:

.. "ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وقواده، وخدمه، فبايعوا مسارعين.. إلى أن قال: فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، ومن بالمدينة المحروسة، من قواده، وجنده، وعامة المسلمين لأمر المؤمنين، وللرضا من بعده، على بن موسى.. والوثيقة المذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

فقوله: "لأمير المؤمنين، وللرضا من بعده". يدل دلالة واضحة على أن عامة المسلمين ما كانوا قد بايعوا بعد: "لأمير المؤمنين، فضلا عن: "أهل المدينة المحروسة.."

وحتى لو أنهم كانوا قد بايعوا له، فإن بيعتهم هذه، وجودها كعدمها، إذ أن عصيانهم، وتمردهم عليه، وعلى حكمه، لم يكن ليخفى على أحد.. بعدما قدمناه من ثوراتهم تلك. التى كانت تظهر من كل جانب ومكان. وكان كلما قضى على واحدة منها تظهر أخرى داعية لما كانت تدعو إليه تلك، أى إلى: "الرضا من آل محمد،" أو إلى أحد العلويين، الذين يشاهد المأمون عن كذب قدرتهم، وقوتهم، ونفوذهم الذى كان يتزايد باستمرار يوما عن يوم.. ولم تستقم له فى الحقيقة سوى خراسان.

نعم بعد أن عاد إلى بغداد، وكان قد قوى أمره، واتسع نفوذه، بدأ الناس يبايعونه فى الأقطار، ويتعللون بأن امتناعهم إنما كان ظاهريا،

وأنهم كانوا في السر معه، وعلى ولائه، على ما صرح به اليعقوبي في تاريخه. (١٨٩) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، خراسان (١)، الشهادة (١)

المأمون يدرك حرجة الموقف:

تلك هي باختصار حالة الحكم العباسي بشكل عام. وحالة المأمون، وظروفه في الحكم بشكل خاص.. في تلك الفترة من الزمن.. وقد اتضح لنا بجلالة: أن الوضع كان بالنسبة إلى المأمون، ونظام حكمه، قد ازداد سوءاً، بعد وصول المأمون إلى الحكم، وتضاعفت الأخطار، التي كان يواجهها، وأصبح - هو وعرشه - في مهب الريح. وتحت رحمة الأنواء.. وإذا كان ليس من الصعب علينا: أن نتصور مدى الخطر الذي كان يهدد المأمون، وخلافته، وبالتالي مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام.. فإنه من الطبيعي أن لا يكون من الصعب على المأمون أفعى الدهاء والسياسة أن يدرك - بعمق، إلى أي حد كان مركزه ضعيفاً، وموقفه حرجاً، حيث إنه هو الذي كان يعيش - أكثر من أي إنسان آخر - في ذلك الخضم الزاخر بالمشاكل، والمتاعب، والأخطار.

وخصوصاً وهو يواجه الثورات. وبالأخص ثورات العلويين، أقوى خصوم الدولة العباسية، تظهر من كل جانب ومكان، وكل ناحية من نواحي مملكته. كما أنه لم يكن ليصعب عليه أن يدرك أن الكثير من المشاكل التي يعاني منها إنما كان نتيجة السياسات الرعناء. التي انتهجها أسلافه، مع الناس عامة، ومع العلويين خاصة. وأن يدرك أن الاستمرار في تلك السياسة. أو حتى مجرد الاهتمام، والتواني في علاج الوضع، سوف يكون من أبسط نتائجها أن تلقى خلافة العباسيين على أيدي العلويين نفس المصير الذي لقيته خلافة الأمويين على أيدي أسلافه من قبل..

ماذا يمكن للمأمون أن يفعل:

ولكن.. وبعد أن نجح المأمون في الوصول إلى ما كان يتمناه، وهو (١٩٠) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)

الحكم والسلطان، وإذا كان لا- يرضى به بنو أبيه، ولا- العلويون، ولا- العرب، وإذا كان حتى غير العرب، ضعفت ثقتهم به، وتزعزع مركزه في نفوسهم.

وأيضاً.. إذا كانت ثورات العلويين، فضلاً عن غيرهم.. تظهر من كل جانب ومكان.. وإذا كان الكثيرون، بل عامة المسلمين لم يبايعوا له بعد.. وهكذا إلى آخر ما تقدم. فهل يمكن للمأمون أن يقف تجاه كل تلك العواصف، والأهواء التي تتهدده، ونظام حكمه، مكتوف اليدين؟!

وماذا يمكن للمأمون بعد هذا أن يفعل، ليبقى محتفظاً بالحكم والسلطان، الذي هو أعز ما في الوجود عليه؟!

هذا - ما سوف نحاول الإجابة عليه في الفصل التالي. (١٩١) صفحهمفاتيح البحث: العزة (١)

## ظروف البيعة وأسبابها

ظروف البيعة وأسبابها إنقاذ الموقف!.. كيف؟!

قد قدمنا في الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون في الحكم، وأشرنا إلى أن الوضع كان يزداد سوءاً يوماً عن يوم.. وإلى أنه كان لا بد للمأمون من التحرك، والعمل بسرعة، شرط أن لا يزيد الفتق اتساعاً، والطين بلاءً. وأن يستعمل كل ما لديه من حنكة ودهاء، في سبيل إنقاذ نفسه، ونظام حكمه، وخلافة العباسيين بشكل عام..

وكان المأمون يدرك: أن إنقاذ الموقف يتوقف على:

١ - إخماد ثورات العلويين، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام والتقدير، ولهم نفوذ واسع في جميع الفئات والطبقات..

٢ - أن يحصل من العلويين على اعتراف شرعية خلافة العباسيين.

وليكون بذلك قد أفقدهم سلاحا قويا، لن يقر له قرار، إذا إذا أفقدهم إياه..

٣ - استئصال هذا العطف، وذلك التقدير والاحترام. الذى كانوا يتمتعون به، وكان يزداد يوما عن يوم - استئصاله - من نفوس الناس نهائيا، والعمل على تشويههم أمام الرأى العام، بالطرق، والأساليب (١٩٢) صفحهمفاتيح البحث: الوقوف (١)، الوسعة (١) التى لا تثير الكثير من الشكوك والشبهات، حتى لا يقدرّون بعد ذلك على أى تحرك، ولا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم، وليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائيا - سهلا وميسورا..

٤ - اكتساب ثقة العرب ومحبتهم..

٥ - استمرار تأييد الخراسانيين، وجامعة الإيرانيين له.

٦ - إرضاء العباسيين، والتمشيعين لهم، من أعداء العلويين.

٧ - تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذى كان لقتله أخاه أثر سئ على سمعته، وثقة الناس به.

٨ - وأخيرا.. أن يأمن الخطر الذى كان يهدده من تلك الشخصية الفذة، التى كانت تملأ جوانبه فرقا، ورعبا.. وأن يتحاشى الصدام المسلح معها. ألا وهى شخصية الإمام الرضا (ع)، وأن يمهّد الطريق للتخلص منها، والقضاء عليها، قضاء مبرما، ونهائيا. لا بد من الاعتماد على النفس:

وبعد هذا.. فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:

لم يكن يستطيع أن يستعين فى مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بنى أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، وعلى العرب، وبعد موافقه، التى تقدم بيان جانب منها تجاههم.. وأيضا. بعد أن كانوا لا يثقون به، ولا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه.

والأهم من ذلك أنه لم يكن فيهم الرجال الكفءاء، الذين يستطيع (١٩٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، القتل (٢)، العزة (١)

أن يعتمد عليهم (١)، يدلنا على ذلك أنهم بعد أن ثاروا على المأمون، بسبب بيعته للرضا عليه السلام، لم يجدوا فيهم شخصا أعظم، وأكفأ من ابن شكلة المغنى، فبايعوه، مع أنه من أصحاب المزامير والبرابط. وفيه يقول دعبل:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله \* فهفا إليه كل أطلس مائق إن كان إبراهيم مضطلعا بها \* فلتصلحن من بعده لمخارق ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل \* ولتصلحن من بعده للمارق أنى يكون. وليس ذاك بكائن \* يرث الخلافة فاسق عن فاسق (٢) كما أنه عندما أصبح إبراهيم هذا خليفة، قال بعض الأعراب، عندما جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخليفة ليعطى الجند، الذين ألحوا فى طلب أعطياتهم، قال: "فليخرج الخليفة إلينا، فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاءهم، ولأهل هذا الجانب مثلها" .. فقال فى ذلك دعبل - شاعر المأمون - يدم إبراهيم بن المهدي:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا \* خذوا عطاياكم، ولا تسخطوا فسوف يعطيكم حنينية \* لا تدخل الكيس، ولا تربط والمعبيات لقوادكم \* وما بها من أحد يغبط فهكذا يرزق أصحابه \* خليفة مصحفه البربط (٣) (١) وقد كان بينهم الكثيرون فى أول عهد الدولة العباسية. ونقصد ب " الكفاءة " هنا:

الكفاءة الظاهرية، التى يقرها منطق الجبارين المتغترسين، لا الكفاءة الحقيقية التى يريدّها الله، وجاء بها محمد. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

(٢) وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٨. والورقة لابن الجراح ص ٢٢، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، والشعر والشعراء ص ٥٤١، والكنى والألقاب ج ١ ص ٣٣٠. والأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح..

(٣) معاهد التنقيص ج ١ ص ٢٠٥، ٢٠٦، وشرح ميمية أبي فراس ص ٢٨١، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٩٠، والبحار ج ٤٩ ص ١٤٣، والغدير ج ٢ ص ٣٧٧، والأغانى ج ١٨ ص ٦٨، و ص ١٠١ طبع دار الفكر، والورقة لابن الجراح ص ٢٢، ونزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٤، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦، والحنينيات: منسوبة إلى حنين النجفى العبادى. المغنى المشهور، والمعبديات:

منسوبة إلى معبد المغنى المشهور، والبربط: ملهأء، تشبه العود، وهو فارسى معرب. وأصله: بربت: لأن الضارب يضعه على صدره.. انتهى عن نزهة الجليس. (١٩٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، الضرب (١) وإذا كان لا يستطيع أن يستعين ببنى أبيه العباسيين، فبالأحرى أن لا يستطيع أن يستعين على حل مشاكله بالعلويين، والمتشيعين لهم، بعد أن كانوا هم أساس البلاء والعناء له، والذين يخلقون له أعظم المشاكل، ويضعون فى طريق حكمه أشق العقبات. وأما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقة موقفهم منه.

والخراسانيون: لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته وواقعه الأنانى البشع، بقتله أخاه، وإبعاده طاهرا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: "ولقد ذكره الرضا بذلك. عندما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاك." أى الأساليب أنجع:

وبعد ذلك.. فإنه من الواضح أنه:

لم يكن لينقذ الموقف القسوة والعنف، وهو الذى يعانى المأمون من نتائجه السيئة ما يعانى.

ولا المنطق والحجاج، لأن العلويين - بناء على ما شاع عند الأمة، بتشجيع من خلفائها، من أن السبب فى استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله - إن العلويين بناء على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنهم يمتلكون اعترافا صريحا منهم بأن المستحق للخلافة هو (١٩٥) صفحهمفاتيح البحث: الحج (١)، القتل (١)، السب (١) الأقرب نسبا إلى النبى صلى الله عليه وآله.

هذا. وإذا ما أراد العباسيون، أو غيرهم الاحتجاج بالأهلية والجدارة لقيادة الأمة. فإن العلويين لا يدانيهم أحد فى ذلك، وذلك لما كانوا يتمتعون به من الجدارة والأهلية الذاتية لقيادة الأمة قيادة صالحة وسليمة..

وأما النص فمن هو ذلك الذى يجرؤ على الاستدلال به، وهو يرى أنه كله فى صالح آل على، وأئمة أهل البيت منهم بالخصوص. وهكذا. نرى ويرى المأمون: أنه لم يكن لينقذ الموقف أى من تلك الأساليب، ولا غيرها من الطرق والأساليب الملتوية، واللاإنسانية، التى اتبعها أسلافه من قبل.

وإذن.. فلا بد وأن يعود السؤال الأول لي طرح نفسه بكل جديته.

والسؤال هو: ماذا يمكن للمأمون إذن أن يفعل؟! وكيف يقوى من دعائم حكمه، الذى هو بالنسبة إليه كل شئ، وليس قبله، ولا بعده شئ.. حتى لا يطمع فيه طامع، ولا ترعزعه العواصف، ولا تنال منه الأنواء، مهما كانت هوجاء وعاتية؟! خطه المأمون:

وكان أن اتبع المأمون من أجل إنقاذ موقفه، الذى عرفت أنه يتوقف على نقاط ثمانية.. ومن أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، وأن تبقى فى بنى أبيه - كان أن اتبع - أسلوبا جديدا، وغيبيا، لم يكن مألوفاً، ولا- معروفاً من قبل.. وأحسب أن لم يتوصل إليه إلا بعد تفكير طويل، وتقييم عام وشامل للوضع الذى كان يعيشه، والمشاكل التى كان يواجهها.

لقد كانت خطته غريبة وفريدة من نوعها، وكانت فى غاية الإتقان، والإحكام فى نظره. (١٩٦) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عرفة (١)

فبينما نراه من جهة:

لا يذكر أحدا من الخلفاء، ولا غيرهم من الصحابة بسوء، بل هو يتحرج من المساس بغير الصحابة، وحتى بأولئك الذين كان حالهم في الخروج على الدين، وتعاليم الشريعة، معروفا ومشهورا " كالحجاج ابن يوسف! " وذلك من أجل أن لا يثير عواطف أولئك الذين يلتقى معهم فكريا وسياسيا، ومصالحيا، والذين سوف يكونون له في المستقبل الدرع الواقى، والحصن الحصين.. فاستمع إليه يقول - كما يروى لنا التغلبى المعاصر له. " وظنوا أنه لا يجوز تفضيل على إلا بانتقاص غيره من السلف! والله، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف، فكيف بالسلف الطيب ("؟! ١).

وكذلك نراه يركن إلى رأى يحيى بن أكثم، الذى قال له - عندما أراد الإعلان بسب معاوية على المنابر " :- والرأى أن تدع الناس كلهم على ما هم عليه، ولا تظهر أنك تميل إلى فرقة من الفرق، فإن ذلك أصلح فى السياسة، وأحرى فى التدبير، .. ثم يدخل عليه ثمامة، فيقول له المأمون " : يا ثمامة، قد علمت ما كنا دبرناه فى معاوية، وقد عارضنا رأى هو أصلح فى تدبير المملكة، وأبقى ذكرا فى العامة الخ (" ٢).

وأیضا.. نرى شعره الذى يرويه لنا غير واحد:

أصبح دينى الذى أدين به \* ولست منه الغداة معتذرا حب على بعد النبى ولا \* أشتم صديقا ولا عمرا (١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٦٩، نقلا عن: تاريخ بغداد، لابن طيفور ج ٦ ص ٧٥، (٢) المحاسن والمساوى ص ١٤١، وضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٨، و ج ٣ ص ١٥٢، وعصر المأمون ج ١ ص ٣٧١، والموفقيات ص ٤١، وكتاب بغداد ص ٥٤. (١٩٧) صفحهمفاتح البحث: يحيى بن أكثم (١)، الجواز (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، مدينة بغداد (١)

ثم ابن عفان فى الجنان مع \* الأبرار ذاك القليل مصطبرا ألا ولا أشتم الزبير ولا \* طلحة إن قال قائل غدرا وعائش الأم لست أشتمها \* من يفترها فنحن منه برا (١) ونراه أيضا يتجسس على عبد الله بن طاهر، ليعلم: هل له ميل إلى آل أبى طالب أولا (٢). ونراه يقدم على قتل الرضا (ع)، وإخوته، وآلاف من العلويين غيرهم، ويصدر أمرا لأمرائه، وقواده بالقضاء عليهم، وفض جمعهم، كما سيأتى.

ونراه كذلك.. يرسل إلى عامله على مصر، يأمره بغسل المنابر، التى دعى عليها لعلوى (هو الإمام الرضا (ع)).. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه.. بينما نراه كذلك..

نراه من جهة ثانية يقدم على الإعلان ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بن أبى سفيان بخير أى أنه أراد أن يجعل تفضيل على (ع)، والبراءة من معاوية دينا رسميا، يحمل الناس كلهم عليه، كما كان الحال بالنسبة لقضية خلق القرآن.. وقضية الإعلان بسب معاوية، وإن كان الإقدام عليه فى سنة ٢١٢ هـ.

لكن تفضيله عليا، على جميع الخلق، وتقربه لولده، وإظهاره التشيع (١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٤١، ما عدا البيت الرابع.

(٢) الطبرى ج ١١ ص ١٠٩٤، طبع ليدن، والعقد الفريد للملك السعيد ص ٨٤، ٨٥، وتجارب الأمم ج ٦ المطبوع مع العيون والحدائق ص ٤٦١. (١٩٨) صفحهمفاتح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، معاوية بن أبى سفيان لعنهما الله (١)، عبد الله بن طاهر (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (١)، الطهارة (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

والحب لهم (١) إنما كان من أول أيامه. يدلنا على ذلك أمور كثيرة، ويكفى هجاء ابن شكلة له، وهجاؤه لابن شكلة شاهدا على ذلك.

فضلا عن الكثير من الأمور الأخرى غيره.

ثم نراه بعد ذلك يبيح المتعة، ويصف الخليفة الثاني، عمر بن (١) قال في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠١، ٢٠٢، ومثله في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٨، وغيرهما: "أن المأمون كان يبالغ في التشيع، ويقول: إن أفضل الخلق بعد النبي على بن أبي طالب. وأمر أن ينادى ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير، لكنه لم يتكلم في الشيخين بسوء بل كان يترضى عنهما، ويعتقد إمامتهما."

وهذا بعينه هو مذهب المعتزلة في بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، وبشر بن غياث المريسى وغيرهم من معتزلة بغداد، حتى لقد قال بشر المريسى المعتزلى المعروف على ما فى البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٩:

قد قال مأمونا وسيدنا \* قولاً له فى الكتب تصديق إن علياً أعنى أبا حسن \* خير من قد أقلت النوق بعد نبي الهدى، وإن لنا \* أعمالنا والقرآن مخلوق وصرح بأنه يذهب مذهب المعتزلة كثيرين، منهم: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٥، وضحي الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥، وإمبراطورية العرب ص ٦٠٠، وغيرهم، بل لقد قال خيرى حماد، فى تعليقه على ص ٦٠١، من إمبراطورية العرب بقوله:

"أجمعت كتب التاريخ العربى على أن المأمون مال إلى الأخذ بمذهب المعتزلة، ففرب أتباع هذا المذهب إليه إلخ،". ويدل على ذلك أيضاً أقوال. وأشعار المأمون المتقدمة.. ولعل وصف بعض المؤرخين بالتشيع هو الذى أوهم البعض بأن المأمون كان يتشيع بالمعنى المعروف للتشيع، فجزم بذلك، وبدأ يحشد الدلائل، والشواهد، التى لا- تسمن، ولا- تغنى من جوع، وقد غفل عن أنهم يقصدون بكلمة " التشيع " المعنى اللغوى، لا المعنى الخاص المعروف الآن...

وبعد. فإن من الواضح: أن عقيدة المأمون تلك، لم تكن تثمر على الصعيد العملى العام، فإنه كان من السياسيين. الذين لا ينطلقون فى سلوكهم، ومواقفهم الخارجية من منطلقات عقائدية، ومفاهيم إنسانية. وإنما يكون المنطلق لهم فى مواقفهم، وتصرفاتهم، هو - فقط - مصالحهم الشخصية، وما له مساس فى استمرار فرض سلطتهم، وتأكيدهم سيطرتهم.. (١٩٩) صفحهمفاتيح البحث: الخليفة عمر بن الخطاب (١)، الشهادة (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، مدرسة المعتزلة (٤)، على بن أبى طالب (١)، مدينة بغداد (٢)، القرآن الكريم (١) الخطاب ب " جعل " (١)، أو نحو ذلك.

ونراه أيضاً أنه عندما سأل أصحابه عن: أنبل من يعلمون نبلا، وأعفهم عفة، فقال له على بن صالح: "أعرف القصة فى عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، وأعرض، وذكر كلاماً ليس من جنس هذا الكتاب، فنذكره، إلخ ("٢) على حد تعبير البيهقي.. وذكر طيفور: أن أبا عمر الخطابى دخل على المأمون: فتذاكروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا- أنه غصبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يكون الغصب إلا بحق يد فهل كانت لكم يد، قال فسكت المأمون عن ه، واحتملها له (٣).

ولكن اعتراض الخطابى اعتراض بارد وتوجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال أم هى حق جعله الله لهم.. بل إن الأهم من ذلك كله.. أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، وغيرهم من الصحابة بأنهم: "ملحدون" ناسياً، أو متناسياً كل أقواله السابقة، وخصوصاً شعره، وقوله: إنه يتخرج حتى من تنقص (١) وفيات الأعيان ترجمة يحيى بن أكثم ج ٢ / ٢١٨ ط سنة ١٣١٠ ه والسيرة الحلبية ج ٣ / ٤٦ والنص والاجتهاد ص ١٩٣، وفى قاموس الرجال ٩ / ٣٩٧، نقلاً عن الخطيب فى تاريخ بغداد: أنه كان يقول: "ومن أنت يا أحول إلخ" .. ولا يخفى أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع، فحرفوها إلى ما ترى.

هذا. وقد يرى البعض: أن تفضيله علياً، وإعلانه بسب معاوية، وإباحته المتعة، وقوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، وصرف الناس عن التفكير بالخلافة، التى هى أعز ما فى الوجود عليه، التى ضحى من أجلها بأخيه، وأشياعه، ووزرائه، وقواده. وكذلك من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، وإبعادهم عنهم.. ولعل هذا الرأى لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التى تؤيده، وتدعمه، (٢) المحاسن والمساوى ص ١٥٠.

(٣) كتاب بغداد ص ٥١. (٢٠٠) صفحهمفاتيح البحث: على بن صالح (١)، النسيان (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، يحيى بن أكثم (١)، مدينة بغداد (١)، القرآن الكريم (١)، العزة (١)

الحجاج، كيف بالسلف الطيب، فاستمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقي:

ومن غاو يغص على غيظا \* إذا أدنيت أولاد الوصى يحاول أن نور الله يطفى \* ونور الله فى حصن أبى فقلت: أليس قد أوتيت علما \*  
وبان لك الرشيد من الغوى وعرفت احتجاجى بالمثانى \* وبالمعقول والأثر الجلى (١) بأية خلة، وبأى معنى \* تفضل " ملحدين "  
على " على " على أعظم الثقلين حقا \* وأفضلهم سوى حق النبى (٢) بل وزاد على ذلك وضرب العقيدة التى تقدم أن العباسيين قد  
أتوا بها لمقابلة العلويين وروجوا لها من أن الحق كان للعباس وأنه أجاز عليا فصحت خلافته وذلك بأن أظهر تقديم على على العباس  
فقد قال السندى بن شاهك للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

"سمعت اليوم قدم على بن أبى طالب على العباس بن عبد المطلب، وما ظننت أنى أعيش حتى أسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل  
له:

تعجب من هذا؟ هذا والله كان قول أبيه قبله (" ٣) ولكن الظاهر:

أن أباه كان يكتفم ذلك حتى خفى على مثل السندى المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلك، وإظهاره.  
وهكذا.. فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصرفاته المتقدمة أى تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها فى نظره صحيحة، ومنطقية،  
لأنها كانت فى ظروف مختلفة، وكان لا بد له من مسامرة تلك (١) القوى خ ل.

(٢) المحاسن والمساوى، طبع دار صادر ص ٦٨، وطبع مصر ج ١ / ١٠٥.

(٣) كتاب بغداد ص ٧. (٢٠١) صفحهمفاتيح البحث: الجهر والإخفات (١)، يوم عرفه (١)، العباس بن عبد المطلب (١)، على بن أبى  
طالب (١)، مدينة بغداد (١)

الظروف، والانسجام معها، فلا مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، ويتظاهر بإكرامهم، وتقديرهم. فى يوم. ثم منعهم من الدخول  
عليه، واضطهدهم، وقتلهم بالسم تارة، وبالسيف أخرى فى يوم آخر.. وهكذا.  
وأيضا. لا بد من خطوة أخرى.

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، ولا لتحقيق كافة الأهداف، التى قدمنا، وسيأتى شطر منها.

فكانت خطوته التالية غريبة ومثيرة فى نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاك بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية.  
ألجأته إليها الظروف والأحداث. وتلك الخطوة هى:

"أخذ البيعة للإمام على الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده" .. وجعله أمير بنى هاشم طرا، عباسيهم، وطالبيهم (١)، ولبس الخضره.  
لم يبق إلا خيار واحد:

ومن نافله القول هنا: أن نقول: إن ذلك يدل على فهم المأمون للداء، مما ساعده على معرفة الدواء، الذى تجرعه المأمون - رغم  
مرارته القاسية، التى لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة وطمأنينة وهناء - تجرعه - بكل رضا، ورجولة، وشجاعة.

إن المأمون - على ما أعتقد - وإن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، ومن أسره هى أقوى وأخطر المنافسين للحكم العباسى  
فى (١) غاية الاختصار ص ٦٨. (٢٠٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، بنو هاشم (١)، القتل (١)،  
المنع (١)، الإختيار، الخيار (١)، الدواء، التداوى (١)

تلك الفترة.. ولكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أى خيار فى ذلك.

إلا- إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلك الواقع المزرى الذى وصلت إليه خلافته، التى أصبحت ظلام لا يلبث أن تلتهمه أشعة  
الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب.

ما الحيلة له.. بعد أن رأى أنه لن تتقاد له الرعية والقواد، ولن تستقيم له الأمور إلا إذا أقدم على مثل تلك اللعبة الجريئة.

ولقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للإمام كانت من تدبير الفضل بن سهل - صرح



بقوله: "ويحك يا ريان، أيجسر أحد أن يجيء إلى خليفته، قد استقامت له الرعية، والقواد، واستوت له الخلافة، فيقول له: إُدفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا في العقل؟! (١)".

مع رسالة الفضل بن سهل للإمام:

وكتب الإمام، وألح عليه، وكتبه الفضل بن سهل أيضا.. وبما أن في رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة، فقد أحببت أن أشير - باختصار - إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة.

كما أنني أوردت نص هذه الرسالة بتمامه مع الوثائق الهامة، ليطلع القارئ عليها بنفسه، ويستخلص منها ما يراه مناسباً وضرورياً.. أما الملاحظات التي رأيت أن من الضروري الإشارة إليها هنا، فتتلخص بما يلي: (١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٣، والبحار ج ٤٩ / ١٣٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٥١، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ٧٥ (٢٠٣) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (٣)، الإختيار، الخيار (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١) ملاحظات لا بد منها:

أول ما يطالعنا في هذه الرسالة هو استعمال الفضل لكلمة "الرضا"، التي تنص وثيقة العهد، وغيرها: على أن المأمون هو الذي جعلها لقباً للإمام (ع) - كما سيأتي -.. فإطلاق الفضل بن سهل لكلمة "الرضا" عليه (ع) يجعلنا نقول - إن لم نقل أنه كان لقباً مشهوراً ومعروفاً له -: إن جعل المأمون هذا اللفظ لقباً رسمياً للإمام (ع) كان يوحي من ذي الرياستين نفسه. وإن كان يمكن أن يقال عكس ذلك تماماً: أي أن استعمال الفضل لهذه الكلمة كان يايحىء من المأمون.

وثانياً: إننا بينما نرى الرسالة تشتمل على تطمين الإمام (ع): بأن قضية ولاية العهد ليست لعبه من المأمون، وإنما هي من آثار سعي ذي الرياستين، الأمر الذي لا داعي معه للخوف والوجل على الاطلاق - بينما الرسالة تشتمل على ذلك - نراها تنص على أن قضية ولاية العهد أمر قد قضى بلبيل. وعلى أن هناك تصميم من ذي الرياستين والمأمون على إمضاء هذا الأمر، وهذا يعني: أن الممانعة والمقاومة لا تجدى ولا تفيد، ولذا فإن من الأفضل له (ع) أن يكف عن ذلك، ويمتنع عنه.

وهذا ما أشار إليه الفضل بقوله: "وإن كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد الله الإمام المأمون ومنى الخ..".

وثالثاً: يلاحظ: أن الرسالة تتناسب في صياغتها، وانتقاء جملها وألفاظها مع ذوق الإمام (ع) ومذهبه العقائدي، ومذهب شيعته.

وتنسجم مع ما يدعيه هو، ويدعيه آباؤه، وكان قد اشتهر وشعاع بين الناس: من أن الحق في خلافة النبي (ص) لهم دون غيرهم. وأن الغير - أيا كانوا - ظالمون لهم، ومعتدون عليهم في هذا الحق.

ثم يحاول الفضل أن يفهم الإمام: أنه وإن كان هو والمأمون (٢٠٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الفضل بن سهل (١)

قد صمما على توليته العهد، لكنه يقول له، لكن السر في ذلك مختلف بيني وبين المأمون، فأنا أقول فيك: أنك ابن رسول الله، وأنك المهتدي، والمقتدي، وأرى أن ذلك إرجاع لحقك إليك، ورد لمظلمتك عليك.

أما المأمون: فهو يراك شريكاً في أمره، وشقيقاً في نسبه، وأولى الناس بما تحت يده.

فالفضل يحاول بهذا أن يتقرب من الإمام، ويكتسب محبته وثقته.

ولعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق عليه كل من المأمون والفضل.

وهكذا كان السياسيون، وما زالوا يتكلمون مع أندادهم باللغوة، التي يرون أنها توصلهم إلى أهدافهم. وتحقق لهم مأربهم.

ورابعاً: وأخيراً.. إنه بعد أن يطلب منه أن لا يضع الرسالة من يده، حتى يصير إلى باب المأمون!.. نراه يضمن الرسالة إشارة واضحة:

إلى أن ذلك منه (ع) يوجب صلاح الأمة به.. وما ذلك إلا لأنه كان يعلم، كما كان الكل يعلم: أنه إذا تأكد لدى الإمام (ع): أن صلاح الأمة متوقف على عمل ما من جهته، فإنه لا يتوانى، ولا يألو جهداً في العمل بوظيفته، والقيام بواجبه.. هذا بالإضافة إلى أن في

ذلك إشارة للحالة العامة، التي وصفناها في بعض فصول هذا الكتاب.

ملاحظات هامة:

هذا.. وقبل الخوض في تفصيل أسباب البيعة، لا بد من ملاحظة:

أ :- إن من الطبيعي أن يثير تصرفه هذا حفيظة العباسيين، الذين ناصبوه العداء، وشجعوا أخاه الأمين عليه، وسوف يزيد من حقهم، وغضبهم: حتى إنهم رضوا بإبراهيم بن شكلة المغنى خليفة عليهم، عندما سمعوا بهذا النبأ الذي كان له وقع الصاعقة عليهم.

كما أن من الطبيعي أن يثير دهشتهم، ويذهلهم.. بعد أن لم يكن (٢٠٥) صفحهمفاتيح البحث: الوجوب (١) بينهم رجالات كفاءة، يدركون ألاعيب السياسة، ودهاء ومكر الرجال.

وقد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخليفة الذي اختاروه، واستعاضوا به عن المأمون. فلقد قال ابن شكلة معاتباً للعباسيين:

فلا جزيت بنو العباس خيرا \* على رغمي ولا اغتبطت برى أتوني مهطعين، وقد أتاهم \* بوار الدهر بالخبر الجلى وقد ذهل الحواضن عن بنيتها \* وصد الثدى عن فمه الصبى وحل عصائب الاملاك منها \* فشدت في رقاب بنى على فضجت أن تشد على رؤوس \* تطالبها بميراث النبى (١) ب - ولكن دهشتهم وغضبهم لا قيمة لهما، في جانب ذهاب الخلافة عنهم بالكلي، وسفك دمائهم.. وقد أوضح لهم ذلك في رسالته منه إليهم، حيث قال.. " وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها في نفسه، فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم. " والرسالة المذكورة في أواخر هذا الكتاب.

وقريب من ذلك ما جاء في وثيقة العهد، مخاطباً " أهل بيت أمير المؤمنين " حيث قال لهم.. " راجين عائدته في ذلك (أى فى البيعة للرضا عليه السلام) فى جمع ألفتكم، وحقن دمائكم، ولم شعثكم، وسد ثغوركم " فليغضبوا إذن قليلا، فإنهم سوف يفرحون فى نهاية الأمر كثيرا، وذلك عندما يعرفون الأهداف الحقيقية، التى كانت تكمن وراء تلك اللعبة، وأنها لم تكن إلا من أجل الإبقاء عليهم، واستمرار وجودهم (١) التنبيه والإشراف ص ٣٠٣، والولاء والقضاء للكندى ص ١٦٨. (٢٠٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)

فى الحكم، والقضاء على أخطر خصومهم، الذين لن يكون الصدام المسلح معهم فى صالحهم، إنهم دون شك عندما توتى تلك اللعبة ثمارها سوف يشكرونه، ويعترفون له بالجميل، ويعتبرون أنفسهم مدينين له مدى الحياة، وسوف يذكرون دائما قوله لهم فى رسالته المشار إليها آنفا. " فإن ترعموا أنى أردت أن يؤول إليهم (يعنى للعلويين) عاقبة ومنفعة، فإنى فى تدبيركم، والنظر لكم، ولعقبكم، ولأبنائكم من بعدكم. "

ومضمون هذه العبارة بعينه - تقريبا - قد جاء فى وثيقة العهد، حيث قال فيها، موجهها كلامه للعباسيين، رجاء أن يلتفتوا لما يرمى إليه من لعبته تلك.. فبعد أن طلب منهم بيعة منشحة لها صدورهم - قال.. " :- عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، وآثر طاعه الله، والنظر لنفسه، ولكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين، من قضاء حقه فى رعايتكم، وحرصه على رشدكم، وصلاحكم، راجين عائدته فى ذلك فى جمع ألفتكم، وحقن دمائكم إلخ. ما قومناه. "

لا شك أنه إذا غضب عليه العباسيون، فإنه يقدر على إرضائهم فى المستقبل "، وقد حدث ذلك بالفعل " عندما يطلعهم على حقيقة نواياه، ومخططاته، وأهدافه، ولكنه إذا خسر مركزه، وخلافته، فإنه لا يستطيع - فيما بعد - أن يستعيدها بسهولة، أو أن يعتاض عنها بشئ ذى بال.

ج :- إن من الإنصاف هنا أن نقول: إن اختيار المأمون للرضا (ع) ولها للعهد، كان اختيارا موفقا للغاية، كما سيتضح، وإنه لخير دليل على حنكته ودهائه، وإدراكه للأسباب الحقيقية للمشاكل التى كان يواجهها المأمون، ويعانى منها ما يعانى.

د :- إن من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا هو أن اختيار المأمون (٢٠٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإختيار، الخيار (٢)، الخسران (١)، البول (١)

لولى عهده، الذى لم يقبل إلا بعد التهديد بالقتل.. كان ينطوى فى بادئ الرأى على مغامرة لا تنسجم مع ما هو معروف عن المأمون من الدهاء والسياسة، إذا ما أخذت مكانة الإمام (ع)، ونفوذه بنظر الاعتبار، سيما مع ملاحظة: أنه هو الذى كان يشكل أكبر مصدر للخطر على المأمون، ونظام حكمه، حيث إنه كان يحظى بالاحترام والتقدير، والتأييد الواسع فى مختلف الفئات والطبقات فى الأمة الإسلامية.

ولكننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لم يقدم على اختيار الإمام وليا للعهد، إلا وهو على ثقة من استمرار الخلافة فى بنى أبيه، حيث كان الإمام (ع) يكبره ب " ٢٢ " سنة، وعليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، وبين الخليفة الفعلى هذا الفارق الكبير بالسن، لم يكن يشكل خطرا على الخلافة، إذ لم يكن من المعروف، ولا المؤلف أن يعيش ولى العهد - وهو بهذه السن المتقدمة - لو فرض سلامته من الدسائس والمؤامرات!.. إلى ما بعد الخليفة الفعلى، فإن ذلك من الأمور التى يبعد احتمالها جدا.

ه :- ولهذا.. ولأن ما أقدم عليه لم يكن منتظرا من مثله، وهو الذى قتل أخاه من أجل الخلافة والملك، ولأنه من تلك السلالة المعادية لأهل البيت عليهم السلام.. احتاج المأمون إلى أن يثبت صدقه، وإخلاصه فيما أقدم عليه، وأن يقنع الناس بصفاء نيته، وسلامة طويته.. فأقدم لذلك. على عدة أعمال:

فأولا: أقدم على نزع السواد شعار العباسيين، ولبس الخضره شعار العلويين وكان يقول: إنه لباس أهل الجنة (١). حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاه الإمام الرضا (ع) وتمكنه هو من دخول بغداد (١) الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ٦٢ عن ابن الأثير. (٢٠٨) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، الوسعة (١)، اللبس (١)، القتل (٢)، الإختيار، الخيار (١)، ابن الأثير (١)

عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، وقيل: بل بقى ثلاثة أشهر. نزع الخضره رغم أن العباسيين، تابعوه، وأطاعوه فى لبسها، وجعلوا يحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، على ما صرح به فى مآثر الإنافه، والبدايه والنهائيه، وغير ذلك.

وثانيا: ولنفس السبب (١) أيضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

وثالثا: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيده له، حيث كان يكبرها الإمام (ع) بحوالى أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الأخرى للإمام الجواد (ع) الذى كان لا يزال صغيرا، أى ابن سبع سنين (٢). ومن يدري: فلعله كان يهدف من تزويجهما أيضا إلى أن يجعل عليهما رقابه داخلية. وأن يمهد السبيل، لكى تكون الأداء الفعالة، التى (١) التريه الدينيه ص ١٠٠.

(٢) راجع مروج الذهب ج ٣ / ٤٤١، وغيره من كتب التاريخ. وفى الطبرى ج ١١ / ١١٠٣، طبع ليدن، والبدايه والنهائيه ج ١٠ / ٢٦٩: أنه (ع) لم يدخل بها إلا فى سنة ٢١٥ للهجرة، ولكن يظهر من يعقوبى ج ٢ / ٤٥٤ ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله إلى بغداد، وأمر له بألفى ألف درهم، وقال: إنى أحببت أن أكون جدا لامرئ ولده رسول الله، وعلى بن أبى طالب، فلم تلد منه انتهى. وهذا يدل على أنه قد بادر إلى تزويج الجواد بعد قتل أبيه الرضا (ع) ليبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)، حيث إن الناس كانوا مقتنعين تقريبا بذلك ومطمئنين إليه، وسيأتى فى أواخر الكتاب البحث عن ظروف وملابسات وفاته (ع) ويلاحظ: أن كلمه المأمون هذه تشبه إلى حد بعيد كلمه عمر بن الخطاب حينما أراد أن يبرر إصراره غير الطبيعى على الزواج بأم كلثوم بنت على (ع) حتى لقد استعمل أسلوبا غير مألوف فى التهديد والوعيد من أجل الوصول إلى ما يريد. (٢٠٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (١)، كتاب البدايه والنهائيه (٢)، اللبس (١)، الضرب (١)، الهدف (١)، الزوج، الزوج (٤)، السب (١)، تزويج أم كلثوم من عمر (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، الخليفه عمر بن الخطاب (١)، على بن أبى طالب (١)، مدينة بغداد (١)، القتل (٢)، الجود (٢)

يستعملها في القضاء على الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذي قتل بالسم الذي دسسته إليه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم (١)، فيكون بذلك قد أصاب عدة عصافير بحجر واحد.

كما يقولون.. ويجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع وزيره الفضل بن سهل، فألح عليه أن يزوجه ابنته فرفض، وكان الرأي العام معه، فلم يستطع المأمون أن يفعل شيئا، كما سنشير إليه.. لكن الإمام (ع) لم يكن له إلى الرفض سبيل، ولم يكن يستطيع أن يصرح بمجوريته على مثل هكذا زواج. لأن الرأي العام لا يقبل ذلك منه بسهولة.. بل ربما كان ذلك الرفض سببا في تقليل ثقة الناس بالإمام، حيث يرون حينئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلك، التي تجاوزت - بنظرهم حينئذ - كل الحدود المألوفة والمعروفة..

وعلى كل حال: فإن كل الشواهد والدلائل تشير إلى أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سياسيا، مفروضا إلى حد ما.. كما أننا لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسيا أيضا، حيث أراد بذلك أن يوثق علاقته مع الإيرانيين، ويجعلهم يطمثون إليه، خصوصا بعد عودته إلى بغداد، وتركه مروا، وليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، ويكتسب ثقة أخيه الحسن بن سهل، المعرف بثرائه ونفوذه.

ورابعا: وللسبب نفسه أيضا كان يظهر الاحترام والتبجيل للإمام (ع) - وإن كان يضيق عليه في الباطن (٢) - وكذلك كانت الحال بالنسبة لإكرامه (١) ولعله قد استفاد ذلك من سلفه معاوية، وما جرى له مع الإمام الحسن السبط عليه السلام، (٢) وقد سبقه إلى مثل ذلك سليمان عم الرشيد، عندما أرسل غلماناه، فأخذوا جنازة الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد، وطردوهم. ثم نادوا عليه بذلك النداء المعروف، اللائق بشأنه، فمدحه الرشيد، واعتذر إليه، ولام نفسه، حيث لم يأخذ في اعتباره ما يترتب على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، ومحبي أهل البيت عليهم السلام، والذين قد لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم.

وتبعه أيضا المتوكل، حيث جاء بالإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء، فكان يكرمه في ظاهر الحال، ويغنى له الغوائل في باطن الأمر، فلم يقدره الله عليه.. على ما صرح به ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٢٦، والمجلسي في البحار ج ٥٠ / ٢٠٣، والمفيد في الإرشاد ص ٣١٤. (٢١٠) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، الحسن بن سهل (٢)، الفضل بن سهل (٢)، القتل (١)، الزوج، الزواج (٢)، الجود (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، مدينة سامراء المقدسة (١)، العلامة المجلسي (١)

للعلمين، حيث قد صرح هو نفسه بأن إكرامه لهم ما كان إلا سياسة منه ودهاء، ومن أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة، فقد قال في رسالته للعباسيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب.. "وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى... فما كان ذلك مني، إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم. وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب، ومواساتهم في الفئ، بيسير ما يصيبهم منه."

ويذكرني قول المأمون "ومواساتهم في الفئ إلخ" .. بقول إبراهيم بن العباس الصولي - وهو كاتب القوم وعاملهم - في الرضا عندما قربه المأمون:

يمن عليكم بأموالكم \* وتعطون من مئة واحدا و :- إن المأمون - ولا شك - كان يعلم: أن ذلك كله - حتى البيعة للإمام - لا يضره ما دام مصمما على التخلص من ولي عهده هذا بأساليبه الخاصة. بعد أن ينفذ ما تبقى من خطته الطويلة الأجل، للحط من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره للرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر - كما صرح هو نفسه (١)، وكما صرح بذلك أيضا عبد الله بن موسى في رسالته إلى المأمون، والتي سوف نوردتها في أواخر هذا (١) سنتكلم في القسم الرابع من هذا الكتاب، حول تصريحات المأمون، وخطه بنوع من التفصيل إن شاء الله تعالى. (٢١١) صفحهمفاتيح البحث: الهدف (١)، الضرر (١)

الكتاب إن شاء الله، حيث يقول له فيها.. "و كنت أطف حيلة منهم. بما استعملته من الرضا بنا، والتستر لمحنا، تختل واحدا فواحدا منا إلخ ("١).

إلى غير ذلك من الشواهد والدلائل، التي لا تكاد تخفى على أى باحث، أو متتبع..  
أهداف المأمون من البيعة:

هذا.. وبعد كل الذى قدمناه، فإننا نستطيع فى نهاية المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، وما كان يتوخاه من أخذ البيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده.. على النحو التالى:  
الهدف الأول:

أن يأمن الخطر الذى كان يتهدده من قبل تلك الشخصية الفذة، شخصية الإمام الرضا (ع) الذى كانت كتبه تنفذ فى المشرق والمغرب، وكان الأرضى فى الخاصة والعامه - باعتراف نفس المأمون -، حيث لا يعود باستطاعة الإمام (ع) أن يدعو الناس إلى الثورة ولا أن يأتى بأية حركة ضد الحكم، بعد أن أصبح هو ولى العهد فيه. ولسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها نكران للجميل، لا مبرر لها، ولا منطوق يدعمها.

وقد أشار المأمون إلى ذلك، عندما صرح بأنه: خشى إن ترك الإمام على حاله: أن يفتق عليه منه ما لا يسده، ويأتى منه عليه ما لا يطيقه (١) مقاتل الطالبين ص ٦٢٩. (٢١٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، يوم عاشوراء (١)، الهدف (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١) فأراد أن يجعله ولى عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتى بيانه فى فصل:  
مع بعض خطط المأمون إن شاء الله تعالى.

الهدف الثانى:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، والواعية من قرب، من الداخل والخارج، وليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصة. وقد أشرنا فيما سبق، إلى أننا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقبيا داخليا موثوقا عنده هو، ويطمئن إليه الإمام نفسه.

وإذا ما لاحظنا أيضا، أن "المأمون كان يدس الوصائف هدية ليطلعنه على أخبار من شاء (١)، "وأنه كان: للمأمون على كل واحد صاحب خبر (٢). " فإننا نعرف السر فى إرساله بعض جواريه إلى الإمام الرضا (ع) بعنوان: هدية.. وقد أرجعها الإمام (ع) إليه مع عدة أبيات من الشعر، عندما رآها اشمأزت من شبيه (٣).

ولم يكتف بذلك، بل وضع على الإمام (ع) عيونا آخرين، يخبرونه بكل حركة من حركاته، وكل تصرف من تصرفاته.

فقد كان "هشام بن إبراهيم الراشدى من أخص الناس عند الرضا (ع)، وكانت أمور الرضا تجرى من عنده، وعلى يده، ولكنه لما حمل إلى مرو اتصل هشام بن إبراهيم بنى الرئاستين، والمأمون، (١) تاريخ التمدن الإسلامى ج ٥ جلد ٢ ص ٥٤٩، نقلا عن: العقد الفريد ج ١ / ١٤٨.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامى ج ٤ جلد ٢ ص ٤٤١، نقلا عن: المسعودى ج ٢ / ٢٢٥، وطبقات الأطباء ج ١ / ١٧١، (٣) البحار ج ٤٩ / ١٦٤، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٧٨. (٢١٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، هشام بن إبراهيم الراشدى (١)، هشام بن إبراهيم (١)، الهدف (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الطب، الطبابة (١)

فحظى بذلك عندهما. وكان لا يخفى عليهما شيئا من أخباره، فولاه المأمون حجابة الرضا. وكان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، وضيق على الرضا، فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه. وكان لا يتكلم الرضا فى داره بشئ إلا أورده هشام على المأمون، وذى الرئاستين (".. ١) وعن أبى الصلت: أن الرضا "كان يناظر العلماء، فيغلبهم، فكان الناس يقولون: والله، إنه أولى بالخلافة من المأمون،

فكان أهل الأخبار يرفعون ذلك إليه (".. ٢) وأخيرا.. فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمد بن الأشعث، يطلب من الإمام (ع): أن يحرق كتبه إذا قرأها، مخافة أن تقع في يد غيره، ويقول الإمام (ع) مطمئنا له: "إني إذا قرأت كتبه إلى أحرقتها (".. ٣) إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد الكثيرة، التي لا نرى أننا بحاجة إلى تتبعها واستقصائها.

الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام (ع) قريبا منه، ليتمكن من عزله عن الحياة الاجتماعية، وإبعاده عن الناس، وإبعاد الناس عنه، حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، وبما منحه الله إياه من العلم، (١) البحار ج ٤٩ / ١٣٩، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ٧٧، ٧٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٥٣.

(٢) شرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٤، والبحار ج ٤٩ / ٢٩٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢٣٩.

(٣) كشف الغمة ج ٣ / ٩٢، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ١٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٩. (٢١٤) صفحهمفاتح البحث: جعفر بن محمد بن الأشعث (١)، المنح (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١) والعقل، والحكمة. ويريد أن يحد من ذلك النفوذ له، الذي كان يتزايد باستمرار، سواء في خراسان، أو في غيرها.

وأیضا.. أن لا- يمارس الإمام أى نشاط لا يكون له هو دور رئيس فيه، وخصوصا بالنسبة لرجال الدولة، إذ قد يتمكن الإمام (ع) من قلوبهم، ومن ثم من تدبير شئ ضد النظام القائم. دون أن يشعر أحد.

والأهم من ذلك كله: أنه كان يريد عزل الإمام (ع) عن شيعته، ومواليه، وقطع صلاتهم به، وليقطع بذلك آمالهم، ويشتت شملهم، ويمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يكون له أثر كبير على مستقبل المأمون، وخلافته.

وبذلك يكون أيضا قد مهد الطريق للقضاء على الإمام (ع) نهائيا، والتخلص منه بالطريقة المناسبة، وفي الوقت المناسب.

وقد قال المأمون إنه "يحتاج لأن يضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر. ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه". كما سيأتي.

وقد قرأنا آنفا أنه "كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب (أى هشام بن إبراهيم) وضيق على الرضا، فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه".

كما أن الرضا نفسه قد كتب في رسالته منه إلى أحمد بن محمد البيزنطي، يقول "وأما ما طلبت من الإذن على، فإن الدخول إلى صعب، وهؤلاء قد ضيقوا على في ذلك الآن، فلست تقدر الآن، وسيكون إن شاء الله (".. ١) (١) رجال المامقاني ج ١ / ٧٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٢. (٢١٥) صفحهمفاتح البحث: هشام بن إبراهيم (١)، أحمد بن محمد (١)، خراسان (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

كما أننا نرى أنه عندما وصل إلى القادسية، وهو في طريقه إلى مرو، يقول لأحمد بن محمد بن أبي نصر "إكتر لى حجره لها بابان: باب إلى الخان، وباب إلى خارج، فإنه أستر عليك (".. ١).

ولعل ذلك هو السبب في طلبه من الإمام (ع)، ومن رجاء بن أبي الضحاك: أن يمر عن طريق البصرة، فالأهواز إلخ.. كما سيأتي: ولا نستبعد أيضا أن يكون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العيد مرتين (٢). وللسبب نفسه أيضا فرق عنه تلامذته، عندما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، وحتى لا يظهر علم الإمام، وفضله.. إلى آخر ما هنالك من صفحات تاريخ المأمون السوداء.

الهدف الرابع:

إن المأمون في نفس الوقت الذى يريد فيه أن يتخذ من الإمام مجنا يتقى به سحق الناس على بنى العباس، ويحوط نفسه من نقمة الجمهور.

يريد أيضا، أن يستغل عاطفة الناس ومحبتهم لأهل البيت - والتي زادت (١) بصائر الدرجات ص ٢٤٦، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ١٥٥.

(٢) هذه القضية معروفة ومشهورة، فراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤٦، ٢٤٧، ومطالب السؤل، لمحمد بن طلحة الشافعي، طبعه حجرية ص ٨٥ وإثبات الوصية للمسعودي ص ٢٠٥، ومعادن الحكمة ص ١٨٠، ١٨١، ونور الأبصار ص ١٤٣، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٦٥، وإعلام الوري ص ٣٢٢، ٣٢٣، وروضه الواعظين ج ١ / ٢٧١، ٢٧٢، وأصول الكافي ج ١ / ٤٨٩، ٤٩٠، والبخار ج ٤٩ / ١٣٥، ١٣٦، ١٧١، ١٧٢، وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وأعيان الشيعة، وكشف الغمة، وغير ذلك.

ولسوف يأتي فصل: خطة الإمام، وغيره من الفصول، ما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى. (٢١٦) صفحهمفاتيح البحث: علم المعصوم (١)، بنو عباس (١)، أحمد بن محمد بن أبي نصر (١)، مدينة البصرة (١)، الصلاة (١)، السب (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، محمد بن طلحة (١) ونمت بعد الحالة التي خلفتها الحرب بينه وبين أخيه - ويوظف ذلك في صالحه هو، وصالح الحكم العباسي بشكل عام.

أى أنه. كان يهدف من وراء لعبته تلك، والتي كان يحسب أنها سوف تكون رابحة جدا - إلى أن يحصل على قاعدة شعبية، واسعة، وقوية. حيث كان يعتقد ويقدر: أن نظام حكمه سوف ينال من التأييد، والقوة، والنفوذ، بمقدار ما كان لتلك الشخصية من التأييد، والنفوذ والقوة. وإذا ما استطاع في نهاية الأمر أن يقضى عليها، فإنه يكون قد أمن خطرا عظيما، كان يتهده من قبلها. بمقدار ما كان لها من العظمة والخطر.

إن المأمون قد اختار لولاية عهده رجلا يحظى بالاحترام والتقدير من جميع الفئات والطبقات، وله من النفوذ، والكلمة المسموعة، لما لم يكن لكل أحد سواه في ذلك الحين. بل لقد كان الكثيرون يرون: أن الخلافة حق له، وينظرون إلى الهيئة الحاكمة على أنها ظالمة له وغاصبة لذلك الحق:

يقول الدكتور الشيبى، وهو يتحدث عن الرضا (ع "): إن المأمون جعله ولي عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسيين، الذين حاربوه، ونصروا أخاه (١)."

ويقول:.. وقد كان الرضا من قوة الشخصية، وسمو المكانة:

أن التف حول المرحئ، وأهل الحديث، والزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ("٢). (١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٣، ٢٢٤.. ونحن لا نوافق الدكتور الشيبى على أنه كان يريد التقوى بذلك على العباسيين، كما اتضح، وسيوضح إن شاء الله.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٤. (٢١٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الموت (١)، الهدف (١)، الحرب (١)، الوسعة (١)

وكذلك هو يقول - وهو مهم فيما نحن بصده.. " :- إن الرضا لم يكن بعد توليته العهد إمام الشيعة وحدهم، وإنما مر بنا:

أن الناس، حتى أهل السنة، والزيدية، وسائر الطوائف الشيعية المتناحرة.. قد اجتمعت على إمامته، واتباعه، والالتفاف حوله ("١).

وهذا كما ترى تصريح واضح منه بهدف المأمون، الذى نحن بصدد بيانه.

ويقول محمد بن طلحة الشافعي مشيرا إلى ذلك، فى معرض حديثه عن الإمام الرضا (ع).. " : نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه فى مملكته ("٢).

وتقدم أنه (ع) كان - باعتراف المأمون - الأرضى فى الخاصة، والعامه ". وأن كتبه كانت تنفذ فى المشرق والمغرب، حتى إن البيعة له بولاية العهد، لم تزده فى النعمة شيئا.. وأنه كان له من قوة الشخصية ما دفع أحد أعدائه لأن يقول فى حقه للمأمون " : هذا الذى بجنبك والله صنم يعبد دون الله " إلى آخر ما هنالك، مما قدمنا " غيضا من فيض منه."

كما وتقدم أيضا قول المأمون في رسالته للعباسيين.. " : وإن تزعموا:

أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة (يعنى للعلويين)، فإنى فى تدبيركم، والنظر لكم. ولعقبكم، وأبنائكم من بعدكم، " .. وأيضا عبارته التى كتبها المأمون بخط يده فى وثيقة العهد، فلا نعيد.

وهكذا.. فما على العباسيين إلا أن ينعموا بالا، ويقروا عينا، فإن المأمون كان يدبر الأمر لصالحهم ومن أجلهم.. وليس كما يقوله (١) المصدر السابق ص ٢٥٦.

(٢) مطالب السؤل ص ٨٤، ٨٥. وقريب منه ما فى: الإتحاف بحب الأشراف ص ٥٨. (٢١٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن

موسى الرضا عليهما السلام (١)، محمد بن طلحة (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

الدكتور الشيبى، وغيره من أنه أراد أن يحصل على التأييد الواسع، ليقابل العباسيين، ويقف فى وجههم. إشارة هامة لا بد منها:

هذا. ويحسن بنا أن نشير هنا: إلى ما قاله ابن المعتز فى الروافض.

وإلقاء نظرة فاحصة على السبب الذى جعلهم مستحقين لهذه الحملة الشعواء منه.. فهو يقول:

لقد قال الروافض فى على \* مقالا- جامعا كفرا وموقا زنادقة أرادت كسب مال \* من الجهال فاتخذته سوقا وأشهد أنه منهم برى \* وكان بأن يقتلهم خليقا كما كذبوا عليه وهو حى \* فأطعم ناره منهم فريقا وكانوا بالرضا شغفوا زمانا \* وقد نفخوا به فى الناس بوقا وقالوا: إنه رب قدير \* فكم لصق السواد به لصوقا (١) وهذه الأبيات تعبر عن مدى صدمة ابن المعتز، وخيبة أمله فى الروافض، الذين ضايقه جدا امتداد دعوتهم فى طول البلاد الإسلامية، وعرضها. وخصوصا فى زمن الرضا. والذى لم يجد شيئا يستطيع أن ينتقص به إمامهم الرضا (ع) سوى أنه كان أسود اللون، وأن الروافض قالوا: إنه رب قدير.. وسر حنقه هذا على الروافض ليس هو إلا عقيدتهم فى على (ع) - التى كان يراها خطرا حقيقيا على القضية العباسية - التى تتخلص بأنه (ع): يستحق الخلافة بالنص. وهذه العقيدة والمقالة هى التى جعلتهم يستحقون من ابن المعتز أن يجمع لهم بين (١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٠، ٣٠١، والأدب فى ظل التشيع ص ٢٠٦. (٢١٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الوسعة (١)، الكسب (١)، السب (١)

وصفى الكفر والزندقة، واتهامه لهم، بأنهم يقصدون بذلك كسب المال من الجهال. ثم يتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة فى على الرضا (ع)، فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، وشهروا بذلك، حتى علم به عامة الناس، ونفخوا به فى الناس بوقا.. وحتى لقد التف حوله أهل الحديث، والزيدية. بل والمرجئة، وأهل السنة، على حد تعبير الشيبى، وقالوا: بإمامة أبيه، ثم بإمامته.

وبديهى.. أن لا يرتاح ابن المعتز، الذى كان فى صميم الأسرة العباسية لهذا الامتداد للتشيع، ولمقالة الروافض، حيث إن ذلك يعنى أن الأئمة الذين هم بين الرضا، وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام، كلهم تثبت إمامتهم بالنص.

ولقد بلغ من حنقه عليهم، بسبب ذلك الامتداد الواسع لعقيدتهم - وخصوصا فى زمان الرضا - أن دفعه إلى أن يخلط عن عمد، أو عن غير عمد بين عقيدة الروافض هذه، وبين عقيدة الغلاة، حيث أضاف إلى مقالة الروافض تلك مقالة أخرى، هى: القول بالوهية على (ع).

وإذا كنا واثقين من أن الفرق الشاسع بين عقيدة الروافض، وعقيدة الغلاة، لم يكن ليخفى على مثل ابن المعتز، بل على من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرک بما لا مجال معه للشك:

أن يقصد بهذا الخلط المتعمد: التشيع على الروافض، وتهجين عقيدتهم، إذ أنه يقصد ب " الروافض، - " حسبما هو صريح كلامه - خصوص القائلين بإمامة الرضا، وإمامة على أمير المؤمنين، ومن بينهما. وهو يعلم وكل أحد يعلم: أنه ليس فيهم من يقول بالوهية أحدهما، أو ألوهيتهما، أو ألوهية غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام.



وأخيراً.. فإن قول واعتراف ابن المعتز هذا - وهو من نعلم - (٢٢٠) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الوسعة (١)، الكسب (١) لخير دليل على مدى تحرر الشيعة في زمن الرضا، واتساع نفوذهم، وعلى أن شخصية الرضا (ع)، كانت قد استقطبت قطاعاً واسعاً، إن لم نقل: أنه القطاع الأكبر من الأمة الإسلامية، في طول البلاد وعرضها، في تلك الفترة من الزمن، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك، فلا نعيد.

#### الهدف الخامس:

هذا.. ونستطيع أن نقول أيضاً: إنه كان يريد أن يقوى من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا والتسليم، ولقد كان الحكم بأمس الحاجة إلى شخصية من هذا القبيل.

في مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسي، طلباً للشهرة، وطمعاً بالمال، والذين لم يعد يخفى على أحد حالهم ومآلهم.. وعلى الأخص بعد أن رأى فشلهم في صد حملات علماء الملل الأخرى، والذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عندما رأوا ضعف الدولة، وتمزقها، وتفرقتها إلى جماعات وأحزاب.

نعم. لقد كان الحكم يحتاج إلى العلماء الأكفاء، والأحرار في تفكيرهم، وفي نظرهم الواعية للإنسان والحياة، ولم يعد بحاجة إلى المتزلفين، والجامدين، والانهازيين، ولهذا نراه يستبعد أصحاب الحديث الجامدين، الذين كان أكثرهم في الجهة المناوئة له، يشدون من أزرها، ويقيمون أودها.. ويقرب المعتزلة: كبشر المريسي، وأبي الهذيل العلاف وأضرابهما. ولكن الشخصية العلمية، التي لا يشك أحد في تفوقها على جميع أهل الأرض علماً وزهداً، وورعاً وفضلاً الخ. كانت منحصرة في الإمام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، ولهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأي شخصية أخرى، مهما بلغت. (٢٢١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، مدرسة المعتزلة (١)، الحاجة، الإحتياج (١)

#### الهدف السادس:

ولعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون في تلك الفترة المليئة بالقلق والثورات، قد أتى الأمة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجري، وما يحدث، وعن واقع المشاكل التي كان يعاني الحكم والأمة منها، وما أكثرها. وقد عبر إبراهيم بن المهدي، عن دهشة بنى العباس في أبياته المتقدمة.

حتى لقد ذهل - على حد قوله - الحواضن عن بنيها! وصد الثدى عن فمه الصبي "و بعد هذا. فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراك مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا وسمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. ولسوف ندرك مدى عظمة دهشتهم تلك إذا ما لاحظنا: أنهم كانوا سياسياً أقل وعياً وتجربة من مثل إبراهيم بن المهدي، الذي عاش في أحضان الخلافة. وكان بمرأى ومسمع من الأعياب السياسة، ومكر الرجال.

#### الهدف السابع:

هذا.. طبعي بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعى، بل لقد ادعى بالفعل - على ما في وثيقة العهد -: أن جميع تصرفاته، وأعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للأمة، ومصالحه المسلمين، وحتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، والرياسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، والمصلحة العامة، يدل على ذلك: أنه عندما رأى أن خير الأمة، إنما هو في إخراج الخلافة من بنى العباس كلياً، وهم الذين ضحوا الكثير في سبيلها، وقدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد - عندما رأى ذلك - وأن ذلك لا يكون إلا بإخراجها إلى ألد أعدائهم، (٢٢٢) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، الهدف (٢)

سارع إلى ذلك، بكل رضى نفس، وطيبة خاطر.. وليكون بذلك قد كفر عن جريمته النكراء، والتي كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا وهي: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين والعرب.

وليكون بذلك، قد ربط الأمة بالخلافة، وكسب ثقتها فيها، وشد قلوب الناس، وأنظارهم إليها، حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، وترفع الظلم، وأن تكون معهم، وفي خدمتهم، وتعيش قضاياهم. وليكون لها من ثم من المكانة والتقدير، وما يجعلها في منأى ومأمن من كل من يتحينون بها الفرص، ويبغون لها الغوائل.

ويدل على ذلك - عدا عما ورد في وثيقة العهد - ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقي، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، وادعهم إلى بيعه الرضا، فقام خطيباً، فقال:

"يا أيها الناس، هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، والعدل الذي كنتم تنتظرون، والخير الذي كنتم ترجون، هذا على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب:

سته آباؤهم ما هم \* من أفضل من يشرب صوب الغمام (١) وقد أكد ذلك بحسن اختياره، إذ قد اختار هذه الشخصية، التي تمثل - في الحقيقة - أمل الأمة، ورجاءها، في حاضرها، ومستقبلها، وتكون النتيجة - بعد ذلك - أنه يكون قد حصل على حماية لكل تصرف يقدم عليه في المستقبل، وكل عمل يقوم به.. مهما كان غريباً، ومهما كان غير معقول، فإن على الأمة أن تعتبره صحيحاً وسليماً، (١) العقد الفريد ج ٣ / ٣٩٢، طبع مصطفى محمد بمصر سنة ١٩٣٥ و "ما" في البيت زائدة.. ولا يخفى ما في البيت، وقد أثبتناه، كما وجدناه. (٢٢٣) صفحهمفاتيح البحث: علي بن الحسين بن علي (١)، جعفر بن محمد (١)، الظلم (١)، القتل (١)، العزة (١) لا بد منه، ولا غنى عنه، وإن لم تعرف ظروفه، ودوافعه الحقيقية.

بل وحتى مع علمها بها، فإن عليها أن تؤول ما يقبل التأويل، وإلا. فإن عليها أن تدفن رأسها في التراب، وتتناسى ما تعلم. أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراك المصالح الحقيقية الكامنة في تلك التصرفات الغريبة، وأن ما أدركته - ولو كان حقا - لا واقع له، ولا حقيقة وراءه.

وعلى كل حال، فإنه يتفرع على ما ذكرناه:

أولاً: إنه بعد أن أقدم على ما أقدم عليه، فليس من المنطقي بعد للعرب أن يسخطوا عليه، بسبب معاملة أبيه، أو أخيه، وسائر أسلافه لهم، فإن المرء بما كسب هو، لا بما كسب أهله، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وكيف يجوز لهم أن يغضبوا بعد، وهو قد أرجع الخلافة إليهم، بل وإلى أعرق بيت فيهم. وعرفهم عملاً: أنه لا يريد لهم، ولغيرهم، إلا الصلاح والخير..

وليس لهم بعد حق في أن ينقموا عليه معاملته القاسية لهم، ولا - قتله أخاه، ولا أن يزعمهم، ويخيفهم تقريره للإيرانيين، ولا جعله مقر حكمه مروا إلى آخر ما هنالك.. ما دام أن الخلافة قد عادت إليهم، على حسب ما يشتهون، وعلى وفق ما يريدون.

ومن هنا.. فلا يجب أن نعجب كثيراً، حين نراهم: قد تلقوا بيعه الرضا بنفوس طيبة، وقلوب رضية. حتى أهل بغداد نرى أنهم قد قبلوها إلى حد كبير، فقد نص المؤرخون - ومنهم الطبري، وابن مسكويه - على أن بعضهم وافق، والبعض الآخر - وهم أنصار بني العباس - رفض. وهذا يدل دلالة واضحة: على أن بغداد، معقل العباسيين الأول، كانت تتعاطف مع العلويين إلى درجة كبيرة.. (٢٢٤) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (٢)، الكسب (٢)، الغنى (١)، الدفن (١)، الجواز (١)، الرفض (١)

بل ونص المؤرخون، على أن: إبراهيم بن المهدي، المعروف بابن شكلة، الذي بويع له في بغداد غضبا من تولية الرضا للعهد: لم يستطع أن يسيطر إلا على بغداد، والكوفة والسواد (١)، بل وحتى الكوفة قد استمرت الحرب قائمة فيها على ساق وقدم أشهراً عديدة بين أنصار المأمون، وعليهم الخصرة، وأنصار العباسيين وعليهم السواد (٢).

وثانياً: وأما الإيرانيون عامة، والخراسانيون خاصة، والمعروفون بتشيعهم للعلويين، فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له، وثقتهم به، بعد أن حقق لهم غاية أمنيتهم. وأغلى أحلامهم، وأثبت لهم عملاً، حبه لمن يحبون، ووده لمن يودون.. وأن لا ميزة عنده لعباسي على غيره، ولا لعربي على غيره، وأن الذي يسعى إليه، هو - فقط خير الأمة، ومصالحها، بجميع فئاتها، ومختلف طبقاتها، وأجناسها.

ملاحظة هامة:

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلى إيران قبل ذلك. والظاهر أنه قدمها في حدود سنة ١٩٣ هـ. أى في الوقت المناسب لوفاء الرشيد، فقد ذكر الرضى المعاصر للمجلسى في كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا في قزوين في دار داوود بن سليمان الغازى أبى عبد الله، ولداوود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، وأهل قزوين يروونها عن داوود، كإسحاق بن محمد، وعلى بن مهرويه (٣). (١) راجع البداية والنهاية ج ١٠ / ٢٤٨، وغيره من كتب التاريخ. وزاد أحمد شلبى في كتابه: التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلاميه ج ٣ / ١٠٥ - زاد على ذلك: المدائن أيضا.

(٢) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٥ / ١٩٠، والبداية والنهاية ج ١٠ / ٢٤٨، وغير ذلك.

(٣) راجع كتاب: ضيافة الإخوان مخطوط في مكتبة المدرسة الفيضية في قم، في ترجمة أبى عبد الله القزوينى، وعلى بن مهرويه القزوينى. (٢٢٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، دولة إيران (١)، مدينة الكوفة (٢)، على بن مهرويه (٢)، إسحاق بن محمد (١)، مدينة بغداد (٢)، الحرب (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (٢) وقال الرافعى فى التدوين: "وقد اشتهر اجتياز على بن موسى الرضا بقزوين. ويقال: إنه كان مستخفيا فى دار داوود بن سليمان الغازى، روى عنه النسخة المعروفة، وروى عنه إسحاق بن محمد، وعلى بن مهرويه، وغيرهما.

قال الخليل: وابنه المدفون فى مقبرة قزوين، يقال: إنه كان ابن سنتين، أو أصغر ("١). انتهى كلام الرافعى.

والمراد بالخليل فى كلامه، هو الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الخليلى، القزوينى، وهو الحافظ المشهور، مصنف كتاب الإرشاد، وكتاب تاريخ قزوين، الذى فرغ من تأليفه حوالى سنة أربعمائه هجرية، وكانت وفاته سنة ٤٤٦ هـ. الهدف الثامن:

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، والبيعة له بولاية العهد - التى كان يتوقعها -: أن أحمد ثورات العلويين فى جميع الولايات والأمصار. ولعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون - بعد البيعة للرضا، سوى ثورة عبد الرحمان بن أحمد فى اليمن. وكان سببها - باتفاق المؤرخين - هو فقط: ظلم الولاة وجورهم، وقد رجع إلى الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه. بل لا بد لنا أن نضيف إلى ذلك:

أ -: إنه ليس فقط أحمد ثوراتهم. بل لقد حصل على ثقة (١) التدوين قسم ٢ ورقة ٢٣٥ مخطوط فى مكتبة دار التبليغ الإسلامى فى قم، ترجمة على الرضا.. (٢٢٦) صفحهمفاتيح البحث: عبد الرحمان بن أحمد (١)، أحمد بن إبراهيم (١)، على بن مهرويه (١)، إسحاق بن محمد (١)

الكثيرين منهم، ومن الالههم، وشايعهم. والخراسانيون منهم، ويشير المأمون إلى هذا المعنى فى رسالته، التى أرسلها إلى عبد الله بن موسى، حيث يقول:

.. "ما ظننت أحدا من آل أبى طالب يخافنى، بعد ما عملته بالرضا" والرسالة المذكورة فى أواخر هذا الكتاب.. كما أنه كتب للعباسيين فى بغداد فى رسالته، التى أشرنا إليها غير مرة، يقول لهم:

إنه يريد بذلك أن يحقن دماءهم، ويذود عنهم، باستدامة المودة بينهم، وبين العلويين.

ب: بل ونزيد هنا على ما تقدم: أنه قد بايعه منهم ومن أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، وهم قسم كبير جدا، بل لقد بايعه أكثر المسلمين، ودانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته، حسبما قدمناه.

وهذه دون شك هى إحدى أمنيات المأمون، بل هى أجل أمنياته وأغلاها.

ج: قال ابن القفطى فى معرض حديثه عن عبد الله بن سهل ابن نوبخت:

.. "هذا منجم مأمونى، كبير القدر فى صناعته، يعلم المأمون قدره فى ذلك. وكان لا يقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختيار..

وكان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين، على بن أبي طالب متخشين، متخفين، من خوف المنصور، ومن جاء بعده من بنى العباس. ورأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء، فظنوا ما يظنونه بالأنبياء، ويتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة، من التغالي.

فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل. (٢٢٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، عبد الله بن موسى (١)، مدينة بغداد (١)، الإخفاء (١)، الخوف (١)

ثم فكر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به، فنظر نظرا دقيقا، وقال: لو ظهروا للناس، ورأوا فسق الفاسق منهم، وظلم الظالم، لسقطوا من أعينهم، ولانقلب شكرهم لهم ذما.

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا، واستتروا، وظنوا بنا سوءا، وإنما الرأي: أن نقدم أحدهم، ويظهر لهم إماما، فإذا رأوا هذا أنسوا، وظهروا، وأظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين، فيحقق للعوام حالهم، وما هم عليه، مما خفى بالاختفاء، فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته، ورددت الأمر إلى حالته الأولى.

وقوى هذا الرأي عنده، وكتب باطنه عن خواصه.. وأظهر للفضل ابن سهل: أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين على صلوات الله عليه.

وفكر هو وهو: فيمن يصلح، فوقع إجماعهما على الرضا، فأخذ الفضل بن سهل في تقرير ذلك. وترتيبه وهو لا يعلم باطن الأمر.

وأخذ في اختيار وقت لبيعة الرضا، فاختر طالع السرطان، وفيه المشتري الخ (" ١).

ثم ذكر أن عبد الله بن سهل أراد اختبار المأمون، فأخبره أن البيعة لا تتم إذا وقعت في ذلك الوقت، فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البيعة في ذلك الوقت بالذات، لأنه سوف يعتبر أنه هو الذي أفسد عليه ما كان دبره الخ..

وابن القفطى هنا، لا يبدو أنه يعتبر الإمام الرضا (ع) من أولئك الذين يريد المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، ولكنه يوجه نظره إلى بقية (١) تاريخ الحكماء ص ٢٢١، ٢٢٢. (٢٢٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين

على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الفضل بن سهل (١)، القتل (١)، الإختيار، الخيار (١)

العلويين في ذلك.. ونحن إن كنا لا نستبعد من المأمون ما ذكره ابن القفطى هنا لكننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذا كان من الأسباب الرئيسية لدى المأمون، إذ لا نعتقد أن المأمون كان من السذاجة بحيث يجهل أن بقية العلويين لم يكونوا - إجمالا - على الحال التي كان يريد أن يظهرهم عليها للناس، وأنهم كانوا أكثر تدينا والتزاما من أي فئة أخرى على الإطلاق..

هذا.. ولسوف نرى أن أحمد أمين المصرى يأخذ برأى ابن القفطى هذا. لكنه ينظر فيه إلى خصوص أنمة أهل البيت (ع)، كما سيأتى بيانه، وبيان مدى خلطه وفساده في الفصل التالي.

د :- إنه لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن أكثر ثورات العلويين، التي قامت ضد المأمون - قبل البيعة للرضا (ع) طبعا - كانت من بنى الحسن، وبالتحديد من أولئك الذين يتخذون نحلة الزيدية، فأراد المأمون أن يقف في وجههم، ويقضى عليهم، وعلى نحلته تلك نهائيا، وإلى الأبد، فأقدم على ما أقدم عليه من البيعة للرضا (ع) بولاية العهد.

هذا. وقد كانت نحلة الزيدية هذه - شائعة في تلك الفترة، وكانت تزداد قوة يوما عن يوم، وكان للقائمين بها نفوذ واسع، وكلمة مسموعة، حتى إن المهدي قد استوزر يعقوب بن داوود، وهو زيدى، وآخاه، وفوضه جمع أمور الخلافة (١) وعلى حد تعبير الشبراوى:

.. "فولاه الوزارة، وصارت الأوامر كلها بيديه، واستقل يعقوب حتى حسده جميع أقرانه (" ٢ .. ٢). (١) البداية والنهاية ج ١٠ / ١٤٧،

وغيره من كتب التاريخ، فراجع فصل: مصدر الخطر على العباسيين، (٢) الإتحاف بحب الأشراف ص ١١٢. (٢٢٩) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الوسعة (١)، الجهل (١)، كتاب البداية

والنهاية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

بل كان " لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل، فيجوز، حتى يكتب يعقوب إلى أمينه وثقته بإنفاذه (" ١).

وقد بلغ من نفوذ يعقوب هذا.. أن قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة، التي قدمناها، والتي يقول فيها<sup>٢</sup>: "إن الخليفة يعقوب ابن داوود".

وقد سعى يعقوب هذا إلى المهدي: وقيل له..<sup>٣</sup>: "إن الشرق والغرب في يد يعقوب، وأصحابه، وإنما يكفيه أن يكتب إليهم. فيثوروا، في يوم واحد، فيأخذوا الدنيا ("٢)."

وذلك لأنه قد<sup>٤</sup>: "أرسل يعقوب هذا إلى الزيدية، وأتى بهم من كل أوب، وولاهم من أمور الخلافة في المشرق والمغرب كل جليل، وعمل نفيس، والدنيا كلها في يديه ("٣).."

وإذا ما عرفنا أن معاوني يعقوب إنما كانوا هم: متفقه الكوفة، والبصرة، وأهل الشام (٤).. فإننا نعرف أن الاتجاه الزيدى سوف يؤثر كثيرا، وكثيرا جدا على الثقافة العامة، والاتجاهات الفكرية في ذلك العصر - كما حدث ذلك فعلا.. حتى لقد صرح ابن النديم بأن:  
"أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، وكذلك قوم من الفقهاء، مثل:

سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية ("٥). وقد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد (١) الطبرى ج ١٠ / ٤٨٦، والكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٠، ومرآة الجنان ج ١ / ٤١٨، (٢) الكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٦، (٣) الطبرى ج ١٠ / ٥٠٨، طبع ليدن، والوزراء والكتاب للجيشياري ص ١٥٨، والكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٦، (٤) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ / ٤٨٦.

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٣. (٢٣٠) صفحهمفاتح البحث: مدينة الكوفة (١)، سفيان بن عيينة (١)، سفيان الثوري (١)، ابن النديم (٢)، الشام (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (٣)

خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه (١).

وعلى كل حال.. فإن ما يهمننا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريد (١) مقاتل الطالبين ص ٣٧٧، وغيرها من الصفحات، وغيرها من الكتب. ويرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث في الكوفة. ولكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعته مقاتل الطالبين وغيره.

والأمر الذى تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، وفرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذى يقول به الشيعة الإمامية، عندما جعل المأمون "الرضا عليه السلام" وليا لعهد. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلك: قال النوبختي في فرق الشيعة ص ٨٦:

" وفرقة منهم تسمى "المحدثة" كانوا من أهل الإرجاء، وأصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بإمامة موسى بن جعفر، وبعده بإمامة على بن موسى، وصاروا شيعة، رغبة فى الدنيا وتصنعا. فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه.

وفرقة كانت من الزيدية الأقبوية، والبصراء، فدخلوا فى إمامة على بن موسى (ع)، عندما أظهر المأمون فضله، وعقد بيعته، تصنعا للدنيا، واستكانوا الناس بذلك دهرا.

فلما توفى على بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية " وقد تقدم قول الشيبى: إنه قد التف حول الرضا (ع) " المرجئة، وأهل الحديث، والزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته " وغير ذلك.

والذى نريد أن نقوله هنا هو: أن "الإرجاء دين الملوك" على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه فى ضحى الإسلام ج ٣ / ٣٢٦)، نقلا عن طيفور فى تاريخ بغداد.

وفى البداية والنهاية ج ١٠ / ٢٧٦: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الإرجاء؟

قال: "دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم" قال:

صدقت الخ. وليراجع كتاب بغداد ص ٥١، وعمدة القول بالإرجاء (القديم) هو: المغلاة فى الشيخين، والتوقف فى الصهرين، فالإرجاء والتشيع، وخصوصا القول بإمامة موسى بن جعفر، وولده على الرضا على طرفى نقيض ومن هنا كانت المساجلة الشرعية بين المأمون

المظهر لحب علي وولده، وابن شكلة المرجى، يقول المأمون معرضا بابن شكلة:

إذا المرجى سررك أن تراه \* يموت لحينه من قبل موته فجدد عنده ذكرى على \* وصل على النبی وآل بيته أما ابن شكلة فيقول معرضا بالمأمون:

إذا الشيعة جمجم في مقال \* فسرك أن ييوج بذات نفسه فصل على النبي وصاحبيه \* وزيريه وجاريه برمسه راجع: مروج الذهب ج ٣ / ٤١٧، والكنى والألقاب ج ١ / ٣٣١، وبعد هذا. فإنه لمن غرائب الأمور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالإرجاء إلى التشيع، بل إلى الرفض (وهو الغلو في التشيع حسب مصطلحهم، والذي يتمثل بالقول بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام (وأغرب من ذلك العودة إلى الإرجاء بعد موت علي الرضا عليه السلام.

وهذا إن دل على شيء، وإنما يدل على مدى تأثير السياسة والمال في هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم - بادعائهم - مسؤولية الحفاظ على الدين والذود عن العقيدة، فإنهم كانوا في غاية الانحطاط الديني، يتلونون - طمعا بالمال والشهرة - ألوانا، حتى إن ذلك يحملهم على القول بعقيدة، ثم القول بصددها، ثم الرجوع إلى المقالة الأولى، إذا رأوا أن الحاكم يرغب في ذلك، ويميل إليه، ولهذا أسماوا بـ "الحشوية" يعني: أتباع وحشو الملوك، وأذئاب كل من غلب، ويقال لهم أيضا (وهم في الحقيقة أهل الحديث "): الحشوية، والنابتة، والغناء، والغثر". على ما في كتاب: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٠.

وراجع أيضا فرق الشيعة، ورسالة الجاحظ في بني أمية، وغير ذلك.

بل لقد أطلق عليهم المأمون نفسه لفظ "الحشوية" في مناقشته المشهورة للفقهاء والعلماء المذكور في العقد الفريد والبحار، وعيون أخبار الرضا وغير ذلك.

وقال عنهم الزمخشري في مقام استعراضه للمذاهب والنحل، ومعتنقها:

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه \* يقولون تيس ليس يدي ويفهم ويقابل كلمه "الحشوية" كلمه "الرافضة" التي شاع إطلاقها على الشيعة الإمامية.

ومعناها في الأصل: جند تركوا قائدهم. فحيث إن الشيعة لم يكونوا قائلين بإمامة أولئك المتغلبين، سموهم بـ "الرافضة" ولذا جاء في تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٦١:

أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص:

"أما بعد. فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة الخ. .. ومثل ذلك ما في وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٤، فالمراد بكلمة رافضة هنا هو ذلك المعنى اللغوي الذي أشرنا إليه، فسمى الشيعة بالرافضة، لأنهم - كما قلنا - رفضوا الانقياد لأولئك الحكام المتغلبين.

يقول السيد الحميري على ما جاء في ديوانه وغيره - يهجو البعض:

أبوك ابن سارق عزز النبي \* وأمك بنت أبي جحدر ونحن على رغمك الرافضون \* لأهل الضلالة والمنكر ولكن قد جاء في الطبري، مطبعة الاستقامة ج ٦ ص ٤٩٨، والبداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٠، ومقدمة ابن خلدون ص ١٩٨، ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٣٠، وغاية الاختصار ص ١٣٤: أن سبب تسمية الشيعة بـ "الرافضة" هو أنهم عندما تركوا نصره زيد بن علي في سنة ١٢٢ هـ. قال لهم زيد: رفضتموني، رفضكم الله، وهذا كذب راجع على بعض الشيعة أيضا حيث ذكروا وذكر الطبري في نفس الصفحة المشار إليها أنفا: أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد، لما رفضته الشيعة.. وكانت قضيته سنة ١١٩ هـ.

ولكن الحقيقة هي أن التسمية بالرافضة كانت قبل سنتي ١٢٢ هـ و ١١٩ هـ. فقد جاء في المحاسن للبرقي ص ١١٩ طبع النجف، باب الرافضة: أن الشيعة كانوا يشكون إلى الباقر المتوفى سنة ١١٤ أن الولاة قد استحلوا دماءهم وأموالهم باسم "الرافضة" الخ.

وجاء في ميزان الاعتدال طبع سنة ١٩٦٣ م. ج ٢ ص ٥٨٤ بعد ذكره لإسناد طويل أن الشعبي المتوفى سنة ١٠٤ هـ. قال لأحدهم "انتني

بشيعي صغير، أخرج لك منه رافضيا كبيرا."

وفي كتاب: روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٤٠، أن الشعبي قال:

"أحب آل محمد ولا تكن رافضيا، وأثبت وعيد الله، ولا تكن مرجئيا."

بل لدينا ما يدل على أن تسمية الشيعة بـ "الرافضة" كان قبل سنة المئة، فقد جاء في المحاسن والمساوي للبيهقي ص ٢١٢، طبع دار صادر وأمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٦٨ هامش: أن لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة في الإمام زين العابدين، المتوفى سنة ٩٥ هـ قال عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ للفرزدق: "أرافضي أنت يا فرزدق.؟! وعلى كل حال: فإن ذلك كله قد كان قبل قضيتي زيد والمغيرة ابن سعيد بزمان بعيد. (٢٣١) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، شيعة أهل البيت عليهم السلام (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٦)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب أمالي الصدوق (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١)، كتاب البدايه والنهائيه (٢)، مدينة الكوفة (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، الزمخشري (١)، الشاعر الفرزدق (٣)، المغيرة بن سعيد (١)، بنو أمية (١)، مدينة البصرة (١)، عمرو بن العاص (١)، مدينة بغداد (١)، موسى بن جعفر (٢)، زيد بن علي (١)، نصر بن مزاحم (١)، الموت (٢)، الغل (١)، الوفاة (٤) أن يقضى على الزيدية، ويكسر شوكتهم بالبيعة للإمام الرضا (ع) بولاية العهد، ولهذا نرى أنه قد طبق اللقب، الذي طالما دعا إليه الزيدية، واعترف به العباسيون، بل ودعوا إليه في بدء دعوتهم ودولتهم، ألا وهو لقب "الرضا من آل محمد،" طبقه على ابن موسى (ع)، فسماه "الرضا من آل محمد" (١). فأصبحت بذلك حجته قوية على الزيدية، بل لم يعد لهم حجة أصلا. وأصبح يستطيع أن ينال قريير العين، إذ قد أصبح "الرضا من آل محمد" موجودا، فالدعوة إلى غيره ستكون لا معنى لها البتة. ولسوف تكون مرفوضة من الناس جملة وتفصيلا. وكان ذلك بطبيعة الحال السبب الرئيسي في إضعاف الزيدية، وكسر شوكتهم، وشل حركتهم.

والذي ساهم إلى حد كبير في إضعافهم، وشل حركتهم، هو اختياره الإمام (ع) بالذات، حيث إنه الرجل الذي لا يمكن لأحد كائنا من كان أن ينكر فضله، وعلمه، وتقواه، وسائر صفاته ومزاياه، التي لم تكن لأحد في زمانه على الإطلاق، فليس لهم بعد طريق للاعتراض عليه: بأن الذي اختاره لولاية عهده، والخلافة من بعده، ليس أهلا (١) راجع: الفخرى في الآداب السلطانية، ص ٢١٧، وضحي الإسلام ج ٣ ص ٢٩٤، والبدايه والنهائيه ج ١٠ ص ٢٤٧، والطبري، وابن الأثير، والقلقشندى وأبو الفرج. والمفيد وكل من تعرض من المؤرخين لولاية العهد. بل لقد صرح نفس المأمون بذلك في وثيقة ولاية العهد، وهذا يكفي في المقام.. ولقد قال دعبل:

أيا عجا منهم يسمونك الرضا \* ويلقاك منهم كلحة وغضون وهناك نصوص أخرى مفادها: أنه سمي الرضا، لرضا أعدائه، وأوليائه به، وعزى الشيبى في كتابه: الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٣٨: عزا رضا أعدائه به إلى قوة شخصيته عليه السلام.. أما نحن فنقول: إنه ليس من اليسير أبدا، أن تنال شخصية رضا كل أحد، حتى أعدائها. اللهم إلا إذا كان هناك سر إلهي، اختصت به تلك الشخصية، دون غيرها من سائر بنى الإنسان.. (٢٣٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الحج (١)، كتاب البدايه والنهائيه (١)، ابن الأثير (١)، الفرج (١)

لما أهله له. ولو أنهم ادعوا ذلك لما صدقهم أحد، ولكانت الدائرة حينئذ في ذلك عليهم، والخسران لهم دون غيرهم.

فذلك لا بد منها:

هذا.. ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن المأمون، لم يخترع أسلوبا جديدا للتصدي للزيدية، والحد من نفوذهم، وكسر شوكتهم، ببيعتة للرضا (ع)، إذ أنه كان قد استوحى هذه الفكرة من سلفه المهدي، الذي كان قد استوزر يعقوب بن داوود الزيدي، ليحد من نشاط الزيدية، ويكسر شوكتهم. وكان قد نجح في ذلك إلى حد ما: إذ لا يحدثنا التاريخ عن تحركات زيدية خطيرة ضد المهدي، بعد استيزاره ليعقوب، وتقريبه للزيدية، كنتلك الأحداث التي حدثت ضد المنصور، وخصوصا ثورة محمد وإبراهيم ابني عبد الله.

كما يلاحظ أن تقريب العباسيين للزيدية في عصر المهدي، وتسليطهم على شؤون الدولة وإداراتها، لم يؤثر في الوضع العام أثرا يخشاه العباسيون، وذلك بلا شك مما يشجع المأمون على الإقدام على ما كان قد عقد العزم عليه، بجنان ثابت وإرادة راسخة. يضاف إلى ذلك: أن سهولة إبعاد العباسيين لهم عن مراكز القوة، ومناصب الحكم على يد المهدي نفسه، الذي نكب يعقوب بن داوود، الوزير الزيدي، حيث لم تصاحبه ردة فعل، ولا نتج عنه أية حادثة تذكر ضد العباسيين، لا حقيرة، ولا خطيرة.. هو الذي شجع المأمون على أن يستوحى نفس الفكرة، ويلعب نفس اللعبة، ويتبع نفس طريقه المهدي. في مواجهتهم، وكسر شوكتهم، بالبيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده. (٢٣٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢) وعلى كل حال، فإن هذا أسلوب قديم اتبعه العباسيون في دعوتهم الأولى أيضا، حيث بايعوا للعلويين، وأظهروا أن الدعوة لهم وباسمهم..

ثم كانت النتيجة هي ما يعلمه كل أحد، حيث انقلبوا عليهم يوسعونهم قتلا وعسفا، وتشريدا عندما خافوهم. فلم يعودوا بحاجة إليهم. ه :- أضف إلى ذلك ما تقدم أن المأمون كان يعلم قبل أي شخص آخر بطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الأئمة (ع)، وبين الزيدية، حيث إنها كانت على درجة من السوء والتدهور. وكان عدم التفاهم، والانسجام فيما بينهم واضحا للعيان.. حتى لقد شكى الأئمة (ع) منهم، وصرحوا: بأن الناس قد نصبوا العداوة لشيعتهم، أما الزيدية فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم (١)، وفي الكافي رواية مفادها: إنه (ع) قال إنهم قبل أن يصلوا إلى الحكم كانوا لا يطيعونهم فكيف تكون حالهم معهم لو أنهم وصلوا إلى الحكم وتبوءوا كرسي الرئاسة. (١) راجع: الوافي للفيض ج ١ ص ١٤٣، باب: الناصب ومجالسته.

هذا. ولا يمنع ذلك ما ورد عنهم عليهم السلام من أن خروج الزيدية وغيرهم على الحكام يدرؤا به عنهم، وعن شيعتهم: فقد جاء في السرائر قسم المستطرفات ص ٤٧٦ أنه "ذكر بين يدي أبي عبد الله من خرج من آل محمد صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد إلخ" .. وذلك لأن اصطدامهم مع الحكام كان يصرف أنظار الحكام إليهم، ويفسح المجال أمام أهل البيت وشيعتهم إلى حد ما. ولم يكن هناك مجال لانتهام الأئمة وشيعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما كان يراه الحكام من عدم الانسجام الظاهر بين الأئمة وبين الزيدية، وغيرهم من الثائرين وسليبي كل فريق منهما تجاه الآخر.. وأخيرا.. فلا بد لنا هنا من الإشارة إلى أن ثورات العلويين، سواء على الحكم الأموي، أو الحكم العباسي، قد ساهمت في أن يبقى حق العلويين في الحكم متحفظا بقوته وحيويته في ضمير الأمة، ووجدانها. ولم تؤثر عليه حملات القمع والتضليل، التي كان الحكم القائم آنذاك يمارسها ضدهم، وضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص. (٢٣٦) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب السرائر لابن إدريس الحلبي (١)، المنع (١)

وقد رأينا: أن عبد الله بن الحسن، عندما جاء يعرض على الإمام الصادق (ع) كتاب أبي سلمة، الذي يدعوه فيه للقدوم إلى الكوفة، لتكون الدعوة له، وباسمه، فنهاه الإمام (ع) عن ذلك - رأينا - ينازع الإمام الصادق الكلام، حتى قال له: "والله، ما يمنعك من ذلك إلا الحسد إلخ". وقد انصرف عبد الله آخر الأمر مغضبا (١).

ورأينا أيضا أنه في موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) يتهمه بنفس هذه التهمة، ويصمه بعين هذه الوصمة، وذلك عندما أرادوا البيعة لولده محمد، وأبدى الإمام (ع) رأيه في ذلك. ذلك الرأي الذي كشفت الأيام عن صحته وسداده (٢). بل لقد كان عيسى بن زيد يقول لمحمد بن عبد الله.. "من خالفك من آل أبي طالب، فأمكنى أضرب عنقه" (٣). وقد تجرأ عيسى هذا أيضا على الإمام الصادق بكلام لا نحب ذكره.

وأما موقف محمد بن عبد الله نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشهر من أن يذكر، حيث إنه سجن الإمام (ع)، واستصفى أمواله، وأسمعه كلاما قاسيا، لا يليق بمقام الإمام وسنه (٤). (١) راجع: مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٤، ٣٥٥، وغيره من المصادر. (٢) الصواعق المحرقة ص ١٢١، وينابيع المودة للحنفي ص ٣٣٢، ٣٦١، ومقاتل الطالبين ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٠، وغير ذلك.. وفي هذا



الأخير: أن عبد الله ابن الحسن لم يرض باستدعاء الإمام، ولا وافق عليه، عندما أرادوا البيعة لولده محمد، وبعد أن أقنعوه، وحضر الإمام، جرى بينهما ما جرى.

(٣) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠.

(٤) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠، وج ٨ ص ٢٤٢، ٢٤٣ والبحار ج ٤٧ ص ٢٨٤، ٢٥٨. (٢٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٣)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة الكوفة (١)، محمد بن عبد الله (٢)، عيسى بن زيد (١)، الصدق (١)، المنع (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١) إلى آخر ما هنالك مما يدل على كرههم، وحقدهم على الأئمة (ع). أو بالأحرى حسدهم لهم..

والمؤمن.. كان يعلم بذلك كله، ويدركه كل الادراك، ولهذا فإننا لا نستبعد أنه - وهو الداهية الدهياء - قد أراد أيضا في جملة ما أراد: أن يوقع الفتنة بين آل على أنفسهم. أي: بين الأئمة، والمنتشيعين لهم، وبين الزيدية، ويقف هو في موقف المتفرج المتربص حتى إذا أضعف كل واحد من الفريقين الفريق الآخر، ولم يعد فيهما بقية.. انقض هو عليهما، وقضى عليهما بأهون سبيل. بل إن بعض الباحثين يرى: أنه أراد من لعبته هذه.. "ضربا للثائرين العلويين من إخوة علي بن موسى بأخيهم (١)". ولو أننا استبعدنا كل ذلك، فلا أقل - كما قلنا - من أن حجته أصبحت قوية على الزيدية، وعلى كل من يدعو إلى "الرضا من آل محمد،" ولم يعد يخشى أحدا منهم، بعد أن أصبح "الرضا من آل محمد موجودا. الهدف التاسع:

كما أنه بيعته للإمام الرضا (ع) بولاية العهد، وقبول الإمام (ع) بذلك.. يكون قد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية، ولقد صرح المؤمن بأن ذلك، كان من جملة أهدافه، حيث قال.. "فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا.. وستتكلم حول تصريحات المؤمن (١) هو الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلاة بين التصوف والتشيع ص ٢١٩. (٢٣٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الصلاة (١) هذه بنوع من التفصيل فى فصل: مع بعض خطط المؤمن، وغيره إن شاء الله تعالى.

نعود إلى القول: إن تصريح المؤمن هذا يعطينا: أن قبول الإمام بأن يكون ولي عهد المؤمن، إنما يعنى بالنسبة للمؤمن: أن الإمام يكون قد أقر بأن الخلافة ليست له دون غيره، ولا- فى العلويين دون غيرهم، وأنه كما يمكن أن يكون هو جديرا بها، وأهلا- لها، وكذلك غيره يمكن أن يكون كذلك. وليتمكن المؤمن بذلك من محاربة العلويين بنفس السلاح الذى بأيديهم، وليصير - من ثم - من الصعب استجابة الناس لهم، إذا دعوا لأية ثورة ضد حكم اعترفوا هم بشرعيته، وأيدوه، وتعاونوا معه من قبل، وعلى أعلى مستوى ومن أعظم شخصية فيهم.

بل لقد كان يريد أن يحصل من العلويين على اعتراف بأن الحكم حق للعباسيين فقط. أما هم، فليس لهم فيه أدنى نصيب، وما فعله المؤمن - من إسناد ولاية العهد لواحد منهم، ما كان إلا تفضلا وكرما، ومن أجل أن يجمع شمل البيتين العلوى والعباسى، وتصفو القلوب ويمحو ما كان من أمر الرشيد وغيره من أسلافه مع العلويين.

ولقد حاول المؤمن أن ينتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافة حق للعباسيين، شفاها أيضا فكانت النتيجة عكس ما أراد المؤمن، وذلك عندما عرض بالمن على الإمام بأن جعله ولي عهده، فأجابته الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم يزد فى النعمة شيئا، وأنه وهو فى المدينة كانت كتبه تنفذ فى المشرق والمغرب.

كما أن المؤمن قد قال لحميد بن مهران، وجمع من العباسيين:

"وليعتقد فى المفتونون به، بأنه ليس مما ادعى فى قليل، ولا

صفحة (٢٣٩)

كثير، وأن هذا الأمر لنا دونه ". وسوف يأتي الكلام عن هذه التصريحات إن شاء الله كما قلنا.

وبعد.. فإنه لا يكون من المبالغة في شئ لو قلنا: إن حصول المأمون على اعتراف من العلويين، ومن الإمام الرضا (ع) خاصة، بشرعية خلافته، وخلافته، بنى أبيه أخطر على العلويين من الأسلوب الذي انتهجه أسلافه من أمويين وعباسيين ضدهم، من قتلهم، وتشريدهم، وسلب أموالهم، إلى غير ذلك مما هو معروف ومشهور.

الهدف العاشر:

يضاف إلى ذلك، أنه يكون قد حصل على اعتراف ضمنى من الإمام بشرعية تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، وليعطى الناس - من ثم - الصورة التي يريدونها عن الحكم والحاكم، وليؤكد للملا أجمع: أن الحاكم هذا هو سلوكه، وهذه هي تصرفاته: من كان، ومهما كان، وإذن فليس لهم بعد حق في أن يتطلعوا إلى حكومة أحد على أن بها شيئاً جديداً، ولا أن ينظروا إلى جهة على أنها يمكن أن يكون بها المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات إلى النور، حتى ولو كانت تلك الجهة هي آل بيت نبيهم، فإنه من الطبيعي أن يتبع السياسيون أساليب، ويتكلموا بأشياء كثيرة، ينسبون بها مجرد وصولهم إلى الحكم، وتسلمهم لازمة السلطة، فإن تلك لا تعدو كونها تكتيكات، ووعوداً انتخائية، يحتاجون إليها في ظروف معينة، ثم يستغنون عنها.. كما كانت الحال في وعود المأمون، التي أشرنا إليها فيما تقدم.

وهكذا. فيكون سكوت الإمام في فترة ولاية العهد، عن تصرفات الهيئة الحاكمة، دالا على رضاه بها، ويعتبر إمضاء لها.. وبعد هذا.

(٢٤٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، القتل (١)

فلا يجب أن يكون من العسير على الناس أن يتصوروا طبيعة وماهية حكم الإمام، وكل من يقدر له أن يصل الحكم والسلطان، سواء من العلويين، أو من غيرهم.

وإذا كانت الصورة واحدة، والجوهر واحد، والاختلاف إنما هو فقط في الاسم والعنوان، فليس لهم بعد حق، أو على الأقل ما الداعي لهم، لأن يطلبوا حكماً أفضل، أو حكماً أعدل، فإنه طلب لغير موجود، وسعى وراء مفقود.

الهدف الحادى عشر:

هذا.. وبعد أن يكون المأمون قد حصل على كل ما قدمناه، وحقن دماء العباسيين، واستوثقت له الممالك، ولم يعد هناك ما يعكر صفو حياته (١)، وقوى مركزه، وارتفع بالخلافة من الحضيض بالمهين، الذى أوصلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، والتمكن والمجد. وأعطاه من القوة والمنعة، ووهبها من الحياة فى ضمير الأمة ووجدانها ما هى بأمس الحاجة إليه.. ولتتمكن من ثم من الصمود فى وجه أية عاصفة، وإخماد أية ثورة، ومقاومة كل الأنواء، وذلك هو حلمه الكبير، الذى طالما جهد فى تحقيقه - إنه بعد أن يكون قد حصل على كل ذلك وسواه مما قدمناه: (١) لقد صرح الذهبى فى الجزء الأول من كتابه " العبر " بأنه فى سنة ٢٠٠ هـ. استوثقت الممالك للمأمون. وهذه هى نفس السنة التى أتى فيها بالإمام عليه السلام من المدينة إلى مرو.. ولكن اليافى فى مرآة الجنان ج ٢ ص ٨: قد جعل ذلك فى سنة ٢٠٣: أى فى السنة التى تخلص فيها المأمون من الإمام الرضا عليه السلام بواسطة السم الذى دسه إليه.. وفى اليعقوبى ج ٢ ص ٤٥٢ طبع صادر: أنه فى السنة التى غادر فيها المأمون خراسان " : لم تبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها. " (٢٤١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، خراسان (٢)، الخوف (١)

يكون قد أفسح لنظام حكمه المجال - تلقائياً - لتصفية حساباته مع خصومه، أيا كانوا. وبأى وسيلة كانت، وبهدوء، وراحة فكر واطمئنان إن اقتضى الأمر ذلك.

كما أنه يكون قد مهد الطريق لتنفيذ الجزء الثانى - ولعله الأهم - من خطته الجهنمية، بعيداً عن الشبهات، ودون أن يتعرض لتهمة أحد، أو شك من أحد.. ألا وهو: القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم. وليكون بذلك قد قضى نهائياً، وإلى الأبد،

على أكبر مصدر للخطر، يمكن أن يتهدده، ويتهدد خلافته ومركزه.

إنه يريد زعزعة ثقة الناس بهم، واستئصال تعاطفهم معهم، وليحوه - إن استطاع - إلى كره ومقت، بالطرق التي لا تمس العواطف والمشاعر، ولا تثير الكثير من الشكوك والشبهات.

يظهر ذلك في محاولاته إسقاط الإمام اجتماعيا، والوضع منه قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، وليدبر فيه في نهاية الأمر بما يحسم عنه مواد بلائه.. كما صرح لحميد بن مهران، وجمع من العباسيين، وستكلم بنوع من التفصيل عن محاولات المأمون هذه، التي باءت كلها بالفشل الذريع، وعادت عليه بالخسران، لأن الإمام (ع) كان قد أحبطها عليه، بل لقد كان لها من النتائج العكسية بالنسبة إليه ما جعله يتعجل بتصفية الإمام جسديا، بعد أن أشرف هو منه (ع) على الهلاك.. بالطريقة التي حسب أنها سوف لا تثير الكثير من الشكوك والشبهات.

ملاحظة لا بد منها:

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون كان يقدر أن مجرد (٢٤٢) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (١)

جعل ولاية العهد للإمام، سوف يكون كافيا لتحطيمه اجتماعيا، وإسقاطه نهائيا من أعين الناس، حيث يظهر لهم بالعمل - لا بالقول: أن الإمام رجل دنيا فقط، وأن تظاهره بالزهد والتقوى ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، ولا حقيقة وراءه. ولسوف تكون النتيجة هي تشويه سمعة الإمام (ع)، وزعزعة ثقة الناس به، وذلك بسبب الفارق الكبير بالسن، بين الخليفة الفعلي، وبين ولي عهده، إذ أن ولي العهد لا يكبر الخليفة الفعلي بسنتين، أو ثلاثة، أو خمسة، لا.. بل أكثر من ذلك بكثير، إنه يكبره ب " ٢٢ " سنة، وإنه لمن الأمور غير الطبيعية أبدا: أن يقبل ولاية العهد، وهو يكبر الخليفة الفعلي بهذا المقدار الكبير من السنين، ولسوف يكون قبوله لها - مع هذا الفارق بينهما - موجبا لجعله عرضة لشكوك الناس، وظنونهم، ولسوف يتسبب بوضع علامات استفهام كبيرة حوله.. كما كان الحال، بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، وكلام الريان المتقدم.. ولسوف يفسر (١) ذلك من أولئك الذين لا يدركون حقيقة ما يجري، وما يحدث، - وما أكثرهم - بتفسيرات تنسجم مع رغائب المأمون، وأهدافه. لأنهم سوف يرون أن زهده (ع) بالدنيا، ليس إلا ستارا تختفى وراءه مطامعه فيها، وحببه المستميت لها، حتى إنه ليطمع أن يعيش إلى ما بعد الخليفة الفعلي، الذي هو أصغر من ولده، ويصل إلى الحكم.. وباختصار نقول: (١) ولكننا، مع ذلك نجد: أن قسما من أصحاب الرضا عليه السلام، ممن كانوا يراقبون الأحداث بوعى ودراية، كانوا يدركون نوايا المأمون وأهدافه هذه ففي البحار.

ج ٤٩ ص ٢٩٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩: أنه قد سئل أبو الصلت:

"كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه ومحبته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟! فقال: إن المأمون كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضلته، وجعل له ولاية العهد من بعده، ليرى الناس أنه راغب في الدنيا، فلما لم يظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، ومحلا في نفوسهم، جلب عليه إلخ. (" ٢٤٣) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (١)، القتل (١)

إنه يريد أن..": يعتقد فيه المفتونون به بأنه: ليس ما ادعى في قليل ولا كثير ". حسبما صرح به هو نفسه.. وعلى حد قول الإمام نفسه، الذي كان يدرك خطة المأمون هذه..": أن يقول الناس:

إن علي بن موسى، لم يزهده في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا بالخلافة..؟!". كما سيأتي.

وعن الريان قال " دخلت على الرضا، فقلت: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد في الدنيا؟! فقال (ع): قد علم الله كراهتي (" ١) وقد أشرنا إلى سؤال محمد بن عرفة، وكلام الريان فيما تقدم.

وعلى أي شيء يبكي المأمون، ومن أجل أي شيء يشقى ويتعب، ويسهر الليالي، ويتحمل المشاق.. إلا على هذا.. إن هذا هو أجل

أمنيته وأغلاها.

سؤال وجوابه:

قد يدور بخلد القارئ أن ما ذكرناه هنا: فيما يتعلق بالفارق الكبير بالسن، ينافي ما تقدم من أن المأمون كان يريد الحصول على قاعدة شعبية، والارتفاع بالخلافة من الحضيض الخ.

ولكن الحقيقة هي: أنه لا منافاة هناك.. ويمكن للمأمون أن يقصد كل ذلك من البيعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بين الإمام (ع) والمأمون، لم يكن مما يعرفه الكثيرون، ولا مما يلتفت إليه عوام الناس في بادئ (١) علل الشرايع ص ٢٣٨، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٠، وأمالى الصدوق ص ٤٤، ٤٥. (٢٤٤) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفه (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب أمالى الصدوق (١) الأمر، لأنهم يأخذون الأمور على ظواهرها، ولا يتنبهون إلى مثل ذلك، إلا بعد تنبيه وتذكير، فللهولاء الأولى تجوز عليهم الخدعة، ويقدرّون خطوة المأمون هذه، وتتعش الآمال في نفوسهم بالحياة الهنيئة السعيدة، تحت ظلم حكم بدا أنه يتخذ العدل ديدنا، والإنصاف طريقة..

ثم.. وبعد أن يجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسميم الأفكار، يجد أن نفوس الناس مهياً ومستعدة لتقبل ما يلقي إليها. ويكون لديه - باعتقاده - من الحجج ما يكفي لإسقاط الإمام، وزعزعة ثقة الناس به. ولا يؤثر ذلك بعد ذلك على الحكم، فإن الحكم يكون قد استنفذ أغراضه من البيعة. وحصل على ما يريد الحصول عليه منها.. هذا ولا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون وأجهزة إعلامه كانوا في مقابل وصم الإمام بالرغبة بالدنيا والتفاني في سبيلها.. يشيعون بين الناس عن المأمون عكس ذلك تمام، فيطلب المأمون من وزيره أن يشيع عنه الزهد، والورع والتقوى (١).. وأنه لا يريد مما أقدم عليه الأخير الأمة ومصالحها، حيث قد اختار لولاية عهده أفضل رجل قدر عليه، رغم أن ذلك الرجل هو من ذلك البيت الذي لا يجهل أحد موقفه من حكم العباسيين، وموقف العباسيين منه كما يتضح ذلك من وثيقة ولاية العهد، وغيرها.

رأى الناس فيمن يتصدى للحكم:

لعل من الواضح أن كثيرا من الناس كانوا يرون - في تلك الفترة من الزمن - لقصر نظرهم، وقلّة معرفتهم: أن هناك منافاة بين الزهد والورع، والتقوى، وبين المنصب، وأنهما لا يتفقان، ولا يجتمعان. (١) تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ٢٤١. (٢٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)، الزهد (١)، الجهل (١)، الجواز (١)

وقد رأينا الكثيرين يمتنعون على تولي المناصب للحكام، لما يرونه من المنافاة المشار إليها.

ولعل سر فهمهم هذا: هو أنهم كانوا قد اعتادوا من الحكام التجاوز على الحقوق، والدماء، والأموال، وعلى أحكام الدين، والنواميس الإنسانية، بشكل عام. والزهد والورع لا يتلائم مع ذلك كله، ولا ينسجم معه.

ولكن الحقيقة هي: أن لا منافاة بينهما أبدا، فإن الحكم إذا كان وسيلة لا يصال الخير إلى الآخرين، ورفع الظلم عنهم، وإشاعة العدل، وإقامة شريعة الله تعالى، فيجب السعي إليه، والعمل من أجله، وفي سبيله.. بل إذا لزم من ترك السعي إليه، تضييع الحقوق، وانهايار صرح العدل، والخروج على أحكام الدين، فإن ترك السعي هذا، يكون هو المنافي للزهد والورع والتقوى..

ولقد قاد النبي (ع) الأمة، وقبله قاده سليمان بن داود، وغيره، وبعده الإمام على بن أبي طالب، وولده الحسن، ثم الحسين، وهكذا.. وحال هؤلاء في الزهد والورع، لا يحتاج إلى مزيد بيان، وإقامة برهان، بل لم يكن على ظهرها أزهدي، ولا أتقى، ولا أفضل، ولا أروع منهم، عدوهم يعرف منهم ذلك تماما كما يعرفه منهم صديقهم.

فعدا عن الأنبياء الذين كانوا القمة في الورع والزهد والتقوى، نرى الإمام على (ع) قمة في ذلك أيضا، وقد رقع مدرعته حتى استحيا من راقعها، وكان راقعها هو ولده "الإمام الحسن (ع)" (١). وكان (١) راجع: الدرّة النجفية ص ٣٠٣، طبعة حجرية. (٢٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبي عليهما السلام (١)،

على بن أبي طالب (١)، الظلم (١)، الزهد (٣)

يصلى في بيت المال ركعتين شكرا لله، بعد فراغ المال منه. وكان يقول: "إليك عنى يا دنيا غرى غيرى، أبى تعرضت؟! الخ .." وهو الذى قال فيه عدوه معاوية: "لو كان له بيتان: بيت من تبر، وآخر من تبن، لأنفق تبره قبل تبنه." إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه واستقصائه..

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايا المأمون تجاه العلويين، ومحاولاته لإسقاطهم اجتماعيا، وابتزازهم سياسيا.. حتى إذا أخفق فى ذلك راح يخلتهم واحدا فواحدا، كلما واتاه الظرف، وسنحت له الفرصة.. لم يكن العلويون يجهلون، بل كانوا يدركونها كل الإدراك، ولم تكن تخدعهم تلك الشعارات والأساليب المبهرجة. وحسبنا هنا أن نذكر فى مقام التذليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد الله بن موسى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولى عهده، ويقول له: "ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا." فأجابته عبد الله يقول: "وصل إلى كتابك، وفهمت، وتخلتني فيه عن نفسى مثل القانص، وتحال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي.

وعجت من بذلك العهد، ولايته لى بعدك، كأنك تظن: أنه لم يبلغنى ما فعلته بالرضا؟! ففى أى شىء ظننت أنى أرغب من ذلك؟ أفى الملك الذى غرتك حلاوته؟! إلى أن يقول: أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا. "؟! ويقول له أيضا - والظاهر أنه نص آخر للرسالة ":- هبنى لا تار لى عندك، وعند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جأروا فى أمرنا، فحذرناهم. وكنت ألطف حيلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، والتستر لمحنتنا، تختل واحدا، (٢٤٧) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، عبد الله بن موسى (١)، الركوع، الركعة (١)، الوفاة (١) فواحدا منا الخ (".. ١).

ولا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد الله بن موسى بأن يجعل له ولاية العهد.. للرسالة التى أرسلها إلى العباسيين فى بغداد، فور وفاة الرضا (ع)، ويعدهم فيها بأن يجعل ولاية العهد فيهم، وسنشير إلى رسالته لهم فى فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء الله وعلى كل حال... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التى لعبد الله بن موسى أمورا، نشير إلى بعضها: أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التى كان يخشاها، والغدر بها، إذ أن من المقبول والطبعي - كما يرى البعض - أن يكون ولى العهد هو الذى يتآمر، ويدبر للتخلص من الخليفة الفعلى، ليختصر المسافة، ويصل إلى الحكم، الذى ينتظر الوصول إليه، والحصول عليه بفارغ الصبر. وليس من الطبعي، ولا- من المقبول أن يتآمر الخليفة على ولى عهده، إلا- إذا كان يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، وهذا ما نفاه المأمون عن نفسه فى أكثر من مناسبة. وهكذا.. فإن النتيجة تكون: أن الخليفة الفعلى يكون آخر من يتهم فى ولى العهد، إذا ما راح ضحية التآمر والاغتيال، وعرف الناس ذلك. وهذا بلا شك من جملة ما كان يريده المأمون، ويسعى إليه.

ثانيا: إن المأمون رغم الصعوبات التى واجهها فى فترة تولية الرضا (ع) العهد.. يبدو أنه كان يعتبر نفسه منتصرا وناجحا فى لعبته تلك، ولذلك نرى أنه قد حاول تكرار نفس اللعبة مع عبد الله بن (١) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٢٨، إلى ص ٦٣١، وسنورد الرسالة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله. (٢٤٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، عبد الله بن موسى (٢)، مدينة بغداد (١)، العزة (١)، الصبر (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)

موسى. ولكن يقظة هذا الأخير، الذى كانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت عليه الفرصة، وأعادته. بخفى حنين. كما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالإضافة إلى ذلك التستر على غدره بالرضا (ع)، بعد أن كان قد افتضح واشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر والكتمان.

ثالثا: ما تقدمت الإشارة إليه من أن إكرامه للعلويين، والرضا بهم، والتستر لمحنتهم، ما كان منه إلا ضمن خطة مرسومة، وإلا سياسة منه ودهاء، من أجل أن يأمن العلويون جانبه، ويظمنوا إليه، كما يدل عليه قوله لعبد الله بن موسى: " ما ظننت أحدا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا " وقد قدمنا أنه أشار إلى ذلك أيضا في كتابه للعباسيين، فلا نعيد..

رابعا: أنه لم يستطع أن يخفى عن العلويين - كما لم يستطع أن يخفى عن غيرهم - غدره بالإمام الرضا (ع)، وسمه له بالعنب، وكذلك غدره بغيره من العلويين. وسر ذلك واضح، فإن جميع الدلائل والشواهد كانت متوفرة على ذلك، كما سيأتي بيان جانب من ذلك في فصول هذا الكتاب بنوع من التفصيل.

موقف الإمام في مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلك، التغلب على المشاكل التي كان يواجهها، والاستفادة في تقوية دعائم خلافته، وخلافة العباسيين بشكل عام.. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلك، وخططه، وأهدافه؟، وهل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، ويوصل إلى ما (٢٤٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، عبد الله بن موسى (١)، الغل (١)، الكتمان (١)

كان يريد الوصول إليه؟.. وهل كانت لديه خطط من نوع معين، وأهداف معينة كان يسعى من أجل الوصول إليها، والحصول عليها؟! الحقيقة هي: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، وسلوك مثالي: أن يضيع على المأمون كافة الفرص، ويجعله يبوء بالخيبة والخسران، ويمنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، وبدا الارتباك واضحا في كل تصرفاته، وأقواله، وأفعاله.. وسيأتي في الفصول الآتية في القسمين: الثالث، والرابع بيان بعض ما يتعلق بذلك إن شاء الله، المأمون في قفص الاتهام:

وهكذا.. وبعد أن اتضحت الأسباب الحقيقية للبيعة، وبعد أن عرفنا بعض الظروف والملابسات، التي أحاطت بهذا الحدث الهام، فإننا نستطيع أن نضع المأمون، ونواياه، وأهدافه، في قفص الاتهام، ولا يمكن أن نصدق - بعد هذا - أبدا، أي ادعاء سطحي، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، وسلامة طويته، سيما ونحن نرى كتابه للعباسيين في بغداد فور وفاة الرضا، وكذلك سلوكه المشبوه مع الرضا (ع) من أول يوم طلب منه فيه الدخول في هذا الأمر، وحتى إلى ما بعد وفاته، كما سيأتي بيانه في الفصول الآتية. وكذلك كتابه لعبد الله بن موسى المتقدم.

والأدهى من ذلك كله رسالته للسري، عامله على مصر، التي " يخبره فيها بوفاء الرضا، ويأمره بأن تغسل المنابر، التي دعى عليها لعلى بن موسى، فغسلت " (١). (١) الولاة والقضاء للكندی ص ١٧٠. (٢٥٠) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، الهلاك (١)، الوفاء (١)

وكذلك لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأي واحد من العلويين، الآخرين.. كما أشرنا إليه في رسالته لعبد الله بن موسى، التي يذكر فيها: أنه راح يخلتهم واحدا فواحدا.. وأيضا عندما نرى أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، ويأخذهم بلبس السواد (١).. بل ويأمر ولاته وأمرائه بملاحقتهم، والقضاء عليهم، كما سيأتي.

مع المأمون في وثيقة العهد:

ويحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التي كتبها المأمون للإمام (ع) بخط يده، فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأى أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة وحيث إننا قد تحدثنا، ولسوف نتحدث في مطاوي هذا الكتاب عن بعض فقراتها.. فلسوف نقصر هنا على:

أولا: إننا نلاحظ: أنه يؤكد كثيرا على نقطتين: الأولى: أنه منطلق في هذه البيعة من طاعة الله، وإيثاره لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلك إلا مصلحة الأمة، والخير لها.

وسر ذلك واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب واستهجان الناس، الذين يرون الرجل الذي قتل حتى أخاه من أجل الحكم - يرونه

الآن - يتخلى عن هذا الحكم لرجل غريب، ولمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسين للعباسيين.. كما أنه يريد بذلك أن يكتسب ثقة الناس به، وبنظام حكمه.

وعدا من ذلك فهو يريد أن يطمئن العلويين والناس إلى أن ذلك لا ينطوى على لعبة من أى نوع، بل هو أمر طبيعي فرضته طاعة الله ومرضاته، ومصلحة الأمة، والصالح العام. (١) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربي ج ٥ ص ٢٠٤. (٢٥١) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن موسى (١)، القتل (١)، الوفاة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)

وثانيا: نراه يجعل العباسيين والعلويين فى مرتبة واحدة، وذلك لكى يضمن لأهل بيته حقا فى الخلافة كآل على.

وثالثا: يلاحظ: أنه يعطى خلافته صفة الشرعية، حيث يربطها بالمصدر الأعلى (الله) وعلى حسب منطق الناس هذا تام وصحيح، لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يودى إلى المناداة بواحد على أنه خليفة، ويصير مقبولا لدى الناس.. إنهم بمجرد ذلك يصيرون يعتبرونه خليفة الله فى أرضه، وحجته على عباده..

وهو أيضا تام وصحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالإرث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه..

ولهذا نلاحظ أنه يقدم عبد الله بن العباس على بن أبى طالب!

مع أن عبد الله تلميذ على. وليس ذلك إلا من أجل إثبات هذه النقطة، وجعل حق له بالخلافة، بل وجعل نفسه الأحق بها. هذه الخلافة التى هى منصب إلهى، وصل إليه بالطريق الشرعى، سواء على حسب منطق الناس فى تلك الفترة، أو على حسب منطق العباسيين.

وفى هذا إرضاء للعباسيين، وتطمين لهم، كما أنه فى نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا - يرون الخلافة بالكيفية التى أشرنا إليها وقد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر، حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، وعلى نفس الخط الذى هم عليه.

ورابعا: إننا نراه فى نفس الوقت الذى يؤكد فيه مذهبه، ووجهه نظره بتلك الأساليب المتعددة والمختلفة المشار إليها آنفا - نراه فى نفس الوقت - يدعى: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع) لا من جهة أنها حق له، ولا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من

جهة أنه أفضل من قدر عليه. وهذا أمر طبيعى جدا، وليس إقرارا بمقالة (٢٥٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، العباس بن عبد المطلب (١)، على بن أبى طالب (١)

الرضا.. وكما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غدا على غيره، عندما يوجد من له فضل، وأهلية.. وهذا دون شك ضربة لما يدعيه الرضا ويدعيه آباؤه من الحق فى الخلافة، ومن النص، وغير ذلك..

هذا.

ولسوف يأتى فى فصل: خطة الإمام، شرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقة، ولنرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، وصيره هباء اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

كلمة أخيرة:

وأخيرا: فإننا مهما شككنا فى شىء، فلسنا نشك فى أن المأمون كان قد درس الوضع دراسة دقيقة، وقبل أن يقدم على ما أقدم عليه.

وأخذ فى اعتباره كافة الاحتمالات، ومختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الأيدي الأثيمة، والأهواء الرخيصة.. وإن كانت لعبته تلك لم تؤت كل ثمارها، التى كان يرجوها منها، وذلك بسبب الخطة الحكيمة التى كان الإمام (ع) قد اتبعها.

ولعمري.. "إن بيعته للإمام لم تكن بيعه محاباة، إذ لو كانت كذلك لكان العباس ابنه، وسائر ولده، أحب إلى قلبه، وأجلى فى عينه. "على حد تعبير المأمون فى رسالته للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

صفحة (٢٥٣)

أسباب البيعة لدى الآخرين:

أحمد أمين المصري، وأسباب البيعة:

وعلى ضوء ما تقدم، نستطيع أن نلقى نظرة على ما ذكره بعض المؤرخين، والباحثين، مما جعلوه أسبابا لأخذ البيعة للإمام (ع) بولاية العهد، ولنرى - من ثم - أنها لا تقوى على الصمود أمام النقد التاريخي الواعي والدقيق، إذ أنها على الغالب: إما أنها لا تعتمد على سند تاريخي أصلا، أو أنها تعتمد على ما لا يصلح للاعتماد عليه.

ولعل الدكتور أحمد أمين المصري، قد جمع كلا الناحيتين فيما جعله - بنظره - أسبابا للبيعة، حيث نلاحظ: أن بعض ما ذكره ليس له أى سند تاريخي، بل التاريخ على اختلاف أهوائه، واتجاهاته يدحضه، ويكذبه. والبعض الآخر قد اعتمد فيه على ما لا يصح الاعتماد عليه، ولذا فلا يكون من التجنى عليه القول: إن ما ذكره كان سطحيا، أو بوحى من تعصب مذهبي رخيص..

وما ذكره يرجع إلى أسباب أربعة، رأى أنها صالحة، كلا أو بعضا، لأن تكون سببا لأخذ البيعة للرضا بولاية العهد.. ونلخصها بما يلي: صفحته (٢٥٤)

١ - إن المأمون قد أراد بذلك: أن يصلح بين البيتين، العلوي، والعباسي، ويجمع شملهما، ليتعاوننا على ما فيه خير الأمة، وصلاحها. وتنقطع الفتن، وتصفو القلوب.

٢ - إنه كان معتزليا، على مذهب معتزلة بغداد، يرى أحقية على (ع) وذريته بالخلافة، فأراد أن يحقق مذهبه.

٣ - إنه كان تحت تأثير الفضل والحسن بنى سهل الفارسيين. والفرس يجرى فى عروقهم التشيع، فما زالا يلقنانه آراءهما، حتى أقرها، ونفذها.

٤ - إنه رأى أن عدم تولى العلويين للخلافة، يكسب أمتهم شيئا من التقديس، فإذا ولوا الحكم ظهروا للناس، وبيان خطوهم، وصوابهم، فزال عنهم هذا التقديس ("١").

هذا.. وقد ادعى فى كتابه "المهدى والمهدوية": "أن هؤلاء الأئمة كانوا يرتكبون الآثام فى الخفاء، فأراد المأمون: أن يظهرهم، ليعرفهم الناس على حقيقتهم..

كان ذلك ما يراه أحمد أمين يصلح - كلا أو بعضا - سببا للبيعة..

آراء أحمد أمين فى الميزان:

ونحن بدورنا، وإن كنا نعتقد أن فيما قدمناه، وما سيأتى كفاية فى تفنيد هذه المزاعم وإسقاطها، إلا أننا نرى لزاما علينا أن نشير بإيجاز إلى بعض ما يشير إلى ضعفها ووهنها، معتمدين فى بقية ما يرد عليها على ذكاء القارئ، وتنبهه، ووعيه. فنقول: (١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥. (٢٥٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدرسة المعتزلة (١)، مدينة بغداد (١)، الإخفاء (١)

أما ما ذكر أولنا: فقد كفانا هو نفسه مؤونة الكلام فيه، حيث قد اعترف بأن المأمون لو كان يرمى إليه لكان فى منتهى السطحية والسداجة.

وأما ما جعله سببا ثانيا: فلعله لا يقل عن سابقه فى الضعف والوهن، سيما بملاحظة ما قدمناه فى الفصلين السابقين، من الظروف التى كان المأمون يعانى منها، وأيضا ملاحظة ما سيأتى من سلوك المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، ومعالته السيئة للعلويين، وكل من يتشيع معهم، ويتعاطف معهم. وعلى الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تكن عقيدته هى المنطلق له فى موافقه السياسية، بل كان ينطلق مما يراه يخدم مصالحه الخاصة، ويؤكد وجوده فى الحكم. وقد قدمنا أنه كان تارة يتخرج من تنقص الحجاج بن يوسف، وتارة يصف الصحابة، ما عدا الإمام على (ع) ب "الملحدين"، ويصف الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ب "جعل" إلى آخر ما هنالك من الشواهد والأدلة، مما لا نرى ضرورة لإعادته، ولعل الأهم من ذلك كله: أن تفضيل المعتزلة - معتزلة بغداد - عليا (ع) على جميع



الصحابه، لم يكن واضحاً بعد في تلك الفترة، وإنما بدأه بشر بن المعتمر حسبما سيأتي بيانه في فصل خطه الإمام. وعليه فهذا الوجه لا يستقيم، على جميع الوجوه والتقدير.

وأما ما جعله سبباً ثالثاً، فسيأتي الكلام عليه بنوع من التفصيل..

ولكننا نستغرب منه جداً، بل ونأسف كل الأسف، لما طلع به علينا، بما جعله سبباً رابعاً: من أن عدم تولى الأئمة للحكم يكسبهم شيئاً من التقديس، فأراد أن يولى الإمام الرضا العهد، ليزول عنهم ذلك التقديس - وقد أشرنا سابقاً إلى أنه استوحى هذه الفكرة من ابن القفطى في تاريخ الحكماء. (٢٥٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، مدرسة المعتزلة (٢)، مدينة بغداد (١)

وليس واضحاً تماماً من هم " الأئمة " الذين يقصدهم أحمد أمين في عبارته تلك. وإذا ما كان يقصد الأئمة الاثني عشر، حيث إنه في معرض الحديث عن أحدهم، وهو الإمام الرضا.. بل أعلن ذلك صراحةً في عبارته الأخرى، التي أوردها في كتابه " المهدي والمهدوية - " إذا كان كذلك -، فإننا نرى: أن لنا كل الحق في أن نتساءل:

هل عثر أحمد أمين لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم على ما يتنافى مع التقديس، على مدى تاريخهم الطويل؟!

وهل يستطيع أن يثبت عليهم أدنى شئ يمس كرامتهم، ويتنافى مع مروءتهم، ويخالف دينهم ورسالتهم؟!

ولماذا تظهر تفاهات غيرهم، وأخطاؤهم، رغم اجتهادهم وتفانيهم في سترها، وإخفائها.. ولا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمة، رغم اجتهاد الناس في الافتراء عليهم، والتعرف على أية نقيصة أو خطأ منهم إن كان؟!

ومتى كان هؤلاء الأئمة مستورين عن الناس، منفصلين عنهم، حتى استطاعوا أن يحصلوا على هذا التقديس؟!

وهل كل شخصية لا تصل إلى الحكم يقدسها الناس؟!

وهل كل شخصية تصل إلى الحكم لا يقدسها الناس؟!

وهل التقديس مقصور على الشخصية المستورة، ولاحظ للشخصية الظاهرة منه؟!

وهل أثر وصول الإمام على (ع) للحكم طيلة أكثر من أربعة أعوام على تقديس الناس له؟!. (٢٥٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير

المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)

وهل يستطيع أحمد أمين أن يذكر لنا خطأ واحداً، ارتكبه الإمام على (ع)، طيلة فترة حكمه؟! رغم أن معاوية وسواه، ممن كانوا

معادين للإمام (ع)، ما كانوا يألون جهداً في الصاق التهم به، والافتراء عليه؟!

وأما عن الإمام الرضا (ع):

فمتى كان مستورا عن الناس، بعيداً عنهم؟!

وهل تتفق دعواه باستتار الأئمة - والرضا منهم - عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فيما كتبه بخط يده في

وثيقة العهد، حيث يقول.. " وقد استبان له [أى للمأمون] ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، والألسن عليه متفقه، والكلمة فيه جامعة، ولما

لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، وناشئا، وحدثا، ومكتهالا الخ. "

فهل يعقل: أن إنساناً من هذا النوع يكون مستترا عن الناس، بعيداً عنهم، ولا يعيش فيما بينهم، منذ حدثه سنه إلى أوان اكتهاله؟!

ومع ذلك.. فأى خطأ يستطيع أحمد أمين، أن يسجله على الإمام الرضا (ع) طيلة الفترة التي عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة -

وهو الحاكم المطلق - من أجل أن يضع من الإمام (ع) قليلاً قليلاً، ويصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، على حد تعبير

نفس المأمون؟!

وهل لم يقرأ أحمد أمين أقوال كبار علماء أهل السنة. وأئمتهم، وتصريحاتهم الكثيرة جداً حول أئمة أهل البيت (ع)، والإمام الرضا

منهم بالذات، ليعرف مقدار عظمتهم، وطهارتهم، ونزاهتهم التي لا يشك، ولا يرتاب، ولا يناقش فيها أحد؟!. (٢٥٨) صفحهمفاتيح

البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)

وأخيرا.. هل زال ذلك التقديس عن الإمام الرضا، عندما ظهر للناس؟! أم أن الأمر كان على عكس ذلك تماما؟!.

هذه بعض الأسئلة التي نوجهها للأستاذ " أحمد أمين، " ولكل من يرى رأيه، ويذهب مذهبه، وإنما لعل يقين من أنها سوف لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.. وإنما ستواجه عنتا وعنادا صاعقين، يبتزان منهم كل غريبه، ويظهرون الكثير الكثير من الترهات العجيبة.. ولكن ليطمئن بالهم، وتهدأ ثائرتهم، فإننا سوف لن نستغرب عليهم مثل هذه الترهات، ولن نعجب لمثل تلك الافتراءات، فما تلك إلا " شنشنة أعرفها من أخزم. " رأى غريب آخر في البيعة:

هذا.. ويرى بعض المؤلفين: أن المأمون كان في بيعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثير القوات المسلحة، وأنها هي التي أجبرته على ذلك، حيث كان القسم الكبير من قوادها، وزعماء فرقها يميلون إلى العلويين، وقد شرطوا عليه: أنهم لا يفتحون نار الحرب ضد الأمين إلا إذا جعل الرضا ولي عهده، فأجابهم إلى ذلك (١).

وأقول: ليت هذا المؤلف ذكر لنا اسم ذلك المؤرخ، الذي نقل له هذا الاشتراط من أولئك القواد على المأمون، والذي تنافيه تصريحات المأمون نفسه، وسلوكه مع الإمام (ع)، حتى قبل أن يصل إلى مرو، وكذلك سائر مواقفه معه، والتي تكشف عن حقيقة دوافعه ونواياه إلى آخر ما هنالك مما قدمنا وسيأتي شطر منه. (١) هذا ما ذكره الشيخ القرشي في كتابه: حياه الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٣٨٧. (٢٥٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، السلاح (١)، الحرب (١)، موسى بن جعفر (١)

وأحسب أن هذا المؤلف يشير بما ذكره هنا إلى ما ذكره جرجي زيدان في روايته " الأمين والمأمون " ص ٢٠٣، طبع دار الأندلس، فقد ذكر أن الفضل بن سهل قد اشترط على المأمون ذلك. واحتمل ذلك أيضا في كتابه: تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني جزء ٤ ص ٤٣٩. وكان مؤلفنا يريد أن يقول: إن المأمون كان مضطرا إلى إجابته: إما خوفا من انتفاضتهم عليه، أو رغبة في القضاء على أخيه الأمين، أو للسينين معا.. ولكن هذا الاشتراط كما قلنا، ليس له أي سند تاريخي يدعمه، بل الشواهد التاريخية كلها على خلافه، سيما ونحن نرى الفضل بن سهل وأخوه يمانعان في عقد البيعة للرضا. وما ذكره " زيدان " لا يصلح شاهدا تاريخيا، بعد أن كان روائيا، لا يلتزم بالحقائق التاريخية. وبعد أن لاحظنا: أنه يعتمد التضليل في كتابه: تاريخ التمدن الإسلامي.

وأحسب أن هذا هو عين الاتهام الموجه للفضل بن سهل في أمر البيعة، بأنه هو المدبر لها، والقائم بها. لكنه صيغ بنحو آخر فيه الكثير من الإيهام والإبهام. وفريق آخر يرى:

وهناك بعض الباحثين يرى: أن من جملة الأسباب الهامة للبيعة: هو أن المأمون أراد أن يحذر العباسيين من مغبة المخالفة له، والاستمرار في ذلك. وأن يرغمهم، ويدفعهم إلى الوقوف إلى جانبه، بدافع من خوفهم من انتقال الخلافة عنهم إلى خصومهم العلويين. وأن ينتقم منهم بسبب خلعهم له من ولاية العهد، وتأييدهم أخاه الأمين عليه، وتشجيعهم له (٢٦٠) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (٢)، الإنتقام، النعمة (١)، الشهادة (١)

ضده. كما أنه يكون بذلك قد جمع المزيد من المؤيدين له، ليستطيع مقابلتهم، والوقوف في وجههم، وينتقم منهم (١). ولكنه رأى لا تمكن المساعدة عليه:

لأن منطق الأحداث، وواقع ظروف المأمون يباين كل الإباء أن يكون هذا سببا منطقيًا للبيعة.. وقد قدمنا في الفصلين السابقين البيان

الكافي والوافي لما يتعلق بهذا الموضوع. هذا بالإضافة إلى أن ذلك لا يتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الدهاء والسياسة، وهل يمكن أن يقدم المأمون على خلق وإثارة مشاكل هو في غنى عنها؟ وعلى الأخص في تلك الفترة من الزمن، التي كانت طافحة بالمشاكل، وكان العصيان فيها معلنا في أكثر مناطق الدولة، ومهددا به من كل جانب ومكان؟! إن الحقيقة هي: أن المأمون في تلك الفترة بالذات، وكان بحاجة إلى أن يكتسب ثقة وحب أي إنسان كان. فضلا عن ثقة وحب أهل بيته، وعشيرته: العباسيين.

ثم.. وهل يمكن أن يلجأ المأمون للانتقام منهم، إلى هذا الأسلوب بالعاجز، بعد أن خضعوا له وانقادوا لأمره، وسلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمين؟!!

ولماذا لا يقدر: أنهم سوف يقابلونه بالمثل، ويقومون في وجهه، ثأرا لكرامتهم، ودفاعا عن وجودهم؟!.

ولماذا يعطيهم الفرصة لإبراز عضلاتهم ضده، ويجعلهم يفكرون في (١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢١٩، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٢ جزء ٤ ص ٤٩٢، والتربية الدينية للفضلي ص ١٠٠، الطبعة الخامسة، وغير ذلك. (٢٤١) صفحهمفاتيح البحث: الوقوف (١)، الغنى (١)، القتل (١)، الصدق (١)

تحدى سلطته، وهتك حرمة؟! حيث رأيناهم قد خلعوا المأمون، بسبب بيعته للإمام (ع)، وبايعوا لإبراهيم بن المهدي، في أواخر ذي الحجة، من نفس السنة التي بويع فيها للإمام (ع) بولاية العهد.

وأخيرا.. ألم يكن باستطاعة المأمون أن يصفى حساباته مع خصومه الضعفاء جدا، الذين كاد يلتهمهم المد العلوي ويقضى عليهم، بأساليب أخرى، أقل إثارة، وأشد نكاية؟!.

ولقد أشرنا، ولسوف نشير إلى ما قاله المأمون لحميد بن مهران، وجمع من العباسيين. بل ويكفي هنا: أن تلقى نظرة على ما قاله المأمون للعباسيين في كتابه المعروف لهم، يقول المأمون: "فإن تزعموا أنني أردت أن يؤول إليهم (يعني للعلويين) عاقبة ومنفعة، فإنني في تدبيركم، والنظر لكم، ولعقبكم، وأبنائكم من بعدكم" .. وكذلك ما كتبه بخط يده في وثيقة العهد.. إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه..

فتلخص أن ما ذكر هنا، لا يمكن أن ينسجم مع ما يقال عن حنكة المأمون، ودهائه السياسي.

الفضل في قفص الاتهام:

وأخيرا.. فإن بعض المؤلفين، كأحمد أمين في كلامه المتقدم، وجرجي زيدان (١) وأحمد شلبي (٢)، وغيرهم. وبعض المؤرخين كابن الأثير في الكامل، طبعة الثالثة ج ٥ ص ١٢٣، وابن الطقطقي في: (١) تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني جزء ٤ ص ٤٣٩.

(٢) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ٣٢٠. (٢٤٢) صفحهمفاتيح البحث: شهر ذي الحجة (١)

الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١٧، وغيرهما.. يرون أن الفضل بن سهل كان العامل الرئيسي في لعبه " ولاية العهد " هذه، وأن المأمون كان في ذلك واقعا تحت تأثير الفضل، الذي كان يتشيع.

ويرى آخر: أن سبب إشارة الفضل على المأمون بذلك، هو أنه أراد أن يمحو ما كان من أمر الرشيد في العلويين (١).

الفضل برئ من كل ما نسب إليه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطيع أن نؤكد على ما يلي:

إن ما بأيدينا من النصوص التاريخية يأبى عن نسبة التشيع للفضل، بل وحتى عن نسبة إشارته على المأمون بهذا الأمر، فضلا عن كونه المدبر له، والقائم به.. اللهم إلا.. أن تكون مؤامرة اشترك الرجلان معا في وضع خطوطها العريضة، آخذان في اعتبارهما ظروفهما، ومصالحهما الشخصية، ليس إلا..

بل إن بعض النصوص تفيد أن الفضل كان عدوا للإمام (ع)، حيث إنه كان من صنائع البرامكة (٢)، أعداء أهل البيت (ع). وأنه لم

يكن حتى راغبا في البيعة للرضا (ع)، وأنه وأخاه قد مانعا في عقد العهد للرضا (٣)، فكيف يكون هو المشير على المأمون بالبيعة له.. بل لم يكن (١) البحار ج ٤٩ ص ١٣٢، وعيون أخبار الرضا ص ١٤٧، نقلا عن: البيهقي عن الصولي.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، ١١٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦، و ص ٢٢٦ (٣) مقاتل الطالبين ص ٥٦٢، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٧٠، ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٤٢، وكشف الغمة ج ٣ ص ٦٦، وروضه الواعظين ج ١ ص ٢٦٩، والبحار ج ٤٩ ص ١٤٥، وإرشاد المفيد ص ٣١٠، ٣١١، وغير ذلك. (٢٦٣) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)

يعلم أن المأمون يريد عقد البيعة له إلا بعد وصوله إلى خراسان وإحضار المأمون له، وإعلامه بأنه يريد عقد البيعة له على ما في مقاتل الطالبين ص ٥٦٢ والطبري وغيرهما. وإن كان ربما يناقش في ذلك بمنافاته لرسالة الفضل التي أرسلها إلى الإمام وهو في المدينة والتي أوردتها الرافعي في التدوين.

وذلك ما يقوى أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلك الرسالة بأن ذلك عن اتفاق بينه وبين المأمون فراجعها. ولو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، ويحاول أن يجعل للمأمون ذريعة للإقدام على التخلص منه (ع)، وذلك عندما ذهب إلى الرضا، وحلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، وجعل الأمر إليه. (١) لكن الإمام بسبب وعيه وتيقظه قد ضيع عليه وعلى سيده هذه الفرصة، حيث أدرك للتو أنها دسيسه ومؤامرة، فزجر الفضل وطرده، ثم دخل من فوره على المأمون، وأخبره بما كان من الفضل، وأوصاه أن لا يأمن له.

وبذلك يكون الإمام (ع) قد ضيع على المأمون والفضل فرصة تنظيم اتهام له بما لم يكن.

وعاد الفضل من مهمته تلك بخفي حنين، يجر هو وسيده أذيال الخيبة، والخزي، والخسران.

أما إذا كان الفضل قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون - كما (١) وإن كنا لا نستبعد أن يكون قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون، وبدافع من حقه الدفين على الإمام عليه السلام، وحسده له، يريد بذلك تمهيد السبيل لقتله ليخلو له الجو، ليفعل من ثم ما يشاء وحسبما يريد. (٢٦٤) صفحهمفاتيح البحث: كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، خراسان (١)

هو غير بعيد - فليس ذلك إلا بدافع من حقه الدفين على الإمام (ع)، وحسده له، يريد بذلك تمهيد الطريق لمقتله، ليخلو له الجو، ليفعل من ثم ما يشاء، وحسبما يريد.

وأيا ما كانت الحقيقة، فإن النتيجة ليست سوى الخزي والعار، والخبية القاتلة بالنسبة للفضل في هذه القضية.

ويا ليته كان قد قنع بذلك.. ولكنه استمر في تحريض المأمون على التخلص من الإمام (ع) حتى إن بعض المؤرخين يرى: أن المأمون لم يقتل الإمام إلا بتحريض من الفضل بن سهل!!

وبعد.. فهل يمكن أن تنسجم دعوى تشييعه مع إشارته على المأمون بإرجاع الإمام عن صلاة العيد، وذلك حتى لا تخرج الخلافة منه؟!.

كما سنشير إليه إن شاء الله.

وأيا. مع إظهاره العداوة الشديدة للإمام (ع) وحسده له على ما كان المأمون يفضل به، على حد تعبير الريان بن الصلت؟! (١).

وكذلك مع اصطناعه هشام بن إبراهيم الراشدي. وجعله عينا للمأمون على الإمام، ينقل إليه حركاته وسكناته، ويمنع الناس من الوصول إليه حسبما تقدم؟!.

ولو أن الفضل كان ممن يتشيع للإمام، لكان يجب أن يعد من أعظم البلهاء، إذ كيف لا يلتفت لأمر المأمون المؤكد لرسله: أن لا يَمروا بالإمام عن طريق الكوفة وقم، لئلا يفتتن به الناس. ثم إلى تهديداته له بالقتل، إن لم يقبل ما يعرضه عليه، ثم إلى جلبه العلماء

والمتكلمين (١) مسند الإمام الرضا ج ١ ص ٧٨، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٩. وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٣. (٢٦٥) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، هشام بن إبراهيم الراشدي (١)، الريان بن الصلت (١)، الفضل بن سهل (١)، القتل (٢)، الصلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

من أقاصى البلاد، من أجل إفحام الإمام. وإظهار جهله وعجزه، إلى آخر ما هنالك، من صفحات تاريخ المأمون السوداء. ثم نرى أنه هو بنفسه يشارك في ذلك كله، وسواه، ويعمل من أجله حتى لقد شارك في التهديد للإمام، إن لم يقبل ما عرضه عليه المأمون..

وإذا كان نفوذه قد بلغ حدا يجعل المأمون ينازل عن عرشه - الذى قتل من أجله أخاه - لرجل غريب، فلماذا لا يعمل هذا النفوذ من أجل أن يمنع المأمون عن ذلك السلوك اللانسانى، الذى انتهجه مع الإمام، ابتداء من حين وجود الإمام فى المدينة، وإلى آخر لحظة عاشها معه، وبعد ذلك إلى ما شاء الله. هذا كله من جهة.

موقف الإمام من الفضل ينفى نسبة التشيع له:

ومن جهة ثانية.. لو كان للفضل فضل فى مسألة البيعة للإمام (ع)، أو كان ممن يتشيع له، لم يكن من اللائق من الرضا (ع) أن يخبر المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، وجعل الأمر إليه. ولا من المناسب أن يوصيه بأن لا يأمن له، ويخبره بغشه وكذبه، وأنه يخفى عنه حقيقة ما يجرى فى بغداد، وغيرها (١).

ولا من اللائق منه أيضا: أن يعامله تلك المعاملة، التى لا يعامل بها المحبون المخلصون. والتى كان فيها الكثير من الخشونة، والاحتقار والامتهان، فقد قدمنا أنه عندما ذهب إليه الفضل يطلب منه كتاب (١) تاريخ الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠٢٥. (٢٦٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، الجهل (١)، القتل (١)، المنع (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

الأمان، لم يسأله عن حاجته إلا بعد ساعة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الكتاب، فقرأه - وكان كتابا فى أكبر جلد - وهو واقف، لم يأذن له بالجلوس.

وكذلك لم يكن من اللائق منه: أن يزرى عليه عند المأمون، فقد ذكر المؤرخون: أنه.. " كان يذكر ابنى سهل عند المأمون، ويزرى عليهما، مما دفعهما إلى السعاية به، وكان يوصيه أن لا يأمن لهما " (١).

إلى آخر ما هنالك مما لا يصدر فى حق أى إنسان عادى آخر فى حق من يتشيع له، فضلا عن يتسبب فى جعله وليا لعهد الخلافة الإسلامية للأمة بأسرها.

والمأمون نفسه يستنكر ذلك:

ومن جهة ثالثة.. فقد كفانا المأمون نفسه مؤونة الحديث عن دور الفضل بن سهل فى هذه القضية.. ولا شك أن " عند جهينة الخبر اليقين. "

فقد قدمنا فى الفصل السابق: أن الريان بن الصلت - وكان من رجال الحسن بن سهل (٢) -! - عندما رأى أن القواد والعامه قد أكثروا فى بيعه الرضا، وأنهم يقولون " إن هذا من تدبير الفضل. " قال للمأمون ذلك، فأجابه المأمون.. " ويحك يا ريان! أيجسر أحد أن يجئ إلى خليفة قد استقامت له الرعية، والقواد، واستوت الخلافة، فيقول (١) مقاتل الطالبين ص ٥٦٥، ٥٦٦، وإعلام الورى ص ٣٢٥، وكشف الغمة ج ٣ ص ٧١، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٦، والبحار ج ٤٩، وإرشاد المفيد، وأعيان الشيعة، وغير ذلك.

(٢) صرح بأنه من رجاله فى كتاب: البحار ج ٤٩ ص ١٣٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩. (٢٦٧) صفحهمفاتيح البحث: الريان بن الصلت (١)، الحسن بن سهل (١)، الفضل بن سهل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)،

كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

له: إدفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟! أيجوز هذا في العقل؟!.. الخ "لا.. أبدا.. لا يمكن أن نتصور، ولا يجوز في العقل: أن يأتي وزير ملك إليه، ويطلب منه التنازل عن عرشه، ويسلمه إلى رجل غريب، وهو يعلم أن ذلك الملك، قد قتل أخاه، وغيره، وهدم البلاد، وأهلك العباد، من أجل ذلك العرش.. هذا مع علمه أنه سوف لا يكون له هو في دولة ذلك الرجل الجديد الغريب، أى شأن، أو دور يذكر. أو على الأقل لن يكون له من النفوذ، والسلطة والطول، ما كان له مع ذلك الملك الأول. بل سوف يكون كأي فرد عادى آخر، محكوما لا حاكما، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.. اللهم إلا أن يكون قد تأمر مع ذلك الملك الأول، لتنفيذ خطة معينة. قد رسماها معا من قبل، وعملا على أن تكون الأمور في نهاية الأمر في صالحهما، ومن أجل تعزيز نفوذهما وسلطتهما. أما حصيلة هذه الجولة:

وهكذا.. تأبى الأحداث، ويأبى المنطق أن يكون للفضل في هذه القضية شيء، إلا على طريق التآمر والتواطؤ مع سيده المأمون، أفعى الدهاء والسياسة، بعد دراسة دقيقة مشتركة للوضع، وتقييم عام له.

اتفقا على أثره على خطة للتخلص من المشاكل التي كانت تعترض سبيلهما، وتشكل - إلى حد ما - خطرا على وجودهما في الحكم، وتفردهما بالسلطة.. وبذلك فقط نستطيع أن نفسر قول إبراهيم بن العباس في مدح الفضل في جملة أبيات له:

وإذا الحروب غلت بعثت لها \* رأيا نقل به كتابها رأيا إذا نبت السيوف مضى \* عزم به فشفى مضاربا (٢٦٨) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)، الجواز (١)

أجرى إلى فئة بدولتها \* وأقام في أخرى نواد بها (١) ولعل الفضل كان مخدوعا!.

ولكن ألا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا في هذه المرة على الأقل؟ وأنه هو أيضا راح ضحية تآمر وتضليل من نفس سيده: المأمون؟!.

الحقيقة أن ذلك أمر محتمل جدا، لأننا نرى في النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلى أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، وأنه قد جازت عليه حيلة في بادئ الأمر، بادعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الأمة ومصحتها. أو لأنه يريد أن يفى بندره (أى أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين، فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!)..

وقد تقدم أن ابن القفطى يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، ولا عالما بواقع الأمر.. ولعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلك بقوة بممانعة الفضل وأخيه الحسن في هذا الأمر.

كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل في شيء من أمور الدولة وشؤونها (٢).

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولى فلانا، أو أن يكتب إلى فلان بكذا، أو أن يساعده في إدارة شؤون الخلافة، أو أن (١) الأغاني ط ساسى ج ٩ ص ٣١ - ٣٢.

(٢) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢.

والبهار ج ٤٩ ص ١٦٨. ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٨. (٢٦٩) صفحهمفاتيح البحث: الحج (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

يصلى بالناس، إلى غير ذلك من الأمور.. مع أن ما كان يريده الفضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون. وعلى كل فقد يجوز للمأمون - حتى مع الشرط - ما لا يجوز لغيره بدونه.

الفضل يقع في الشرك:

وأخيرا.. فلا يسعنا في ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحه نفسه، من كل الذنوب العظيمة والخطيرة التي ارتكبها، وأن يجعل هذا الوزير المسكين، الذي كان عدوا للإمام، والذي لم يشعر إلا وهو في الفخ، هو المسؤول عن أكثر جرائمه ومواقته، بل وعنهما جميعا، حتى البيعة للرضا (ع) بل وحتى عن قتل أخيه الأمين!

ولقد أدرك الفضل أنه قد وقع في الشرك، ولكن.. بعد فوات الأوان، ولذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل وأخطار، وما سوف يتعرض له من مؤامرات، وحاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، وبين له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، وبقتل الأمين، فلقد قال له:

.. "يا أمير المؤمنين، إن ذنبي عظيم عند أهل بيتك، وعند العامة، والناس يلومونني بقتل أخيك المخلوع، وبيعة الرضا، ولا آمن السعاة والحساد، وأهل البغي أن يسعوا بي، فدعني أخلفك بخراسان الخ (١). (١). أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٧ والبحار ج ٤٩ ص ١٦٧. (٢٧٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (١)، القتل (٢)، الجواز (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

ولكن أنى له أن يتركه المأمون، الذي كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه ويخافه.

فلقد كان قد أعد العدة، وأحكم الخطة في أمره، ولم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتي بيانه).

وبعد أن يئس الفضل من إقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلك. فطلب منه أن يكتب له كتاب ضمان وأمان. فاستجاب المأمون لهذا الطلب، وكتب له كتابا (١)، يسمى كتاب الحباء والشرط يظهر بوضوح الدور الذي لعبه الفضل في تشييد صرح خلافة المأمون، وتوطيد سلطانه.

ونلاحظ: أن المأمون قد كتب للفضل كل ما يريد، بل وزاد على ما كان يتوقعه الفضل الشيء الكثير، إذ لم يكن يرى في ذلك أي ضرر عليه، ما دام أنه قد أحكم الخطة، ودبر له النهاية.

وكما رسم ودبر. كانت النهاية!

لماذا الاصرار على اتهام الفضل:

وهكذا. فإننا بعد كل ما تقدم، لا نرى مجالا للإصرار على نسبة التشيع للفضل، أو القول: بأن المأمون كان واقعا في أمر البيعة تحت تأثيره، وخاضعا لإرادته، فقد يكون الفضل قد أعطى أكثر مما يستحقه من النفوذ والقدرة.. ولعل إصرار أولئك أو هؤلاء على اتهام الفضل بذلك، حتى وإن أنكره المأمون نفسه، وكذبت جميع الوقائع والأحداث - لعله - يرجع إلى حرصهم على أن لا يتهم المأمون - السلطة - بما (١) الكتاب موجود في: البحار ج ٤٩ ص ١٦٠، ١٦٢، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٧، ١٥٩، وأوعز إليه يعقوبى فى تاريخه ج ٢ ص ٤٥١ طبع صادر (٢٧١) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

لا يحبون اتهامه به، كالتشيع، والحب لآل على (ع)، أو لبراءه وساحته من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا.. أو لعل لأنهم لم يكونوا على درجة من الوعي تؤهلهم لإدراك حقيقة ظروف المأمون، وأهدافه من البيعة..

هذا.. وقد رأينا: أن العباسيين فى بغداد، بمجرد وصول نبا البيعة لهم، يتهمون الفضل بن سهل بتدبيرها (١).. مع أنهم لم يكونوا قد اطلعوا بعد على حقيقة الأمر وواقع القضية، وما ذلك إلا- لما قلناه، وليبقوا على علاقاتهم مع المأمون، وليبقى باب الصلح معه فى المستقبل مفتوحا. وكذلك ليحافظوا على شخصية المأمون، حتى لا تلتصق بها تهمة، يعلمون هم أكثر من غيرهم - وأهل البيت أدرى بما فيه - ببراءته منها، ألا وهى تهمة: الحب لعلى، وآل بيته.

ولعله أيضا لهذه الأسباب جعلوا المأمون لعبة في يد الفضل، وأنه لا يملك معه من الأمر شيئا، حتى لقد قالوا عنه: إنه مسجون ومسحور (٢). وإن كان لا شاهد لهذه الدعوى أصلا إلا البيعة للرضا (ع) ولولاها لكان العكس عندهم هو الصحيح فعلا..

جميل.. وجميل جدا.. فلقد أصبح المأمون لعبة بيد الفضل، وإن كانت جميع الدلائل والشواهد متظافرة على العكس من ذلك.. ولو لم يكن ذلك يكفي لتبرئة المأمون، فهم على استعداد لاتهامه بعقله، كما قد حدث ذلك بالفعل، فذلك عندهم خير من اتهامه بالحب لآل علي والتشيع لهم.. (١) فقد اتهموا الفضل بذلك بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إليهم، يخبرهم فيها بأمر البيعة. راجع: الطبري ج ١١ ص ١٠١٣، طبع ليدن وتجارب الأمم ج ٦ ص ٤٣٦ وغير ذلك من كتب التاريخ.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٨، والطبري ج ١١، وغير ذلك.. (٢٧٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، مدينة بغداد (١)، الفضل بن سهل (١)، الشهادة (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، الحسن بن سهل (١)

احتمال وجيه جدا:

على أننا لا نستبعد كثيرا.. أن يكون المأمون نفسه قد شجع وغذى هذه التبريرات والتمويهات، وخصوصا بعد مقتل الفضل، ليبرئ نفسه أمام العباسيين، وليشوه الفضل.. كما أننا لا نشك أبدا في أن كثيرا مما يذكر عن الأمين هو في عداد الخرافات والأساطير التي شجعها المأمون وحزبه، لأن الأمين كان هو المغلوب، والمأمون كان هو الغالب.. وللغالب القدرة، بل والحق أيضا - في نظر قاصري النظر - في أن يشوه المغلوب، ويصوره بالصورة التي يريد.

ويدلنا على أن المأمون هو المسؤول عن ذلك، ما رواه الحصري في زهر الآداب من " أنه لما خلع المأمون أخاه أمين، ووجه بطاهر ابن الحسين لمحاربتة. كان يعمل كتبنا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان الخ (".. ١). وطبيعي بعد ذلك: أن على الكتاب والمؤرخين الذين ما كانوا أحرارا، ولا يعتمدون النزاهة في كتاباتهم: أن يؤرخوا كما يريد المأمون، وأن يكتبوا ما يمليه عليهم، لا ما هو حق وواقع.

يرونه بأم أعينهم. أو تحكم به - إن كانت - ضمائرهم.

وأخيرا.. وإذا تحقق أن الفضل برئ من تهمة التشيع، وتهمة تدبير أمر البيعة، فلا يعني ذلك أنه برئ مما هو أشنع من ذلك وأقبح " فكل إناء بالذى فيه ينضح. " (١) راجع: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ص ٨٦، نقلا- عن: زهر الآداب ج ٢ ص ١١١، تحقيق زكي مبارك، وطبع دار الجيل ج ٢ ص ٤٦٤. (٢٧٣) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (١)، القتل (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

### "القسم الثالث: أضواء على الموقف" ..

القسم الثالث أضواء على الموقف:

١ - عرض الخلافة، ورفض الإمام.

٢ - قبول ولاية العهد بعد التهديد.

٣ - مدى جدية عرض الخلافة.

٤ - موقف الإمام.

٥ - خطة الإمام..

صفحة (٢٧٥)

### عرض الخلافة ورفض الإمام



عرض الخلافة، ورفض الإمام (ع):

نصوص تاريخية:

تحدثنا كتب التاريخ: أن المأمون كان قد عرض الخلافة على الإمام أولاً.. (١) لكنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، وبقي مدة يحاول إقناعه بالقبول، فلم يفلح. وقد ورد أن محاولاته هذه، استمرت في مرو وحدها أكثر من شهرين والإمام عليه السلام يأبى عليه ذلك (٢).

بل لقد ورد أنه (ع) كان قد أجاب المأمون بما يكره، فقد:

قال المأمون للإمام.. "يا ابن رسول الله، قد عرفت فضلك، وعلمك، وزهدك، وورعك، وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني..". (١) كما نص عليه في البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥٠، والفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١٧، وغاية الاختصار ص ٦٧، وينايع المودة للحنفي ص ٣٨٤، ومقاتل الطالبين، وغير هؤلاء كثير.. وسنشير في آخر هذا الفصل إلى طائفة منهم أيضاً.. لكن السيوطي قال في تاريخ الخلفاء.. "حتى قيل: أنه هم أن يخلع نفسه، ويفوض الأمر إليه..". أما رفضه لذلك، فهو أشهر من أن يذكر كما سيأتي..

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٤، وينايع المودة وغير ذلك. (٢٧٧) صفحهمفاتح البحث: يوم عرفه (١)، الكراهية، المكروه (١)، الرفض (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب ينايع المودة (٢)

فقال الإمام (ع).. "بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله..

قال المأمون: فإنني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك، وأبايعك!؟

فقال الإمام (ع): إن كانت هذه الخلافة لك، فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله، وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك (١).

قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر!!

فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلك طائعا أبداً..

فما زال يجهد به أياماً، والفضل والحسن (٢) يأتيانه، حتى يئس من قبوله..

وخرج ذو الرئاستين مرة على الناس قائلًا: واعجبا! وقد رأيت عجباً! رأيت المأمون أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة إلى الرضا. (١) عبارة تاريخ الشيعة ص ٥١، ٥٢ هكذا.. "إن كانت الخلافة حقاً لك من الله، فليس لك أن تخلعها عنك، وتوليها غيرك. وإن لم تكن لك، فكيف تهب ما ليس لك". وهذه أوضح وأدل.

(٢) لا- ندرى ما الذي أوصل الحسن بن سهل إلى مرو، مع أنه كان آتئذ في العراق، ولعل ذكر الحسن اشتباه من الراوى، واحتمل السيد الأمين في أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٢٠: أن يكون المأمون قد استدعى الحسن بهذه المناسبة إلى خراسان، فلما تم أمر البيعة عاد إلى بغداد. (٢٧٨) صفحهمفاتح البحث: ذو الرئاستين (١)، الجواز (١)، دولة العراق (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، مدينة بغداد (١)، الحسن بن سهل (١)، خراسان (١)

ورأيت الرضا يقول: لا- طاقة لي بذلك، ولا- قدرة لي عليه. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها (١). (١) راجع في جميع هذه النصوص بالإضافة إلى ما تقدم: روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، وإعلام الورى ص ٣٢٠، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٦، وينايع المودة ص ٣٨٤، وأمالى الصدوق ص ٤٢، ٤٣، والإرشاد ص ٣١٠، وكشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، ٦٦، ٦٦، ٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، ١٤٠. والمناقب ج ٤ ص ٣٦٣، والكافي ج ١ ص ٤٨٩، والبحار ج ٤٩ ص ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦. ومعادن الحكمة،

وتاريخ الشيعة، ومثير الأحزان ص ٢٦١، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٦٤، ١٦٥، وغاية الاختصار ص ٦٨. (٢٧٩) صفحهمفاتيح البحث: كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب روضة الواعظين (١)، كتاب أمالي الصدوق (١)، كتاب إعلام الوری بأعلام الهدى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب مثير الأحزان (١)

## قبول ولاية العهد بعد التهديد

قبول ولاية العهد بعد التهديد مع محاولات المأمون لإقناع الإمام:

الذي يبدو من ملاحظة كتب التاريخ والرواية، هو: أن محاولات المأمون لإقناع الإمام بما يريد، كانت متعددة، ومتنوعة، وأنها بدأت من حين كان الإمام (ع) لا يزال في المدينة. حيث كان المأمون يكاتبه، محاولاً إقناعه بذلك، فلم ينجح، وعلم الإمام أنه لا يكف عنه. ثم أرسل رجاء بن أبي الضحاك، وهو قرابة الفضل والحسن ابني سهل (١)، فأتى بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو رغماً عنه.. وبذل المأمون في مرو أيضاً محاولات عديدة، استمرت أكثر من شهرين. وكان يتهدد الإمام بالقتل، تلويحاً تارة، وتصريحاً أخرى، والإمام (ع) يأبى قبول ما يعرضه عليه.. إلى أن علم أنه لا يمكن أن يكف عنه، وأنه لا محيص له عن القبول، فقبل ولاية العهد مكرهاً، وهو باك حزين - على حد تعبير الكثيرين -، وكانت البيعة له في السابع من شهر رمضان، سنة (٢٠١ هـ)، كما يتضح من تاريخ ولاية العهد.. (١) وقيل: أنه عمهما، وقد كان رجاء هذا من قواد المأمون، وقد ولاه المأمون خراسان مدة، لكنه أساء السيرة، فعزله. (٢٨٠) صفحهمفاتيح البحث: علم المعصوم (١)، شهر رمضان المبارك (١)، القتل (١)، خراسان (١) بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع):

والنصوص الدالة على عدم رضا الإمام (ع) بهذا الأمر كثيرة، ومتواترة، فقد قال أبو الفرج.. "فأرسلهما (يعني الفضل والحسن ابني سهل) إلى علي بن موسى، فعرضاً ذلك (يعني ولاية العهد) عليه، فأبى، فلم يزالا به، وهو يأبى ذلك، ويمتنع منه.. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك، وإلا فعلنا بك وصنعنا، وتهده، ثم قال له أحدهما "والله، أمرني بضرب عنقك، إذا خالفت ما يريد! " ثم دعا به المأمون، وتهده، فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد، ثم قال له "إن عمر جعل الشورى في سته، أحدهم: جدك وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك" (١)!

ويروى آخرون: أن المأمون قال له.. "يا ابن رسول الله، إنما تريد بذلك (يعني بما أخبره به عن آباءه من موته قبله مسموماً) التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا..

فقال الرضا: والله، ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإنى لأعلم ما تريد!؟

فقال المأمون: وما أريد!؟

قال: الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهدي في (١) مقاتل الطالبين ص ٥٦٢، ٥٦٣، وقريب منه ما في إرشاد المفيد ص ٣١٠ وغير ذلك. (٢٨١) صفحهمفاتيح البحث: الفرج (١)، الكذب، التكذيب (١)، الصدق (١)، الموت (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)

الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه: ألا ترون: كيف قبل ولاية العهد طعماً في الخلافة!؟

فغضب المأمون، وقال له "إنك تلتقاني أبداً بما أكرهه، وقد آمنت سطوتي، فبالله أقسم: لئن قبلت ولاية العهد. وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت، وإلا ضربت عنقك" (١)!

وقال الإمام الرضا (ع) في جواب الريان له، عن سر قبوله لولاية العهد:

.. "قد علم الله كراهتى لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل، ويحهم. إلى أن قال: ودفعتنى الضرورة إلى قبول ذلك، على إجبار وإكراه، بعد الإشراف على الهلاك إلخ (".. ٢).

وقال فى دعاء له.. "وقد أكرهت واضطرت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد.."

وقال فى جواب أبى الصلت "وأنا رجل من ولد رسول الله (ص) (١) راجع فى ذلك. مناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ٣٦٣، وأمالى الصدوق ص ٤٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٨، ومثير الأحران ص ٢٦١، ٢٦٢، وروضه الواعظين ج ١ ص ٢٦٧، والبحار ج ٤٩ ص ١٢٩، وغير ذلك.

وفى تاريخ الشيعة ص ٥٢: أنه بعد أن عرض عليه الخلافة، وأجابه بالجواب المتقدم فى الفصل السابق، قال له.. "إذن، تقبل ولاية العهد. فأبى عليه الإمام أشد الإباء، فقال له المأمون.. "ما استقدمناك باختيارك، فلا نعهد إليك باختيارك. والله، إن لم تفعل ضربت عنقك.."

(٢) علل الشرايع ج ١ ص ٢٣٩، وروضه الواعظين ج ١ ص ٢٦٨، وأمالى الصدوق.

ص ٧٢، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٩. (٢٨٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، الضرب (٢)، القتل (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب علل الشرايع للصدوق (٢)، كتاب أمالى الصدوق (٢)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (١)، كتاب مثير الأحران (١) أجبرنى على هذا الأمر وأكرهنى عليه.."

بل لقد أعرب عن عدم رضاه فى نفس ما كتبه على ظهر وثيقة العهد، وأنه يعلم بعدم تمامية هذا الأمر، وإنما يفعل ذلك امتثالاً لأمر المأمون، وإيثارا لرضاه..

أما الباحثون وغيرهم فيقولون:

أما الباحثون، فلعلنا لا نكاد نعثر على باحث يتعرض لهذا الأمر ينسى أن يؤكد على رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، واستيائه منه. يقول أحمد أمين.. "والزم الرضا بذلك، فامتنع، ثم أجاب (".. ٤).

وقال القندوزى: إنه قبل ولاية العهد، وهو باك حزين (٢).

وقال المسعودى.. "فألح عليه، فامتنع، فأقسم، فأبر قسمه إلخ (".. ٣).

وعلى كل حال: فإن النصوص التاريخية الدالة على عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، وأنه مكره مجبر عليه كثيرة جدا (٤). وتضارعها كثرة (١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٤.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٨٤.

(٣) إثبات الوصية ص ٢٠٥.

(٤) وإنه وإن كان سيمر معنا نصوص أخرى تدل على ذلك.. إلا أننا نحيل القارئ على بعض مظان وجودها، فراجع: ينابيع المودة ص ٣٨٤، ومثير الأحران ص ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، وكشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، وأمالى الصدوق ص ٦٨، ٧٢، والبحار ج ٤٩ ص ١٢٩، ١٣١،

١٤٩، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٧، ٢٣٨، وإرشاد المفيد ص ١٩١، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٩، وج ٢ ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، وإعلام الورى ٣٢٠، والخرائج والجرائح، وغير ذلك.. (٢٨٣) صفحهمفاتيح البحث: الشيخ سلمان البلخى القندوزى (١)، الرفض

(١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى

(١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)، كتاب مثير الأحران (١)

أقوال الباحثين، الذين تعرضوا لهذا الموضوع. ولذا فليس من اليسير الإحاطة بها واستقصاؤها في مثل هذه العجالة. ولهذا.. فإننا نكتفي هنا بهذا القدر، حيث إن المجال لا يتسع لأكثر من ذلك..  
صفحة (٢٨٤)

## مدى جدية عرض الخلافة

مدى جدية عرض الخلافة:

عرض الخلافة ليس جديا..:

مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولا الخلافة على الإمام، وأنه ألح عليه بقبولها كثيرا، سواء وهو في المدينة، أو بعد استقدمه إلى مرو، وأنه تهدده فلم يقبلها، فلما يئس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضا. ولم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، وعرف الجد في ذلك التهديد!!

وهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه، وهو:

هل كان المأمون جادا في عرضه الخلافة على الإمام؟!

ويتفرع على الإجابة على هذا السؤال سؤال آخر، وهو:

إذا لم يكن المأمون جادا في عرضه ذلك، فماذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الإمام قبل أن يتقلد الخلافة، ويضطلع بشؤونها؟!

ومن أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا بد لنا من الاسهاب في المقال، بالقدر الذي يتسع لنا به المجال فنقول: (٢٨٥) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)

الإجابة على السؤال الأول:

أما عن السؤال الأول، فإن الحقيقة هي: أن جميع الشواهد والدلائل تدل على أنه لم يكن جادا في عرضه للخلافة:

وقد قدمنا أننا لا يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، والذي قتل من أجلها أخاه. وأتباعه، بل وحتى وزراءه هو وقواده، وغيرهم. وأهلك العباد، وخرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، وأزال كل محاسنها - لا يمكن أن نتصور - المأمون، الذي فعل كل ذلك وسواه من أجل الحصول على الخلافة.. أن يتنازل عنها بهذه السهولة، بل ومع هذا الإلحاح والإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، ولا من الثقة به ماله بقواده، ووزرائه!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، والرضا فقط هو الأعز منها؟!

وهل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلك، حتى قتله أخاه، كان في سبيل مصلحة الأمة ومن أجلها، ولكي يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، وأحق بها من أخيه، ومنه؟!

وكيف يمكن أن نعتبر إصراره الشديد على الإمام، والذي استمر أشهر عديده، قبل استقدمه إلى مرو وبعده، والذي انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل - كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالأمة، وحبا لها، وغيره على صالحها.. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسنح بالخلافة، عندما عرضها على الإمام؟! (١).

وإذا لم تسنح نفسه بالخلافة، فلماذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟! (١) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧١، وغيبة الشيخ الطوسي ص ٤٩.

(٢٨٦) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، العزة (١)، القتل (٣)، الشيخ الطوسي (١)

وكيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلك، وجدية عرضه للخلافة..

وبين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد، ليكون دعاء الإمام له، وليعتقد فيه المفتونون به الخ. ما سيأتي؟!.

وإذا كان قد نذر أن يوليه " الخلافة، " لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد في بعض النصوص التاريخية، فلماذا، وكيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!

وكيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، ولم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟!

وأيضاً.. ولماذا بعد أن رفض الإمام (ع) العرض، لا يتركه وشأنه؟

وأين هي أنفة الملوكة، وعزة السلطان؟!

وإذا كان يأتي به المدينة ليجعله خليفة المسلمين، ويرفع من شأنه، فلماذا يأمره ويؤكد عليه في أن لا يمر عن طريق الكوفة وقم، وحتى لا يفتتن به الناس؟!

وأيضاً.. هل يتفق ذلك مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من ينذره بأن الخلافة سوف تكون في خطر، لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!.. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعاً، وصلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، ورغم زعمه، أنه: كان يريد من الإمام أن يصلى بالناس، من أجل أن تطمئن قلوبهم على دولته المباركة - على حد تعبيره - بسبب مشاركة الإمام (ع) في ذلك..

وأيضاً.. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، وتنازله عنها له، ثم توليته العهد، وبكاؤه عليه حين وفاته، وبقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتي بيانه.. هل يتفق كل ذلك، مع كتابته لعامله على (٢٨٧) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، القبر (١)، الصلاة (٢)، الرضا (١)

مصر: يأمره بغسل المنابر التي دعى عليها للإمام (ع)، فغسلت؟! (١).

وبعد.. وإذا كان الإمام (ع) حجة الله على خلقه، وأعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون، فلماذا يفرض عليه نظرية لا يراها مناسبة، ويتهدده، ويتوعده على عدم قبولها، والأخذ بها؟!

وأخيراً.. هل يتفق ذلك كله، مع ما أشرنا، ولسوف نشير إليه، من ذلك السلوك اللإنساني مع الإمام (ع)، قبل البيعة، وبعدها، في حياة الإمام، وحين وفاته، وبعدها.. وكذلك سلوكه مع العلويين.

وإخوة الإمام الرضا (ع) بالذات، ذلك السلوك الذي يترفع حتى الأعداء عن انتهاجه، والالتزام به، إلى آخر ما هنالك مما عرفت، وستعرف جانباً منه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

المأمون يرتبك في تبريراته:

ولعل من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: هو أن المأمون لم يكن قد حسب حساباً للأسئلة التي سوف تواجهه في هذا الصدد، ولذا نرى أنه كان مرتبكاً جداً في تبريراته لما أقدم عليه، فهو تارة يعلل ذلك بأنه: (١) ولا منافاة بينهما في نظر المأمون، فإنه لم يكن يخشى من ردة الفعل في مصر، لأنها بالإضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة في الدولة، ولم تكن أيضاً شديدة التعاطف مع العلويين، فهي إذن مأمونة الجانب.. وما كان يخشى منه قد أمنه، بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الإمام عليه السلام، حيث يكون بذلك قد طمأنهم، وأبعد التهمة عن نفسه في المنطقة التي يخشى منها في الوقت الحاضر.. وإلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة، فإنه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، ولم يعد يخشى شيئاً على الإطلاق.. (٢٨٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، يوم عرفة (١)، الحج (١)

أراد مكافأة على بن أبي طالب في ولده! (١).

وأخرى: بأن ذلك كان منه حرصاً على طاعة الله، وطلب مرضاته، ولما يعلمه من فضل الرضا، وعلمه، وتقاه. وأنه أراد بذلك الخير للأمة. ومصالحة المسلمين! (٢).

وثالثة: بأنه أراد أن يفى بندره: أنه إن أظفره الله بالمخلوع - يعنى أخاه الأمين الذى قتله - أن يجعل ولاية العهد فى أفضل آل أبى طالب! (٣).

بل ورابعة: بأنه أراد أن يجعله ولى عهده، ليكون دعاؤه له، وليعتقد فيه المفتونون به إلخ (٤).. ما سيأتى تفصيله.  
مع تبريرات المأمون تلك:

ومن الواضح أن تلك العلل والتبريرات وسواها، مما كان يتعلل (١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٩، والبحار ج ٤٩ ص ٣١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٨، والتذكرة لابن الجوزى ص ٣٥٦، ونقل أيضا: عن شذرات الذهب، لابن العماد، وغير ذلك.. (٢) صرح بذلك وفى وثيقة العهد، وفى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، قال:

"كان المأمون قد فكر فى حال الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها فى رجل يصلح لها، كذا زعم.."

وفى البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٧ قال: "إن المأمون رأى عليا الرضا خير أهل البيت، وليس فى بنى العباس مثله، فى علمه، ودينه، فجعله ولى عهده من بعده."  
ومثل ذلك كثير..

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤١، ومقاتل الطالبين ص ٥٦٣، وإعلام الورى ص ٣٢٠، والبحار ج ٤٩، ص ١٤٣، ١٤٥، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٢، وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وغير ذلك.

(٤) لكن هذا الكلام لم يكن إلا لخصوص العباسيين، كما عرفت وستعرف!! (٢٨٩) صفحهمفاتح البحث: على بن أبى طالب (١)، القتل (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، بنو عباس (١)، يوم عرفة (١)

به المأمون، كانت مفتعلة قبل أو ان نضجها، ولعله لما أشرنا إليه من أنه لم يكن قد حسب حسابا لهذه الأسئلة التى واجهته، فكانت أجوبته متناقضة، متضادة، من موقف لآخر، ومن وقت لآخر.. حتى إن التناقض يبدو فى التبرير الواحد، إذ تراه مرة يقول: "إنه نذر أن يجعل الخلافة فى ولد على." وأخرى يقول: "إنه نذر أن يجعل ولاية العهد فيهم." وثالثة: يضيف إليهم آل العباس. وهكذا.

ولولا- خوف الناس منه، ومن بطشه لوجدنا الكثيرين يسألونه: إنه إذا صح: أنه نذر الخلافة لولد على، فلماذا قبل منه واكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد.. وإذا صح أنه نذر له ولاية العهد، فلماذا عرض عليه الخلافة، وأصر عليه بقبولها.

وإننا وإن لم نجد لهذه الأسئلة، وسواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشكون كثيرا فى نوايا المأمون وأهدافه مما أقدم عليه. وحسبنا هنا: ما رواه لنا الصولى، والقفطى، وغيرهما من قضية عبد الله بن أبى سهل النوبختى المنجم، حيث أراد اختبار ما فى نفس المأمون، فأخبره أن وقت البيعة للإمام (ع) كان غير صالح، فأصر المأمون على إيقاع البيعة فى ذلك الوقت، وتهده بالقتل إن حدث تغيير فى الوقت والموعود، وقد تقدمت القصة بكاملها تقريبا فى فصل سابق، وقد ذهب إلى ذكره غير واحد من المؤلفين (١). (١) تاريخ الحكماء ٢٢٢، ٢٢٣، وفرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ١٤٢، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٤. والبحار ج ٤٩، ص ١٣٢، ١٣٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، ١٤٨، وغير ذلك.. (٢٩٠) صفحهمفاتح البحث: عبد الله بن أبى سهل (١)، القتل (١)، الخوف (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

الإمام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة:

ولعلنا نستطيع أن نجد فيما قدمناه فى هذا الكتاب ما يفسر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون.. ذلك الموقف الذى لم يكن يتسم بالمهادنة، أو الموافقة أصلا. بل كان قاسيا وعنيفا فى مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه فى باب: "عرض الخلافة، ورفض الإمام."

وما ذلك.. إلا لأنه كان يعلم أنها لعبة خطيرة، تحمل في طياتها الكثير من المشاكل والأخطار، سواء بالنسبة إليه (ع)، أو بالنسبة إلى العلويين، أو بالنسبة إلى الأمة بأسرها..

ولقد كان (ع) يدرك: أن المأمون كان يرمى من وراء هذا العرض إلى أن يعرض حقيقة نوايا الإمام (ع)، ويستظهر دخيلة نفسه، حتى إذا ما رآه راغباً فيها رغبة حقيقية، سقاه الكأس، التي سقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، صاحب أبي السرايا، ومن بعد لمحمد بن جعفر، وظاهر بن الحسين، وغيرهم، وغيرهم.. وإنه كان يريد أن يجعل ذلك ذريعة لفرض ولاية العهد، وتمهيدا لإجباره على قبولها، لأن ما يحقق له مآربه، ويوصله إلى غاياته، التي تحدثنا عن جانب منها في فصل: ظروف البيعة.. هو قبول الإمام لولاية العهد، لا الخلافة.. كما أن هذا هو الذي يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالي من خطته، ألا وهو القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم.

ومن ثم.. وبعد كل ما تقدم.. تكون النتيجة هي: أن المأمون لم يكن جادا في عرضه للخلافة، وإنما فقط كان جادا في عرضه لولاية العهد. (٢٩١) صفحهمفاتح البحث: محمد بن محمد بن يحيى (١)، طاهر بن الحسين (١)، محمد بن جعفر (١)، الهدف (١) ويبقى هنا سؤال:

"لو أن الإمام قبل عرض الخلافة، فماذا ترى سوف يكون موقف المأمون.؟!"  
أولا: وقد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهى أن المأمون كان قد أعد العدة لأي احتمال من هذا النوع.. وقد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام، خصوصا في تلك الظروف: أن يقبل عرض الخلافة، من دون إعداد مسبق لها، وتعبئة شاملة لجميع القوى، وفي مختلف المجالات، ولسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملا انتحاريا، لا مبرر له، ولا منطق يساعده.

إذ من البديهى أن الإمام الذى كان يعلم كم كان للقائد الحقيقى، والمصلح الواعى، من أثر فى حياة الأمة، وفى مستقبلها، وكيف يمكن أن تتحد فى ظل قدرات الأمة - أفرادا وجماعات - وإمكاناتها المادية، والفكرية وغيرها فى طريق صلاحها، وإصلاحها.. ويعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتى بالنسبة لما يبدو من تصرفاته فى ظاهره صحيحا وسليما..

إن الإمام الذى كان يعلم ذلك وسواه - وبصفته القائد الحقيقى للأمة، لو حكم، فلا بد له أن يقيم دولة الحق والعدل، ويحمل الناس على المحجة، ويحكم بما أنزل الله، كما حكم جده محمد صلى الله عليه وآله، وأبوه على (ع) من قبل.. وحكمه هذا سوف يكون مرفوضا جملة وتفصيلا، لأن الناس، وإن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السلام، إلا أنهم حيث لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، وصالحة، إذا أراد العلويون، أو غيرهم حملهم على المحجة، فلسوف لا ينقادون لهم بسهولة، ولا يطيعونهم بيسر، ولسوف يكون الحكم بما أنزل الله غريبا على أمة اعتادت (٢٩٢) صفحهمفاتح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)

على حياة خلفاء بنى العباس، ومن قبلهم بنى أمية المليئة بالانحرافات والموبقات.

أولئك الخلفاء الذين كانوا فى طبيعة المستهترين، والمتحللين من كل قيود الدين والإنسانية، والذين كانوا يتساهلون فى كل شىء، ما دام لا يضر بوجودهم فى الحكم.. نعم.. فى كل شىء على الاطلاق، حتى فى الدين وأحكامه، والأخلاق، والمثل العليا، وما ذلك إلا لأنهم لم يكن همهم إلا- الحكم، والتسلط، وامتصاص دماء الشعوب، ولا يهمهم - بعد - أن يفعل الناس ما شاءوا. ليتستروا بالدين، ليكفروا بالله، ليتحللوا من الأخلاق والفضائل الإنسانية، ليأكل بعضهم بعضا، ليكونوا أنعاما سائمة، أو ليكونوا وحوشا ضارية، فإن ذلك كله لا يضر.

والذى يضر فقط هو: أن يتعرضوا للحكم، ويفكروا بالسلطان، كيفما كان التعرض، وأيما كان التفكير.

وإذا كان الإمام على (ع) عندما أراد أن يحكم بما أنزل الله تعالى، قد لاقى ما لاقى مما لا يجله أحد.. رغم ما سمعته الأمة من فم النبي صلى الله عليه وآله مباشرة في حقه، وقرب عهدا به. فكيف بعد أن مرت عشرات السنين، وأصبح الانحراف عادةً جارية، وسنة متبعة، واتخذ نحوًا من الأصالة في حياة الأمة، وروحها، وأصبح - للأسف - جزءًا لا يتجزأ من كيائها وواقعها..

وأيضًا.. إذا كان أبو مسلم قد قتل ست مئة ألف نفس صبرا، عدا مئات الألوف الأخرى، التي ذهبت طعمةً للسيوف في المعارك. وإذا كانت ثورة أبي السرايا قد كلفت المأمون " ٢٠٠ " ألف جندي، من جنوده هو..

وإذا كان العصيان ما انفك يظهر من كل جانب ومكان، رغم أن (٢٩٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، القتل (١) الحكم كان أولا وآخرا مع أهواء الناس، ومصالحهم الشخصية..

فهل يمكن مع هذا.. أن لا يتعرض الإمام (ع) لعصيان أصحاب الأهواء - وما أكثرهم - والكيد من قبل الأعداء، الذين سوف يزيد عددهم، وتتضاعف قوتهم. عندما يحاول الإمام (ع) أن يفرض عليهم حكما ما اعتادوه، وسلوكا ما ألفوه؟!..

إن من الواضح: أن الناس وإن كانت قلوبهم معه، إلا أن سيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه، كما انقلبت على آباءه وأجداده من قبل، وذلك عندما لا ينسجم مع رغائبهم. وأهوائهم، وانحرافاتهم. حيث إن الإمام (ع) إذا أراد أن يحكم، فلسوف يواجه - بطبيعة الحال - تلك العناصر القوية، ذات النفوذ، وأولئك المستأثرين بكل الأموال والأقطاع، من أصحاب الأطماع، والمصالح الشخصية، وجها لوجه.. إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام، التي هي على الفرض حكومة الحق، والعدل: أن تقرهم على ما هم عليه، فضلا عن أن توفر لهم الحماية لتصرفاتهم المشبوهة، وغير المنطقية، بل حتى ولا الأخلاقية أيضا.

إن حكومة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسى فى سبيل استئصال كل جذور الانحراف والفساد.. فإن عليها أولا، وقبل كل شىء، أن تقوم بقطع أيدي أولئك الغاصبين لأموال الأمة، والمتحكمين بمقدراتها. وإبعاد كل أولئك الذين كانوا يستغلون مناصبهم، التي وصلوا إليها عن طريق الظلم، والظرسه، والابتزاز - يستغلونها - لماربهم الشخصية، وانحرافاتهم اللاأخلاقية.

ثم. قطع إعطيات ذلك الفريق من الناس، الذين كانوا يعيشون على حساب الأمة، ويأكلون خيراتها. ثم لا يقومون فى مقابل ذلك بأى عمل، أو نشاط يذكر. (٢٩٤) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (١)

وأيضًا. منع المحسوبيات، والوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبليّة، ويهيمن عليهم الشعور الطبقي فى دولة الأطماع والمزايدات، أو دولة التهديد، والعسف، والإرهاب.

يضاف إلى ذلك كله.. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق فى كل نصب وعزل من مصلحة الأمة، لا من مصلحة الحاكم والقبيلة، فطبيعى أن يؤدى ذلك إلى إثارة القبائل ضده، ويؤلبهم عليه.. فزعما القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما فى إنجاح أية ثورة وقيام أية دعوة واستمرار ونجاح أى حكم.

وبعد كل ذلك، فإن من الطبيعى إذن: أن يستفحل الصراع بينه، وبين العناصر القوية، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، والمصالح الشخصية، وأولئك الذين يعتمل فى نفوسهم طموح كبير، نحو زبارج الدنيا، وبها رجها. وذلك عندما يعطى القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، ويجعلهم فى المستوى الذى يجب أن يكونوا فيه، ويحدد ويقيم لهم واقعهم الذى لن يرضوا أبدا بتحديدته وتقييمه. وعلى الأقل لن تساعده تلك العناصر على تصحيح الوضع، وإقرار النظام.. هذا إن لم تكن هى العقبة الكأداء، التى تحول بينه وبين ما يصبو إليه، وتمنعه من تحقيق ما يريد..

يضاف إلى ذلك كله: أن القيادة القبليّة كانت قد فسدت آنذاك، واعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود والمواثيق التى يعطونها، فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، وهذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، ويغدق عليهم أكثر من الأموال، ويخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاك من المناصب. وكان للقيادات القبليّة دور كبير فى إنجاح أية دعوة، وانتصار أية ثورة..



وبعد.. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحايى أحدا على حساب دينه ورسالته.. وإذا كان - من الجهة الأخرى - مركزه ضعيفا فى الحكم. وإذا كان ليس لديه القوة والقدرة الكافية لمواجهة مسؤولياته كاملة. (٢٩٥) صفحهمفاتيح البحث: كتاب الكافئة للشيخ المفيد (١)، المنع (١)

فلسوف ينهار حكمه وسلطانه أمام أول عاصفه تواجهه، ولن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده فى الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذى يريد على المجتمع، بجميع فئاته، ومختلف طبقاته. إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، ولا تقيدها قيود، وأنى له بذلك.

وبعد كل ما تقدم، فإن النتيجة تكون، أن الإمام (ع)، وإن كان يمتلك القدرة على الاصلاح، لكن الأمة لم تكن لتتحمل مثل هذا الاصلاح، خصوصا وأن الحكام - بوحى من مصالحهم الخاصة - كانوا قد أدخلوا فى أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، وعن الحكام، الذين يفترض فيهم أن يقودوا الأمة فى مسيرها إلى مصيرها.

هذا كله. لو فرض - جدلا - سكوت العباسيين والمأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة وحول، من أجل تفويض حكمه، وزعزعة سلطانه.

وإذا كان يستحيل على الإمام (ع)، فى تلك الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا- أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. ولن يكون فى تجشم الإجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

ولكن.. مع ذلك، وحتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة، إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض - وإن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض - أنه كان على الإمام (ع): أن يجارى، ويدارى فى بادئ الأمر، من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الأمة ومصالحها، من أجل ذلك.. نرى لزاما علينا أن نجاريه فى هذا الافتراض، ونتجه إلى الإجابة على ذلك السؤال بنحو آخر، فنقول:

وثانيا: إنه إذا كان المأمون فى تلك الفترة هو الذى يمتلك القدرة والسلطان.. وإذا كانت كل أسباب القوة والمنعة متوفرة لديه بالفعل، (٢٩٦) صفحهمفاتيح البحث: الهدف (١)

فإنه سوف يسهل عليه - إذا لم يكن حكم الإمام (ع) على وفق ما يشتهى، وحسبما يريد - أن يأخذ على ذلك الحكم: (الذى يرى نفسه، ويرى الناس أنه مدين للمأمون) أقطار الأرض، وآفاق السماء. ولن يصعب عليه تصفيته، والتخلص منه من أهون سبيل، حيث إنه حكم لا- يزال، ولسوف يسعى المأمون لأن يقيه فى المهدي، يستطيع المأمون أن ينزل به الضربة القاصمة القاضية متى شاء، دون أن تعطى له الفرصة لحشد قدراته، وتجميع قواه فى أى من الظروف والأحوال.

وهكذا.. فإن النتيجة تكون: أن الإمام (ع) سوف يكون بين خيارين لا- ثالث لهما: فإما أن يحاول تحمل المسؤولية الحقيقية، بكل أبعادها، وتبعاتها، باعتباره القائد الحقيقى للأمة، ويقدم على كل ما تقدمت الإشارة إليه من إصلاحات جذرية فى جميع المجالات، وعلى مختلف المستويات، مما سوف يكون من نتائجه أن يعرض نفسه للهلاك، حيث لا يستطيع الناس، والمأمون وأشياعه تحمل ذلك، والصبر عليه، ويكون له ولهم كل العذر فى تصفيته، والتخلص منه.

وإما أن لا يتحمل مسؤولية الحكم، ولا يأخذ على عاتقه قيادة الأمة، وإنما تكون مهمته، وما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون، وأشياعه من المنحرفين. ويكون هو الواجهة التى يخفى وراءها الحكام الحقيقون، المأمون ومن لف لفته..

وواضح أن نتيجة ذلك سوف تكون أعظم خطرا على الإمام، وعلى العلويين، وعلى الأمة بأسرها، وأشد فداحة من نتيجة الخيار السابق، حيث يكون قد قضى بذلك على كل آمال الأمة، وكل توقعاتها.

وذلك هو كل ما يريده المأمون، ويسعى من أجل الحصول عليه، بكل ما أوتى من قوة وحول.

وثالثا: إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للإمام (ع)، لا- يعنى أبدا أن المأمون سوف لا يحتفظ لنفسه بأى من

(٢٩٧) صفحهمفاتيح البحث: الصبر (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

الامتيازات، التي تضمن له - في نظره - نصيبا من الأمر (١). ولسوف يرى الناس كلهم أن له كل الحق في ذلك. كما أن ذلك لا يعنى أنه سوف لا يعود له نفوذ في الأوساط ذات النفوذ والقوة. بل إننى أعتقد أنه سوف يكون في تلك الحال أقوى بكثير منه في غيرها، حتى أن المنصب للإمام (ع)، قد يكون شكليا، ومركزه سوريا، لا حول له فيه ولا قوة. وحينئذ.. وإذا كان المأمون سوف يبقى له نفوذ وقوة، وإذا كان سوف يشترط لتنازله عن الخلافة للإمام، ما يضمن له استمرار تلك القوة، وذلك النفوذ، بل وعودة الخلافة له في نهاية الأمر. فلسوف لا يصعب عليه كثيرا أن يدبر - وهو الداھية الدهياء - في الإمام (ع) بما يحسم عنه مواد بلائه، على حد تعبير المأمون. وليطمئن - من ثم - خاطره، ويهدأ باله، حيث يكون قد حقق كل ما كان يصبو ويطمح إلى تحقيقه. كما أنه يكون قد أصبح يمتلك اعترافا من العلويين بشرعية خلافته.. بل يكون العلويون على يد أعظم شخصية فيهم، هم الذين رفعوه على العرش وسلموا إليه أزمه الحكم والسلطان.. إلى آخر ما هنالك مما قدمناه، ولا نرى ضرورة لإعادته. وفي النهاية:

والآن.. وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على مدى جدية المأمون، في عرضه للخلافة على الإمام (ع)، وتحدثنا عن الوضع الذى سوف ينتج لو أن الإمام قبل ذلك العرض.. فإن من الطبيعي أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلك اللعبة - لعبة ولاية العهد - وما هي خطته في مواجهته ما يعلمه من خطط المأمون، وأهدافه الشريرة. فإلى الفصل التالى، والذى بعده.. (١) كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولى العهد مثلا. صفحہ (٢٩٨)

## موقف الإمام

موقف الإمام (ع):

سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلا تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب، ويعرف جديده العرض، ثم يرفض ذلك رفضا قاطعا، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالا، وأقل احتمالا - بالنسبة إلى سنه - وبشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة والحكم، وتجعل من كل شئ مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها. هل يعقل أن رجلا من هذا القبيل - يسلم من أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد بأن ينسب إليه؟! اللهم إلا إذا كان هناك ما هو أعظم، وأدهى وأخطر من ذلك المنصب، وإلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلك غاليا، وغاليا جدا، ألا وهو نفسه التى بين جنبيه!. والإمام. الذى نعرف، ويعرف كل أحد: أنه ذلك الرجل الجامع لكن صفات الفضل والكمال: من العلم، والعقل، والحكمة، والدراية، والتقوى، شهد له بذلك أعداؤه ومحبه، على حد سواء - هذا الإمام.

قد رفض كلا عرضى المأمون: الخلافة، وولاية العهد.. رفضهما رفضا (٢٩٩) صفحهمفاتيح البحث: الشهادة (١)، الرفض (١) باتا وقاطعا، ولم يقبل ولاية العهد إلا على كره وإجبار منه، وإلا وهو باك حزين، وعاش بعد ذلك فى ضيق شديد، ومحنة عظيمة، حتى إنه كان يدعو الله بالفرج بالموت!. وعليه. أفلا- يكفى موقف الإمام هذا، وسائر مواقفه من مختلف تصرفات المأمون، لأن يضع علامة استفهام كبيرة حول طبيعته هذا الحدث!؟

ألم يكن من الواجب أن يكون الإمام (ع) مستبشرا مبتهجا كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. ومدافعا عن المأمون، ونظام حكمه،

ومناصرا له، بكل ما أوتى من قوة وحول؟!.

ثم ألا يفهم من ذلك كله: أنه (ع) كان يدرك ما يكمن وراء قبوله لأي من العرضين من مشاكل، وما ينتظره من أخطار؟!.

وأن ذلك ليس إلا شركا يقصد إيقاعه به، ومن بعده كل العلويين، للقضاء عليه وعليهم، وإلى الأبد!!.

وإذا كان الإمام (ع) يعرف الحقيقة.. فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضيا بأن يجعله المأمون وسيلة لأغراضه، وآله لتحقيق مآربه وأهدافه!! سيما إذا لاحظنا أنه يعرف أكثر من أى إنسان آخر ما لتلك اللعبة من عواقب سيئة، وما تحمله في طياتها من آثار، ليس

عليه هو، وعلى العلويين، والمتشيعين لهم فحسب. وإنما على الأمة بأسرها إن حاضرا، وإن مستقبلا؟!.

هذا كله عدا عن أن هذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه فى أى تحرك يقوم به، وأى نشاط إصلاحى يمارسه، حيث لم يعد (٣٠٠) صفحهمفاتيح البحث: الموت (١)

يستطيع أن يكون فى المستقبل قائدا للحركة المضادة للمأمون، ونظام حكمه، القائم على غير أساس شرعى، ومنطقى سليم (١).

لا يرضى الإمام (ع)، ولا يقنع المأمون:

لا.. لا يمكن أن يرضى الإمام بذلك، وخصوصا بعد أن تلقى العلم عن آباءه الصادقين، عن النبى صلى الله عليه وآله الذى لا ينطق عن الهوى: بأن ذلك شئ لا يتم، وأوضح ذلك بما كتبه على وثيقة العهد الآتية بخط يده، حيث قال: "والجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك، لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين".

لا. لا يمكن أن يرضى ببيعه يعلم أنها لا تتم له، وإنما تخدم مصالح آخرين. وتحقق لهم مأربهم، على حساب الدين، والأمة، ولهذا رفض بشدة وعنفة، وأصر عليه المأمون بشدة وعنفة أيضا.

ولم يكن ليقنع المأمون شئ، بعد أن كان يرى أن القضية بالنسبة إليه قضية مصير ومستقبل، وهو مستعد لأن يضحي بكل شئ فى سبيل مصيره ومستقبله، كما ضحى بأخيه وأشياعه من قبل.

وإنه إذا تأكد لديه رفض الإمام (ع) القاطع، وتصور ما سوف تؤول إليه حاله نتيجة لذلك الرفض، فلسوف لا يألو جهدا، ولا يدخر (١) وفى كتاب: الإمامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٨٦، قال إنه عليه السلام وافق على فكرة ولاية العهد، لتكون فترة امتحان وتجربة للمأمون.

ولا يخفى ما فيه، فإن كل الدلائل والشواهد كانت تشير إلى أن الإمام عليه السلام كان يعلم بحقيقة نوايا المأمون وأهدافه، ولم تكن ثمة حاجة إلى امتحان وتجربة، كما اتضح وسيوضح إن شاء الله تعالى. (٣٠١) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الرفض (٢)

وسعا فى الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، ومن كل من تصل إليه يده، ممن له به (ع) أية صلة أو رابطة.

هى قضية مصير:

وبأوضح بيان نقول: إنه لم يكن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولاية العهد بالذى يشئ المأمون عما كان قد عقد العزم عليه، لأن الأسباب التى كانت تدعوه لذلك لم تكن تسمح له أبدا بالإصغاء لهذا الرفض، فهى تحتم عليه أن يفعل ذلك، مهما كلفه الأمر، ومهما كانت النتائج، ولم يكن لديه مانع من تنفيذ تهديداته، ولو علم أنه لا سبيل إلى تنفيذ ما يصبو إليه، والحصول على ما يريد الحصول عليه، والقضية بالنسبة إليه هو المتعطش إلى الحكم والسلطة قضية مصير ومستقبل، لا يمكن المساومة معها، ولا مجال لغض النظر والتساهل فيها..

وإذا كان قد قتل أخاه من أجل الملك وفى سبيله، فأى مانع يمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملك أيضا، وفى سبيله.. أم يعقل أن يكون الرضا أعز عليه من أخيه، وسائر من قتل من وزرائه هو، وقواده، وأشياعه؟!.

ولسوف لا نستغرب على المأمون - بعد قتله أخاه - الإقدام على أى تصرف فى سبيل الملك، حتى الإقدام على قتل الرضا (ع)، بعد

أن كان أبوه الرشيد قد أملى عليه درس "، الملك عقيم،" وقال له:

"والله، لو نازعتني أنت هذا الأمر، لأخذت الذى فيه عيناك، فإن الملك عقيم (".. ١). (١) شرح ميمية أبي فراس ص ٧٣، والبحار ج ٤٨ ص ١٣١، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧٠، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩١، وينايع المودة ص ٣٨٣، مع بعض تحريف لها، وغير ذلك.. (٣٠٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، العزة (١)، القتل (٥)، النفاذ، التنفيذ (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب ينايع المودة (١)

ولم يكن ليخفى عليه أيضا قول موسى بن عيسى، عندما رأى عبادة الحسين بن على وأصحابه، فى وقع فخر.. "هم والله، أكرم عند الله، وأحق بما فى أيدينا منا، ولكن الملك عقيم. ولو أن صاحب هذا القبر (يعنى النبى صلى الله عليه وآله)، نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف (".. ١).

وهذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملك بن مروان، فإنه عندما قتل مصعب بن الزبير بكى، وقال "لقد كان أحب الناس إلى، وأشدهم مودة لى، ولكن الملك عقيم، ليس أحد يريده من ولد ولا والد إلا كان السيف (".. ٢). بل وحتى نفس أخيه الأمين، عندما لم يعد له نجاه من برائن أخيه المأمون، نراه يتذكر هذه القاعدة، فيقول "هيهات، الملك عقيم، لا رحم له (".. ٣).

ولقد عمل المأمون بهذه القاعدة، وقتل أخاه، وأعطى الذى جاءه برأسه مليون درهم. بعد أن سجد شكرا لله، ونصب الرأس على خشبة ليلعنه الناس، إلى آخر ما مر تفصيله..

وإذا كانت القضية بالنسبة إلى المأمون قضية مصير ومستقبل وقضية ملك وسلطان، فطبيعى إذن أن نراه يخاطر بالخلافه (وإن كنا قدمنا أن ذلك كان منه سياسة ودهاء من أجل التمهيد لفرض ولاية العهد)، وأقدم على التخلي عن ولاية العهد، مع أن العباس ابنه وسائر ولده (١) مقاتل الطالبين ص ٤٥٣، وثمرات الأعواد ١٩٩، ٢٠٠، وشرح ميمية أبي فراس ص ٧٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٣ ص ٢٩٦، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٦٨، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣١٦.

(٣) تنمة المنتهى ص ١٨٥. (٣٠٣) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، موسى بن عيسى (١)، الحسين بن على (١)، القتل (١)، الكرم، الكرامة (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب ثمرات الأعواد (١) كانوا أحب إلى قلبه، وأجلى فى عينه من كل أحد، على حد تعبيره فى رسالته للعباسيين.

ولقد قدمنا الشرح الكافى والوافى لحقيقة الظروف والأسباب، التى دعت المأمون إلى ذلك، والتى هى دون شك كافية لأن تجعل المأمون يقدم على أى عمل - ولو كان انتحاريا - من أجل إنقاذ نفسه وخلافته، والعباسيين.. حتى ولو كان ذلك الشئ هو قتل الإمام (ع).. ولقد أخبر الإمام كرات، ومرات: أنه لم يقبل إلا بعد أن أشرف من المأمون على الهلاك.

مبشرات قبول الإمام لولاية العهد:

ولقد قبل الإمام (ع) ولاية العهد. ولكن.. بعد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التى بين جنبيه. هذا عدا عما سوف يتبع ذلك من تعرض العلويين، وكل من يتشيع لهم إلى أخطارهم فى غنى عنها.. ولو فرض أنه كان له هو (ع) الحق - فى مثل هذه الظروف - فى أن يعرض نفسه للهلاك، فلن يكون له حق أبدا فى أن يعرض غيره من شيعته ومحبيه، والعلويين أجمع إلى الهلاك أيضا..

هذا.. عدا عن أنه (ع) كان عليه أن يحتفظ بحياته، وحياء شيعته ومحبيه، لأن الأمة كانت بأمس الحاجة إلى وعيهم وإدراكهم، ليكونوا لها قدوة ومنازا، تهتدى، وتقتدى به، فى حالات المشاكل، وظلم الشبهات.

نعم.. لقد كانت الأمة بأمس الحاجة إلى الإمام (ع)، وإلى من رباهم الإمام، حيث كان قد غزاها فى ذلك الوقت تيار فكرى، وثقافى غريب، من الزندقة والإلحاد، وشاعت فيها الفلسفات والتشكيكات (٣٠٤) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (٢)، القتل (١)، الحاجة،

## الإحتياج (٢)

بالمبادئ الإلهية الحققة، فكان على الإمام (ع) أن يقف. ويقوم بواجبه، وينقذ الأمة، ولقد كان ذلك منه بالفعل، فلقد قام بواجبه، وأدى ما عليه، على أكمل وجه، رغم قصر المدة التي عاشها بعد البيعة نسيباً، ولهذا نقرأ في الزيارة الجوادية.. "، السلام على من كسرت له وسادة والده أمير المؤمنين، حتى خصم أهل الكتب، وثبت قواعد الدين (".. ١).  
والمراد بذلك: الإمام الرضا (ع).

ولو أنه (ع) رفض ولاية العهد، وعرض نفسه، وشيعته، ومحبيه للهلاك فلسوف لا يكون لموته، وموتهم أدنى أثر في هذا السبيل، بل كان الأثر عكسياً، وخطيراً جداً..

أضف إلى ذلك: أن قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسيين عملاً، مضافاً إلى القول: بأن العلويين لهم حق في هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فيه، وأن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.  
وأن ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلك الحق لهم.

وقد رأينا ابن المعتز يهتم في الاستدلال على أن جعل المأمون الرضا ولياً للعهد، لا يعنى أن الحق في الخلافة كان للرضا والعلويين، دون المأمون والعباسيين. وأنه إنما أعطاهم عن طريق التقوى والورع، وليثبت لهم أن الخلافة التي ثاروا من أجل الوصول إليها وقتلوا أنفسهم في سبيلها لا تساوى عنده جناح بعوضه، فهو يقول:

وأعطاكم المأمون حق خلافة \* لنا حقها لكنه جاد بالدنيا ليعلمكم أن الذي قد حرصتم \* عليها وغودرتم على أثرها صرعى (١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣. (٣٠٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، القتل (١)، الوجوب (٢)، الرفض (١)  
يسير عليه فقداه غير مكثراً \* كما ينبغي للصالحين ذوى التقوى فمات الرضا من بعد ما قد علمتم \* ولاذت بنا من بعده مرة أخرى (١) وأيضاً.. حتى لا- يتناساهم الناس، ويقطعوا آمالهم بهم، وحتى لا يصدق الناس ما يشاع عنهم من أنهم مجرد علماء فقهاء، لا يهمهم العمل لما فيه خير الأمة، ولا يفكرون في الخروج إلى المجتمع بصفتهم رواد صلاح وإصلاح ولعل إلى ذلك كله، يشير الإمام (ع) في قوله لمحمد ابن عرفه، عندما سأله عن قبوله بولاية العهد، فقال له " : يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية العهد..؟! فأجابه الإمام (ع) " : ما حمل جدى على الدخول في الشورى (".. ٢).

هذا بالإضافة إلى أنه يكون في فترة ولاية العهد قد أظهر المأمون على حقيقته أمام الملأ، وعرفهم بواقع وأهداف كل ما أقدم عليه، وأزال كل شبهة ولبس في ذلك. كما قد حدث ذلك بالفعل.

هل الإمام راغب في هذا الأمر:

ولكن هذا كله وسواه، لا يعنى أن الإمام (ع) كان راغباً في أى من الخلافة، أو ولاية العهد، فإن ما ذكرناه لا يبرر ذلك، حيث إنه لا يعدو عن أن يكون من الفوائد التي كان لا يمكن الحصول على بعضها (١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٦٥، وديوان ابن المعتز ص ٢٢ - ٢٣ وإن اهتمام ابن المعتز الواضح بقضية الرضا مع المأمون، كما يظهر من شعره هنا، والذي قدمناه مع التعليق عليه في فصل: ظروف البيعة.. يدلنا على أن هذه القضية كان لها في الأمة صدى واسعاً، وآثاراً هامة، لم يكن بوسع ابن المعتز التغاضي عنها، والسكوت عليها، (٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٤، ومعادن الحكمة ص ١٩٢، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، والبحار ج ٤٩ ص ١٤٠ ١٤١. (٣٠٦) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفه (١)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، ابن شهر آشوب (١)

من دون الدخول في هذا الأمر. والبعض الآخر لا يساوى في أهميته وخطره، ما سوف يجره الدخول في هذا الأمر من مآس ومشاكل، وما سوف يترتب عليه من آثار سيئة وخطيرة.

وقد قدمنا في الفصل السابق البيان الكافي والوافي، لما سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات في الحكم، لو أنه كان قبل عرض

الخلافة، وكيف ستكون النهاية له، ولنظام حكمه..

وهو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، ونظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد، إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، وتسلمه لازمة الحكم والسلطان تعترضه عقبات صعبة، وأهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، وتجاوزها.

فلقد كان يعلم - كما أظهرت الأحداث والوقائع بعد ذلك - أنه لن يسلم من دسائس المأمون وأشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعد وفاة المأمون، ولم يكن يشك في أن المأمون سوف يقدم على كل غريبة، من أجل التخلص منه، وتصفيته، إن جسديا، وإن معنويا..

بل.. وحتى لو أن المأمون لم يقدم على أى عمل، فإن آماله بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، وهو بهذه السن المتقدمة، بالنسبة لسن المأمون.. كانت ضعيفة جدا، لا تبرر له الإقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطى الناس انطبعا عن نفسه، بأنه لم يزهّد بالدنيا، وإنما الدنيا هي التي زهدت، كما كان يريد المأمون!!

ومع غض النظر عن كل ذلك.. فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصطدم بتلك العناصر القوية

ذات النفوذ، والتي لن ترضى عن سلوكه في الحكم بصورة عامة، وفوق (٣٠٧) صفحهمفاتيح البحث: الغلّ (١)، الوفاة (٣)

ذلك كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، وأشياعهم، والذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه وبين ذلك، ولو تمكن من ذلك، فلسوف لا يدخرون وسعا، ويجندون كل ما لديهم من طاقة وقوة وحول، من أجل زعزعة حكمه، وتقويض سلطانه، وخلق المشاكل الكثيرة له، لتضاف إلى ذلك الركام الهائل من المشاكل التي كانت تواجه الحكم.

إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الأمة قيادة صالحة، وسليمة وحكيمة، وليمنى - من ثم - بالفشل الذريع، والخيبة؟؟ القاتلة.

ولسوف يجدون هناك مرتعا خصبا لمؤامراتهم، ودسائسهم في تلك الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، وذلك عندما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جديده محمد صلى الله عليه وآله وعلى (ع).

وأن الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم سوف لا يكونون مستعدين لتقبل حكم كهذا. ولا أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلك، ويخضعوا لإرادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الأمويين، والعباسيين، المليئة بالانحرافات والموبقات.

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) في فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه بإعداد مسبق، وتعبئة عامة وشاملة، على جميع المستويات، وفي مختلف المجالات.. وإلا.. فلسوف لا- يكون قادرا على مواجهة ذلك الركام الهائل من المشاكل، ولا على النجاح والاستمرار في الحكم.. ولن يفسح العباسيون، والمأمون، وأشياعهم له المجال للقيام بذلك الإعداد، وتلك التعبئة، مهما كلفهم ذلك من توضيحات. فالسلبية إذن هي الموقف الصحيح:

وبعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعي أن لا يفكر الإمام (ع) في (٣٠٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)

الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوى، والمحفوف بالأخطار، والذي لم يحقق له أى هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون موجبا للقضاء عليه، وعلى كل آماله، وكل العلويين، والتمشيعين لهم، ويحقق فقط آمال الآخرين، وأهدافهم.. ولسوف يكون إقدامه على عمل من هذا النوع عملا انتحاريا، لا مبرر له، ولا منطق يساعده، لا بد من خطة لمواجهة الموقف:

وأخيرا.. وإذا كان لم يكن الرضا (ع) خيار في قبول ولاية العهد..

وإذا كان لا يمكن أن يقبل بأن يجعل وسيلة لتحقيق أهداف، وآله يتوصل بها إلى مآرب يمقتها، ويكرهاها كل الكره، لعلمه بما سوف يكون لها من آثار سيئة وخطيرة، على حاضر الأمة، ومستقبلها، وعلى مستقبل هذا الدين، وكذلك لا يمكنه أن يسكت، ويظهر بمظهر الموافق، والمؤيد، والمساعد.

فإن كل ما يمكن له أن يفعله - بعد هذا - هو أن يضع خطة، يستطع بها مواجهة مؤامرات المأمون، وإحباط مخططاته، حتى لا يزداد

الوضع سوءا، والطين بله..

فإلى الحديث عن خطته هذه فى الفصل التالى. (٣٠٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الهدف (١)، الإختيار، الخيار (١)

## خطه الإمام

خطه الإمام (ع) انحراف الحكام:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاك - العباسيين والأمويين على حد سواء - لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئك الحكام، وسلوكهم، وحياتهم لمبادئ الإسلام وتعاليمه.. الإسلام، الذى كانوا يستطيعون على الناس به، ويحكمون الأمة - حسب ما يدعون - باسمه، وفى ظله. حتى لقد أصبح الناس، والناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلك، ويفهمون خطأ: أن الإسلام لا يتعد كثيرا عما يرون، ويشاهدون، مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الإسلامى القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف فى وجهه.

العلماء المزيفون وعقيدة الجبر:

ولقد ساعد على ذلك، وزاد الطين بله، فريق من أولئك الذين اشترت ضمائرهم، ممن يتسمون، أو بالأحرى سماهم الحكام ب" العلماء " حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الإسلام، وتعاليمه، (٣١٠) صفحهمفاتيح البحث: الوسعة (١) لتوافق هوى، وتخدم مصالح أولئك الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، وغمروهم بالنعمة. حتى إن أولئك الماجورين قد جعلوا عقيدة الجبر - الواضح لكل أحد زيفها وسخفها - من العقائد الدينية الإسلامية!، من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، ولكى يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك. التى يندى لها جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله وقدره، ولذا فليس لأحد الحق فى أن ينكر عليهم أى تصرف من تصرفاتهم، أو أى جناية من جنایاتهم.

وكان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة - حتى زمان المأمون - أكثر من قرن ونصفا، أى من أول خلافة معاوية، بل وحتى قبل ذلك أيضا. بزمان طويل!

المزيفون وعقيدة الخروج على سلاطين الجور:

كما أنهم - أعنى هؤلاء العلماء - قد جعلوا الخروج على سلاطين الجور والفساد موبقه من الموبقات، وعظيمة من العظام.. وقد جرحوا بذلك عدد من كبار العلماء: مثل الإمام أبى حنيفة وغيره، بحجة أنه " يرى السيف فى أمة محمد " (١). (١) راجع: نظرية الإمامة، للدكتور أحمد محمود صبحى وغيره.

وفى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٧٤؛ أنه قيل لأبى مسهر: كيف لم تكتب عن محمد بن راشد؟! قال " كان يرى الخروج على الأئمة.. " وفى طبقات الحنابلة لأبى يعلى ج ٣ ص ٥٨، فى مقام ترجيح سفيان على حسن بن حى، كان من جملة ما جرحه به أنه: " كان يرى السيف " ومثل ذلك كثير لا نرى حاجة لاستقصائه. (٣١١) صفحهمفاتيح البحث: الحج (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب

البغدادي (١)، المذهب الحنبلى (١)

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدينية، كما يظهر من تتبع كلماتهم (١).

وأما عقائد التشبيه، وقضية خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذكر، أو تحتاج إلى بيان.

والذى زاد الطين بله:

يضاف إلى ذلك كله غرور الحكام، الذى لا مبرر له، وكذلك من لف لفهم، الذين كانوا يحكمون الأمة باسم الدين.

وكذلك غفلة الناس، وعدم إدراكهم لحقيقة ما يجري وما يحدث، وللواقع المزرى، الذى كان قائما آنذاك. وأيضا.. وهو الأهم من كل ذلك - ابتعادهم، بسعى من الهيئات الحاكمة، عن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة. كل ذلك. قد أدى بالفعل إلى انحلال الدولة داخليا، وتمزيق أوصالها.. كما وأنه قد أسهم إسهام كبيرا فى إبعاد الناس عن تعاليم السماء، وشريعة الله.. الأمر الذى لم يكن يعنى إلا نهاية الحكم الإسلامى، (١) حسبما صرح به أحمد بن حنبل فى رسالته " السنة " وهى عقايد أهل الحديث، والسنة.

وقد أوردها أبو يعلى فى طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٦. وصرح بذلك أيضا الأشعري فى مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٢٣، وفى الإبانة ص ٩. وقد علل ذلك فى نظرية الإمامة ص ٤١٧ بقوله.. " ذلك أنها: إن كانت بلوى من الله عقابا لهم، فما ثورتهم برادة عقاب الله. وإن كانت محنة للمسلمين، فما هم برادى قضاء الله! "

وفى كتاب السنة قبل التدوين ص ٤٦٧، نقل عن ابن خزيمة، فى وصفه الطاعنين على أبى هريرة، قوله: إنهم إما معطل جهمى " .. وإما خارجى يرى السيف على أمه محمد، أو قدرى، اعترل الإسلام، وأهله الخ. ( " ٣١٢ ) صفحهمفاتيح البحث: القرآن الكريم (١)، الجواز (١)، أبو هريرة العجلى (١)، المذهب الحنبلى (١)، أحمد بن حنبل (١)

وردة الناس إلى الجاهلية الجهلاء.. الأمر الذى لم يكن يرهب الحكام كثيرا، لأن الإسلام الذى يريدون، والدين الذى ينشدون، هو ذلك الذى يستطيعون أن يتسلطوا على الأمة، ويستأثروا بقدراتها وإمكاناتها فى ظله. ويمهد لهم السبيل لاستمرارهم فى فرض نفوذهم وسيطرتهم، ولو كان ذلك على حساب جميع الشرائع السماوية، وكل المفاهيم الإنسانية.

إن أولئك الحكام. ما كانوا يفكرون إلا فى وسائل بقائهم واستمرارهم فى الحكم، وإلا فى شؤونهم ومصالحهم الخاصة بهم. أما الأمة المسلمة، وأما الإسلام، فلم يكن لهما لديهم أية قيمة، أو شأن يذكر، إلا فى حدود ما يستطيعون الإفادة منهما فى بقائهم ووجودهم فى الحكم والسلطة.

الأئمة فى مواجهة مسؤولياتهم:

وفى هذا الوسط الغريب: من غفلة الناس، ومن سيرة الحكام، والمتسمين بالعلماء وسلوكهم.. كان الأئمة عليهم السلام يؤدون واجبهم فى نشر تعاليم السماء، ويكافحون، وينافحون عنها، بقدر ما كانت تسمح لهم ظروفهم، التى كانت فى ظل سلطان أولئك المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

وأما عن الإمام الرضا بالذات:

وقد سنحت للإمام الرضا (ع) فرصة لفترة وجيزة، كان الحكام منشغلين فيها بأمر تهمهم.. للقيام بواجبه فى توعية الأمة، وتعريفها بتعاليم الإسلام. وذلك فى الفترة التى تلت وفاة الرشيد، وحتى قتل الأمين. بل نستطيع أن نقول: إنها امتدت - ولو بشكل محدود - حتى وفاة الإمام (ع) فى سنة (٢٠٣). الأمر الذى كان من نتيجته ازدياد (٣١٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الجهل (١)، الوجوب (١)، الوفاة (١)

نفوذه (ع)، واتساع قاعدته الشعبية، حتى لقد كانت كتبه تنفذ فى المشرق والمغرب، وكان هو الأراضى فى الخاصة والعامة، حسبما ألمحنا إليه من قبل، الخطة الحكيمه:

وعندما أراد المؤمن أن ينفذ خطته فى البيعة له بولاية العهد، وعرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلك، كان من الطبيعى أن يعد (ع) العدة، ويضع خطة لمواجهة خطط المؤمن، وإحباط أهدافه الشريرة، والتى كان أهونها القضاء على سمعة الإمام (ع)، وتحطيمه معنويا واجتماعيا.

ولقد كانت حطة الإمام هذه فى منتهى الدقة والإحكام، وقد نجحت أيما نجاح فى إفشال المؤامرة وتضييع كثير من أهدافها، وجعل الأمور فى صالح الإمام (ع)، وفى ضرر المؤمن.. حتى لقد ضاع رشد المؤمن (بل ورشد أشياعه أيضا)، وهو أفعى الدهاء والسياسة،



ولم يعد يدري ما يصنع، ولا كيف يتصرف..

مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:

ولعلنا نستطيع أن نسجل هنا بعض المواقف للإمام (ع)، التي لم يكن المأمون قد حسب لها حسابا، والتي كانت ضمن خطة الإمام (ع) في مواجهة مؤامرات المأمون..

الموقف الأول:

إننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، وهو في المدينة (٣١٤) صفحهمفاتيح البحث: الضرر (١)، الرفض (١)

ولم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه.. بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره..

وما ذلك إلا- ليعلم المأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، وأنه (ع) على علم تام بأبعاد مؤامراته وأهدافها.. كما أنه بذلك يثير شكوك الناس وظنونهم حول طبيعة هذا الحدث، وسلامة النوايا فيه، الموقف الثاني:

إنه رغم أن المأمون كان قد طلب من الإمام (ع) - وهو في المدينة - أن يصطحب معه من أحب من أهل بيته في سفره إلى مرو.

إنه رغم ذلك.. نلاحظ: أنه (ع) لم يصطحب معه حتى ولده الوحيد الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التي سوف يقضيها في

هذا السفر، الذي سوف يتقلد فيه زعامة الأمة الإسلامية، حسب ما يقوله المأمون.. بل مع علمه بأنه سوف لن يعود من سفره ذاك، كما

تؤكد عليه كثير من النصوص التاريخية.

شكوك لها مبرراتها:

ونرى أننا مضطرون للشك في نوايا المأمون وأهدافه من وراء طلبه هذا " أن يصطحب الإمام (ع) من شاء من أهل بيته إلى مرو."

بعد أن رأينا: أنه لم يرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر إلى مرو، ولا رجوع محمد بن جعفر نفسه، ولا رجوع محمد بن محمد بن

زيد، ولا غير هؤلاء، كما سيأتي بيانه في الفصل التالي وغيره..

فلعل الإمام (ع) بل إن ذلك هو المؤكد، الذي تدل عليه (٣١٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام

(١)، محمد بن محمد بن زيد (١)، محمد بن جعفر (٢)

تصريحاته وتصرفاته حيث تأهب للسفر - لعله - قد ظن لنوايا المأمون هذه، فضيع الفرصة عليه، وأعاد كيده إليه..

الموقف الثالث:

سلوكه في الطريق، كما وصفه رجاء بن أبي الضحاك (١)، حتى اضطر المأمون لأن يظهر على حقيقته، ويطلب من رجاء هذا: أن لا

يذكر ما شاهده منه لأحد، بحجة أنه لا يريد أن يظهر فضله إلا على لسانه (٢)، ولكننا لم نره يظهر فضله هذا، حتى ولو مرة واحدة، فلم

يدع أحد أنه سمع شيئا من المأمون عن سلوك الإمام (ع)، وهو في طريقه إلى مرو. وأما رجاء، فلعله لم يحدث بذلك إلا بعد أن لم

يعد في ذلك ضرر على المأمون، وبعد أن ارتفعت الموانع، وقضى الأمر.

الموقف الرابع:

موقفه في نيشابور، الذي لم يكن أبدا من المصادفة. كما لم يكن ذكره للسلسلة التي يروى عنها من المصادفة أيضا، حيث أبلغ الناس

في ذلك الموقف، الذي كانت تزدحم فيه أقدم عشرات بل مئات الألوف (٣) - أبلغهم " :- كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل

(١) راجع: البحار ج ٤٩ من ص ٩١ حتى ٩٥، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨١ فما بعدها: وهو كلام معروف لا نرى أننا بحاجة

لتكثير مصادره هنا.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ٩٥، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) وذلك يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، ومحبتهم لهم. الأمر الذي كان يربع المأمون ويخيفه. حتى لقد كان يحاول

كبت عواطف الناس هذه، وهذا هو السبب في منع الإمام من المرور عن طريق الكوفة وقم، كما سيأتي. (٣١٦) صفحهمفاتيح البحث:

الحج (١)، الضرر (١)، الظن (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، مدينة الكوفة (١)، السب (١) حصنى أمن من عذابي (١)."

هذه الكلمة.. التي عد أهل المحابر والدوى، الذين كانوا يكتبونها، فأنافوا على العشرين ألفاً.. هذا على قلّة من كانوا يعرفون القراءة والكتابة آنذاك، وعدا عن سواهم ممن شهد ذلك الموقف العظيم..

" ونلاحظ: أنه (ع) - في هذا الظرف - لم يحدثهم عن مسألة فرعية، ترتبط ببعض مجالات الحياة: كالصوم، والصلاة، وما شاكل. ولم يلق عليهم موعظة تزهدهم في الدنيا، وترغبهم في الآخرة، كما كان شأن العلماء آنذاك.

كما أنه لم يحاول أن يستغل الموقف لأهداف شخصية، أو سياسية، كما جرت عادة الآخرين في مثل هذه المواقف.. مع أنه يتوجه إلى مرو، ليواجه أخطر محنة تحدد وجوده، وتهدد العلويين، ومن ثم الأمة بأسرها.

وإنما كلم الناس باعتباره القائد الحقيقي، الذي يفترض فيه: أن يوجه الناس - في ذلك الظرف بالذات - إلى أهم مسألة ترتبط بحياتهم، ووجودهم، إن حاضرا، وإن مستقبلا، ألا وهي مسألة:

التوحيد.. التوحيد: الذي هو في الواقع الأساس للحياة الفضلى، بمختلف جوانبها، وإليه تنتهي، وعلى وبه تقوم..

التوحيد: الذي ينجي كل الأمم من كل عناء وشقاء وبلاء. والذي إذا فقدته الإنسان، فإنه يفقد كل شيء في الحياة حتى نفسه..

مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد:

هذا.. ولأنه قد يكون الكثيرون ممن شهدوا ذلك الموقف لم يتهيأ (١) قد ذكرنا بعض مصادر هذه القضية في فصل " شخصية الإمام

الرضا " فمن أراد فليراجع. (٣١٧) صفحهمفاتيح البحث: الشهادة (٢)، الصلاة (١)، الشقاء (١)

لهم سماع كلمة الإمام (ع)، لانشغالهم مع بعضهم بأحاديث خاصة، أو لتوجههم لأمر جانبيّة أخرى، كما يحدث ذلك كثيرا في مناسبات كهذه..

نرى الإمام (ع) يتصرف بنحو آخر، حيث إنه عندما سارت به الناقه، وفي حين كانت أنظار الناس كلهم. وقلوبهم مشدودة إليها.. نراه يخرج رأسه من العمارية، فيسترعى ذلك انتباه الناس، الذين لم يكونوا يترقبون ذلك منه. ثم يملى عليهم - وهم يلتقطون أنفاسهم، ليستمعوا إلى ما يقول - كلمته الخالدة الأخرى:

" بشروطها، وأنا من شروطها."

لقد أملى الإمام (ع) كلمته هذه عليهم، وهو مفارق لهم، لتبقى الذكرى الغالية، التي لا بد وأن يبقى لها عميق الأثر في نفوسهم (١).

لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسية أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، ألا وهي مسألة " الولاية."

وهي مسألة بالغة الأهمية، بالنسبة لأمة تريد أن تحيا الحياة الفضلى، وتنعم بالعيش الكريم، إذ ما دامت مسألة القيادة الحكيمة. والعادلة، والواعية لكل ظروف الحياة. وشؤونها، ومشاكلها - ما دامت هذه (١) (١) ويلاحظ: أن هذه الكلمة قد صيغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلى الكلمة الأولى، ومعرفتها.

وبعد.. فما أشبه موقفه عليه السلام هنا بموقف النبي صلى الله عليه وآله في غدیر خم، حيث إنه صلى الله عليه وآله كان أيضا قد أبلغ المسلمين مسألة الولاية، في ذلك الموقف الحاشد، وفي المكان الذي لا بد فيه من تفرق الناس عنه صلى الله عليه وآله، وذهاب كل منهم إلى بلده، ولعل إرجاع المتقدمين، وحبس المتأخرين يشبهها إخراج الإمام عليه السلام رأسه من العمارية.. يضاف إلى ذلك: أن موقفه صلى الله عليه وآله كان آخر مواقفه العامة في حياته إلى آخر ما هنالك من وجوه الشبه بين الواقعتين.

ولعلنا نجد تشابها بين هذه الواقعة، وبين قضية إرجاع أبي بكر عن تبليغ آيات سورة براءة، ثم إرسال علي مكانه.. (٣١٨)

صفحهمفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (١)، الخلود (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، غدیر خم (١)

المسألة - لم تحل، فسوف لا يمكن إلا أن يبقى العالم يروح تحت حكم الظلمة والطواغيت، والذين يجعلون لأنفسهم صلاحيات

التقنين والتشريع الخاصة بالله، ويحكمون بغير ما أنزل الله، وليبقى العالم - من ثم - يعنى الشقاء والبلاء، ويعيش فى متاهات الجهل، والحيرة، والضياغ (".. ١).

وإننا إذا ما أدركنا بعمق مدى ارتباط مسألة "الولاية" بمسألة "التوحيد" فلسوف نعرف: أن قوله (ع): "وأنا من شروطها" لم تمله عليه مصلحته الخاصة، ولا قضاياه الشخصية.. لسوف ندرك أيضا: الهدف الذى من أجله ذكر الإمام (ع) سلسلة سند الرواية، الأمر الذى ما عهدناه، ولا أفناه منهم عليهم السلام. إلا فى حالات نادرة، فإنه عليه السلام قد أراد أن ينبه بذلك على مدى ارتباط مسألة القيادة للأمة بالمبدأ الأعلى..

الإمام ولى الأمر من قبل الله، لا من قبل المأمون:

وعدا عن ذلك كله.. فإننا نجد أن الإمام (ع)، حتى فى هذا الموقف، قد اهتبل الفرصة، وأبلغ ذلك الحشد الذى يضم عشرات بل مئات الألوف: أنه الإمام للمسلمين جميعا، والمفترض الطاعة عليهم، على حد تعبير القندوزى الحنفى، وغيره.. وذلك عندما قال لهم: "وأنا من شروطها."

وبذلك يكون قد ضيع على المأمون أعظم هدف كان يرمى إليه من استقدام الإمام (ع) إلى مرو. ألا وهو: الحصول على اعتراف بشرعية خلافته، وخلافه بنى أبيه العباسيين. (١) قد استرشدنا فى بعض ما ذكرناه بما ذكره الأستاذ على غفورى، فى كتابه "ياد بود هشتمين امام" (فارسى). (٣١٩) صفحهمفاتيح البحث: الشيخ سلمان البلخى القندوزى (١)، الجهل (١)، الهدف (١)

إذ أنه قد بين للملا بقوله "وأنا من شروطها": "أنه هو بنفسه من شروط كلمة التوحيد، لا من جهة أنه ولى الأمر من قبل المأمون، أو سيكون ولى الأمر أو العهد من قبله، وإنما لأن الله تعالى جعله من شروطها.

وقد أكد (ع) على هذا المعنى كثيرا، وفى مناسبات مختلفة، حتى للمأمون نفسه فى وثيقة العهد كما سيأتى، وأيضا فى الكتاب الجامع لأصول الإسلام والأحكام، الذى طلبه منه المأمون، حيث كتب فيه أسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، مع أن عددا منهم لم يكونوا قد ولدوا بعد، كما أنه ذكر أسماءهم فى احتجاجه على العلماء والمأمون فى بعض مجالسهم العلمية، وفى غير ذلك من مواقفه الكثيرة (ع).

الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات:

وأخيرا.. لا بد لنا فى نهاية حديثنا عن هذا الموقف التاريخى من الإشارة إلى أنه كان من الطبيعى أن يضم ذلك الحشد العظيم، الذى يقدر بعشرات. بل بمئات الألوف:

١ - حشدا من أهل الحديث واتباعهم، الذين جعلوا صلحا جديدا بين الخلفاء الثلاثة، وبين على (ع) فى معتقداتهم، بشرط أن يكون هو الرابع فى الخلافة والفضل. ولفقوا من الأحاديث فى ذلك ما شاءت لهم قرائحهم، حتى جعلوه إذا سمع ذكرا لأبى بكر يبكى حبا، ويمسح عينيه ببرده (١).

وجعلوه أيضا ضرابا للحدود بين يدى الثلاثة: أبى بكر، وعمر، (١) تاريخ الخلفاء ص ١٢٠، وغيره. (٣٢٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)

وعثمان (١)، كما تنبأ هو نفسه (ع) بذلك (٢). إلى غير ذلك مما لا يكاد يخفى على الناظر البصير، والناقد الخبير..

٢ - وحشدا من أهل الإرجاء، الذين ما كانوا يقيمون وزنا لعلى، وعثمان. بل كانت المرجئة الأولى لا يشهدون لهما بإيمان، ولا بكفر..

٣ - وأيضا.. أن يضم حشدا من أهل الاعتزال، الذين أحاطوا بالمأمون، بل ويعد هو منهم، والذين تدرجوا فى القول بفضل على (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم ومشاربهم، فقد كان مؤسسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، لا يحكمان بتصويبه فى وقعة الجمل مثلا، ولكن أتباعهما تدرجوا على مر الزمان فى القول بفضله، فقد شكك أبو الهذيل العلاف فى أفضليته على أبى بكر، أو القول بتساويهما فى الفضل. ولكن رئيس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر،

قد جزم بأفضليته على الخلفاء الثلاثة، ولكنه قال بصحة خلافتهم.. وقد تبعه جميع معتزلة بغداد، وكثير من البصريين. وإذا كان ذلك الحشد الهائل يضم كل هؤلاء. وغيرهم ممن لم نذكرهم.. فمن الطبيعي أن تكون كلمة الإمام هذه " وأنا من شروطها "ضربة موفقة ودامغة لكل هؤلاء، وإقامة للحجة عليهم جميعا. على اختلاف أهوائهم، ومذاهبهم.. ويكون قد بلغ بهذه الكلمة " وأنا " .. صريح عقيدته، وعقيدة (١) تاريخ الخلفاء ص ١١٩، ١٢٠، والمحاسن والمساوى ج ١ ص ٧٩ طبع مصر.

والفتوحات الإسلامية لدحلان ط مصطفى محمد ج ٢ ص ٣٦٨.

(٢) فقد قال بعد أن ضرب الوليد بن عقبه الحد، لشربه الخمر " : لتدعوني قريش بعد هذا جلادها. " الغدير ج ٨ ص ١٢١. وقد صدقت نبوءته، صلوات الله وسلامه عليه، فقد جعلوه - كما ترى - ضرابا للحدود بين يدي الثلاثة!! (٣٢١) صفحهمفاتح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدرسة المعتزلة (٢)، أبو الهذيل العلاف (١)، مدينة بغداد (٢)، الإقامة (١)، الوليد بن عقبه (١)، الضرب (١)، الصلاة (١)

آبائه الطاهرين (ع) في أعظم مسألة دينية، تفرقت لأجلها الفرق في الإسلام، وسلت من أجلها السيوف. بل لقد قال الشهرستاني: .. "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة في كل زمان (١). " وبعد كل ما قدمناه.. لا يبقى مجال للقول: إن قوله هذا:

"وأنا " .. لا- ينسجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، وخفض الجناح، إذ ليس ثمة من شك في أن للتواضع وخفض الجناح موضع آخر. وأنه كان لا بد للإمام في ذلك المقام، من بيان الحق الذي يصلح به الناس أولا وآخرا، ويفتح عيونهم وقلوبهم على كل ما فيه الخير والمصلحة لهم، إن حاضرا، وإن مستقبلا، وإن جزع من ذلك قوم. وحق آخرون. تعقيب هام وضروري:

ومما هو جدير بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يستعملون التقيية في كل شئ إلا في مسألة أنهم عليهم السلام الأحق بقيادة (١) الملل والنحل، ج ١ ص ٢٤، وقال الخضري في محاضراته ج ١ ص ١٦٧:

.. "والخلاصة: أن مسألة الخلافة الإسلامية والاستخلاف، لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العتار. بل كان تركها على ما هي عليه، من غير محل محدد ترضاه الأمة، وتدفع عنه سببا لأكثر الحوادث التي أصابت المسلمين، وأوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق والحروب المتواصلة، التي قلما يخلو منها زمن، سواء كان ذلك بين بيتين، أو بين شخصين " . انتهى.

وأقول: إذن. كيف جاز للنبي صلى الله عليه وآله أن يترك الأمة هكذا هملا، ثم لا يضع حلا لأعظم مشكلة تواجهه، مع أن شريعته كاملة وشاملة، وقد بين فيها كل ما تحتاجه الأمة، حتى أرس الخدش. (٣٢٢) صفحهمفاتح البحث: الطهارة (١)، التقيية (١)، التواضع (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)

الأمة، وخلافة النبي صلى الله عليه وآله. مع أنها لا شئ أخطر منها عليهم. كما تشير إليه عبارة الشهرستاني الآنفه، وغيرها. وذلك يدل على مدى ثقتهم بأنفسهم، وبأحقيتهم بهذا الأمر.

فترى الإمام موسى (ع) يواجه ذلك الطاغية الجبار هارون بهذه الحقيقة، ويصارحه بها، أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة (١). بل لقد رأينا الرشيد نفسه يعترف بأحقيتهم تلك في عدد من المناسبات على ما في كتب السير والتاريخ.

ولقد نقل غير واحد (٢) أنه: عندما وقف الرشيد على قبر النبي صلى الله عليه وآله، وقال مفتخرا: السلام عليك يا ابن عم. جاء الإمام موسى (ع)، وقال:

السلام عليك يا أبة. فلم يزل ذلك في نفس الرشيد إلى أن قبض عليه:

وعندما قال له الرشيد: أنت الذي تبايعك الناس سرا؟!!

أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم (٣).

وأما الحسن، والحسين، وأبوهما، فحالهما في ذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

بل إن أعظم شاهد على مدى ثقتهم بأحقيّة دعواهم الإمامة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقائل له: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدم؟! راجع: الصواعق المحرقة، وينايع المودة، ووفيات الأعيان، والبحار، وقاموس الرجال، وغير ذلك.

(٢) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٣، والكامل لابن الأثير ج ٦، ص ١٦٤ ط صادر، والصواعق المحرقة ص ١٢٢، والإتحاف بحب الأشراف ص ٥٥، ومرآة الجنان ج ١ وأعيان الشيعة، وينايع المودة، وغير ذلك.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف ص ٥٥، والصواعق المحرقة ص ١٢٢. (٣٢٣) صفحهمفاتيح البحث: قبر النبي (ص) (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الشهادة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (٢)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، كتاب ينايع المودة (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٣)

فأجابه الإمام (ع): "جرأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة، فأشهد أني لست بنبي.. وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة، فأشهدوا أني لست بإمام. (١")

وفي هذا المعنى روايات عديدة (٢).

ولكنهم عليهم السلام قد انصرفوا بعد الحسين (ع) عن طلب هذا الأمر بالسيف. إلى تربية الأمة، وحماية الشريعة من الانحرافات التي كانت تتعرض لها باستمرار، ولأنهم كانوا يعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن يكون له قاعدة شعبية قوية وثابتة، وواعية، لن يؤدي إلى نتيجة، ولن يقدر له النجاح، الذي يريدونه هم، ويريده الله. ولكنهم - كما قلنا - ظلوا عليهم السلام يجاهرون بأحقيتهم بهذا الأمر، حتى مع خلفاء وقتهم، كما يظهر لكل من راجع مواقفهم وأقوالهم في المناسبات المختلفة.

الموقف الخامس:

رفضه الشديد لكلا عرضي المأمون: الخلافة، وولاية العهد، وإصراره على هذا الرفض الذي استمر أشهراً، وهو في مرو نفسها، حتى لقد هدده المأمون أكثر من مرة بالقتل.

وبذلك يكون قد مهد الطريق ليواجه المأمون بالحقيقة، حيث قال له: إنه يريد أن يقول للناس: إن علي بن موسى لم يزهّد بالدنيا، وإنما الدنيا هي التي زهدت فيه، وليكون بذلك قد أفهم المأمون أن (١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) راجع: البحار ج ٤٩، وروضة الكافي: وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وغير ذلك. (٣٢٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، القتل (١)، الجهل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، ابن شهر آشوب (١)

حيلته لم تكن لتجوز، وأن زيفه لا ينطلي عليه، وأن عليه أن يكف في المستقبل عن كل مؤامراته ومخططاته. وليكون المأمون بعد هذا غير مطمئن لأي عمل يقدم عليه، وضعيف الثقة بكل الحيل والمؤامرات التي يحوكمها. هذا بالإضافة إلى أن الناس سوف يشكون في طبيعته هذا الأمر، وسلامة نوايا المأمون فيه.

الموقف السادس:

ولم يكتف الإمام (ع) بذلك كله.. بل كان لا يدع فرصة تمر إلا يؤكد فيها على أن المأمون قد أكرهه على هذا الأمر، وأجبره عليه،

وهدد بالقتل إن لم يقبل.

يضاف إلى ذلك. أنه كان يخبر الناس في مختلف المناسبات: أن المأمون سوف ينكث العهد، ويغدر به.. حتى لقد قال في نفس مجلس البيعة للمستبشر: " لا تستبشر، فإنه شئ لا يتم " بل لقد كتب في نفس وثيقة العهد ما يدل على ذلك دلالة واضحة، كما سيأتي بيانه في الموقف الثامن.

هذا عدا عن أنه كان يصرح بأنه لا يقتله إلا المأمون، ولا يسمه إلا هو، حتى لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر. بل إنه لم يكن يكتفى بمجرد القول، وإنما كانت حالته على وجه العموم في فترة ولاية العهد تشير إلى عدم رضاه بهذا الأمر، وإلى أنه مكره مجبر عليه.

حيث إنه كان على حد تعبير الرواة: " في ضيق شديد، ومحنة عظيمة " و " لم يزل مغموما مكروبا حتى قبض، " و " قبل البيعة، وهو باك حزين " وكان كما يقول المدائني: " إذا رجع يوم الجمعة من (٣٢٥) صفحهمفاتيح البحث: القتل (٢) الجامع، وقد أصابه العرق والغبار، رفع يديه وقال: " اللهم إن كان فرجى مما أنا فيه بالموت، فعجل لى الساعة (١). " إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن استقصاؤه في مثل هذه العجالة..

وواضح أن كل ذلك سوف يؤدي إلى عكس النتيجة، التي كان يتوخاها المأمون من البيعة، وخصوصا إذا ما أردنا الملائمة بين مواقفه هذه، وموقفه في نيشابور، وموقفه صلاتى العيد في مرو.

الموقف السابع:

إنه كان لا يدع فرصة تمر إلا ويؤكد فيها على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، وأنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كانوا قد اغتصبوه منهم، بل وإثبات أن خلافة المأمون ليست صحيحة ولا هي شرعية. أما ما يتعلق به بصحة خلافة المأمون:

فلاحظ: أنه (ع) حتى في كيفية البيعة يشير - على ما صرح به كثير من المؤرخين - إلى أن المأمون، الذي يحتل عنوة مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، يجهل حتى كيفية ذلك العقد الذى خوله - بنظره - أن يكون فى ذلك المجلس الخطير، حيث إنه (ع..): " رفع يده، فتلقى بظهرها وجه نفسه، وبطنها وجوههم، فقال له المأمون: ابسط (١) البحار ج ٤٩ ص ١٤٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥. (٣٢٦) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الموت (١)، الجهل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

يدك للبيعة، فقال له: إن رسول الله هكذا كان يبايع، فبايعته الناس (١). "

ونظير ذلك أيضا: ما روى من أن المأمون قد أمر الناس: أن يعودوا للبيعة من جديد، عندما أعلمه الإمام (ع): بأن كل من كان قد بايعه، قد بايعه بفسخ البيعة إلا الشباب الأخير.. وهاج الناس بسبب ذلك. وعابوا المأمون على عدم معرفته بالعقد الصحيح والكيفية الصحيحة للبيعة وهذه القضية مذكورة فى العديد من المصادر أيضا (٢).

وأما أن الخلافة حق للإمام (ع) دون غيره:

فلعله لا يكاد يخفى على من له أدنى اطلاع على حياة الإمام (ع) ومواقفه وقد تحدثنا آنفا عن موقفه فى نيشابور، وهو فى طريقه إلى مرو، وكيف أنه (ع) جعل نفسه الشريف والاعتراف بإمامته شرطا لكلمة التوحيد، والدخول فى حصن الله الحصين.. وأشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، وهو أحدهم فى عديد من المناسبات والمواقف حتى فيما كتبه للمأمون. بل لقد المح إلى ذلك أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما بويع له بولاية العهد، وهو ما يلي: (١) راجع: المناقب ج ٤ ص ٣٦٩، ٣٦٤ والبحار ج ٤٩ ص ١٤٤. وعلل الشرايع، ومقاتل الطالبيين، ونور الأبصار، ونزهة المجلس، وعيون أخبار الرضا.

(٢) راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٤. (٣٢٧) صفحهمفاتيح البحث: كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١) .. "إن لنا عليكم حقا برسول الله، ولكم علينا حق به، فإذا أنتم أدبتم لنا ذلك وجب علينا الحق لكم." .. ولم يؤثر عنه في ذلك المجلس غير ذلك.. وهو معروف ومشهور بين أرباب السير والتاريخ..

ومن الواضح أن اقتصاره على هذه الكلمة في ذلك المجلس الذي يقتضى إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، وعلى الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده - إن اقتصاره على هذا - يعتبر أسلوباً رائعاً لتركيز المفهوم الذي يريد الإمام (ع) في أذهان الناس، وإعطائهم الانطباع الحقيقي عن البيعة، وعن موقفه منها، ومن جهاز الحكم، في نفس مجلس البيعة، حتى لا يبقى هناك مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب في هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه وسخطه. وقد يكون له الحق في ذلك وقد لا يكون.

يضاف إلى كل ذلك أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون: .. "وأما ذكرك صاحبك (يعني المأمون، والمأمون جالس)، الذي أجلني، فما أجلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر ليوسف الصديق (ع)، وكانت حالهما ما قد علمت." ..

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة: "إن من أخذ برسول الله، لحقيق بأن يعطى به،" وذلك عندما عرض له بالمن عليه بأن جعله ولي عهده، وفي غير هذه المناسبة أيضاً. المأمون يعترف بأحقية آل علي بالأمر:

ولعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفه (ع) مع المأمون، صفحہ (٣٢٨)

عندما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين والعلويين سواء بالنسبة لقرباهم من النبي صلى الله عليه وآله، وذلك من أجل أن يثبت - بزعمه - أن له ولبنى أبيه حقا في الخلافة، فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) في انتزاع اعتراف من المأمون بأن العلويين هم الأقرب..

وتكون النتيجة - على حسب منطق المأمون، ومنطق أسلافه كما قدمنا - هي: أن العلويين هم الأحق بالخلافة والرياسة، وأنه هو، وآبائه غاصبون، ومعتدون..

فبينما المأمون والرضا (ع) يسيران، إذ قال المأمون:

.. "يا أبا الحسن، إنى فكرت في شئ، فنتج لى الفكر الصواب فيه: فكرت في أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولا على الهوى والعصية.

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لك، وإن شئت أمسكت..

فقال له المأمون: إنى لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه..

قال له الرضا (ع): أنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أن الله تعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله، فخرج علينا من وراء أكمه من هذه الآكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوجه إياها؟.

فقال: يا سبحان الله، وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله!؟.

فقال له الرضا (ع)، أفتراه كان يحل له أن يخطب إلى؟.

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال..

"أنتم والله، أمس برسول الله رحما (" ١). (١) كثر الفوائد للكراچكى ص ١٦٦، والفصول المختارة من العيون والمحاسن ص ١٥،

١٦، والبحار ج ٤٩ ص ١٨٨، ومسند الإمام الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٠. (٣٢٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢) وكانت هذه ضربة قاضية وقاصمة للمؤمن. لم يكن قد حسب لها أى حساب. ولم يكن ليتمكن فى مقابل ذلك من أى عمل ضد الإمام (ع)، بعد أن كان هو الجانى على نفسه، ف "على نفسها جنت براقش". وبعد كل ذلك فقد قدمنا قول ابن المعتز:

وأعطاكم المأمون حق خلافة\* لنا حقها، لكنه جاد بالدنيا وخلاصة الأمر:

إنه (ع) لم يكن يدخر وسعا فى إحباط مسعى المأمون، وتضييع الفرصة عليه، وإفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه. والتأكيد على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، ولذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولاية العهد اعترافا بشرعية الخلافة العباسية، أو بشرعية أى تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلك حقا للإمام اغتصبه الغاصبون، واعتدى عليه فيه المعتدون، فليس المأمون حق فى أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد.

وكذلك ليس للمأمون بعد: أن يدعى العدل والإنصاف، فضلا عن الايثار والتضحية فى سبيل الآخرين، بعد أن فضح الإمام أهدافه من لعبته تلك، وعرف كل أحد أنها لم تكن شريفة ولا سليمة. الأكدوبة المفضوحة:

وبعد.. فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، وابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلك التى ذكرناها آنفا وهى:

أن المأمون قال لعلى بن موسى: علام تدعون هذا الأمر!؟

قال: "بقراءة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله. (".. ٣٣٠) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)

فقال المأمون: "إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وآله من هو أقرب إليه من على، أو من هو فى قعدده. وإن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الأمر بعدها للحسن، والحسين، فقد ابتزهما على حقهما، وهما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه." فلم يحر على بن موسى له جوابا (١).. انتهى.

وهى واقعة مزيفة ومجولة من أجل التغطية على الواقعة الحقيقية، التى جرت بينهما، والتى تنسجم مع كل الأحداث والوقائع، وجميع الدلائل والشواهد متظافرة على صحتها، ألا وهى تلك التى قدمناها آنفا..

والدليل على زيف هذه الرواية: أنها لا- توافق نظرة أئمة أهل البيت ورأيهم فى الخلافة ومستحقها، لأنهم يرون - كما تدل عليه تصريحاتهم المتكررة، وأقوالهم المتضافرة - " : أن منصب الإمامة لا يكون إلا بالنص.

وأما الاستدلال بالقرابة، فقد قلنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب:

أن أول من التجأ إليه أبو بكر، ثم عمر. ثم الأمويون، فالعباسيون، ثم أكثر، إن لم يكن كل مطالب بالخلافة.. وأنه إذا كان فى كلام الأئمة وشيعتهم ما يفهم منه ذلك، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم، وبعد.. فهل يخفى على الإمام (ع) ضعف ووهن هذه الحجة، مع أننا نراه يصرح فى أكثر من مناسبة بأن القرابة لا تجدى ولا تفيد - كما سنشير إليه - وأنه لا بد فى الإمام من جدارة وأهلية فى مختلف الجهات، وعلى جميع المستويات.

ولقد كان على المأمون - لو صحت هذه الرواية - أن يغتنمها فرصة، (١) راجع: عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠، ١٤١، طبع مصر سنة ١٣٤٦، والعقد الفريد ج ٥ ص ١٠٢، و ج ٢ ص ٣٨٦، طبع دار الكتاب العربى.. (٣٣١) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن

عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة الأموية (١)



ويعلنها على الملأ، ويشهر بالإمام (ع)، ليسقطه - ومن ثم.. يسقط العلويين كلهم من أعين الناس.. ويسلبهم وإلى الأبد السلاح الذي كانوا يحاربونه ويحاربون آباءه به.. مع أن ذلك هو ما كان يبحث عنه المأمون ليل نهار، ويدبر المكائد، ويعمل الحيل، من أجله، وفي سبيله..

وعدا عن ذلك كله. كيف يمكن أن تنسجم هذه الرواية مع مواقف الإمام، وتصريحاته المتكررة حول مسألة الإمامة، وبأى شئ تثبت، وحول أوصاف الإمام ووظائفه، والتي لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات!؟

وكذلك.. مع احتجاج الإمام (ع) على العلماء والمأمون في أكثر من مناسبة بالنص، وأيضاً مع موقفه (ع) في نيشابور! اللهم إلا أن يكون أعلم أهل الأرض - باعتراف المأمون قد نسي حجته، وحجة آباءه، وكل من ينتسب إليهم، ويذهب مذهبه.. تلك الحجّة - التي عرفوا وكل المتشيعين لهم بها على مدى الزمان - نسيها - في تلك اللحظة فقط، لأن المأمون هو الذي يسأل، والرضا هو الذي يجيب!!

وبعد، فهل يستطيع أن يشك في ذلك أحد.. وهو يرى رسالة الرضا، التي كتبها للمأمون تلبية لطلبه، وجمع له بها أصول الإسلام، والتي صرح فيها بالنص على علي (ع). بل وذكر فيها الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله كلهم بأسمائهم، حتى من لم يكن قد ولد بعد منهم؟! وهذه الرسالة مشهورة وقد أوردها واستشهد بها غير واحد من المؤرخين والباحثين (١). (١) وكان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه: نظرية الإمامة ص ٣٨٨، وقال: إنها من المخطوطات الموجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٨. (٣٣٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الحج (١) وفيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، وأروع، وأوفاه.

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل الله كالنبي، كما يتضح من مناظراته الشهيرة لعلماء وقته، التي أوردها غير واحد من كتب التاريخ، والأدب، والرواية، وذكرها في العقد الفريد أيضاً قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. وإن كان قد تصرف فيها (أى في المناظرة)، فحرف فيها، وحذف منها الكثير.. وأشار إليها أيضاً أحمد أمين في ضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٧، وغيره.. فلماذا لا يلزمه الإمام بمقالته التي كان يلزم نفسه بها؟! أم يمكن أن لا يكون مطلعاً على مقالة المأمون هذه، التي سار ذكرها في الآفاق!؟

ويحسن بنا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف في نقل مثل هذه القضايا، حسب أهواء الناقلين لم يكن بالأمر الذي يخفى على أحد، فقد رأينا:

أن جواب أحمد بن حنبل في المحنة بخلق القرآن، يرويه كل من الشيعة، والمعتزلة، وأهل السنة بصور ثلاثة مختلفة، ومناظرة هشام لأبي الهذيل العلاف يروي المعتزلة أن الغلبة فيها كانت لأبي الهذيل، بينما يروي الشيعة، ويؤيدهم المسعودي (١) أن الغلبة فيها كانت لهشام. إلى غير ذلك من عشرات القضايا بل المئات..

ولكن الأمر هنا مختلف تماماً، إذ أن مختلق الرواية هنا قد غفل عن أن روايته المفتعلة تتنافى كلياً مع نظرة الأئمة عليهم السلام ورأيهم في الخلافة ومستحقها.. ويبدو أنه لم يكن مطلعاً على الآراء المختلفة الشائعة آنذاك في مسألة الإمامة، ولذا نراه ينسب إلى الإمام (ع) رأياً لا يقول به، ولا يقره. وإنما هو يناسب رأى الشيعة الزيدية القائلين بإمامة ولد علي (ع) من فاطمة، بشرط أن يكون بليغاً، شجاعاً، عادلاً مجتهداً، (١) مروج الذهب ج ٤ ص ٢١. (٣٣٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدرسة المعتزلة (٢)، أحمد بن حنبل (١)، القرآن الكريم (١)، الوجوب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

يخرج بالسيف ضد كل ظلم وانحراف إلخ.. وبأن إمامة علي (ع) قد تثبت بالوصف والإشارة إليه، لا بالتصريح والنص عليه (١). كما أنه غفل عن أن الذين كانوا يحتجون بالقرابة والإرث هم العباسيون، الذين كانوا إلى عصر المهدي - كما قدمنا - يدعون انتقال

الخلافة إليهم عن طريق علي (ع)، ومحمد بن الحنفية، وفي عصر المهدي عدلوا عن ذلك، لما يتضمنه من اعتراف للعلويين، ورأوا أن يجعلوا إمامتهم عن طريق العباس وأبنائه.. وحاولوا تقوية هذه النحلة بكل وسيلة، وبذلوا من أجلها الأموال الطائلة للعلماء والفقهاء، والشعراء.

ولم يكن لتخفي علي أحد أبيات مروان بن أبي حفصة المتقدمة:

هل تظمسون من السماء نجومها \* أو تسترون إلخ..

ولا قوله:

أنى يكون وليس ذلك بكائن \* لبنى البنات وراثه الأعمام وقد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. على هذا البيت بقوله:

ما للطلق وللتراث وإنما \* صلى الطليق مخافة الصمصام (٢) وكيف يخفى كل ذلك على الإمام (ع)، خصوصا بعد أن كان الجدل في هذا الموضوع قائما على قدم وساق في زمن هارون، بل وفي زمن المأمون كما يظهر من قول ابن شكلة المتقدم:

فضجت أن نشد على رؤوس \* تطالبها بمراث النبي (١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ ر ١٩٨.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ١١٩، والأغانى ج ٩ ص ٤٥، طبع ساسى، والأدب فى ظل التشيع ص ٢٠١، وضحي الإسلام ج ٣ ص ٣١٣، وقاموس الرجال ج ٢ ص ٣٩٣، وغير ذلك. (٣٣٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام

(٢)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)

ومن قول القاسم بن يوسف وهى قصيدة طويلة فلتراجع (١).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.. وبعد كل تلك الوقائع الشهيرة التى حدثت قبل خلافة المأمون، وأثناءها بالنسبة للدعوى العباسيين هذه، فلا- يمكن أبدا أن تجرى المحاوره بين أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) وبين المأمون أعلم خلفاء بنى العباس على هذا النحو من السذاجة والبساطة. اللهم إلا إذا كان أعلم أهل الأرض، لا يرى ولا يسمع، أو أنه كان يعيش فى غير هذا العالم، أو فى سرداب تحت هذا الأرض.

واللهم إلا إذا كان القائل: ما للطلق وللتراث إلخ.. أعلم بالحجة للدعوى التى يدعيها أعلم أهل الأرض من مدعى الدعوى نفسه.. وهل لم يكن يحسن أن يقول للمأمون - لو سلم أنه احتج بالقرابة -: إن قرابه العباس لا تفيده، بعد أن تخلى عنها يوم الانذار. وبعد أن كان من الظالمين، الذين حرمهم الله من عهده. حيث قال تعالى: " ولا ينال عهدى الظالمين. " وبعد أن ترك الهجرة معه صلى الله عليه وآله. وبعد أن حارب النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر. وبعد جهله بالدين وأحكامه، ولقد قال سبحانه: " أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع، أم من لا يهدى إلا أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون ("٢..). إلى آخر ما هنالك.

وأخيرا.. وبعد أن لم يبق مجال للشك فى زيف هذه الرواية وافتعالها.

فإننا نرى أن لنا كل الحق فى أن نسجل هنا: أنه لم يخف علينا، ونأمل أن لا يخفى على أحد سر ذكر ابن عبد ربه هذه الرواية المزيفة المفتعلة، بعد ذكره لرواية احتجاج المأمون على علماء وقته فى أفضلية على (ع) على جميع الخلق، التى تصرف فيها ما شاء له حقه ونصبه، (١) الأوراق للصولى ص ١٨٠، وقد تقدم شرط منها فى بعض فصول هذا الكتاب.

(٢) يونس آية ٣٥. (٣٣٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن

عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، الجهل (١)، الظلم (٢)

الحذف والتحريف، فإنه - على ما يبدو - ليس إلا- من أجل التشويش على تلك، وإبطال كل أثر لها، ظلما للحقيقة، وتجنيا على التاريخ.

الموقف الثامن:

وأعتقد أنه أعظمها أثرا، وأعمها نفعاً، وهو ما كتبه (ع) على وثيقة العهد، التى كتبها المأمون بخط يده..

فإننا إذا ما رجعنا إليه نجد: أن كل سطر فيه، بل كل كلمة لها مغزى عميق، ودلالة هامة، تلقى لنا ضوءا كاشفا على خطته (ع) في مواجهة مؤامرات المأمون، وخططه، وأهدافه.

فلقد كان يعلم: أن هذه الوثيقة ستقرأ في مختلف الأقطار الإسلامية، ولذلك نراه (ع) قد اتخذها وسيلة لإبلاغ الأمة الحقيقة كل الحقيقة، وتعريفها بواقع نوايا وأهداف المأمون. وأيضا تأكيد حق العلويين، وكشف المؤامرة التي تحاك ضدهم..  
فبينما نراه (ع) يبدأ كلامه - فيما كتبه في الوثيقة المشاركة إليها - بداية غير طبيعية، ولا مألوفة في مناسبات كهذه حيث قال: "الحمد لله الفعال لما يشاء، ولا- معقب لحكمه، ولا راد لقضائه..". لا يأتي بعدها بما يناسب المقام، ويتلائم مع سياق الكلام، من تمجيد الله، والثناء عليه على أن ألهم أمير المؤمنين! هذا الأمر.. بل نراه يأتي بعبارة غريبة، وغير متوقعة، ألا وهي قوله: "يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور الخ..".

أفلا توافقتني - قارئ العزيز - على أنه (ع) يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوي على خيانه مبيتة، وأن هناك صدورا تخفى غير ما تظهر؟!.. ثم.. ألا توافقتني على أن هذه العبارة تعريض بالمأمون (٣٣٦) صفحهمفاتيح البحث: العزة (١) نفسه، من أجل تعريف الناس بحقيقته نواياه وأهدافه؟!.. هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلك بالفعل.

وإذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد، فإننا نراه يقول..: "وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين..". فإننا إذا لاحظنا: أنه لم نجر العادة في الوثائق الرسمية في ذلك العهد بعطف "الآل" على "محمد"، ثم توصيفهم بـ "الطيبين الطاهرين" - نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، وهجوم آخر عليه، حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، وسنخه، ومحتده، وعلى أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، وليس لكل من سواهم. حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، ولا مثل تلك المزية..

ثم نراه (ع) يعقب ذلك بقوله..: "إن أمير المؤمنين... عرف من حقنا ما جهله غيره..".

فما هو ذلك الحق الذي جهله الذي كلهم، حتى بنو العباس، فيما عدا المأمون؟!..

فهل يمكن أن تكون الأمة الإسلامية قد أنكرت أنهم (ع) أبناء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟!.. أليس ذلك منه (ع) إعلان للأمة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا- ما هو حق له، وأنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، واعتدى عليهم به المعتدون؟!.. بل أليس ذلك ضربة للمأمون نفسه، وأن خلافته ليست شرعية، ولا صحيحة، لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!..

نعم. إن الحق الذي جهله الناس هو حق الطاعة. ولم يكن (٣٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، الجهل (٣)، الطهارة (٣)

الإمام (ع) يتقى المأمون، ولا غيره من رجال الدولة، في إظهار هذا الحق، وبيان أن خلافة الرسول صلى الله عليه وآله إنما كانت في علي (ع)، وولده الطاهرين، وأنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، والانقياد لهم. وقد أعلن (ع) ذلك في نيشابور كما قدمنا.. ورأيناه يصرح به، ويطلب من الناس أن يعلم شاهدتهم غائبهم به، في محضر من رجال الدولة في خراسان، ففي الكافي: بسنده عن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، وعنده عدة من بني هاشم، وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي، فقال: "يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون: إنا نزع: أن الناس عبيد لنا! لا وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قط، ولا سمعته من آبائي قاله، ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله، ولكنني أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب (١)".

وستأتى الإشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى في الفصل الآتي.. وليتأمل في عبارته الأخيرة، فليبلغ الخ.. وليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه

خطابه:

إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي!!

وفي الكافي أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سألت رجل فارسي أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم. قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب (ع)؟ قال: نعم (٢).

والمراد بأبي الحسن هو الرضا (ع)، لأنه هو الذي كان في خراسان، وهو الذي يروى عنه معمر بن خلاد كثيرا.. ومثل ذلك كثير لا مجال لتتبعه. (١) الكافي ص ١٨٧، وأمالى المفيد ص ١٤٨ ط النجف وأمالى الطوسي ج ١ ص ٢١، ومسند الإمام الرضا عليه السلام ج ١ ص ٩٦.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٧، والاختصاص ٢٧٨، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٠٣ عنه. (٣٣٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، محمد بن زيد الطبري (١)، إسحاق بن موسى (٢)، بنو هاشم (١)، معمر بن خلاد (٢)، خراسان (٣)، كتاب أمالي الصدوق (٢)، مدينة النجف الأشرف (١)

ويقول (ع) في وثيقة العهد، بعد تلك العبارة مباشرة.. "فوصل أرحاما قطعت، وآمن أنفسا فزعت، بل أحيها وقد تلتقت، وأغناها إذا افتقرت."

وهو كما ترى.. في حين يشكر المأمون، ويكتب تحت اسمه "بل جعلت فداك" (حسب رواية الإربلي فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلك بالازراء ضمنا على آبائه العباسيين. ويذكر بما اقترفوه في حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر ومدبر، ويطلبونهم في كل سهل وجبل، كما قدمنا..

هذا.. ولا بأس أن نقف قليلا عند قوله "وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى - إن بقيت - بعده."

فإننا لا نكاد نتردد في أنه (ع) يشير بقوله: إن بقيت بعده إلى ذلك الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، وبين المأمون، وأنه يعتمد توجيه الأنظار إلى عدم طبعية هذا الأمر، وإلى عدم رغبته فيه.

وإنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع في أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، ولو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلك، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، ووصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه، حيث لا بد حينئذ أن "يحل العقدة التي أمر الله بشدها." ولا بد أيضا أن تنكشف خيائته للملأ، ويظهر ما يخفيه في صدره، على حد تعبيره (ع).. وإلا فما هو الداعي له (ع) لإقحام هذا الشرط - إن بقيت - في أثناء مثل هذا الكلام.

وإننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلك: فمن حل عقدة أمر الله بشدها، وفصم عروة أحب الله إيثاقها. "و تأملنا قوله السابق: (٣٣٩) صفحهمفاتيح البحث: الشكر (١)، الفدية، الفداء (١)

يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور. وقوله اللاحق: لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه.. فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، ويقول الناس جميعا: إنه لا يشك في أن المأمون سوف ينقض العهد، ويحل العقدة.

ويلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر الله بشده، وأحب إيثاقه.. وهذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، ويؤكد عليه كثيرا، ونص عليه آنفا، وهو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذي جهله غيره، واغتصبه هو وآبؤه، منه (ع) ومن آبائه..

وإذا ما وصلنا إلى قوله (ع).. "بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولتقرب أمر الجاهلية الخ..".

فإننا نراه كأنه يستشهد لإطاعته المأمون، وعدم إصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، والعلويين، وشيعته لهلاك، والاضطهاد - يستشهد لذلك - بما جرى لسالفه: وهو أمير المؤمنين علي (ع)، حيث صبر على الفلتات (١) التي كانت من خلفاء عصره، ولم يعترض

(ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضى قدما في مخططاتهم، التي كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، وتكريس الأمر الواقع، وتثبيته، لأنه يخدم مصالحهم، ويرضى مطامحهم.

- لم يعترض على (ع) على ذلك - لأنه خاف من شتات الدين، (١) ومن المحتمل جدا أنه عليه السلام: يشير إلى تعبير عمر - كانت بيعه أبي بكر فلتة إلخ - ولكنه عمم الكلام بحيث يشمل غير بيعه أبي بكر أيضا، باعتبار أن بيعه عمر وعثمان، ومعاوية وغيرها، كانت أيضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها على بيعه أبي بكر التي كانت فلتة.. (٣٤٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الجهل (٢)، الشهادة (٢)، الصبر (١)، الخوف (١)

واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية.. وهذا مما قد نص عليه على (ع) نفسه في أكثر من مورد، وأكثر من مناسبة، قال (ع): .. "وأيم الله، لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه،" .. ويقول: "إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمحض مخض الوط، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أدنى خلف (١) ..".

وهكذا تمام كان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفيد على، ووارثه، الذي كان زمانه لا يبعد حال الناس فيه على حال الجاهلية، فإنه آثر أن يصبر على هذه المحنة، خوفا من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، وذلك بتعرض نفسه، وشيعته، والعلويين للهلاك، أو على الأقل للاضطهاد، الأمر الذي سوف تكون له أسوأ النتائج على الدين والأمة، كما قلنا..

وإذا ما قرأنا بعد ذلك قوله (ع) .. "وقد جعلت الله على نفسي، - إن استرعاني على المسلمين، وقلدني خلافته - العمل فيهم عامة، وفي بنى العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.. " فإن ما يسترعى انتباهنا هو تنصيبه على بنى العباس خاصة وأنه سوف يعمل فيهم بطاعة الله، ورسوله .. فلا يسفك دما حراما، ولا يبيح فرجا ولا مالا، إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه إلخ."

فإن هذا التنصيب إنما هو في مقابل "الأرحام التي قطعت، وفزعت، (١) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ٣٠٧، ٣٠٨ وغير ذلك. (٣٤١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، بنو عباس (٢)، الصبر (٢)، الجهل (٢)

وتلفت، وافترقت.. من العلويين، على يد بنى العباس، الذين فعلوا بهم. أكثر من فعل بنى أمية معهم، حسبما قدمنا. وتعهدوا والتزامه بأن يعمل في المسلمين عامة. وفي بنى العباس خاصة، بطاعة الله، وسنة ورسوله.. هو التزم بنفس الخط الذي التزم به على (ع)، وتعهد بانتهاجه. الأمر الذي كان سببا في إبعاده عن الخلافة في الشورى، واضطلاع عثمان بها. بل كان ذلك هو السبب في إبعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلك أيضا، وما جرى بعده.

وعلى (ع) هو نفس ذلك الذي استشهد به آتفا، وبين أنه صبر على الفلتات، ولم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ.. والالتزام بخط على (ع) لن يرضى المأمون، والعباسيين، والهيئة الحاكمة، ولن يكون في مصلحتهم، حسبما المحنا إليه في فصل: جدية عرض الخلافة..

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن يبينه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، ومنطلقات سياسات خصومهم، التي عرفت جانبا منها في القسم الأول من هذا الكتاب.

ومن هنا نعرف السر في قوله (ع) .. "": وأن أتخير الكفأ جهدى وطاقتي "فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق في كل نصب وعزل - تماما كالإمام على (ع) - من مصلحة الأمة، وعلى وفق رضا الله، وتعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلك من الاعتبارات، التي لا يعترف بها الإسلام، ولا يقيم لها وزنا.

وإذا ما قرأنا قوله (ع..): "إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، وللنكاح متعرضا، وأعوذ بالله من سخطه إلخ." (٣٤٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٤)، بنو عباس (٢)، يوم عرفة (١)، بنو أمية (١)، الشهادة (١)، السب (١)

فإننا ندرك للتو أنه (ع) يريد ضرب العقيدة، التي كان قد شجعها الحكام، وروج لها علماء السوء.. من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم في منأى ومأمن من أى مؤاخذه، أو عقاب، مهما اقتترف من جرائم، وأتاه من موبقات، فهو فوق القانون، ولا يجوز لأحد الخروج، أو الاعتراض عليه، فى أى ظرف من الظروف والأحوال، حتى ولو رمى القرآن بالنبل، وقتل ابن بنت رسول الله، فضلا عما عدا ذلك من الجرائم والموبقات..

والإمام.. الذى يعرف كيف كانت سيرة المأمون، وسائر خلفاء بنى العباس، ومن لف لفهم، والتي عرفت فيما تقدم طرفا منها، والذين كانوا يتمتعون بهذه الحصانة الزائفة.. قد أراد أن يوجه ضربة قاضية لهم جميعا، حتى للمأمون. وأشياعه، وكل من كان الطواغيت والظلمة على شاكلتهم، ويبين لهم. وللملأ- أجمع: أن الحاكم حارس للنظام والقانون، ولا يمكن أن يكون فوق النظام والقانون، ولذا فلا يمكن أن يكون فى منأى عن العقاب والقصاص، لو ارتكب أى جريمة، أو اقتترف أية عزيمة.

فالمأمون، وآباؤه، وأشياعهم، كانوا يضحون بكل شئ فى سبيل أنفسهم، ومصالحهم الشخصية، ويقتربون كل عزيمة فى سبيل تدعيم حكمهم، وتقوية سلطانهم.. أما الإمام (ع) فهو مستعد لأن يقدم نفسه - إن اقتضى الأمر - للعقاب والنكال، عند صدور أية مخالفة، وحصول أى تجاوز عما يرضى الله تعالى، وعن سنة رسوله.

وبعد كل ما تقدم.. نراه يعبر عن عدم رضاه بهذا الأمر، وعدم تهالكه عليه، لعلمه بعدم تماميته له، ويقول بصريح العبارة: إنه أمر لا يتم، لأن.. " الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك. " كما أن فى هذا تنويه مهم منه (ع) بذكر الركن الثانى من أركان إمامة أئمة (٣٤٣) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (١)، القرآن الكريم (١)، الضرب (١)، القتل (١)، الجواز (١)

أهل البيت عليهم السلام، وهو أن الله تعالى اختصهم بأمر غيبية، وعلوم لدية، منعها عن سائر الناس، وهذان الكتابان: الجفر، والجامعة، هما من الكتب التى أملاها رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين (ع)، وكتبها بخط يده، وقد أظهر الأئمة عليهم السلام بعض هذه الكتب التى بخط على (ع)، وبإملاء الرسول صلى الله عليه وآله لعدة من كبار شيعتهم، واستشهدوا بها فى موارد عديدة فى الأحكام (١).

وفى الحقيقة.. إن الإمام (ع)، وإن قبل ولاية العهد مكرها من المأمون.. ولكنه يريد بكلامه هذا، واستشهاده بالجفر والجامعة أن يقول له، ولكل من كان على شاكلته بصريح العبارة.. " قد أنبأنا الله بأخباركم، وسيرى الله عملكم. ورسوله، والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون، ويجزيكم على ظلمكم وبغيكم علينا، وانتهاكم الحرامات منا، ولعبيكم بدمائنا وأعراضنا، وأموالنا. "

ثم نراه يترقى فى صراحته، حيث يقول.. " لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه " .. أى أنه لو لم يقبل بهذا الأمر لتعرض لسخط المأمون.. والكل يعلم ماذا كان يعنى سخط أولئك الحكام، الذين كانوا لا يحتاجون إلى أى مبرر لاقترافهم أى جريمة. وإقدامهم على أى عزيمة.

وأخيرا.. ورغم أن المأمون قد تقدم منه (ع) وطلب منه أن يشهد الله، والحاضرين على نفسه.. نراه يأبى أن يكون المأمون، ولا أى من الحاضرين شاهدا على نفسه، ولا جعل لهم على نفسه سيلا، لأنه (١) راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج ١ من ص ٥٩ حتى ص ٨٩ فقد أسهب القول حول هذه الكتب، واستشهادات الأئمة بها، وغير ذلك. (٣٤٤) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الشهادة (٢)، كتاب مكاتيب الرسول للأحمدى الميانجى (١)

كان يعلم بما كانت تكنه صدورهم. وتضطرم به قلوبهم عليه. بل جعل الله فقط شهيدا عليه، واستعان بالآية الكريمة، التي تقطع الطريق على كل أحد، وتكتفى بالله شهيدا، حيث قال " : وأشهدت الله على نفسي (وكفى بالله شهيدا)".

وإذا كان لا بد من كلمة:

وإذا كان لا بد في نهاية المطاف من كلمة، فإننا نقول: إن أولئك الذين عاشوا في تلك الفترة، ووقفوا على الظروف والملاسات التي اكتتفت هذا الحدث التاريخي الهام - إن هؤلاء ولا شك - كانوا أقدر منا على فهم جميع ما كان يرمى إليه الإمام (ع) من كل كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد..

وإذا كان هناك من يرى: أن بعض الفقرات تحتل غير ما قلناه..

فإننا نرى: أن كون بعض الفقرات الأخرى لا يحتمل غير ما قلناه، وأيضا بما أن ما ذكرناه هو الذي يساعد على الجواب العام. الذي توحى به النصوص التاريخية الكثيرة جدا، والتي قدمنا وسيأتي شطر منها - إن ذلك - وهو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرمى إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد.

ملاحظات هامة:

إن من الأمور الغريبة حقا أن نرى نفس الخليفة يكتب وثيقة العهد - الطويلة جدا! - بخط يده.. وأغرب منه أنه تقدم إلى الإمام (ع)، وقال له " : اكتب خطك بقبول هذا العهد. وأشهد الله والحاضرين عليك، (٣٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (١)، الطواف، الطواف، الطائف (١)

بما تعده في حق الله ورعاية المسلمين (١)."

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى المأمون، وأنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، وإن استلزم ذلك كل تلك الأمور، وإلا.. فما هو الداعي لأن يكتب له العهد بخط يده!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!! ثم ما الداعي لأن يطلب من الإمام ذلك!!

هكذا.. ولا بأس أيضا بملاحظة تعبير المأمون ب " قبول!! " ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب " خط يده!! " ثم طلب منه أن يشهد الله والحاضرين على نفسه!!

حقا.. إنها للعبقريّة السياسيّة:

وعلى كل حال.. فلا شك أن المحاورات السياسيّة تعتبر من الصناعات المستظرفة، وذلك لما تتضمنه من تعريضات، وكنيات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسيّة، التي يلتزم بها المتحاورون..

ولذا.. نلاحظ أنه (ع).. وإن كان يضمن كلامه الشكر للمأمون، بل ويكتب تحت اسمه - حسب رواية الإربلي فقط " :- بل جعلت فداك.

ولكنه يبطن كلامه، ويضمنه تعريضات عميقة، بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، وذلك يعني: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، ولا حاد عن نهجه، الذي اختطه لنفسه، بوحي من رسالة الله، وتعاليم محمد (ص)، وخطى جده على (ع).. لم يحد عنه قيد شعرة، ولا هاون فيه، ولا حاجي أحدا، حتى في هذا الموقف. (١) مآثر الإنافة ج ٢ ص ٣٣٢. (٣٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي

طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الشكر (١)، الفدية، الفداء (١)، الشهادة (١)

ولعمري.. لو كان ما كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقة العهد من شخص عادي آخر، لكان يقال عنه الشيء الكثير تعظيما وتبجيلا، حيث إنه لم يضل عن خطته التي اختطها لنفسه، ولا حاد عن نهجه قيد أنملة.. مع أن المأمون كان قد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، ولم يكن هو مستعدا، ولا متوقعا لذلك، لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلك..

وهذا ولا شك مما يزيد من عظمة الإمام، ويعلى من شأنه، ويستدعي المزيد من التعظيم والتبجيل له.

ولكن الحقيقة هي: أنه - وهو الإمام المعصوم - غنى عن كل تلكم التقييدات، وعن ذلكم التعظيم والتبجيل..

الموقف التاسع:

شروطه (ع) على المأمون لقبول ولاية العهد، وهي:

"أن لا يولى أحدا، ولا يعزل أحدا، ولا ينقض رسما، ولا يغير شيئا مما هو قائم، ويكون فى الأمر مشيرا من بعيد (١)،" فأجابه المأمون إلى ذلك كله!!!.

وفى ذلك تضييع لجملة من أهداف المأمون.. إذ أن: (١) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي ص ٢٤١، ونور الأبصار من ص ١٤٣، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٠، و ج ٢ ص ١٨٣، ومواضع أخرى، ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٣، وعلل الشرايع ج ١، ص ٢٣٨، وإعلام الورى ص ٣٢٠، والبحار ج ٤٩.

ص ٣٤ و ٣٥، وغيرها، وكشف الغمة ج ٣ ص ٦٩، وإرشاد المفيد ص ٣١٠، وأمالى الصدوق ص ٤٣، وأصول الكافي ص ٤٨٩، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٨، ٢٦٩، ومعادن الحكمة ص ١٨٠، وشرح ميمية أبى فراس ص ١٦٥. (٣٤٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الهدف (١)، الضلال (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)

السلبية تعنى الاتهام:

فإن من الطبيعى أن تثير سلبيته هذه الكثير من التساؤلات لدى الناس، وسوف تكون سببا فى وضع علامات استفهام كبيرة، حول الحكم، والحكام. وكل أعمالهم وتصرفاتهم، إذ أن السلبية إنما تعنى: أن نظام الحكم لا يصلح حتى للتعاون معه، بأى نحو من أنحاء التعاون، وإلا فلماذا يرفض - حتى ولى العهد - التعاون مع نظام هو ولى العهد فيه، ويأبى التأييد لأى من تصرفاته وأعماله؟! رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام:

ولقد قدمنا: أن من جملة أهداف المأمون هو أن يحصل من الإمام (ع) على اعتراف ضمنى بشرعية حكمه وخلافته، كما صرح هو نفسه بذلك " وليعترف بالملك، والخلافة لنا."

والإمام.. بشروطه تلك يكون قد رفض الاعتراف بشرعية النظام القائم. بأى نحو من أنحاء الاعتراف، ولم يعد قبوله بولاية العهد يمثل اعترافا بذلك، ولا يدل على أن ذلك الحكم يمثل الحكم الإسلامى الأصيل.

هذا.. وقد عضد شروطه هذه، بسلوكه السلبى مع المأمون، والهيئة الحاكمة، طيلة فترة ولاية العهد، يضاف إلى ذلك تصريحاته المتكررة، التى تحدثنا عنها فيما سبق.

النظام القائم لا يمثل وجهة نظره فى الحكم:

والأهم من كل ذلك: أن شروطه هذه كانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسؤولية عن أى تصرف يصدر من الهيئة الحاكمة. وليس (٣٤٨) صفحهمفاتيح البحث: الهدف (١)، الرفض (١)

للناس - بعد هذا - أن ينظروا إلى تصرفات وإعمال المأمون وحزبه، على أنه تحظى برضى الإمام (ع) وموافقته. ولا يمكن لها - من ثم - أن تعكس وجهة نظره (ع) فى الحكم ورأيه فى أساليبه، التى هى فى الحقيقة وجهة نظر الإسلام الصحيح فيه. الإسلام. الذى يعتبر الأئمة (ع) الممثلين الحقيقيين له، فى سائر الظروف، ومختلف المجالات..

وانطلاقا مما تقدم: نراه (ع) يرفض ما كان يعرضه عليه المأمون، من: كتابته بتولية أو عزل إلى أى إنسان.. ويرفض أيضا: أن يؤم الناس فى الصلاة مرتين.. إلى آخر ما سياتى بيانه.



وفى كل مرة كان يرفض فيها مطالب المأمون هذه نراه يحتاج عليه بشروطه تلك، فلا يجد المأمون الحيلة لما يريد، وتضيع الفرصة من يده، ولا بد من ملاحظة: أنه عندما أصر عليه المأمون بأن يؤم الناس فى الصلاة، ورأى عليه السلام: أنه لا بد له من قبول ذلك - نلاحظ -: أنه اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جده رسول الله (ص)، لا كما يخرج الآخرون..

ولم يكن المأمون يدرك مدى أهمية هذا الشرط، ولا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا، فقال له ولعله بدون اكتراث: أخرج كيف شئت.. وكانت نتيجة ذلك.. أنه (ع) قد أفهم الناس جميعا:

أن سلوكه وأسلوبه، وحتى مفاهيمه، تختلف عن كل أساليب ومفاهيم وسلوك الآخرين. وأن خطه هو خط محمد صلى الله عليه وآله، ومنهجه هو منهج على (ع)، ربيب الوحي، وغذى النبوة، وليس هو خط المأمون وسواه من الحكام، الذين اعتاد الناس عليهم، وعلى تصرفاتهم وأعمالهم.

ولم يعد يستطيع المأمون، أن يفهم الناس: أن الحاكم: من كان، ومهما كان، هذا هو سلوكه، وهذه هى تصرفاته. وأن كل شخصية: من ومهما كانت، وإن كانت قبل أن تصل إلى الحكم تتخذ العدل، (٣٤٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الصلاة (٢)

والحرية: والمساواة، وغير ذلك شعارات لها، إلا أنها عندما تصل إلى الحكم، لا يمكن إلا أن تكون قاسية ظالمة، مستأثرة بكل شئ، ومستتهرة بكل شئ، ولذا فليس من مصلحة الناس أن يتطلعوا إلى حكم أفضل مما هو قائم، حتى ولو كان ذلك هو حكم الإمام (ع) المعروف بعلمه وتقواه وفضله الخ.. فضلا عن غيره من العلويين أو من غيرهم - لم يعد يستطيع أن يقول ذلك - لأن الواقع الخارجى قد أثبت عكس ذلك تماما، إذ قد رأينا: كيف أن الإمام (ع) بشروطه تلك، وبسائر مواقفه من المأمون ونظام حكمه.. يضع على المأمون هذه الفرصة، ولم تجده محاولاته فيما بعد شيئا، بل إن كثيرا منها كان سوءا ووبالا عليه، كما سيأتى.

لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته:

ولعل من الواضح: أن شروطه تلك قد مكنته من أن يقطع الطريق على المأمون، ولا يمكنه من استغلال الظروف لتنفيذ بقية حلقات مؤامراته، إذ لم يعد بإمكانه أن يصر على الإمام أن يقوم بأعمال تنافى وتضرر بقضيته هو، وقضية العلويين، ومن ثم تؤثر على الأمة بأسرها.. وعدا عن ذلك فإن هذه الشروط، قد حفظت له (ع) حياته فى حمام سرخس، حيث كان المأمون قد حاك مؤامراته للتخلص من وزيره وولى عهده مرة واحدة، كما سيأتى بيانه.. مما يعنى أن سلبته (ع) مع النظام كانت أمرا لا بد منه، إذا أراد أن لا يعرض نفسه إلى مشاكل، وأخطار هو فى غنى عنها.. والذى أمن له هذه السلبية ليس إلا شروطه تلك، التى جعلت من لعبة ولاية العهد لعبة باهتة ممللة لا حياة فيها، ولا رجاء.. (٣٥٠) صفحهمفاتيح البحث: الغنى (١)

ولعل الأهم من كل ذلك.. أنها ضيعت على المأمون الكثير من أهدافه من البيعة، التى صرح الإمام (ع) أنه كان عارفا بها، ولم يكن له خيار فى تحملها، والصبر عليها، إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وعدا عن ذلك كله أن تعاونه مع النظام إنما يعنى أن يحاول تصحيح السلوك، وتلافى الأخطاء، التى كان يقع فيها الحكم، والهيئة الحاكمة.

وذلك معناه أن ينقلب جهاز الحكم كله ضد الإمام، ويجد المأمون - من ثم - العذر، والفرصة لتصفيته (ع) من أهون سبيل، فشروطه تلك أبعدت عنه الخطر - إلى حد ما - الذى كان يتهدده من قبل المأمون وأشياعه، وجعلته - كما قلنا - فى منأى ومأمن من كل مؤامراتهم ومخططاتهم.

الإمام.. لا ينفذ إرادات الحكم:

ولعل من الأهمية بمكان... أن نشير إلى أنه (ع) كان يريد بشروطه تلك أن يفهم المأمون: أنه ليس على استعداد لتنفيذ إرادات الحكم، والحاكم، ولا على استعداد لأن يقتنع بالتشريفات، والأمور الشكلية، فإنه.. بصفته القائد والمنفذ الحقيقى للأمة، لا يمكن أن

يرضى بديلا عن أن ينقذ الأمة، ويرتفع بها من مستواها الذي أوصلها إليه الطواغيت والظلمة، الذين جلسوا في مكان رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوصيائه عليهم السلام، وحكموا بغير ما أنزل الله.

إنه يريد أن يخدم الأمة، ويحقق لها مكاسب تضمن لها الحياة الفضلى، والعيش الكريم، ولا يريد أن يخدم نفسه، ويحقق مكاسب شخصيته على حساب الآخرين، ولذلك فهو لا يستطيع أن يقتنع بالسطحيات والشكليات التي لا تسمن، ولا تغني من جوع.. (٣٥١) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الكرم، الكرامة (١)، الصبر (١) لا زهد أكثر من هذا:

إنه مضافا إلى أن مجرد رفض الإمام كلا عرضى المأمون: الخلافة، وولاية العهد، دليل قاطع على زهده فيه. فإن هذه الشروط كان لها عظيم الفائدة، وجيل الأثر في الإظهار لكل أحد أن الإمام ليس رجل دنيا، ولا طالب جاه ومقام. وما أراد المأمون من إظهار الإمام على أنه لم يزهّد بالدنيا، وإنما الدنيا هي التي زهدت فيه.. لم يكن إلا هباء اشتدت به الريح في يوم عاصف.. ولم تفلح بعد محاولات المأمون وعمله الدائب، من أجل تشويه الإمام والنيل من كرامته.

ولقد قدمنا: أن الإمام (ع) قد واجه نفس المأمون بحقيقة نواياه، وأفهمه أن خداعه لن ينطلي عليه، ولن تخفى عليه مقاصده، ولذا فإن من الأفضل والأسلم له أن يكف عن كل مؤامراته ومخططاته.. وإلا فإنه إذا ما أراد إجبار الإمام على التعاون معه، فلسوف يجد أنه (ع) على استعداد لفضحه، وكشف حقيقته وواقعه أمام الملأ وإفهام الناس السبب الذي من أجله يجهد المأمون ليزج بالإمام (ع) في مجالات لا يرغب، بل واشترط عليه أن لا يزوج فيها - كما فعل في مناسبات عديدة - الأمر الذي لن يكون أبدا في صالح المأمون، ونظام حكمه..

ومن هنا رأيناه (ع) يجيب الريان عندما سأله عن سر قبوله بولاية العهد، وإظهاره الزهد بالدنيا - يجيبه -: بيان أنه مجبر على هذا الأمر، ويذكره بالشروط هذه، التي يعنى أنه قد دخل فيه دخول خارج منه، كما تقدم..

وهكذا.. وبعد أن كان (ع) سليبا مع النظام، وبعد رفضه لكلا عرضى المأمون، وبعد أن اشترط هذه الشروط للدخول في ولاية العهد، فليس من السهل على المأمون، ولا على أى إنسان آخر أن ينسب (٣٥٢) صفحهمفاتيح البحث: الزهد (٢)، الرفض (١) إليه (ع): أنه رجل دنيا فقط، وأنه ليس زاهدا في الدنيا، وإنما هي التي زهدت فيه.

وعلى كل حال: ورغم كل محاولات المأمون تلك.. فقد استطاع الإمام (ع)، بفضل وعيه، ويقظته، وإحكام خطته: أن يبقى القمّة الشامخة للزهد، والورع، والنزاهة، والطهر، وكل الفضائل الإنسانية، وإلى الأبد.

الموقف العاشر:

موقفه (ع) في صلاتي العيد.. ففي إحداهما:

"بعث المأمون له يسأله: أن يصلى بالناس صلاة العيد، ويخطب، لتطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضله، وتقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة، فبعث إليه الرضا صلى الله عليه وآله، وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشرط في دخولي في هذا الأمر، فاعفنى من الصلاة بالناس، فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة، والجنود، والشاكرية هذا الأمر، فتطمئن قلوبهم، ويقروا بما فضلك الله تعالى به..

ولم يزل يراده الكلام في ذلك. فلما أُلح عليه قال: يا أمير المؤمنين، إن أعفيتني من ذلك، فهو أحب إلي، وإن لم تعفنى خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وكما خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) قال المأمون: أخرج كيف شئت..

وأمر المأمون القواد، والحجاب، والناس: أن يبكروا إلى باب أبى الحسن (ع)، فقعده الناس لأبى الحسن في الطرقات، والسطوح: من الرجال، والنساء، والصبيان، وصار جميع القواد، والجنود إلى باب (ع)، فوقفوا على دوابهم حتى طلعت الشمس. (٣٥٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)،

الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الصلاة (٢)

فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل، وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفا منها على صدره، وطرفا بين كتفيه، ومس شيئا من الطيب، وتشمّر. ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت.

ثم أخذ بيده عكازة، وخرج، ونحن بين يديه، وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمرة..

فلما قام، ومشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء، وكبر أربع تكبيرات، فخيّل إلينا: أن الهواء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب، قد تزينوا، ولبسوا السلاح، وتهيأوا بأحسن هيئة..

فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة: حفاة، قد تشمرنا. وطلع الرضا وقف وقفه على الباب، وقال.. "الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا." ورفع بذلك صوته، ورفعنا أصواتنا.

فتزعزت مرو بالبكاء، فقالتها: ثلاث مرات، فلما رآه القواد والجند على تلك الصورة، وسمعوا تكبيره سقطوا كلهم من الدواب إلى الأرض، ورموا بخفافهم، وكان أحسنهم حالا من كان معه سكين قطع بها شرابه جاجيلته ونزعها، وتحفى.. وصارت مرو ضجة واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجة.

فكان أبو الحسن يمشى، ويقف في كل عشر خطوات وقفه يكبر الله أربع مرات: فيتخيّل إلينا: أن السماء، والأرض، والحيطان تجاوبه. وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السيل افتتن به الناس، وخفنا كلنا على دمائنا، فالرأى أن تسأله أن يرجع..

فبعث المأمون إلى الإمام يقول له: إنه قد كلفه شططا، وأنه مما (٣٥٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، ذو الرئاستين (١)، الفضل بن سهل (١)، البكاء (١)

كان يحب أن يتعبه، ويطلب منه: أن يصلى بالناس من كان يصلى بهم.. فدعا أبو الحسن بخفه، فلبسه، ورجع.

واختلف أمر الناس في ذلك اليوم، ولم ينتظم في صلاتهم إلخ (".. ١).

ولقد قال البحرى يصف هذه الحادثة والظاهر أنه يمين بن معاوية العائشى الشاعر على ما فى تاج العروس:

ذكروا بطلعتك النبى، فهللوا \* لما طلعت من الصفوف وكبروا حتى انتهت إلى المصلى لابساً \* نور الهدى يبدو عليك فيظهر  
ومشيت مشية خاشع متواضع \* لله، ولا يزهى، ولا يتكبر ولوان مشتاقا تكلف غير ما \* فى وسعه لمشى إليك المنبر (٢) ومما يلاحظ  
هنا: أنه فى هذه المرة أرسل إليه من يطلب منه أن يرجع. ولكننا فى مرة أخرى نراه يسارع بنفسه، ويصلى بالناس، رغم تظاهرة  
بالمريض..

وعلى كل حال. فإننا وإن كنا قد تحدثنا فى هذا الفصل، وفى فصل: ظروف البيعة وستحدث فيما يأتى عن بعض ما يتعلق بهذه  
الرواية، إلا أننا سوف نشير هنا إلى نقطتين فقط.. وهما: (١) قد ذكرنا بعض مصادر هذه الرواية فى فصل: ظروف البيعة.. فراجع..

(٢) مناقب آل أبى طالب. لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٧٢، ولكن هذا الشعر ينسب أيضا للبحرى فى المتوكل عندما خرج لصلاة  
العيد.. وانتحال الشعر، وكذلك الاستشهاد بشعر الآخرين، فى المواضع المناسبة ظاهرة شائعة فى تلك الفترة ومن يدرى فعل الشعر  
للبحرى ونسب للبحرى أو لعله للبحرى وانتحله أو نسب للبحرى، ولعل للبحرى قد صحف وصار: البحرى.. (٣٥٥) صفحهمفاتيح  
البحث: الصلاة (١)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (١)، ابن شهر آشوب (١)

١ - الأثر العاطفى، والقاعدة الشعبية:

فلاحظ: أننا حتى بعد مرور اثنى عشر قرنا على هذه الواقعة، لا نملك أنفسنا ونحن نقرأ وقائعها، من الانفعال والتأثر بها، فكيف إذن  
كانت حال أولئك الذين قدر لهم أن يشهدوا ذلك الموقف العظيم!؟

وغنى عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة وتقدير في نفوس الناس وقلوبهم، وعلى مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع)..

٢ - لماذا يجازف المأمون بإرجاعه (ع):

وإذا كان هدف المأمون من الاصرار على الإمام بأن يصلى بالناس هو أن يخدع الخراسانيين والجند والشاكرية، ويجعلهم يطمنون على دولته المباركة فإنه من الواضح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) فى مثل تلك الحالة، وذلك التجمع الهائل، وتلك الثورة العاطفية فى النفوس، كان ينطوى على مجازفة ومخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، وأشياعه، حيث لا بد وأن يثير تصرفه هذا حق تلك الجماهير التى كانت فى قمة الهيجان العاطفى، ويؤكد كراهيتها له.. وعلى الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال. وبعد هذا.. فإنه إذا كان المأمون يخشى من مجرد إقامة الإمام للصلاة.. فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها.. وكذلك لا معنى لأن يخشى ذلك الهيجان العاطفى، وتلك الحالة الروحية، التى أثارها فعل الإمام (ع) وتصرفه فى هذا الموقف.. فذلك إذن ما لم يكن يخافه ويخشاه..

فمن أى شىء خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم (٣٥٦) صفحهمفاتيح البحث: الخوف (١)

وأبعد أثرا، وأشد خطرا.. إنه خشى من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، وخطب الناس، بعد أن هياهم نفسيا، وأثارهم عاطفيا إلى هذا الحد - خشى - أن يأتى بمتهم لكلامه الذى أورده فى نيشابور: "وأنا من شروطها" .. وأنه ظهر إليهم على الهيئة التى كان يخرج عليها النبى محمد صلى الله عليه وآله، ووصيه على (ع).. ما من شأنه أن يجعل المأمون وأشياعه لا يأمنون بعد على أنفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل.. ولسوف يحول الإمام مروا من معقل للعباسيين والمأمون، وعاصمة، وحصن قوى لهم ضد أعدائهم - من العرب وغيرهم - سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين والمأمون، حصن لأئمة أهل البيت. ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرين، وأقل الضررين..

ولقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، وأصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة فى أى موقف تواتيه فيه الفرصة، ويقتضى الأمر فيه ذلك. ولم ينس بعد موقفه فى نيشابور، ولا ما كتبه فى وثيقة العهد، ولا غير ذلك من مواقفه (ع) وتصريحاته فى مختلف الأحوال والظروف..

الموقف الحادى عشر:

وأخيرا. فقد كان سلوك الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها. يمثل ضربة لكل خطط المأمون ومؤامراته، ذلك السلوك المثالى، الذى لم يتأثر بزجاج الحكم وبهارجته..

ويكفى أن نذكر هنا ما وضعه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم وعاملهم، حيث قال:

"ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، وما رأيت قط على (٣٥٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب

عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الفضل بن سهل (١)، النسيان (١)، الصلاة (١)

أحد كلامه حتى يفرغ منه. وما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، ولا مد رجله بين يدي جليس له قط. ولا اتكأ بن يدي جليس له قط، ولا شتم أحدا من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يقهقه فى ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم. وكان إذا خلا، ونصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب والسائس.

وكان قليل النوم بالليل، يحيى أكثر لياليه من أولها إلى الصبح. وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر. وكان كثير المعروف والصدقة فى السر، وأكثر ذلك يكون منه فى الليالى المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله فى فضله، فلا تصدقوه (".. ١).

وهذه الصفات بلا شك قد أسهمت إسهاما كبيرا فى أن يكون الإمام (ع) هو الأرضى فى الخاصة والعامه، وأن تنفذ كتبه فى المشرق

والمغرب، إلى غير ذلك مما تقدم..

الحكم ليس امتيازاً وإنما هو مسؤولية:

وقد اعترض عليه بعض أصحابه، عندما رآه يأكل مع خدمه وغلماينه، حتى البواب والسائس، فأجابه (ع "): مه، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال (".. ٢).

وقال له أحدهم: أنت والله خير الناس، فقال له الإمام "): لا تحلف يا هذا، خير منى من كان أتقى لله تعالى. وأطوع له، والله ما (١) كلام إبراهيم بن العباس هذا معروف ومشهور، تجده في كثير من كتب التاريخ والرواية، ولذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٠١، والكافي الكليني، ومسنند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦. (٣٥٨) صفحهمفاتيح البحث: الصيام، الصوم (١)، الأكل (١)، النوم (١)

نسخت هذه الآية "): وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم (".. ١).

وقال لإبراهيم العباسي: إنه لا يرى أن قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله تجعله خيراً من عبد أسود، إلا أن يكون له عمل صالح فيفضله به (٢).

وقال رجل له: ما على وجه الأرض أشرف منك آباء. فقال:

التقوى شرفهم، وطاعة الله أحظتهم (٣).

وما نريد أن نشير إليه ونؤكد عليه هنا، هو أنه (ع) يريد بذلك أن يفهم الملائكة أن الحكم لا يعطى للشخص - من كان، ومهما كان - امتيازاً، ولا يجعل له من الحقوق ما ليس لغيره، وإنما الامتياز - فقط - بالتقوى والفضائل الأخلاقية.. وكل شخص حتى الحاكم سوف يلقى جزاء أعماله: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وعليه فما يراه الناس من سلوك الحكام، ليس هو السلوك الذى يريده الله، وتحكم به النواميس الأخلاقية، والإنسانية. والامتيازات التى يجعلونها لأنفسهم، ويستبيحون بها ما ليس من حقهم لا يقرها شرع، ولا يحكم بها قانون..

وبكلمة مختصرة: إن الإمام (ع) يرى: أن الحكم ليس امتيازاً، وإنما هو مسؤولية.

وعلى كل حال.. فإن سلوك الإمام (ع)، لخير دليل على ما كان يتمتع به من المزايا الأخلاقية، والفضائل النفسية.. ويكفى أنه لم يظهر منه (ع) طيلة الفترة التى عاشها فى الحكم إلا ما ازداد به فضلاً بينهم، ومحلاً فى نفوسهم، على حد تعبير أبى الصلت. وعلى حد تعبير شخص (١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٦، ومسنند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٧.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٦. ومسنند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦. (٣٥٩) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣)

آخر: أقام بينهم لا يشركهم فى مآثم من مآثم الحكم.. بل لقد كان لوجوده أثر كبير فى تصحيح جملة من الأخطاء والانحرافات التى اعتادها الحكام آنئذ.. حتى لقد استطاع أن يؤثر على نفس المأمون، ويمنعه من الشراب والغناء، طيلة الفترة التى عاشها معه، إلى آخر ما هنالك، مما لسننا هنا فى صدد تتبعه واستقصائه.

وفى نهاية المطاف نقول:

وحسبنا هنا ما ذكرنا من الأمثلة، التى نحسب أنها تكفى لأن تلقى ضوءاً كاشفاً على الخطئة التى اتبعها الإمام (ع) فى مواجهة خطط المأمون ومؤامراته.. تلك الخطئة التى كانت تكفى لأن لا تبقى الصورة التى أرادها المأمون فى أذهان الناس، ولا مبرر للشكوك لأن تبقى تراود نفوسهم.

ولقد نجحت تلك الخطئة نجاحاً أذهل المأمون، وأعوانه، وجعلهم يتصرفون بلا روية، ويقعون بالمتناقضات... حتى لقد أشرف

- المأمون منه على الهلاك. حسبما صرح به المأمون نفسه. وكانت النتيجة أن دبر فيه المأمون بما يحسم عنه مواد بلائه، كما وعد حميد بن مهران، وجماعة من العباسيين. (٣٦٠) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)، الغناء (١)
- القسم الرابع من خلال الأحداث ١ - مع بعض خطط المأمون..
- ٢ - كاد المريب أن يقول خذوني ٣ - ما يقال حول وفاة الإمام..
- ٤ - دعبل والمأمون.
- ٥ - كلمة ختامية. (٣٦١) صفحهمفاتيح البحث: الوفاة (١)

### مع بعض خطط المأمون

مع بعض خطط المأمون التوجيهات الراضية غير مقبولة:

كل ما تقدم يلقي لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون مع الإمام (ع)، وعلى كثير من الأحداث التي اكتتفت ذلك الحدث التاريخي الهام.

وإننا حتى لو سلمنا جدلا، وغضضنا النظر عن كل تلك الأسئلة، وعلامات الاستفهام التي يمكن استخلاصها مما تقدم.. فإننا لا نستطيع - مع ذلك - أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، وسلامة طوية.

ولا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، وبعدها تجاه الإمام، الذي كان يكبر المأمون ب " ٢٢ " سنة، والذي كان مجبرا على قبول هذا الأمر، ومهددا بالقتل إن لم يقبل. ولم يتركه وشأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذي تتهاقت النفوس عليه، وتزهق الأرواح من أجله.

نعم.. إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك، ونحن نرى منه تلك التصرفات والمواقف المشبوهة، بل والمفضوحة تجاه الإمام (ع)، والتي لا تبقى مجالاً للشك في حقيقة نواياه وأهدافه من كل ما أقدم وما كان عاقدا العزم عليه.. (٣٦٣) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)

وهذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلك التصرفات، ومن أجل بيان تلك الخطط.

المأمون يفضح نفسه:

وقد تعجب إذا قلنا لك: إن المأمون نفسه يصرح ببعض خططه، التي كانت تصرفاته تدور في فلكها، ويعلن بعض الدوافع، ويبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، وبالنسبة لقضية ولاية العهد فإليك ما أجاب به حميد بن مهران، وجمعا من العباسيين، عندما عاتبوه ولاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع) يقول المأمون:

.. "قد كان هذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير، وأن هذا الأمر لنا دونه.

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن يفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتى علينا ما لا نطقه..

والآن.. فإذا قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا.

وأشرفنا من الهلاك بالتبويه باسمه على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره. ولكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه.."

ثم طلب منه حميد بن مهران: أن يسمح له بمجادلة الإمام (ع)، ليفحمه، وينزله منزلته، ويبين للناس قصوره، وعجزه، فقال المأمون: " لا شئ أحب إلى من هذا. " (٣٦٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الهلاك (١)، الجواز (١)

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون والعباسيون، وأشياعهم وباءوا كلهم بالفشل الذريع، والخيبة القاتلة (١).

والذي يعيننا الحديث عنه هنا:

هو قوله: وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال.. إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا، فإنها أوضحت أن المأمون الذي كان يخشى الإمام خشية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، وتحاشى الاصطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلك إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم..

ولا يرد: أن كلام المأمون مع حميد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد في بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السلام، وإنما بدا له ذلك حين قوى مركز الإمام عليه السلام، واستحكم أمره.. لا يرد ذلك..

لأن كلامه هذا لا ينفي أنه كان يريد من أول الأمر ذلك. بل هو يؤكد ذلك. لأنه يصرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عندما رأى افتتاح الناس به عليه السلام، فأراد أن يعمل عملا يفقد الإمام عليه السلام مركزه، ويقضى على كل نشاطاته، ويذهب بماله من القدرة والنفوذ نهائيا، وإلى الأبد.

ولقد تحدثنا فيما سبق عن بعض تصرفاته التي تدور في فلك خطط تلك مثل: فرضه للرقابة على الإمام (ع)، والتضييق عليه، فلا يصل إليه إلا من أحب، وعزله عن شيعته ومواليه، وأيضا تفريقه الناس عنه، عندما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، وكذلك قضية صلاة العيد، وغير ذلك ما تقدم. (١) راجع: شرح ميمية أبي فراس ص ١٩٦، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٧٠.

والبهار ج ٤٩ ص ١٨٣، ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٩٦.. (٣٦٥) صفحهمفاتيح البحث: الصلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

تزيد هنا بعض الأمور الأخرى، التي وإن كان قد سبق الحديث عن بعضها، ولكنه كان حديثا من زاوية أخرى، ومن أجل استفادة أمور غير الأمور التي نحاول استفادتها منها هنا. وذلك أمر طبيعي، ولا يكون تكرارا ما دام أن الواقعة الواحدة قد يكون لها دلالات متعددة، وإفادات مختلفة.. ولذا فإننا نقول:

لماذا على البصرة فالأهواز:

إن من جملة الأمور التي كانت من جملة خطط المأمون للتأثير على مكانة الإمام (ع) وحتى على معنوياته النفسية.. الطريق الذي أمر رجاء ابن أبي الضحاك (١) قرابة الفضل بن سهل، والذي كان من قواد المأمون، وولاته - أمره - بسلكه، عندما أرسله ليأتي بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو مهما كلفه الأمر..

فقد أمره: أن يجعل طريقه بالإمام " على البصرة، والأهواز، ففارس. وحذره كثيرا من المرور على طريق الكوفة، والجبل، وقم (" ٢). (١) وذكر أبو الفرج، والمفيد: أن المرسل هو الجلودي، ولكن الصحيح هو الذي ذكرناه..

إذ من الخطأ أن يرسله المأمون لإحضار الرضا عليه السلام، لأن ذلك يضر بقضيته، ويفسد عليه ما كان دبره، لأنه موجب لسوء ظن الرضا عليه السلام، والعلويين، وسائر الناس، وتنبههم مبكرا لحقيقة الأمر، وواقع القضية.

وذلك لأن الجلودي هو الذي أمره الرشيد: أن يغير على دور آل أبي طالب، ويسلب نساءهم إلخ ما تقدم.. كما أنه كان عدوا متجاهرا للأمم، وقد سجنه المأمون بسبب معارضته للبيعة للرضا عليه السلام بولاية العهد! ولعل سر خطأهم هو أن الجلودي كان واليا على المدينة من قبل المأمون، حين استقدام المأمون للإمام إلى مرو، حسبما جاء في كتاب:

الإمام الرضا ولي عهد المأمون ص ٣٥.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧، وتاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٧٦، وينايع المودة ص ٣٨٤، والخرائج والجرائح طبعة حجرية ص ٢٣٦. وإثبات الوصية ص ٢٠٥.

وإعلام الوري ص ٣٢٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، ١٨٠، والكافي ج ١ ص ٤٨٦، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٤٠ والبحار ج ٤٩ ص ٩١، ٩٢، ١١٨ و ١٣٤، وكشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، وغير ذلك كثير. (٣٦٦) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١)، مدينة

البصرة (٢)، الفضل بن سهل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، كتاب

الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، الفرج (١)، الظن (١) بل لقد ورد: أن المأمون قد كتب إلى الرضا نفسه، يقول له:

"لا تأخذ على طريق الجبل وقم. وخذ على طريق البصرة، فالأهواز، ففارس (".. ١).

وسر ذلك واضح، فإن أهل الكوفة، وقم، كانوا معروفين بالتشيع للعلويين (٢) وأهل البيت، ومرور الإمام (ع) من هذين البلدين، وخصوصا الكوفة، التي كانت تعتبر من المراكز الحساسة جدا في الدولة.. سوف (١) أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩ و ١٨٠، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٦٥، ومعادن الحكمة ص ١٨٠، وإثبات الوصية للمسعودى ص ٢٠٤، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٧٣، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٤.

(٢) تشيع أهل الكوفة وقم أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة برهان... لكننا نورد - مع ذلك - بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول:

أما الكوفة: فقد تقدم قول محمد بن على العباسى أنها وسوادها شيعة على وولده.. وفى الطبرى، وابن الأثير، وغيرهما تجد قول عبد الله بن على للمنصور، عندما استشاره فى أمر محمد بن عبد الله بن الحسن.. "ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة، فاجثم على أكتافهم، فإنهم شيعة أهل هذا البيت، وأنصاره الخ،". وفى قضية وفاة السيد الحميرى، التي ذكرها المرزبانى فى كتابه أخبار السيد الحميرى دلالة واضحة على تشيع الكوفيين، وانحراف البصريين..

ولأجل ذلك نرى المأمون يستقبل وفدا من أهل الكوفة فى منتهى الغلظة والجفاء، فراجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤٢١. وفى البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن فى الكوفة مئة ألف سيف مغمدة، وأعرب عن مخاوفه من تشيع أهل الكوفة للعلويين، وولائهم لهم.. بل إننا لا نستبعد أن يكون بناء المنصور لبغداد هو من أجل أن يتعد عن الكوفة، وأهلها، ويأمن على نفسه، قال البلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٠٥: "أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها. وألزم كل امرئ للنفقة عليه أربعين درهما. وكان ذاما لهم. لميلهم إلى الطالبيين، وإرجافهم بالسلطان..". وقد تقدم أنه عندما ذهب إليهم العباس بن موسى، أخو الإمام الرضا عليه السلام يدعوهم للبيعة، لم يجبه إلا البعض منهم، وقال له آخرون: "إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيكم، فلا حاجة لنا فى دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيكم، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك أجنبناك..".

وعلى كل حال.. فقد كانت الكوفة مصدرا لثورات كثيرة على الأمويين والعباسيين على حد سواء، تلك الثورات التي كانت كلها تقريبا بقيادة علوى، أو داعية إلى علوى..

ولم ينس المأمون بعد ثورة أبى السرايا التي كادت تغير الموازين، وتقلب مجريات الأحداث.. إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.

وأما تشيع القميين، فذلك أعرف وأشهر. وقضيتهم مع جبة دعبل التي أهدها إياه الإمام لا يكاد يجهلها أحد. وعندما طلب المأمون من الريان أن يحدث بفضائل على عليه السلام، وأجاب بأنه لا يحسن شيئا، قال المأمون: "سبحان الله! ما أجد أحدا يعيننى على هذا الأمر لقد هممت أن أجعل أهل قم شعارى وديارى..".

ولعل تشيع أهل قم هذا هو الذى دفع بالمأمون لأن يوجه إليهم عامله على بن هشام، لينكل بهم، ويحاربهم حتى يهزمهم، ويدخل البلد، ويهدم سورها، ويجعل على أهلها مبلغ سبعة ملايين درهم، بدلا من مليونين، وهو ما لم يكن يدفعه أى بلد آخر يضاهاى بلدهم فى عدد السكان وغير ذلك من المميزات، فكيف بالسبعة.. ومع أنه كان قد خفض الخراج عن السواد، وبعد البلدان الأخرى، فلما سمعوا بذلك طالبوا بتخفيض الخراج عنهم أيضا، ففعل ذلك.. وكان تخفيضه عنهم بزيادة المليونين إلى سبعة، كما قلنا.. راجع فى تفصيل ذلك: الطبرى ج ١١ ص ١٠٩٣، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٥، والنجوم الزاهرة ج ٢



ص، ١٩٠ وتاريخ التمدن الإسلامي مجلد ١ جزء ٢ ص ٣٣٧، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٠، وتجارب الأمم ج ٦ ص ٤٦٠. (٣٦٧) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (١١)، مدينة البصرة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، الدولة الأموية (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودي (١)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)، كتاب أخبار السيد الحميري للمرزباني الخراساني (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن الأثير (١)، عبد الله بن علي (١)، العباس بن موسى (١)، محمد بن علي (١)، النسيان (١)، الوفاة (١)

يكون من نتيجته: أن يستقبله أهلها بما يليق بشأنه: من الإجلال، والإعزاز والتكريم.

ولا شك أن الإمام (ع) سوف يستطيع أن يستقطب المزيد من الناس،

صفحة (٣٦٨)

ويؤثر عليهم بما حباه الله من الفضائل والكمالات الأخلاقية، وبما آتاه الله من العلم والحكمة، والورع والتقوى، الذي سار ذكره في الآفاق، حتى لا يكاد يجهره أحد.. وإذا كان أهل نيشابور، بل وحتى أهل مرو، معقل العباسيين والمأمون، قد كان منهم تجاه الإمام ما لا يجهره أحد.

حتى إنهم كانوا بين صارخ، وباك و متمرغ في التراب إلخ.. وحتى لقد خاف المأمون وأشياعه على دمائهم - إذا كان هؤلاء هكذا - فكيف ترى سوف تكون حالة أهل الكوفة وقم، معقل العلويين، والمحيين لأهل البيت، والمتفانين فيهم، لو أنهم رأوا الإمام (ع) بينهم، وبالقرب منهم.. يقول الراوندي في ذلك: "إن المأمون أمر رجاء بن أبي الضحاك: أن لا يمر بالإمام عن طريق الكوفة، لئلا يفتتن به أهلها (١)!"

والمأمون لا يريد أن يفتتن الناس بالإمام، وإنما الذي يريده هو عكس ذلك تماما.. إنه يريد أن يضع من الإمام لا أن يرفع.

أما أهل البصرة: بعثمانية، يدينون بالكف، ويقولون: كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل.. بل لقد كانت البصرة معقلا مهما للعباسيين، الذين حرق دورهم زيد النار، ابن الإمام الكاظم، كما قدمنا، ولهذا نلاحظ: أن دور البصريين في التشيع لم يكن يضارع دور غيرهم، لا روائيا، ولا كلاميا..

وأما ما ربما يحتمله البعض: من أن المأمون كان يأمل أن يخرج من البصرة، أو غيرها من يخلصه من الإمام (ع) نهائيا.. فلا أرى أنه يتفق مع أهداف وأغراض المأمون، التي كان يرمى إليها من وراء لعبته تلك.. (١) الخرائج والجرائح، طبعه حجريه ص ٢٣٦. (٣٦٩) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (٣)، القتل (١)، الهدف (١)، الخوف (١)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندي (١)

الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه:

إنه برغم شروط الإمام على المأمون، والتي أشرنا إليها فيما سبق، فإننا نرى المأمون كل مدة يحاول أن يجري اختبارا للإمام، ليعرف حقيقة نواياه، وأنه هل أصبح له طمع بالخلافة، وطموح لها (١)، ليعجل عليه بما يحسم عنه مواد بلائه.. أم لا.

فكان يأتي كل مدة إليه، يطلب منه أن يولي فلانا، أو أن يعزل فلانا، أو أن يصلى بالناس.. بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده في إدارة شؤون الخلافة (٢) بحجة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم. ويدير دفة السلطان!

هذا. إن لم نقل: أنه كان يريد من وراء ذلك: أن يجعل ذلك ذريعة للقضاء على الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، وليكون بذلك قد قضى على العلويين جميعا، وإلى الأبد.

أو على الأقل كان يريد بذلك: أن يوجد للإمام أعداء في الأوساط ذات القوة والنفوذ..

وأيا ما كانت نوايا المأمون وأهدافه، فإن الإمام (ع) كان يرفض ذلك كله بكل عزم وإصرار، ويذكره بالشروط تلك، ويقول له:

"إن وفيت لى وفيت لك". وهذا تهديد صريح له من الإمام (ع). ولا نعجب كثيرا - بعد أن اتضحت لنا نوايا المأمون وأهدافه - إذا رأينا المأمون يتحمل هذا التهديد، بل ويخضع له، ويقول: "بل أفى لك!". (١) وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن على عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، ويأمل فيها.. أم لا!.

(٢) الكافى ج ٨ ص ١٥١، وكشف الغممة ج ٣ ص ٦٨ و ٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٧ والبحار ج ٤٩ ص ١٤٤ و ١٥٥ و ١٧١، وغير ذلك. (٣٧٠) صفحهمفاتيح البحث: الحج (٢)، القتل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب كشف الغممة للإربلى (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١) وهكذا.. فقد كان الإمام (ع) يضيع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، ولا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، ولا من تنفيذ ما يريد تنفيذه.

الاختبار لشعبية الإمام (ع):

كما أنه كان كل مدة يقوم بعملية اختبار لشعبية الإمام (ع)، ولمدى ما يتمتع به من تأييد فى الأوساط الشعبية، ليعرف إن كان أصبح (ع) يشكل خطرا حقيقيا، ليعجل بالقضاء عليه أم لا.. فكان كل مدة يكلفه بأن يؤم الناس بالصلاة للعيد. أو ما شاكل.. وهذا إن دل على شىء، فإنما يدل على مدى ما يعتمر قلب المأمون من الخوف والخشية منه (ع). (راجع: السبب الثالث من فصل البيعة، والموقف العاشر فى فصل: خطة الإمام "ع").

سؤال.. وجوابه:

ولعلك تقول: إذا كان المأمون يخشى الإمام (ع) إلى هذا الحد، لما يعلمه من نفوذه ومكانته، فلماذا لا يتخلص منه بذلك الأسلوب التقليدى الذى انتهجه أسلافه من الأمويين، والعباسيين، وتبعهم عليه هو فيما بعد، وكذلك من أتى بعده.. وذلك بأن يدس إليه شربة من السم، وهو فى المدينة، من دون أن يحتاج إلى إشخاصه إلى مرو، والبيعة له بولاية العهد، وتزويجه ابنته، إلى غير ذلك من الأمور التى من شأنها أن تعزز من مركز الإمام، وترفع من شأنه، وتوجه إليه الأنظار والقلوب، حتى يضطر فى نهاية الأمر لأن يعود إلى ما جرت عليه عادة أسلافه، وأتباعه.. (٣٧١) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، الخوف (١)، السب (١)

ولكن الجواب على هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم يكن يريد فى بادئ الأمر موت الإمام، ولا كان يستطيع أن يفعل ذلك. ولو أن ذلك كان قد حدث لوقع المأمون فى ورطة، لها أول وليس لها آخر، حيث إنه كان بأمس الحاجة إلى حياة الإمام (ع)، وذلك لما قدمناه من الأسباب والظروف التى كانت تحتم على المأمون أن يلعب لعبته تلك، التى وإن كانت تنطوى على مخاطرة جريئة، إلا أنه كان - كما قدمنا - قد رسم الخطة، وأحكم التدبير للتخلص من الإمام (ع) بمجرد أن يحقق مآربه، وأهدافه، بالطريقة التى لا تثير شك أحد، ولا توجب تهمة أحد، وقد حدث ذلك بالفعل، كما سيمر علينا..

وأما كتبه لفضائل الإمام (ع):

ومن جملة الأمور التى كانت تدور فى فلك خطة المأمون، التى لخصها بأنه يريد الوضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر - محاولاته كتم فضائل الإمام (ع) ومزاياه عن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا.. وقد تقدم: أنه عندما سأل رجاء بن أبى الضحاك، الذى تولى إشخاص الرضا (ع) من المدينة إلى مرو، عن حال الرضا (ع) فى الطريق، فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، وزهده وتقواه، وما ظهر له من الدلائل والبراهين، قال له المأمون.. "بلى يا ابن أبى الضحاك، هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم، وأعبدهم، فلا تخبر أحدا بما شهدت منه، لئلا يظهر فضله إلا على لسانى!.."

وهكذا: فإن المأمون وإن استطاع أن يمرر الكثير، إلا أنه لم يكن يجد بدا فى كثير من الأحيان من أن يظهر على حقيقته وواقعه. وهذا هو أحد تلك المواقف التى مرت وسيمر معنا بعضها، والتى اضطر فيها (٣٧٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا

عليهما السلام (٢)، الحاجة، الإحتياج (١)

المأمون لأن يكشف عن وجهه الحقيقي،.. وإن كان قد حاول - مع ذلك - أن يتستر بما لا يضمن ولا يغني عن جوع. ولا- أعتقد أن المأمون كان يجهل: أن ما يأتي به لم يكن لينطلي كله على أعين الناس، بل كان يعلم ذلك حق العلم، ولكن كما يقولون:

"الغريق يتشبث بالطحلب."

- ولكن.. بالرغم من محاولات المأمون تلك.. فإننا نرى أن فضائل الإمام ومزاياه كانت كالعرف الطيب، لم تزل تظهر، وتنتشر وتذاع.. بل ولعل محاولات المأمون تلك التي كانت ترمى للحط من الإمام وإسقاطه، قد أسهمت كثيرا وساعدت على إظهار فضائله، وشيوعها، كما سيتضح.

الشائعات الكاذبة!

وكان بالإضافة إلى ما تقدم يحاول ترويح شائعات كاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلويين عامة، ومن الإمام (ع)، وسائر الأئمة عليهم السلام خاصة.

فهذا أبو الصلت يسأل الإمام (ع) فيقول: "يا ابن رسول الله، ما شيء يحكيه الناس عنكم؟! قال (ع): ما هو؟! قال: يقولون: إنكم تدعون: أن الناس لكم عبيد!.

قال (ع): يا عبد السلام، إذا كان الناس كلهم عبيدنا - على ما حكوه - فممن نبيعهم؟! الخ (١). (١) مسند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٥، والبحار ج ٤٩ ص ١٧٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٤. (٣٧٣) صفحهمفاتيح البحث: الجهل (١) ونرى أنه (ع) يقول - وعنده جماعة من بني هاشم، فيهم إسحاق ابن عيسى العباسي - "يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا.. وقرابتي من رسول الله ما قلته قط، ولا سمعته من آبائي قاله، ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله الخ..". وقد تقدمت هذه الرواية في فصل: خطه الإمام.

كما أن هشام بن إبراهيم العباسي، الذي وضعه الفضل بن سهل ليراقب الرضا (ع)، ويضيق عليه، كان يشيع عن الرضا (ع): أنه أحل له الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلك قال: "كذب الزنديق الخ (١)".

بهذه الشائعات الكاذبة، وأمثالها أراد المأمون الحط من كرامة الإمام وتضعيف مركزه، وزعزعته ثقة الناس به، وبالعلويين بصورة عامة. ولكن كما يقولون: جبل الكذب قصير، إذ أن أقوال الإمام (ع) وأفعاله وجميع جهات سلوكه، سواء قبل توليته للعهد أو بعدها.. كانت تناقض هذه الشائعات، وتدحضها (٢). الأمر الذي كان من شأنه (١) رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩١، وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٠٩، ووسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٢٧، ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٤٥٢، عن رجال الكشي ص ٤٢٢. والبحار ج ٤٩ ص ٢٦٣، عن قرب الإسناد ص ١٩٨.

وكان هشام بن إبراهيم هذا جريئا على المأمون، لأنه هو الذي ربا، وشخص إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي، راجع الأغاني ط ساسي ج ٩ ص ٣١. ويسمى: العباسي مع أنه لم يكن عباسيا: إما لأن المأمون ولاءه تربية ولده العباس، أو لأنه ألف كتابا في إمامة العباس نص على ذلك الكشي ط النجف ص ٢٢٣ وغيره.

(٢) وكيف يمكن أن نصدق مثل هذا الذي لا يقره العقل، ولا يقبل به القرآن، على الإمام الذي كان يتخذ لنفسه أسلم، وأروع منهج، ألا وهو منهج القرآن، حتى إنه عندما أنكر رؤية النبي لله تعالى، واستدل على ذلك بالآيات، وقال له أبو قره: فتكذب بالروايات؟! قال الإمام عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثلته شيء. راجع: تفسير البرهان طبعة حجرية ص ١٠٥٧، ١٠٥٨. نقلا- عن الكافي.. ومثل ذلك كثير لا مجال لاستقصائه.. (٣٧٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، هشام بن إبراهيم العباسي (١)، بنو هاشم (١)، الفضل بن

سهل (١)، الكذب، التكذيب (٢)، كتاب رجال الكشي (١)، كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، هشام بن إبراهيم (١)، القرآن الكريم (٢)، خراسان (١)  
 أن يثير شكوك الناس، وظنونهم في المأمون نفسه، فلم ير بدا من أن يضرب عن هذا الأسلوب صفحا. ويتجه إلى غيره بتخيل أنه أجدى وأكثر نفعا وأقل ضررا!!  
 وبقي في كنانته سهم أخير، كان يحسب أنه سوف يصيب الهدف، ويحقق الغاية: التي هي تشويه سمعة الإمام (ع)، والحط من كرامته. ألا وهو:

التركيز على إفحام الإمام (ع):

فبدأ يجمع العلماء. وأهل الكلام من المعتزلة، وهم أصحاب جدل، وكلام، واستدلال، وتنبه للدقائق من الأمور، ليحذق هؤلاء بالرضا (ع) وتجرى فيما بينهم وبينه محاورات، ومجادلات، من أجل أن ينقصوا منه مجلسا بعد مجلس، وأن يكسروه في أعظم ما يدعيه هو وآباؤه (ع):

من العلم والمعرفة بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلومه.. والذي هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، على ما يدعيه الشيعة المفتونون بالرضا (ع)، وبسائر آباءه وأبنائه الأئمة الطاهرين..

ولا يبقى من ثم مجال لأبي نؤاس لأن يقول فيه عندما رآه خارجا من عند المأمون:

مطهرون نقيات ثيابهم \* تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا من لم يكن علويا حين تنسبه \* فما له في قديم الدهر مفتخر (٣٧٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدرسة المعتزلة (١)، الضرب (١)، الطهارة (١)، الهدف (١)، الصلاة (١)

الله لما برى خلقا فأتقنه \* صفاكم واصطفاكم أيها البشر فأنتم الملاء الأعلى وعندكم \* علم الكتاب وما جاءت به السور (١) هذه الآيات التي سارت بها الركبان والتي هي تعبير صادق عن هذه الحقيقة التي أشرنا إليها، والتي كانت تقض على المأمون وكل أسلافه وأتباعه مضاجعهم، وتنغص عليهم حياتهم.. وعليه:

وإذا استطاع المأمون أن يظهر للملاء أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، ويدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر والأساس لكل المشاكل، والأخطار، وينهار المذهب الشيعي حينئذ بانهار فكرة الإمامة فيه، التي هي المحور، والأساس له، ويتحقق من ثم - حلمه الكبير، الذي طالما جهد وشقى من أجل تحقيقه.

وأعتقد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا- يتعرض بعد هذا للإمام (ع) بسوء، وأنه كان سوف يبقى على حياته (ع) إبقاء لحجته، وأنه خال من شرائط الإمامة، وليأفل من ثم.. نجمه، ونجم العلويين من بعده.. وإلى الأبد. (١) شهرة هذه الآيات تغنينا عن ذكر مصادرها، وقد أعطاه عليه السلام ما كان معه، وهو مئة دينار، والبلغلة التي كان يركبها.. لكن بعض الباحثين يرى أن أبا نؤاس لم يعش إلى زمان تولى الرضا العهد، بل مات قبل ذلك بثلاث سنوات أي في سنة ١٩٨ هـ. ومن ثم هو ينكر الحادثة الأخرى، التي تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لم يمدح الإمام عليه السلام، فقال أبياته المشهورة: " قيل لى أنت أشعر الناس طرا فى فنون إلخ.. "

ولكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان فى وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٤٥٧، فإنه قال: " وفيه (أى فى الرضا عليه السلام) يقول أيضا - وله ذكر فى شذور العقود سنة إحدى أو اثنتين ومائتين -: مطهرون نقيات إلخ.. "

بل يكفى دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الآيات، وتلك له والنص على أنه قد قالها فيه عليه السلام. (٣٧٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الموت (١)

ومن أجل ذلك - بكل تأكيد - أخذ يجمع العلماء (١) ويجلبهم من أقاصى البلدان، ويأمرهم بتهيئة أشكال المسائل وأصعبها، وطرحها على الإمام (ع) عله يقطعه عن الحجة. ولو مرة واحدة. ليحط بذلك من كرامته، ويشوه سمعته، ويظهر عجزه وعيه، ويرى الناس أن ما

يدعيه من العلم والمعرفة بآثار رسول الله وعلومه لا حقيقة له، ولا واقع وراءه.

قال الصدوق عليه الرحمة.. "كان المأمون يجلب على الإمام (ع) من متكلمي الفرق، وأهل الأهواء المضلة كل من سمع به، حرصا على انقطاع الرضا (ع) عن الحجّة مع واحد منهم إلخ ("٢..").

وقال إبراهيم بن العباس "سمعت العباس يقول... وكان المأمون يمتحنه (أى يمتحن الإمام (ع) بالسؤال عن كل شىء، فيجيبه الجواب الشافى ("٣..").

وقال أبو الصلت.. "فلما لم يظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، ومحلا فى نفوسهم، حلب عليه المتكلمين من البلدان، طمعا فى أن يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصائبين، والبراهمة، والملحدين، والدهريّة، ولا خصم (١) مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عندما أخبروه أنه يقوم بمهمة التدريس، كما أشرنا إليه!.

(٢) مسند الإمام الرضا ج ٢ ص ١٠٥، والبحار ج ٤٩ ص ١٧٩، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٩١.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٣٧، وإعلام الورى ص ٣١٤، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٧، ويراجع أيضا: مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٥٠، وغير ذلك. (٣٧٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الشيخ الصدوق (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، ابن شهر آشوب (١)

من فرق المسلمين المخالفين له لإقطعه، وألزمه الحجّة، وكان الناس الخ ("١..").

وقال المأمون لسليمان المروزى.. "إنما وجهت إليك لمعرفتى بقوتك، وليس مرادى إلا أن تقطعه عن حجّة واحدة فقط ("٢..").

وتقدم قوله لحميد بن مهران، عندما طلب منه هذا أن يوليه مجادلته، لينزله منزله "ما من شىء أحب إلى من هذا..".

بل لقد صرح المأمون نفسه: بأنه كان يريد أن يجعل من جهل الإمام - نعوذ بالله - ذريعة ووسيلة إلى خلعه، ليشتهر بين الناس أنه قد خلع بسبب جهله، وقلّة معرفته، فقد ورد أنه عندما أخبره الرضا بصفات حمل جاريته، قال المأمون:

"فقلت فى نفسى هذه والله فرصة، إن لم يكن الأمر على ما ذكر، خلعت، فلم أزل أتوقع أمرها إلخ ("٣..").

إلى غير ذلك مما قد امتلأت به كتب الأخبار والسير.

وحتى مع الإمام الجواد قد حاول ذلك:

لا- نستبعد أيضا: أن يكون قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع (١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩، ومثير الأحران ص ٢٤٣، والبحار ج ٤٩ ص ٢٩٠، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٢٨، وشرح ميمية أبى فراس ص ٢٠٤.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٧٨، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٩، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٩٧.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٤٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٢٤، والبحار ج ٤٩.

ص ٣٠٧، ومناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ٣٣٣ عن الجلاء والشفاء..

هذا.. ولا- بأس بملاحظة قوله: إنها والله فرصة!.. الدالة على أنه كان يتحين الفرص لذلك. (٣٧٨) صفحهمفاتيح البحث: سليمان

المروزى (١)، الجهل (١)، الحج (١)، الجود (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام

(١)، كتاب مثير الأحران (١)، الشيخ الطوسى (١)

الإمام الجواد (ع) أيضا، والذي كان لا يزال صغير السن، فأغرى العباسيين بأن يقفوا ذلك الموقف، ليفسح المجال ليحيى بن أكثم لي طرح مسأله الصعبة على الإمام الصغير، ليعجز عنها، ويظهر للبلاد: أن إمام الشيعة طفل صغير، لا يعلم ولا يعقل شيئا، وإن كل ما

يدعونه فى الإمام ما هو إلا زخرف باطل، وظل زائل..

ويلاحظ: أنه قام بهذه اللعنة قبل أن يسلم إليه ابنته، التي كان قد عقد له عليها في حياة أبيه الرضا (ع)، وجعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن أكنم ويحببه على مسائله! ومعنى ذلك: أنه لو توقف ولو في مسألة واحد لا تمتنع عن إعطائه زوجته، وكانت النتيجة أن يشتهر ذلك بين الناس كلهم، ويصبح حديث كل الندوات والمحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله وعيه..

لكن الإمام الجواد كان كأبيه قد أعاد على المأمون كيد ومكره، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله.. ولقد سبقه إلى ذلك المنصور مع الإمام الصادق، حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقها على الإمام، لأنه رأى الناس قد فتنوا به (١).. وجرى على منواله في ذلك المعتصم مع الجواد أيضا، وغيره مع غيره.. وكان الله هو المؤيد والناصر والمسدد.

ملاحظة لا بد منها:

ومما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية للمأمون!، والمناظرات الكلامية! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، وهدأت تآثره العلويين والشيعة أو صد الباب كلياً تقريباً، (١) راجع: البحار ج ٤٧ ص ٢١٧. (٣٧٩) صفحهمفاتح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (١)، يحيى بن أكنم (٢)، الجهل (١)، الزوجة (٢)، الموت (١)، الجود (١)

وانصرف عن ذلك نهائياً.. اللهم إلا بعض مناظرات نادرة ومحدودة جداً في بغداد، لا تقاس بتلك التي كانت تجري في مرو على الاطلاق..

الإمام يقول: إن المأمون سوف يندم:

هذا.. ولم يكن من الغريب: أن يعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، وحقيقة نواياه من مثل هذه التصرفات، وكان (ع) يقول.. "إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوارثهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرايدة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف، ودحضت حجته، وترك مقالته، ورجع إلى قولي، علم المأمون أن الموضوع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه.. (١).

نعم.. إنه سوف يندم كثيراً عندما يرى: أن كل ما كان يدبره ينقلب عليه، ويؤدي إلى عكس النتيجة التي كان يروجها منه.. حتى إن الناس كانوا يقولون "والله، إنه أولى بالخلافه من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ ويشتد حسده (٢).. (٢).

وهكذا. فإن هذا القول يعتبر تحقيقاً لنبوء الإمام: من أن المأمون سوف يندم. إذا علم أن الموضوع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له.

ولقد علم المأمون، ولكن بعد فوات الأوان بذلك، وبأنه قد ساعد بأعماله تلك على اتساع القاعدة الشعبية للإمام (ع) وإظهار مزاياه (١) مسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٧٥، والبحار ج ٤٩ ص ١٧٥، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩. (٣٨٠) صفحهمفاتح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)

وفضائله، التي كان يجهد المأمون في طمسها وإخفائها. بل لقد ساعد على ترسيخ عقيدة الشيعة في نفوسهم، وشد إلى قلوب الكثيرين، حيث قد ثبت بالفعل: أن الإمام أعلم أهل الأرض على الاطلاق وأفضلهم وأتقاهم إلى آخر ما هنالك من الكمالات والفضائل الأخلاقية، ولم يعد ذلك مجرد دعوى لا يدعمها دليل، ولا يؤيدها برهان.

وكان على المأمون أن يتبع أسلوباً جديداً، يضمن له تحقيق غاياته في التخلص من الإمام (ع)، والقضاء عليه اجتماعياً، ونفسياً، بل وحتى جسدياً أيضاً.

وبقى في كنانته سهم آخر، ظن أن سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه.. ألا وهو:

الاقتراح العجيب:

وكل قضايا المأمون تثير عجباً، وهو أن يذهب الإمام إلى بغداد، وقبل أن نتكلم عن هذا الاقتراح العجيب.. يحسن بنا أن نتكلم عن

بغداد أولاً، وعن موقفها من البيعة للرضا (ع)، وعن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذي أقدم عليه المأمون من دون رضا منها.. فنقول: موقف بغداد من المأمون والبيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الإطلاق وهي عاصمتهم، وحصنهم، الذي يلوذون به، ويلجأون إليه.

والعباسيون هم الذين تقموا على المأمون بسبب جعل ولاية العهد للرضا (ع)، وخلعوا المأمون بمجرد سماعهم لذلك النبأ الذي نزل عليهم نزول (٣٨١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، عقائد الشيعة الإمامية (١)، مدينة بغداد (٤)، الظن (١)

الصاعقة، فشغبوا في بغداد، وأخرجوا الحسن بن سهل منها، وبايعوا لإبراهيم بن المهدي، المعروف، بـابن شكلة المغني، الذي كان عاملاً للمأمون على البصرة (١) والذي كان من ألد أعداء الإمام على بن أبي طالب وولده..

وموقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، وقد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس - يعني العباسيين، ومواليهم (٢) - ينقمون عليه مكان الإمام منه، ومكان بيعته له بولاية العهد (٣).

والفضل بن سهل أيضاً قال للمأمون.. "ثم أحدثت هذا الحدث الثاني إنك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن، وأخرجتها من بني أبيك.

والعامة والعلماء، والفقهاء، وآل عباس، لا يرضون بذلك. وقلوبهم (١) مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص ٢٨.

(٢) لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية، ولم يشر التاريخ، ولو من بعيد إلى شيء من ذلك من غيرهم على الإطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم..

(٣) الطبري ج ١١ ص ١٠٢٥، وابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٩، والكامل لابن الأثير ج ٥، وغير ذلك.

وقال في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٤: "أنه بسبب ولاية العهد للرضا قامت الفتن، واضطربت البلاد" وقريب منه ما في مقدمه ابن خلدون ص ٢١١، وواضح: أن ذلك قول مبالغ فيه. حيث لم يحدث بسبب البيعة شيء أصلاً إلا في بغداد، وأما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فيها، واستوسقت للمأمون كما نص عليه الذهبي، وغيره حسبما تقدم، وحتى في بغداد نفسها كان أكثرها يؤيد المأمون في ذلك باستثناء العباسيين، ومن لف لفهم، قال في تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٢: "وامتنع بعض أهل بغداد عن البيعة.."

ويتفق المؤرخون: على أن بغداد انقسمت إلى قسمين: قسم يقول: نلبس الخضرة، ونبايع وقسم يأبى ذلك. إلى أن غلب الممتنعون، لأن من بينهم رجال الدولة، وبايعوا لإبراهيم بن المهدي.. (٣٨٢) صفحهمفاتيح البحث: مدينة البصرة (١)، مدينة بغداد (٧)، الحسن بن سهل (١)، الفضل بن سهل (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، يوم عرفة (١)، الغل (١)

متنافرة عنك، والرأي: أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا إلخ (".. ١).

وسياتي أن المأمون قد كتب للعباسيين، بعد وفاة الإمام: أن الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه قد زالت.. إلى غير ذلك مما ليس في تتبعه كثير فائدة..

وأما نصب ابن شكلة:

لقد رضى العباسيون بـابن شكلة حاكماً عليهم، مع علمهم بانحرافه عن على، ونصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختيارهم له. ويكفي دلالة على انحرافه عن على (ع) وولده ما تقدم: من أن المأمون كان يظهر التشيع، وبن شكلة يظهر التسنن (٢)، وأنه غير المأمون بتشيعه فقال:

إذا الشيعي جمجم في مقال \* فسرك إلخ.

وعيره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجى سرك أن تراه \* يموت إلخ (٣).

وقال إبراهيم مرة للمأمون: إن عليا ليس من البلاغة في شيء، (١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٠، والبحار ج ٤٩ ص ١٦٦. وواضح أن من مصلحة الفضل: أن يضحخ الأمر ويهول به على المأمون، لأنه يريد أن يردعه عن الذهاب إلى بغداد، التي يعرف أنه سوف يتعرض فيها لأهوال وأخطار قد لا يكون له القدرة على تحملها، (٢) استعمال المسعودي لكلمة "التسنن" هنا يفند ما ادعاه أحمد أمين المصري: من أنه هو المصطلح لهذه الكلمة، وأول من استعمالها. والظاهر أنه قرأها فيه أو في النجوم الزاهرة، أو وفيات الأعيان ترجمته على بن الجهم أو غيرها.. ثم نسي.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧. (٣٨٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، خراسان (١)، الموت (١)، الوفاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، على بن الجهم (١)، مدينة بغداد (١)، النسيان (١)

حيث إنه رآه في منامه، فسأله مسأله، فقال له الإمام (ع): "سلاما سلاما.. " فعندما أفهمه المأمون: أنه (ع) يشير بذلك إلى قوله تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" خجل، وندم على إخباره المأمون بما كان (١).

وعن صلاح الدين الصفدي في شرح الجمهوري: أنه لما مات إبراهيم ابن المهدي سأل الواثق عن وصيته، فوجده قد أمر بمال عظيم: أن يفرق على أولاد الصحابة، إلا أولاد علي (ع)، فقال الواثق: "والله، لولا إطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، ولا انتظرت دفنه" ثم انصرف الواثق وهو يقول: "منحرف عن شرفه، وخير أهله، والله، لقد أدليته في قبره كافرا" (٢).

إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد التي يطول بذكرها المقام.

المأمون: هو الذي ينقل لنا اقتراحه العجيب:

ولكن رغم موقف بغداد ذاك، ورغم أنه كان يعلم به، ويعلم بكل ما جرى في بغداد بسبب جعله ولاية العهد للرضا نرى المأمون يحاول أن يرسل الإمام إلى بغداد، ليكون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسيين، وفي نفس معقلهم، ومحل قوتهم، وحيث لهم كل النفوذ والسيطرة، يرسله - وحده! - ويبقى هو خليفته في خراسان. ويرفض الإمام، ويصر على الرفض، حتى يئس المأمون من قبوله.

يقول المأمون: "رحم الله الرضا (ع)، ما كان أعلمه، لقد (١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٧١، ونزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٣. (٢) نزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٤. (٣٨٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (٣)، خراسان (١)، الموت (١)، القبر (١)، ابن شهر آشوب (١) أخبرني بعجب. سألته ليلة، وقد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك، أرى لك أن تمضي إلى العراق، وأكون خليفتك بخراسان، فتبسم، ثم قال: لا.. لعمري "إلى أن يقول المأمون: "فجهدت الجهد كله، وأطمعته في الخلافة، وما سواها، فما أطمعني في نفسه" (١).

ولماذا هذا العرض:

عجيب إذن!.. هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد!

الخلافة. التي لم يكن يعدلها عنده في الدنيا شيء!.. الخلافة.. التي قتل من أجلها المئات والألوف!، وخرب المدن ودك الحصون!!.. التي قتل من أجلها أخاه، ومن معه، وقواده، ووزراءه!.. الخلافة هذه.. أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها - حسب منطقته - لرجل غريب!، وفي مقابل أي شيء؟! في مقابل أن يذهب إلى العراق!!..

ولقد عرفنا الخلافة التي بذلها، لكن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحديد!.

ولماذا يجهد الجهد كله؟! ولماذا يبذل الخلافة؟! ولماذا يبذل ما سواها؟! لماذا كل ذلك؟! أليس هو ذا القوة والسلطان؟! فلم لا يجبر الإمام (ع) على ذلك، كما أجبره على قبول ولاية العهد!..



ألم يكن باستطاعته أن يرسله مقيدا مصفدا بالحديد؟! ولماذا يسمح له بأن يعصيه ويخالف أمره؟! أفلا يعتبر ذلك جريمة يستحق عليها أقسى العقوبات، باعتبار أنه يعرض الخليفة والخلافة، وهيبتهما للخطر؟! (١) الغيبة للطوسي ص ٤٨، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٣٧، والبحار ج ٤٩ ص ٥٨ و ١٤٥. (٣٨٥) صفحهمفاتيح البحث: دولة العراق (٢)، خراسان (١)، القتل (١)، الفدية، الفداء (١)، ابن شهر آشوب (١)

نعم.. إنه يريد أن يذهب الإمام إلى بغداد، ولكنه يريد في نفس الوقت أن يذهب راضيا وغافلا عما يهدف إليه المأمون من وراء ذهابه هذا.. وإلا فإن ذهابه لن يجديه نفعاً، لأنه قد جرب معه الاكراه والإجبار من قبل، في قضية ولاية العهد، ورأى أن الإمام قد اتخذ ذلك وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة على المأمون.

كما أن بذله للخلافة لم يكن مجازفة بها، لأنه كان مطمئنا إلى أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غدا.. وبالشكل الأفضل والأكمل، لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه.

نعم.. إنه يريد أن يرسله إلى العراق - بغداد - وطلب منه أن يذهب وحده، ويبقى هو خليفة له في خراسان، ليواجه المحنة، التي لن يكون له القدرة على تحملها، والصمود في وجهها.. ويتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل.

المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الإمام القاطع جعله يفكر في الأمر بنحو آخر، فلقد تحرك هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل وولى عهده الإمام الرضا (ع)، الذي كان هو الشجا المعترض في حلق المأمون.

ولقد كان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتى يدخلوا بغداد، فتقوم قائمة بنى العباس، ويثورون، ويعصفون، وتعم الفوضى، ويختل النظام.. وقد يتخلص المأمون حينئذ من الإمام (ع) على يد من يرتفع به حقه، ويخرجه غضبه عن طوره.

وإن لم يكن ذلك، وجنوا على الإقدام عليه.. وبعد أن يكون الناس قد رأوا أن وجود الإمام - وليس قتل الأمين - هو المانع والعائق (٣٨٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، بنو عباس (١)، مدينه بغداد (٥)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (١)، القتل (١)، الهدف (١)، الرفض (١)

من عودة المياه إلى مجاريها بين المأمون، وبين العباسيين بنى أبيه، الذين أصبح يرى الناس: أن لهم - كغيرهم - الحق في الخلافة.. فإن المأمون سوف يجد - من ثم - العذر والمبرر لخلعه من ولاية العهد، من أجل أن تستقر البلاد، وتذهب الأحقاد والإحن، وتعود الأمور إلى حالتها الطبيعية بينه وبين بنى أبيه، والمحبين والمتشيعين لهم.. ولتكون هذه - وبعد ملاحقتها بحملة دعائية واسعة - ضربة قاضية لسمعة الإمام، وطعنه نجلاء في كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيما سعادة..

لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلك.. ولكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين، الذين في بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، ويدركوا ما ترمى إليه مخططاته.. فقد يثورون ضده هو، ويوصلون إليه ما يسوءه ويزعجه، كما حدث ذلك من قبل.. فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، ومع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، ولعقبهم من بعدهم.. إلا أنهم لم يدركوا ذلك رغم أنه كتب إليهم به صراحة.. واستمروا على مناوآته ومحاربتة.

ولا كان واثقا من سكوت الإمام (ع):

كما أنه كان يخشى أن الإمام، الذي رأى المأمون منه العجائب، والذي أصبح قريبا من العباسيين، وأشياعهم، وقريبا، من محبيه ومواليه أيضا - كان يخشى أن يتمكن - من قلب ما يدبره، ويخطئه، وجعله وبالا عليه. وقد تقدم إن أباه موسى (ع) قد أفسد على الرشيد قلوب شيعته، رغم أنه كان في سجونه وتحت نظره ومراقبته الدقيقة. (٣٨٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينه بغداد (١)، الوسعة (١)

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جل، إن لم يكن كل مؤامراته، وتدبيراته.. بل لقد كان يجعلها كلها في صالحه هو، ودمارا، ووبالا على المأمون مدبرها، ومخططها الحقيقي.

وقد يكون الإمام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحي عن ولاية العهد. ولكن ذلك ولا شك سوف يعيد الأمور إلى سيرتها الأولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، والوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. ولن يسكت العلويون ولا الخراسانيون، بل حتى ولا العرب عن أمر كهذا. ولن يعيد الأمور إلى سيرتها الأولى ببيعة أو مناورة أخرى من أي نوع كانت، وعلى أي مستوى كانت.

كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟!

وهكذا.. وبعد أن رأى المأمون نفسه قد فشل في تحقيق الجزء الأهم من خطته، ألا وهو أن يضع منه (ع) قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر.. بل لقد رأى نفسه يحصد غير ما يزرع، وأن النتائج التي كان يحصل عليها هي تماما عكس ما كان ينتظر ويؤمل، وذلك بسبب وعى الإمام وحنكته، ويقظته..

ورأى أنه قد حارب الإمام بجميع الأسلحة التي كان يمتلكها، من المكر والخديعة، والدهاء إلخ.. لكن أسلحة الإمام كانت أمضى وأقوى من كل ما كان يمتلكه المأمون. ومن أين للمأمون علم الإمام وزهده، وتقواه وفضله، وفضائله النفسية، وشخصيته الفذة، وسائر صفاته وخصاله الحميدة، صلوات الله وسلامه عليه؟..

وإذا كان قد تأكد لديه أن محاولاته تلك لم تكن تثمر إلا أن يزداد الإمام رفعة بين الناس، ومحلا في نفوسهم، وإلا اتساع قاعدته الشعبية (٣٨٨) صفحهمفاتيح البحث: علم المعصوم (١)، الصلاة (١)، النسيان (١)

باطراد وأنه هو نفسه قد ساعد على اتساعها.. حتى لقد اضطر هو نفسه لأن يستجير بالإمام لينقذه من أولئك الذين شغبوا عليه بسبب قتله الفضل ابن سهل.. إلى آخر ما هنالك مما قدمناه.. إذا كان كذلك.. فإنه قد أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأييد القاسي الذي تلقاه من حميد بن مهران، وجمع من العباسيين، حيث قال له حميد.. "ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولده على، بل ما أخوفنى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك، والتوثب على مملكتك. هل جنى أحد مثل جنايتك..؟! وقد تقدم جواب المأمون لهم في أول هذا الفصل، فلا نعيد..

ويلاحظ هنا: أن قول حميد بن مهران "ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد على" قد كان بعد البيعة للرضا (ع) بولاية العهد، فكأنه كان على علم بخطة المأمون، وأهدافه من البيعة..

نعود فنقول: إنه كما أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأييد القاسي أصبح أيضا يرى أن من الضروري العثور على وسيلة تسهل عليه الخروج من ذلك المأزق الحرج الذي أوقع نفسه فيه. حتى لا ينتهي به الأمر إلى تلك النهاية المرعبة، التي كان يخشاها كل الخشيء، وتمتلى نفسه فرقا ورعبا منها..

فما هي تلك الوسيلة؟! وأين يجدها؟! وهل يستطيع أن يحصل عليها؟! وكيف؟..

ولقد وجد الوسيلة وهي سهلة جدا، ولكنها غير مأمونة العواقب، وهذه الوسيلة هي:

تصفية الإمام (ع) جسديا:

والتدبير فيه - وبسرعة - بما يحسم عنه مواد بلائه.. وواضح: (٣٨٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام

(١)، القتل (١)

أن قتل الإمام (ع) جهارا سوف يثير مشاعر العلويين والشيعة. سواء من الخراسانيين، أو من غيرهم. بل هو يثير الأمة بأسرها، ولسوف يعطيهم، وخصوصا العلويين الفرصة، بل والحق في القيام بوجه نظام الحكم من جديد. وبكلمة.. سوف يخسر المأمون حينئذ كل ما كان يرى نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لم تكن النتيجة أسوأ من ذلك بكثير.

وأسوأ مما يتصور.

وإذن.. فلا بد للقضاء على الإمام من أعمال الحيلة، وإحكام الخطة. ودراستها دراسة كافية ووافية.

قضية حمام سرخس:

وحاول أن يقضى على الإمام (ع)، والفضل معا، مرة واحدة في حمام سرخس. ولكن يقظة الإمام (ع)، ووعيه قد حال دون ذلك، حيث إنه رفض الذهاب إلى الحمام. وأصر المأمون بدوره على ذلك، وأعاد عليه الرقعة مرتين!. لكن الإمام قد بين له بيانا قاطعا: أنه لن يدخل الحمام بأى وجه من الوجوه.. كما أنه (ع) قد حاول أن يدفع المكيدة عن الفضل، فقال للمأمون " : ولا أرى للفضل أن يدخل الحمام غدا ". لكن المأمون يصصر على أن يدخل الفضل الحمام، ويمتنع من تحذيره، حيث قال للإمام " : وأما الفضل فهو أعلم وما يفعله ( " .. ١).

مقتل الفضل بن سهل:

ونجح المأمون في تنفيذ أحد جزئى مهمته، وفشل في تنفيذ الجزء (١) قد تقدم بعض مصادر هذا النص في فصل: شخصية الإمام الرضا، عند ذكر التجاء المأمون إلى الرضا (ع) عندما شغب عليه الجند، بسبب مقتل الفضل. (٣٩٠) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، القتل (٢)، الرفض (١)، النفاذ، التنفيذ (٢)، الإستحمام، الحمام (٣)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١) الآخر، والأهم منها، فقد نجا الإمام (ع) بفضل وعيه ويقظته، ووقع الفضل في الشرك وحده وقتل بتدبير من المأمون، فرضى بذلك العباسيون، وقتل قتلته، فرضى الحسن بن سهل والخراسانيون.

ومجمل قضية قتل الفضل هنا " : أن المأمون لما رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بنى على، وأنهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل، ورأى الفتنة قائمة ولا يستطيع أن يقتل الفضل جهارا لمكان أخيه الحسن بن سهل، وكثرة من معه من الرجال (١) فأعمل الفكرة في ذلك، ودس جماعة لقتل الفضل..

والذين قتلوا الفضل كانوا خمسة أشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب، فأخذوا وجئ بهم إليه، فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!

فقال لهم: أنا أقتلكم بإقراركم، وأما ما ادعيتموه: من أنى أنا أمرتكم بذلك، فدعوى ليس لها بينة، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وحمل رؤوسهم إلى الحسن أخى الفضل، وأظهر الحزن عليه ( " .. ٢)! كما أنه قد أقصى قوما من قواده سماهم الشامتة، وأظهر عليه أشد الجزع كما نص عليه اليعقوبى، وواضح أن قتله لقتله الفضل، ثم إرساله رؤوسهم إلى الحسن، ثم إظهاره للحزن عليه لخير دليل على دهائه وحنكته السياسية.

بل ذكر المسعودى، ويظهر ذلك من غيره أيضا: أن المأمون قتل (١) راجع لطف التدبير ص ١٦٤ - ١٦٦.

(٢) راجع فى ذلك: الآداب السلطانية ص ٢١٨، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٩، ولطف التدبير ص ١٦٤ - ١٦٦ ومآثر الإنافة ج ١ ص ٢١١، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٩١ و ١٩٢، والطبرى ج ١١ ص ١٠٢٧، ووفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٤١٤، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٧، وإثبات الوصية ص ٢٠٧، وليراجع تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤٣. (٣٩١) صفحهمفاتيح البحث: الحسن بن سهل (٢)، الفضل بن سهل (١)، القتل (١٠)، الحزن (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)

الفضل بن سهل بيده، وأنه باشر قتله بنفسه (١)، ولعله اتهم هؤلاء من أجل أن يبعد التهمة عن نفسه لأسباب سياسية لا تكاد تخفى ومن أهمها أن لا يفسد عليه الحسن بن سهل ومن معه والخراسانيون.

وتحسن الإشارة هنا إلى ما قدمناه من عرض المأمون على الفضل أن يزوجه ابنته - على الرغم من استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوى قرباهم. فرفض الفضل العرض، وشكر المأمون، وجهد المأمون الجهد كله فى إقناعه، فلم يفلح!. وقال له: لو صلبتني ما فعلته (٢) فإن عرضه هذا، وجهده فى إقناعه ما كان إلا شركا منه للتجسس والإيقاع بالفضل على يدها، كما فعل بالجواد والرضا (ع)..

وعندما لم يفلح في إقناع الفضل، وفشلت مؤامراته، دبر قضية حمام سرخس، ونجح في تدبيره ذاك كما عرفنا..

وقبل أن نمضى في الحديث يحسن بنا أن نشير إلى ما ذكره الأصفهاني في أغانيه، فيما يتعلق بمقتل الفضل، حيث قال ما ملخصه: إن إبراهيم ابن العباس الشاعر كان من خواص الفضل بن سهل. وجعله كاتباً لعبد العزيز بن عمران، فلما دبر المأمون قتل الفضل، وندب إليه عبد العزيز ابن عمران. علم إبراهيم بذلك، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، وعاتبه عليه.. وبعد قتل المأمون للفضل ولقتلته سأل من أين سقط الخبر للفضل، فعرف أنه من جهة إبراهيم، فطلبه، فاستتر، وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون. وجرى في أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسي، (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧، ويظهر أيضاً من: الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١٨.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٣٠٧. (٣٩٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، عبد العزيز بن عمران (١)، الحسن بن سهل (١)، الفضل بن سهل (٢)، عبد العزيز (١)، القتل (٣)، الزواج (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١) وكان جريئاً على المأمون، لأنه رباه، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل (١).

إلى آخر ما قال.

ظاهرة قتل الوزراء:

وتحسن الإشارة هنا: إلى أن قتل الوزراء كان ظاهرة شائعة في حياة الخلفاء العباسيين، حتى إن أحمد بن أبي خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم "وزير" مع قبوله بالقيام بكل أعمال الوزير ووظائفه.

وهنا لطائف وظرائف تتعلق بهذا المطلب، ليس هنا محل ذكرها..

ولنعد الآن للحديث عن موقف المأمون فنقول:

لا بد من العودة إلى سنة معاوية:

إنه رغم فشل المأمون في قضية حمام سرخس، لم يياس، ولم يهن في الوصول إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه، فاستمر يعمل الحيلة ويدبر المكيدة للإمام (ع).

وكان عليه: أن لا يعرض نفسه للخطأ الذي وقع فيه في قضية الفضل، حيث أعلن القتل في وجهه بأنه هو الذي أمرهم بقتله، مما كان سبباً في ثورة الجند عليه، تعرض لخطر عظيم جداً، لو لم يلتجئ إلى الإمام، الذي أنقذ موقفه، وفرق الناس عنه، كما تقدم..

ولم ير وسيلة أسهل وأسلم من تلك التي سنها سلفه معاوية، الذي (١) الأغاني ط الساسي ج ٩ ص ٣١. (٣٩٣) صفحهمفاتيح البحث: أحمد بن أبي خالد (١)، القتل (٤)

قدمنا في فصل: آمال المأمون وآلامه: أن المأمون قد ارتضى سيرته، ورد سيرة أبي بكر وعمر وعلى وهذه الوسيلة هي "السم".

ودس إليه السم في العنب، أو في ماء الرمان، ومضى الإمام (ع) شهيداً، صابراً محتسباً.. وهذه هي نفس الطريقة التي تخلص بواسطتها، من قبل: محمد بن محمد، صاحب أبي السرايا، ولا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلك في محمد بن جعفر، الذي مات هو الآخر - كالرضا (ع) والفضل بن سهل - في طريق بغداد (١).

وهكذا. مات اللذان تكرهما بغداد، في نفس طريق بغداد.. ولم يعد هناك ما يعكر صفو العلاقات بينه، وبين بنى أبيه العباسيين وأشياهم، وأصبح باستطاعته أن يكتب إليهم:

.. "إن الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه قد زالت، وأنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلي بن موسى الرضا (ع) وقد مات، فارجعوا إلى السمع والطاعة، وإنه يجعل ولاية العهد في ولد العباس (".. ٢).

فرجعوا إليه، وانقادوا له، ولكن بعد التخلص ممن كان يكره (١) ولعل ابن قتيبة يشير إلى هذا في معارفه طبع سنة ١٣٠٠ ص ١٣٣ حيث يقول "وظفر بمحمد بن جعفر، فحملة إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحداً!!.."

ولكننا نراه مع ذلك، عندما يؤتى بجزاة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، وحملة!

وقال: هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة، وصلى عليه وقضى دينه!!.. بل إننا لا نستبعد أن يكون هو المدبر لشائعه عقليه السوداء على الحسن بن سهل أخى الفضل.. وهكذا..

فيكون قد قضى على كل أولئك الذين تكرههم بغداد وتخشاهم، وتخلص منهم واحدا بعد الآخر.

(٢) راجع فى ذلك: الطبرى ج ١١ ص ١٠٣٠، والبداية والنهاية ج ١ ص ٢٤٩، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٧، وابن الأثير ج ٥ ص ١٩٣، والفخرى الآداب السلطانية ص ٢١٨، وتاريخ أبى الفداء ج ٢ ص ٢٤، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٣، وغير ذلك، وتجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤٤. (٣٩٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (٤)، الفضل بن سهل (١)، محمد بن جعفر (٣)، محمد بن محمد (١)، الموت (٣)، الكراهية، المكروه (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن الأثير (١)، الحسن بن سهل (١)، الصلاة (١)

ويكرهون، ويخاف ويخافون..

رجع إلى بغداد، فأطاعته، وانقادت له، لأنه قضى على من كانت تخافهم، وتخشاهم، وحقق لها ما كانت ترجوه، وتصبو إليه، وغفرت له قتله أخاه، ونسيته حتى كأنه أمر لم يكن!.. بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين، لأنه استطاع أن يثبت أقدام بنى أبيه فى الحكم والسلطان إلى ما شاء الله..

رجع إلى بغداد، إلى بنى أبيه، لأن رجوعه إليهم كان ضروريا، من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهة.. ولأنهم هم الدرع الواقى له، والحصن الحصين من جهة أخرى.. هذا بالإضافة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست فى الحقيقة بخلافة. إلى غير ذلك من أمور واعتبارات.

نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هذا.. وكما تنبأ الإمام (ع) من قبل بأن أمر البيعة لا يتم، وتنبأ أيضا بأنه يموت ويدفن بخراسان.. لم يكن ليصعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم فى النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع) سيما وأنه كان على علم أكثر من أى إنسان آخر بحقيقة نوايا المأمون وأهدافه.. وبالفعل نرى الإمام (ع) يصرح بذلك فى أكثر من مورد، وأكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم.. ومن جهة أخرى، فرغم محاولات المأمون للتستر على جريمته النكراء تلك خوفا من ثورة الرأى العام ضده.. فإنه لم يستطع إخفاء الحقيقة، وطمس الواقع بل شاع الأمر، وافتضح المأمون.. بل سيمر معنا أنه هو نفسه قد فضح نفسه.. (٣٩٥) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (٣)، خراسان (١)، القتل (١)، الموت (١)

الحقد الدفين:

وأخيرا.. فإن ما أقدم عليه المأمون من الغدر بالإمام (ع) ودس السم له لخير دليل على فشل المأمون فى سياسته، الفضل المزرى والمهين..

حتى إنه عندما عجز عن أن ينال من الإمام (ع) حيا أراد أن ينال منه ميتا، بدافع من حقه الدفين، الذى لم يعد يستطيع أن يتحمل مضاعفاته، فكتب إلى السرى عامله على مصر، يخبره بوفاء الرضا، ويأمره بغسل المنابر، التى دعى له عليها، فغسلت.. كما تقدم.. وهذا إن دل على شئ، فإنما يدل على أن الحقد كان قد أكل قلبه، وأعمت البغضاء بصره وبصيرته..

كما أنه يدل على خسة فى النفس، وإسفاف فى التفكير، وشعور بالعجز، وبالنقص أيضا.. (٣٩٦) صفحهمفاتيح البحث: الأكل (١)

### كاد المريب أن يقول: خذونى

كاد المريب أن يقول: خذونى.

ومع غض النظر عن كل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصريحات المأمون الدالّة على أنه سوف يدبر في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائته، وعن تأكيدات الإمام وتصريحاته بأنه سوف يموت شهيدا بسم المأمون، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلك، لكنه تجاهل الأمر، وغير الحديث (١).  
ولسوف نغض النظر أيضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم يمت حتف أنفه، وإنما مات مقتولا بالسم، وأن قتله هما عبيد الله، والحزمة، ابنا الحسن (٢) واللذان لم يكن بينهما وبين الإمام (ع) ما يوجب ذلك.. بل إن كان لهما دور ما، فإنما هو بإشارة من يهيمه مثل هذا الأمر..

بل لقد ورد أن المأمون رمى بنفسه على الأرض، وجعل يخور كما يخور الثور، ويقول: "ويلك يا مأمون، ما حالك، وعلى ما (١) راجع: عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، والبحار ج ٤٩ ص ١٤٩، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٧، وأمالى الصدوق ص ٤٢، ٤٣، وغير ذلك.

(٢) راجع: غيبة الشيخ الطوسي ص ٤٩، والبحار ج ٤٩ ص ٣٠٦. (٣٩٧) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)، الموت (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، الشيخ الطوسي (١) أقدمت، لعن الله فلانا وفلانا، فإنهما أشارا على بما فعلت (".. ١).

لسوف نغض النظر عن كل ما تقدم، وحتى عن رسالته للسرى، عامله على مصر، والتي أشرنا إليها غير مرة..  
والذي نريده هنا:

ولا نريد هنا إلا أن نضع بعض علامات استفهام على بعض تصرفات المأمون، وأقواله حين وفاة الإمام (ع)، حيث رأينا: قد ارتبك في أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباك..

الأسئلة التي لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لماذا يستر موت الرضا (ع) يوما وليلة؟! (٢).

ولماذا يقول للإمام، وهو بعد لم يمت.. "ما أدري أى المصيتين على أعظم، فقدى إياك، أو تهمه الناس لى: أنى اغتلتك وقتلتك ("٣)؟! (١) إثبات الوصية للمسعودى ص ٢٠٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٦٧، وكشف الغمة ج ٣ ص ٧٢، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٧، والبحار ج ٤٩ ص ٣٠٩، وإرشاد المفيد ص ٣١٦.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٧٢، وإرشاد المفيد ص ٣١٦، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤١، والبحار ج ٤٩ ص ٢٩٩. وعبارة مقاتل الطالبين "وأغلظ من ذلك على، وأشد:

أن الناس يقولون: إنى سقيتك سما. ("٣٩٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الوفاة (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (٢)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٣)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)

ولماذا يظهر التمارض بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب (١)؟!..

وكيف مات الإمام (ع) فى مرضه من العنب، ولم يمت المأمون منه أيضا؟!.

ولماذا يحضر محمد بن جعفر، وجماعه من آل أبى طالب، ويشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما (٢)؟!.

ولماذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى! كل يوم برغيف واحد وملح ليأكله! الأمر الذى لم يفعله حتى عندما مات أبوه الذى ولد منه، وأخوه الذى قتله، وفعل برأسه ما فعل؟!.

وهل يمكن أن نصدقه حينما نسمعه يقول "وقد كنت أومل أن أموت قبلك ("٣)!. هذا مع علمه بأن الإمام (ع) كان يكبره ب (٢٢)

سنة؟! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، ولا واقع وراءه؟!.

ولماذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الإمام (ع) من أكله، ثم يقول له "لا بد من ذلك، وما يمنعك منه، لعلك تتهمنا بشئ"؟! وبعد أن أكل منه الإمام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتني (".. ٤٠٤)!

ولماذا؟ ولماذا؟ إلى آخر ما هنالك مما يضيق عنه المقام.. (١) إعلام الوري ص ٣٢٥، وإرشاد المفيد ص ٣١٦، ومقاتل الطالبين ص ٥٦٦، والخرائج والجرائح طبعه حجرية ص ٢٥٨، وغير ذلك..

(٢) روضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٧، ومقاتل الطالبين ص ٥٦٧، وإرشاد المفيد ص ٣١٦، وكشف الغمة ج ٣ ص ٧٢ و ١٢٣. والبحار ج ٤٩ ص ٣٠٩، وإعلام الوري ص ٣٢٩.

(٣) نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

(٤) أمالي الصدوق ص ٣٩٣، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٤، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٣، وإعلام الوري ص ٢٢٦، والبحار ج ٤٩ ص ٣٠١، وغير ذلك. (٣٩٩) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن جعفر (١)، المرض (١)، القتل (٣)، الموت (٣)، القبر (١)، المنع (١)، الأكل (٣)، الجماعة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (٢)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندي (١)، كتاب روضة الواعظين (١)، كتاب أمالي الصدوق (١)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (٣)، كتاب كشف الغمة للإربلي (٢)

كاد المريب أن يقول: خذوني:

وبعد.. فهذه بعض الأسئلة، التي تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاد الإمام (ع).. تحتاج إلى جواب.. وأنى لها من المأمون الجواب الصحيح، والصريح. ولكن مواقفه وتصرفاته هذه، هي الجواب الكافي والشافى، فلقد قيل، وما أصدق ما قيل "كاد المريب أن يقول:

خذوني.. كما أن المؤرخين بدورهم قد أجابوا عنها بكل صراحة أحيانا، وباللف والدوران - لأسباب مختلفة - أحيانا أخرى..

فإلى الفصل التالى، لنقف على بعض أقوال ومواقف المؤرخين، بالنسبة لسبب وفاة الإمام (ع).. (٤٠٠) صفحهمفاتيح البحث: الوفاة (١)

## ما يقال حول وفاة الإمام

ما يقال حول وفاة الإمام (ع) ماذا ترى بعض الفرق فى الحكام:

قبل كل شئ نود أن نشير إلى أمر مهم، كنا قد أشرنا إليه من قبل، وله - إلى حد ما - صلة فيما نحن بصدده.. وهو: أن بعض فرق المسلمين ترى: أن الحكام تجب طاعتهم، ولا تجوز مخالفتهم، والقيام ضدهم، والوقوف فى وجههم بحال من الأحوال..

مهما كانت هويتهم، وأيا كان سلوكهم، حتى ولو أنهم ارتكبوا أعظم المحرمات، وانتهكوا جميع الحرمات..

أى.. أنهم حتى لو قتلوا الأبرياء - ولو كانوا أبناء محمد -، وهدموا الكعبة.. مع ذلك كله - تجب طاعتهم، ولا تجوز مخالفتهم، ولا الوقوف فى وجههم..

هكذا.. تعتقد الفرق الإسلامية - كما قلنا -.. ومن المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحديث، وعامة أهل السنة، قبل الإمام الأشعري، وبعده. وهو أيضا قائل بهذه المقالة ومعتقد بهذه العقيدة..

ولقد أيدوا هذه العقيدة بمختلف أنواع التأييد، حتى لقد وضعوا فى (٤٠١) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)، الوقوف (١)، الجواز (١)، الوفاة (١)

تأييدها الروايات على لسان النبى صلى الله عليه وآله، مع عدم تنبهم إلى أن ذلك يناهى صريح القرآن، ويصادم حكم العقل

والوجدان..

انعكاسات هذه العقيدة على التراث:

وطبيعي أن ينعكس ذلك إلى حد كبير على كتابهم ومؤرخيهم (١)، وحتى على علمائهم، وفقهائهم أيضا، حيث كان لا بد لهم من التستر على كل هفوات أولئك الحكام. وكل مخازيهم وموبقاتهم، مما كان من نتيجته - بطبيعة الحال - إخفاء كثير من الحقائق، وطمسها، حتى إذا لم يتمكنوا من ذلك، تراهم يحاولون اللف والدوران، وتوجيهها بما لا - يسمن ولا - يغنى من جوع.. هذا إن لم تخولهم غيرتهم، وتدفعهم حميتهم إلى تشويهها، والتغيير والتبديل فيها، بحيث تبدو مستهجنه، وغريبة. ولتسقط من ثم عن الاعتبار.. وقد يختلفون في كثير من الأحيان في مقابلها، ما ينسجم مع نظرتهم الضيقة، وتعصبهم المقيت، أو يوافق هوى نفوسهم، ويرضى حكاهم، الذين كانوا يرون أنهم يقربونهم من الله زلفى.

إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:

ولقد أراد الحكام - لسبب أو لآخر - إخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا، ووجدوا من العلماء، والكتاب، والمؤرخين، من لا يألو جهدا، ولا يدخر وسعا من أجل تنفيذ إرادتهم تلك، التي يرون: أنها إرادة الله (١) راجع تمهيد الكتاب.. (٤٠٢) صفحهمفاتيح البحث: الأئمة الأثنا عشر عليهم السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، القرآن الكريم (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

- حسب عقيدة الجبر التي ابتدعوها.. حتى إنك قد لا تجد في كثير من الكتب التاريخية، حتى اسم الأئمة الأطهار عليهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، وبيان نشاطاتهم..

وليس ذلك لأنهم عليهم السلام كانوا غير مشهورين، ولا معروفين..

أو لأنهم ممن لا - يعتنى بشأنهم، ولا يلتفت إليهم.. لا.. أبدا. فقد كان ذكرهم يسرى في جميع الآفاق في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف:

إما حبا وتشيعا، وأما عدا و نصبا..

وقد ذكر الجاحظ في رسالته " فضل هاشم على عبد شمس - " وهو الكاتب المعروف في عصره، وبعد عصره.. وحتى الآن، والذي تعرض في كتبه لمختلف الموضوعات التي شاع التكلم بها في زمانه، ومنها موضوع رسالته المشار إليها. والذي كان يظهر الحياد في كتاباته، وإن كان المعترلة - أهل نحلته - مثل الإسكافي وغيره يتهمونه بالنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام. ومما يدل على نصبه وتعصبه: أنه قد ألف كتابا في نقض فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) (١) - الجاحظ هذا - يقول في رسالته المشار إليها:

" ومن الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبيون في نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، ومنهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن. هكذا إلى عشرة.. وهم: الحسن بن علي، بن محمد، ابن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، ابن علي. وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، ولا - من العجم إلخ " (٢). (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧، (٢) آثار الجاحظ ص ٢٣٥. (٤٠٣) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الأئمة الأثنا عشر عليهم السلام (١)، مدرسة المعتزلة (١)، علي بن موسى بن جعفر بن محمد (١)، الحسن بن علي بن محمد (١)، علي بن الحسين (١)، الطهارة (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

هذا.. ويجب أن لا - يفوتنا هنا: التنبيه على أن الجاحظ كان في البصرة، والإمام العسكري (ع) كان في سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشديدة.

وتوفى الجاحظ قبل وفاة العسكري بخمس سنين.



وقد كان عمره (ع) عندما ألف الجاحظ رسالته في حدود اثنتين وعشرين سنة، لو فرض أن الجاحظ كان قد ألفها في آخر يوم من أيام حياته..

ولم يكن الإمام العسكري أنه. ولا أشهر من آباءه الطاهرين (ع)، سيما الإمام علي، والحسن، والصادق، والرضا عليهم السلام. بل كان الأئمة (ع)، بعد الرضا (ع) - مع نباهة شأنهم، وعلو أمرهم - يسمون: ب " ابن الرضا، " وذلك يدل على أنه (ع) كان أبنه من أبناءه الطاهرين، فكان يقال ذلك - يعني: ابن الرضا - للجواد، والهادي بعده، بل وللعسكري أيضا (١)، ويؤيد ذلك قول أبي الغوث، أسلم بن مهوز المنبجى في دليته المعروفة، التي يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضا \* فحسبك من هاد يشير إلى هاد (٢) نعم.. إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسرى ذكرهم في الآفاق، قد لا تجد حتى أسماءهم فى كثير من الكتب التاريخية.. مع أنك تجد ما شاء الله. من قصص المغنين، والجوارى، والأعراب، بل وحتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، ولا يغنى من جوع. (١) راجع: قاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٤٨. والرسالة التي فى آخر ج ١١ من قاموس الرجال ص ٥٨.

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٥٢٩، والكنى والألقاب ج ١ ص ١٣٣. (٤٠٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على العسكري عليهما السلام (٢)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، مدينة سامراء المقدسة (٢)، مدينة البصرة (١)، الطهارة (٢)، الوفاة (١)، السفينة (١)

كل ذلك خيانه للحقيقة، وتخلياً عن الأمانة. التي أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التي تأتي بعدهم، حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، ويظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، وأيا كانت الأحوال..

وإلا.. فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، ويؤوا بإثم الخيانة..

هذا.. ولم يكن المجال مفسوحاً أمام شيعه أهل البيت (ع)، ليمكنوا من إظهار الحقائق كاملة، وذلك بسبب ملاحقه الحكام لهم. ومحاولات القضاء عليهم أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وبأى ثمن كان.. ومن قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، وقادتهم، القادة إلى الحق.

ويبقى هنا سؤال:

لماذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، ويرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار والأمصار؟!.. وكيف لا- يتنافى ذلك مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، وشيعتهم ومواليهم؟!.. ومحاولاتهم تصغير شأنهم، وطمس ذكرهم؟!.. سر اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن سر اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولاً- إلى أن الحق فى الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء معناه القضاء على ذلك الحق، وتكريس الأمور لهم. وفى صالحهم..

وثانياً: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئك الحكام، ولا يرضون عن أعمالهم، وسلوكهم الذى كان يتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه.. (٤٠٥) صفحهمفاتيح البحث: شيعه أهل البيت عليهم السلام (١)، الأمانة، الإئتمان (١)

وثالثاً: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوكتهم المثالى، وبشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، وعلى حكمهم ذاك غير الأصيل..

إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الأولى من الكتاب..

وأما السبب فى تشجيعهم - فى تلك الحقبة من الزمن للعلم والعلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسيه معينه. وفى الحدود التي كانت لا تشكل عليهم خطراً فى الحكم، لأن الحكم كان فى نظرهم هو كل شئ، وليس قبله ولا بعده شئ، وكل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله، وفى خدمته، حتى العلماء والمفكرون.

ولم يكن جمعهم للعلماء من حولهم. والإتيان بهم من كل حدب وصوب، إلا:

١ - ليكون أولئك العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية في الأمة تحت نظرهم، وسيطرتهم.

٢ - ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، والوصول إلى كثير من مأربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة..

٣ - ليظهروا للناس بمظهر المحبين للعلم والعلماء، ليقوى مركزهم في نفوسهم، وتتأكد ثقتهم بهم، إذ كان لا بد لهم، بعد أن تركوا أهل البيت عليهم السلام. من الاستعاضة عنهم بغيرهم، ودفع شكوك وشبهات الناس عن أنفسهم..

٤ - محاولة التشويش بذلك على أهل البيت عليهم السلام، وطمس ذكرهم، وإخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.. ولكن. يأبى الله إلا أن يتم نوره. (٤٠٦) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الهدف (١)، الشهادة (١)، السب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

ويتفرع على ما سبق:

وإذا تحقق لدينا أنهم إنما كانوا يقدرون العلم والعلماء لأهداف سياسة معينة كما أوضحنا.. فلسوف لا نستغرب إذا رأينا:

أنهم كانوا إذا شعروا بالخطر يتهددهم من قبل أية شخصية، ولو كانت علمية، لا يترددون في القضاء عليها، والتخلص منها، بأى وسيلة كانت.

قال أحمد أمين: إن المنصور كان " يقرب المعتزلة إذا شاء، ويقرب المحدثين والفقهاء، ما لم تقض تعاليم أحدهم بشئ يمس سلطانه، فهناك التنكيل (".. ١).

وقال السيد أمير على.. " : كان خلفاء بنى العباس يسحقون كل اختلاف معهم في الرأي بصرامة. وحتى الفقهاء المعاصرون كانوا عرضة للعقاب، إذا تجرأوا على الإفصاح عن رأى لا يتفق ومصلحة الحاكمين (".. ٢).

ولقد رأينا المنصور يدس السم لأبى حنيفة، ويضيق على الإمام الصادق - الذى لم يبايع لمحمد بن عبد الله العلوى -، وضيق على من تلاه من ذريته، ولاحق تلامذته ومحبيه.

لكنه لم يقتل عمرو بن عبيد، ولا أهانه بل مدحه بقوله:

كلكم يطلب صيد \* غير عمرو بن عبيد.

رغم أن عمرا هذا قد بايع لمحمد بن عبد الله العلوى، ورغم أن مذهبه يفرض عليه الخروج على النظام، لأن من أصول المعتزلة الخمسة، (١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٠٢، ولا بأس أيضا بمراجعته ج ٢ ص ٤٦ و ٤٧.

(٢) روح الإسلام ص ٣٠٢. (٤٠٧) صفحهمفاتيح البحث: مدرسة المعتزلة (٢)، بنو عباس (١)، عبد الله العلوى (٢)، القتل (١)، الصيد (١)

التي يكون الإنسان بها معتزليا هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملا بهذا الأصل كان عمرو هذا قد خرج مع يزيد الناقص سنة ١٢٦ هـ.

على الوليد بن يزيد - لم يفعل المنصور مع ابن عبيد إلا- كل ما يقتضى الاجلال والتكريم بخلاف ما فعله مع أولئك - لأن عمرا - بخلافهم - قد تخلى عن مذهبه، ومالا- النظام. وكان المنصور، ومن تبعه من الخلفاء يستفيدون منه، ومن أضرابه، ولم يروا بأسا فى مبايعته لمحمد لكنهم لما لم يكونوا يستفيدون من أولئك الذين نكلوا بهم، وفعلوا بهم الأفاعيل رغم امتناعهم عن مبايعه محمد.. وإلا فما قيمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، كزرارة، وهشام، ومحمد بن مسلم، وأضرابهم (١).

عودة على بدء:

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون - لسبب أو لآخر - إخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا على أيدي حفنة ممن يطلق عليهم اسم " علماء، " فتلاعبوا، ودسوا، وشوهوا ما شاءت لهم قرائنهم، وأوحاه لهم تعصبهم المذهبي

المقيت..

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، والطبري، (١) يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون إلقاء أسباب النزاع بين العلماء، بهدف صرفهم عن واقع الأمة، وعما يجرى ويحدث في مخادع الخلفاء، وداخل قصورهم. ولعل ذلك هو السر في عنايتهم بالترجمة، وإدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الإسلامية.. ولذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلك كالمقريزي في النزاع والتخاصم ص ٥٥، وغيره.. ولكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، ولعلنا نوفق ذلك في مجال آخر..

(٤٠٨) صفحهمفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)، ابن الأثير (١)، محمد بن مسلم (١)، الصدق (١)، البيعة (١) وأبو الفداء، وابن العبري، واليافي وابن خلكان.. كانوا من أولئك الذين ظلموا الحقيقة والتاريخ، بل وأنفسهم، عندما أرخوا للأمة الإسلامية، وكتبوا في أحوالها، وأوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الإنصاف والحيادة فيما أرخوا، وفيما كتبوا..

ولعل من جملة سقطات هؤلاء الشنيعة، التي لم يخف على أحد تعصبهم فيها، وانقيادهم للحكام، والهوى الأعمى في بيانها، قضية: "كيفية وفاة الإمام الرضا (ع).." حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه "أكل عنباً، فأكثر منه، فمات" (١.. ١).

وكان ابن خلدون، الأموي النزعة، يريد أن يتابعهم في ذلك، حيث قال في تاريخه: "ولما نزل المأمون مدينة طوس، مات على الرضا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث ومائتين، من عنب أكله" (٢.. ٢).

ولعله نسي ما ذكره هو نفسه من ثورة إبراهيم بن موسى على المأمون لانتهامه إياه بقتل أخيه. كما سيأتي.

ما عشت أراك الدهر عجبا:

وهو كلام عجيب حقاً:

فهل يعقل ويتصور أن يصدر هذا العمل من أي إنسان عادي، فضلاً عن الإمام، الذي شهد بعلمه، وحكمته، وزهده، كل من عرفه، وكل من أتى من المؤرخين على ذكره؟! (١) الكامل ج ٥ ص ١٥٠، والطبري ج ١١ ص ١٠٣٠، وتاريخ أبو الفداء ج ٢ ص ٢٣، ومختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٢، ووفيات الأعيان طبع سنة ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٣٢١. لكن بعضهم قد حكي سمه بلفظ: قيل..

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠. (٤٠٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، يوم عرفه (١)، إبراهيم بن موسى (١)، الشهادة (١)، القتل (١)، الموت (١)، الأكل (٢)، النسيان (١)، الوفاة (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)

أفهل يمكن أن يسمح أحد لنفسه أن يصدق بأن شخصاً عاقلاً، وحكيماً، كالإمام (ع)، يسمح لنفسه بالإقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

وهل عرف عن الإمام في سابق عهده: أنه كان أكولاً، أو نهماً إلى هذا الحد؟!، أي إلى حد أنه ينتهي به ذلك إلى قتل نفسه؟!.

أم أن الزهد والتقوى والعلم، فضلاً عن العقل والحكمة. تقضى وتحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذي من شأنه أن يودي بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسي ما كتبه في رسالته الذهبية، التي كتبها للمأمون، والتي هي من أشهر وأجل الوثائق المأثورة عنه؟!.

أم أنه (ع) لم يكن قد رأى العنب في حياته، فأراد أن يغتنم هذه الفرصة الذهبية، لينال أكبر قدر تصل إليه يده؟!.

لا.. لا هذا، ولا ذاك. ولا ذلك.

وإنما العصبية المذهبية، والهوى الأعمى.. هما اللذان فرضا على الإمام (ع) أن يأكل العنب، ويكثر منه، ويموت هذه الميتة.. حتى ولو لم يقبل بها العقل، ويصدق بها الوجدان..

إن الإمام (ع) لو كان هو الحاكم، والمتسلط لم يمت هذه الميتة، بل كان مات على حسب ما اشتهى، وبالكيفية التي أراد..

دعك من هؤلاء وأمثالهم، فإننى لا أرى: أن كلاما كهذا يستحق من العناية أكثر من ذلك.. بل لا رأى أنه يستحق شيئا من العناية على الاطلاق..

دعك منه.. وذره لأهله فى سنبله!.

وتعال معى لننظر إلى ما يقوله الآخرون، ممن أرحوا للأمة، وتحدثوا عن ماضيها، فقد نجد فى كلامهم ما ينفع الغلة، ويشفى الغليل.. (٤١٠) صفحهمفاتيح البحث: الأكل (٣)، القتل (١)، الموت (١)، الزهد (١)، النسيان (١)

قول فريق آخر من المؤرخين:

وإننا بعد إلقاء نظرة سريعة وعابرة على أقوال المؤرخين فى هذا المجال، نستطيع أن نلاحظ: إلى أى حد اضطرت كلماتهم فى هذه القضية، وتباينت اتجاهاتهم.

فعدا عن أولئك القلة الذين تحدثنا عنهم آنفا نرى:

فريقا ثانيا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بيان السبب، ثم سكتوا، أو عقبوا ذلك بقولهم " : وقيل: إنه مات مسموما " ومن هؤلاء اليعقوبى فى تاريخه ج ٣ ص ٨٠، وإن كان يظهر من عبارته اختيار مسمومته، وابن العماد فى شذرات الذهب، وغيرهم.

ولعل هؤلاء ممن جازت عليهم لعبة المأمون، وانطلت عليهم حيلته، وأقنعتهم الحجج الواهية الآتية التى يسوقها الفريق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع).. أو لعلهم لم يكونوا بصدد بحث هذا الأمر وتمحيصه..

أو لأنهم لم يستطيعوا أن يصدعوا بالحقيقة، لما كانوا يخشونه من سطوة الحكام، وبطشهم، ولم يريدوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، فأثروا السكوت، وإهمال ذلك، على أمل أن يقضى الله من يصدع بالحق ويكشف عن الواقع.. إلى غير ذلك من الاحتمالات، التى قد يجد بعضها شواهد تاريخية كثيرة.

رأى فريق ثالث فى ذلك:

وهناك فريق آخر يرى أنه (ع) مات مسموما، وأن الذى دس إليه السم هم العباسيون. وهذا هو رأى السيد أمير على، وأشار إليه (٤١١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الموت (٢)، السب (١)

أحمد أمين (١) أيضا..

وهذا رأى ليس له أى شاهد أو سند تاريخى إلا ما نقل عن الإربلى أنه قال " : فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلى أولاد على، سقوا على بن موسى سما، فتوفى بطوس فى رمضان " (٢). وهو عدا عن أنه كلام مبهم، فإن، الشواهد كلها على خلافه.. كما قدمنا وسيأتى. ولذا فهو لا يحتاج إلى كبير عناء فى رده وتفنيده.

ورأى آخر يقول:

إنه (ع) مات مسموما من قبل المأمون، ولكن بإشارة الفضل، وإغرائه.

ونرى نحن بدورنا: أن المأمون لم يكن بحاجة إلى حث وإغراء، بعد أن كان يرى أن وجود الإمام (ع) يشكل خطرا محققا عليه، وعلى كل بنى أبيه من بعده. ونحن - وإن كنا لا نستبعد أن يكون هذا رأى قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون - السلطة - إلا أننا لا نضايق فى أن الفضل، الذى قتل قبل الإمام (ع) بمدة!! كان من الراغبين فى التخلص من الإمام، سيما إذا لاحظنا: أنه كان يشكل عبئة كبرى فى طريق نفوذه وقوته وسلطانه.. ولكننا لا نوافق على أن المأمون كان لا يريد ذلك، وإنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذى كان قد قتل قبل ذلك بزمان!! (١) روح الإسلام للسيد أمير على ص ٣١١، ٣١٢. وأما أحمد أمين فقد أشار إليه فى عبارته الآتية عما قريب بقوله " : فإن كان حقا قد سم، يكون سمه أحد غير المأمون، من دعاة البيت العباسى. "

(٢) الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ١٠٢، عن خلاصة الذهب المسبوك ص ١٤٢. (٤١٢) صفحهمفاتيح البحث: شهر رمضان

المبارك (١)، القتل (١)، الموت (١)، الشهادة (١)

وقد تحدثنا في فصل: أسباب البيعة لدى الآخرين، وغيره من الفصول، وسيأتي الحديث بما فيه الكفاية إن شاء الله، تعالى..

ورأى فريق خامس يقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، ولا يقبل أبداً بأنه (ع) مات مسموماً، ويورد لذلك الحجج والبراهين التي رأى أنها كافية للدلالة على أنه (ع) لم يمت مسموماً.

ونذكر من هؤلاء ابن الجوزي، حيث قال - بعد أن أورد خبر وفاته، وحكى القيل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فيه عنب قد أدخلت فيه الإبر المسمومة، من غير أن يظهر أثرها، فأكله، فمات - قال بعد ذلك " وزعم قوم: أن المأمون سمه، وليس بصحيح. فإنه لما مات على توجع له المأمون، وأظهر الحزن عليه، وبقي أياماً لا يأكل طعاماً، ولا يشرب شراباً (١)، وهجر اللذات إلخ (".. ٢).

لكن عبارة ابن الجوزي هذه تقتضي أنه ينكر أن يكون المأمون هو الذي سمه، ولا ينكر أن يكون (ع) قد مات بسم غير المأمون. وقد تابعه الإبرلي في كشف الغمة على ذلك، محتجاً بعين ما احتج به، وأضاف إلى ذلك: أن سمه إياه يتنافى مع إكرامه له، وأنه كان ينبه على علم الرضا، وشرف نفسه وبيته إلخ.. (١) في تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٨١: أن المأمون بقي ثلاثة أيام مقيماً عند قبر الرضا (ع)، يؤتى كل يوم برغيف وملح، فيأكله. ثم انصرف في اليوم الرابع.

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٥٥. (٤١٣) صفحهمفاتيح البحث: كتاب كشف الغمة للإبرلي (١)، الموت (٤)، الحزن (١)، الأكل (١)، الإستحمام، الحمام (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (١)، القبر (١) وأما أحمد أمين فيقول: إن ذلك بعيد، لأن المؤرخين " يروون حزن المأمون الشديد عليه، كما يرون أن المأمون بعد موته. وبعد انتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة.. إلى أن قال: فإن كان حقاً قد سم، يكون قد سمه أحد غير المأمون، من دعاء البيت العباسي.. " ثم استشهد لذلك أيضاً بمناظرة المأمون للعلماء في تفضيل الإمام على (ع)، والتي ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد، وبأنه ظل يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه (١).

وصاحب كتاب عصر المأمون يستند في استبعاده لذلك إلى تلك الرعاية.

التي أظهرها المأمون له، وذلك الاحترام والتقدير، الذي كان يحيطه به، وخصوصاً بعد أن توثقت عرى المودة بينهما بالمصاهرة، وضيف إلى ذلك أيضاً: أن نفسية المأمون، وخلقه، وأبديان - على زعمه - عليه ذلك.

وعقد ولاية العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدليل القاطع على حسن نية المأمون، وسلامة طويته.

والدكتور أحمد محمود صبحي يرى: أن قضية مسمومية الرضا (ع) هي من مختلقات الشيعة " الذين لم يجدوا تناقضاً بين الحظوة التي كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولاية العهد، وتزويجه أخته (٢)، وبين أن يدس له المأمون السم في العنب، ثم يصلى عليه، ويدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد، فقد أصبح مقدرًا على الأئمة منذ الحسن: أن يكون قاتلوهم هم:

الخلفاء، أو بإيعاز منهم (".. ٣). (١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) قد اتفق المؤرخون تقريباً على أن المأمون قد زوج للرضا عليه السلام " ابنته " وليس أخته.

ولم يذكر أنها أخته إلا شاذ منهم لا يعتد به، وهو الذي يتشبه به الدكتور هنا، ولعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الإمام مع سن ابنته آثروا أن يجعلوها أخته.. وأيا كانت الحقيقة فإن مقصود المأمون هنا حاصل..

(٣) نظرية الإمامة ص ٣٨٧. (٤١٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن

أبي طالب عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، القبر (١)، الموت (١)، الشهادة (١)، اللبس (١)، الزوج، الزواج (١)

هذه هي الحجج، التي حاول هؤلاء إقامتها على صحة ما ذهبوا إليه، من براءة المأمون من دم الإمام (ع).

ملخص ما سبق:

ومن أجل التسهيل على القارئ نعود فنوجز ما ذكره من الأدلة في النقاط التالية:

- ١ - عقده له ولاية العهد من بعده..
- ٢ - إكرامه وتقديره له، وتنبهه على شرفه، وعلمه وفضله، وبيته.
- ٣ - تزويجه ابنته، الأمر الذي كان سببا في توثيق عرى المودة بينهما.
- ٤ - احتجاجه على العلماء في تفضيل علي (ع) على جميع الخلق..
- ٥ - إظهاره الحزن والتوجع لوفاته، وهجره الطعام والشراب، واللذات لذلك.
- ٦ - دفنه له بجوار أبيه الرشيد، وصلاته عليه.
- ٧ - بقاؤه بعد وفاته على لباس الخضرة حتى دخل بغداد.
- ٨ - إنه ظل يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه..
- ٩ - إن نفسية المأمون وخلقه يبيان عليه ذلك.
- ١٠ - إن ذلك من مختلقات الشيعة. حيث كتب على أئمتهم بعد الحسن أن يموتوا بسم الخلفاء، أو بإيعاز منهم.

آفة ذلك: هل هو الجهل، أم التعصب:

هذا ملخص أدلة ما ذهبوا إليه من عدم دس المأمون السم للإمام (ع)، ونحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم يطلعوا على الحقائق اطلاعا كافيا، يخولهم (٤١٥) صفحهمفاتح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدينة بغداد (١)، الطعام (١)، اللبس (١)، الجهل (١)، الحزن (١)

إصدار أحكام صائبة، في قضايا هي من أكثر المسائل التاريخية تعقيدا، بل وغموضا وإبهاما، كفضية حقيقة ظروف وعلاقات المأمون بالرضا، فحكموا على الأمور حكما سطحيا، لا يلبث أن ينهزم أمام المنطق السليم والنظر الصائب. وإما أنهم جروا على ديدن أسلافهم في التعصب على الأئمة (ع)، والمجارة لأهوائهم، ولخلفائهم في طمس معالم الحقيقة، التي كان يضر أولئك الخلفاء أكثر من غيرهم إظهارها، ومعرفة الناس لها.. نحن.. وما يقوله هؤلاء:

إن كان ما ذكره هؤلاء لا يمكن أن يمنع المأمون من التدبير في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه.. كما دبر من قبل بوزيره الفضل بن سهل، الذي أراد أن يزوجه ابنته، وكما دبر في قائده الكبير هرثمة بن أعين، الذي قتله فور وصوله إلى مرو، دون أن يستمع لشكواه، أو يصغى إلى دفاعه عن نفسه (١) وكما دبر فيما بعد بطاهر وأبنائه (٢) وغيرهم، (١) هكذا ذكر بعض المؤرخين، وقال ابن خلدون في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥، و ٢٤٩: إنه حبس، ثم دس عليه المأمون من قتله.. وفي معارف ابن قتيبة ص ١٣٣ طبع سنة ١٣٠٠ هـ. قال.. "فلما سمع حاتم بن هرثمة ما صنع أبوه كاتب الأحرار هناك. والملوك، ودعاهم إلى الخلافة، فبينما هو على ذلك أتاه الموت، فيقال: إن سبب خروج بابك كان ذلك.."

ومن يدري فلعل المأمون قد دبر بحاتم بما يحسم عنه مواد بلائه.. كما دبر في الكثيرين قبله وبعده..

وفي البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٦: أن أهل بغداد ثاروا. وأعلنوا العصيان بسبب قتل هرثمة. هذا.. ويقال: إن الفضل بن سهل قد عمل على قتل هرثمة. ولا بأس بمراجعة تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٨٩، وغيره.

(٢) في البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٦٠، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٦، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٧، طبع سنة ١٣١٠: إن سبب وفاة طاهر هو أن المأمون عندما ولاه خراسان، أهداه غلاما ليخدمه، ودفع إليه سما لا يطاق، فسمه الخادم في كامخ، فمات من ليلته. وفي الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٢٤: أن الذي أهداه الغلام هو أحمد ابن أبي خالد وزير المأمون، ليقته إذا فارق الطاعة، فقتله بأمر من المأمون.. وفي تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٩٢: أن المأمون تآمر عليه فقتله. والمؤرخون متفقون على أن المأمون كان يضم الشر والخيانة.

والنتيجة أن طاهر يموت - بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، ويبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك والشبهات. (٤١٦) صفحهمفاتيح البحث: هرثمة بن أعين (١)، الفضل بن سهل (٢)، القتل (٣)، المنع (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)، مدينة بغداد (١)، خراسان (١)، الطهارة (٢)، الموت (٢)، الوفاة (١)

وغيرهم، وغيرهم ممن كان يخلتهم واحدا فواحدا - على حد تعبير عبد الله بن موسى في رسالته له - سواء من العلويين أو من غيرهم.. مع أن هؤلاء كانوا وزراء وقواده، ولهم من الفضل عليه، وعلى دولته ما لا يمكن أن يخفى على أحد، فإنهم هم الذين وطدوا له دعائم حكمه، وبسطوا نفوذ وسلطانه على البلاد، وأذلوا له العباد، وقامت دولته بأسياهم، وعلى أكتافهم..

لقد ختلهم واحدا فواحدا.. مع أنه كان يظهر لهم من الحب والتقدير ما لا يقل عما كان يظهره للإمام.. وحسبنا أن نذكر هنا: أنه قتل أخاه وعمل برأسه ما تقدمت الإشارة إليه من أجل الملك والسلطان فكيف لا يقتل الرضا من أجل الملك والسلطان، أيضا.. ثم يتستر على فعلته بتلك الظواهر التي لا تضره؟! أم يعقل أن يكون الرضا أعز من هؤلاء جميعا.. وحتى أعز عليه من أخيه الذي قتله؟! وأما تظاهرة بالحزن والأسى لوفاء الإمام (ع) إلخ.. فما أدري إن كان هؤلاء يريدون من ذلك الأفعى الداهية: أن يظهر الفرح والاستبشار بموت الإمام (ع)!. والى

وهل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظيم عليه (١) وتبع قتله (١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ٣٢٢، وماثر الإنافة ج ١ ص ٢١١.

وقد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل في ما تقدم فلا نعيد.. (٤١٧) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن موسى (١)، العزة (٢)، القتل (٥) وقتلهم، وأرسل رؤوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟! ولكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر بإبراهيم ابن شكله، وأسقطه وحجبه وعزله عما كان في يده (١).

وقتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن أكثم إلى الرقة، لينوب عنه في تقديم التعازي، لولده عبد الله، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر..؟! (٢).

وأنه قتل محمد بن جعفر، ثم جاء وحمل نعشه، وقال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة؟!.

وغيرهم وغيرهم، ممن لا مجال هنا لتتبع أسمائهم وأحوالهم.. أما مواقفه وتصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، ولا أعارها أي منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟!.

وكيف يتفق كل ما ذكرناه - وخصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، وتخريبه بغداد، وأيضا قتله لسبعة من إخوة الإمام واضطهاده للعلويين كما سنبينه، وكتابه للسرى عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ.. كيف يتفق كل ذلك، وسائر أفاعيله التي قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون ونفسيته؟! ولا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته وخلقه الكريم؟! وهل قتل أولئك مع إظهار المحبة والإكرام لهم (١) لطف التدبير ص ١٦٦، (٢) ولقد كان يؤكد براءته من تلك الجرائم بأساليب مختلفة أخرى، ويرضى جميع الأطراف، فهو يرضى العباسيين بقتل الرضا، ويرضى العلويين باستقدام الجواد - ولد الرضا - من المدينة، وإكرامه إياه، ويقتل الفضل، ويرضى الحسن أخاه، بما ذكرنا، ويقتل طاهرا، ويرضى أبناءه بتوليتهم مكانه، ويبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا.

حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، وعلى هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حكمة المأمون ودهائه السياسي.. (٤١٨) صفحهمفاتيح البحث: يحيى بن أكثم (١)، مدينة بغداد (١)، الحسن بن سهل (٢)، محمد بن جعفر (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (٧)، الطهارة (١)، الزوج، الزواج (١)، الوفاة (١)، الجود (١)

لا يتنافى مع نفسيته وخلقه الكريم، ويتنافى قتل الإمام مع الأكرام والمحبة له وللعلويين مع نفسيته وخلقه الكريم أيضا..

وأیضا هل بعد كل ذلك، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، ودس السم إليه؟! ولقد بينا في فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، وتزويج ولده الجواد، وتزويج الفضل أيضا.. وتحدثنا أيضا عن السبب في لباسه والخضرة، ودوافع ولاية

العهد، وغير ذلك من أمور.

بل نجرؤ على القول هنا: إن المأمون قد أكره الإمام (ع) على هكذا زواج، إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهدا في الدنيا.. يقدم ويرغب في زواج طفلة ومن هي بالنسبة إليه بمنزلة حفيدته، بل أصغر، حيث كان يكبرها بحوالي أربعين سنة.. ثم لا يكون هناك سر آخر يكمن وراء مثل هكذا زواج، إلا أن يدعى هؤلاء: أن ذلك يتفق مع العقل والحكمة، وينسجم مع زهد الإمام في الدنيا، وانصرافه عنها..

وإذا كان ثمة سر آخر يكمن وراء ذلك الزواج، فإن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يستطيع التصريح بحقيقته الأمر، وواقع القضية إلى آخر ما قدمناه في فصل: ظروف البيعة.

وأما قوله بتفضيل علي (ع) على جميع الخلق.. فإننا إن لم نقل:

أنه كان من ضمن المخطط، الذي كان قد رسمه للوصول إلى مآربه وأهدافه - كما اتضح في فصل ظروف البيعة.. فإننا - ونحن نرى تباين مواقفه وتصريحاته - نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق في مواقفه السياسية من مواقف عقائدية.

وأما إكرامه للعلويين.. فقد تقدم تصريحه في كتابه للعباسيين: بأن ذلك ما كان منه إلا سياسة ودهاء.. وتقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع) (٤١٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام

(١)، الكرم، الكرامة (٢)، الزهد (١)، القتل (١)، الزوج، الزواج (٣)، الجود (١)، السب (١)، الوفاة (١)

قد أخذهم بلبس السواد، ومنعهم من الدخول عليه.. وأنه كان يخلتهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد الله بن موسى.

وسياتى بيان أنه قتل سبعة من إخوة الإمام (ع).. وأنه أمر الولاة والحكام بالقبض على كل علوى.

وأما ما ذكره أحمد أمين: من كثرة خروج العلويين عليه.

فإننا لم نجد، ولم نسمع ذكرا في التاريخ لثورة قامت ضد المأمون، بعد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن، والتي كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، وظلمهم.. وسوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيه كما سياتى..

ولم يبق ثمة إلا- نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشيعة.. وأنهم إنما اختلقوها وابتدعوها بدافع من الشعور بالحاجة إلى مثل هذه التزويرات، إذ قد كتب إلخ..

فهى دعوى تكذبها جميع الشواهد والدلائل التاريخية.. هذا بالإضافة إلى أن السنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشيعة له بها، والشيعة إنما يعتمدون في ذلك على كتب أهل السنة، التى استفاضت فى اتهام المأمون بذلك، والتى يؤيدها الكثر مما قدمناه فى هذا الكتاب، وغيره..

وهكذا.. يتضح أن كل ما ذكره هؤلاء لا يصلح مانعا ولا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشهاد الإمام (ع).. بل جميع الدلائل والشواهد متضاربة على خلاف ذلك حسبما فصلناه فى الفصلين المتقدمين وغيرهما، ولولا- أن تعداد مواقف المأمون مع الإمام

وتصريحاته يستلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضطرننا إليه.. لا استطعنا أن نحشد الكثير الكثير من الدلائل والشواهد، التى تؤكد سوء نية المأمون، وخبث طويته تجاه الإمام (ع).. فما استند إليه هؤلاء فى حكمهم ذاك، (٤٢٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن

موسى الرضا عليهما السلام (٣)، عبد الله بن موسى (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، الوفاة (١)

لا يصلح للاستناد إليه، ولا للاعتماد عليه، وإن صيغ عبارات منمقة، وأساليب مختلفة، فيها الاغراق والمبالغة أحيانا، ويبدو عليها الاتزان والموضوعية أحيانا أخرى.

وبعد. فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالى:

وإلا.. فإننا نرى: أن لنا كل الحق فى توجيه السؤال التالى إلى كل من يكابر، ويصر على براءة المأمون، وحسن نيته، والسؤال هو:

إنه إذا كان قد عرض ولاية العهد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد الله بن موسى، فلماذا لم يجعل ولد الرضا " الجواد " وليا لعهد، مع



أنه كان زوج ابنته، وولد ولي عهده، الذي أظهر عليه الحزن والجزع، ومع أنه كان قد اعترف له بالعلم. والفضل والتقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!.

ولا مجال هنا للإصغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه.. إذ أن جعله وليا للعهد لا يعنى تسليمه بالفعل أزمه الحكم والسلطان.. وقد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، وأخوه الأمين البيعة لم كانوا أصغر من الجواد سنا، ولمن لم يكن له من العقل والحكمة والدراية ما كان الجواد (ع).

هذا بالإضافة إلى أن صغر سنه لم يكن ليضره، بعد أن كان من أهل بيت زقوا العلم زقا، وبعد أن شهد المأمون، واعترف له العباسيون بالعلم والفضل، بعد ذلك المجلس الذي أجاب فيه يحيى بن أكثم عن مسائله، حيث كان العباسيون قد بذلوا له الأموال الطائلة ليقطعه عن (٤٢١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (٢)، عبد الله بن موسى (١)، يحيى بن أكثم (١)، الشهادة (١)، الجود (٢)، الزوج، الزواج (١)، الوفاة (١) الحجة! (١). راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرة. رأى الفريق السادس: رأى الحق:

وأما ذلك الفريق الذى يرى: أنه (ع) مات مسموما دون شك، والذين أشار إليهم ابن الجوزى بقوله: "وزعم قوم أن المأمون قد سمه - "أما هؤلاء، فكثيرون:

ويمكننا أن نقول: إن ذلك مما تسالم عليه الشيعة رضوان الله عليهم، ما عدا المرحوم الإربلى فى كشف الغمة، ونسب ذلك أيضا إلى السيد ابن طاووس، وإلى الشيخ المفيد قدس سره، لكن ربما يستظهر من المفيد أنه يذهب إلى مسموميته، حيث ذكر أنهما - أى المأمون والرضا - قد أكلا معا عنبا، فمرض الرضا، وتمارض المأمون!

واتفاق الشيعة على ذلك لخير دليل على أنه (ع) قد قضى شهيدا، لأنهم هم أعرف وأخبر بأحوال أئمتهم من غيرهم، وليس لديهم ما يوجب كتم الحقائق، أو تشويهها. فإذا ما سحت لهم فرصة لإظهارها أظهرها، دون تكتم على شئ، أو تشويه لشيء.

ومن أهل السنة، وغيرهم. طائفة كبيرة من العلماء، والمؤرخين، يعتقدون بأنه (ع) لم يمت حتف أنفه، أو على الأقل يرجحون ذلك، وإن لم يعين كثير منهم من فعل ذلك، أو أمر به. ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: (١) راجع الصواعق المحرقة، والفصول المهمة، لابن الصباغ، وينايع المودة للحنفى، وإثبات الوصية للمسعودى، والبحار، وأعيان الشيعة، وإحقاق الحق ج ٢ نقلا عن:

أخبار الدول للقرمانى، ونور الأبصار، وأئمة الهدى للهاشمى، والإتحاف بحب الأشراف ومفتاح النجا فى مناقب أهل العبا إلخ.. (٤٢٢) صفحهمفاتيح البحث: كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، الشيخ المفيد (قدس سره) (١)، الموت (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، كتاب ينايع المودة (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١) ابن حجر فى صواعقه ص ١٢٢.

وابن الصباغ المالكي فى الفصول المهمة ص ٢٥٠ والمسعودى فى إثبات الوصية ص ٢٠٨، وفى التنبيه والإشراف ص ٢٠٣، ومروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧، وإن كان فى مكان آخر من مروجه قد حكى ذلك بلفظ: قيل.

والقلقشندى فى مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢١١.

والقندوزى الحنفى فى ينايع المودة ص ٢٦٣، وغيرها.

وجرجى زيدان فى تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٤ قال: "وفكر فى بيعته على الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، وخاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان، فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، ففسد إليه من أطعمه عنبا مسموما، فمات." وذكر ذلك أيضا فى آخر صفحة من كتابه: الأمين والمأمون.

وأبو بكر الخوارزمي يقول في رسالته " : وسم على بن موسى الرضا بييد المأمون " وقد تقدم شرط كبير من هذه الرسالة.. ويؤيد قوله هذا بعض ما تقدم بالإضافة إلى عدة روايات ليس هنا محل ذكرها.

وأحمد شلبي في: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٠٧ يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا، وخلع الخضره الخ.

وأبو الفرج الأصفهاني يقول في مقاتل الطالبين " : وكان المأمون عقد له على العهد من بعده، ثم دس إليه - فيما ذكر - بعد ذلك سمات. "

وذكر استشهاده أيضا أبو زكريا الموصلي في تاريخ الموصل ١٧١ / ٣٥٢. (٤٢٣) صفحهمفاتيح البحث: كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودي (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، مدينة بغداد (١)، الخوارزمي (١)، خراسان (١)

وابن طباطبا في الآداب السلطانية ص ٢١٨.

والشبلنجي في نور الأبصار ص ١٧٦، ١٧٧ طبع سنة ١٩٤٨ يروي ذلك أيضا.

ويروي ابن حجر عن الحاكم في تاريخ نيسابور أنه قال " : استشهد على بن موسى الرضا بسنا آباد. "

وهو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان (١).

والسمعاني أيضا في أنسابه ج ٦ ص ١٣٩، يذهب إلى إستهاده (ع).

وينقل القندوزي ذلك عن محمد بارسا البخاري في كتاب فصل الخطاب.

كما وينقله عن اليافعي، فراجع ص ٣٨٥ من ينابيع المودة..

وفي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص ٢٧٨ ينقل ذلك عن سنن ابن ماجه القزويني.

وينقل ذلك أيضا عن السلامي في كتابه الذي ألفه في تاريخ خراسان (٢).

وعن البيهقي في تاريخ بيهق.

وعارف تأمر في كتابه: الإمامة في الإسلام ص ١٢٥ يقول بذلك أيضا.

ونقله في إحقاق الحق (الملحق) ج ١٢ ص ٣٤٦ فصاعدا عن:

النهاني في جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٣١١.

وعن السيد عباس بن علي بن نور الدين في نزهة الجليس ج ٢ ص ٦٥.

وعن المناوي في الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٥٦.

وعن ابن طلحة بن مطالب السؤل ص ٨٦. (١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٨٨، وأعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٥٤.

(٢) راجع: البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦. (٤٢٤) صفحهمفاتيح البحث: كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)،

كتاب سنن ابن ماجه (١)، كتاب خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي الأنصاري اليمني (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي

(١)، كتاب فصل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، خراسان (١)، الموت (١)، كتاب عيون

أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

وعن الهاشمي الأفغاني في كتابه " : أئمة الهدى ص ١٢٧.

وعن البدخشي في: مفتاح النجا ص ١٨١ (مخطوط).

وعن الجوزجاني الحنفي في: طبقات ناصري ص ١١٣.

وذكر ذلك أيضا صاحب كتاب عيون الحقائق ص ٣٥٧.

وأخيرا فقد قال الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٢٦.. "ومات الرضا مسموما، كما يرى أكثر المؤرخين."

وهذا غيظ من فيض.. وحسبنا ما ذكرنا هنا، فإننا لو أردنا تتبع ما قيل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلى وقت طويل.. هذا كله.. بالنسبة إلى أقوال المؤرخين.

صدى قتل الرضا فى نفس زمن المأمون:

وأما إذا راجعنا كتب التاريخ أنفسها، فإننا نستطيع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم على يد المأمون كان شائعا ومعروفا بين الناس فى ذلك الزمان، أعنى: زمن المأمون نفسه، ومتسالما عليه فيما بينهم..

فلقد تقدم فى الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس يتهمونه: بأنه قد اغتاله وقتله بالسم!

وورد أيضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا وقالوا: إن هذا قتله واغتاله - يعنون المأمون -، وأكثروا من القول والجلبة، حتى أرسل إليهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبى الحسن يخبرهم:

أن أبا الحسن لا يخرج فى ذلك اليوم، خوفا من الفتنة (١). (١) مسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٣٠، والبحار ج ٤٩ ص ٢٩٩، ٣٠٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٢. (٢٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، محمد بن جعفر (١)، البدخشى (١)، القتل (٣)، الوفاة (٢)

كما وأن عبد الله بن موسى يصرح فى رسالته التى أرسلها إلى المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من إطعامه العنب المسموم، وستأتى هذه الرسالة بتمامها فى أواخر هذا الكتاب..

وسئل أبو الصلت الهروى: "كيف طبابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه إياه ومحبتة له؟! فجاء فى آخر جوابه قوله: "فلما أعيتة الحيلة فى أمره اغتاله، فقتله بالسم (١).."

فإن هذا السؤال يكشف عن أن ذلك كان معروفا آنذاك بين الناس لكن الناس كانوا فى حيرة من ذلك، بسبب ما كانوا يرونه من إكرام المأمون للرضا (ع) فى الظاهر.

وعن الطالقانى: إنه كان متى ظهر للمأمون من الرضا علم وفضل، وحسن تدبير حسده على ذلك، وحقد عليه، حتى ضاق صدره منه، فغدر به فقتله."

بل لقد ذكر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهيم ابن الإمام موسى (ع) على المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخيه على الرضا (ع) (٢).

ويؤيد ذلك: أنه قد نقل الاتفاق من كل من ترجم لإبراهيم هذا على أنه مات مسموما، وأن المأمون هو الذى دس إليه السم، وقد أنشد ابن السماك الفقيه، حينما ألحده:

مات الإمام المرتضى مسموما \* وطوى الزمان فضائلا وعلوما قد مات بالزوراء مظلوما كما \* أضحى أبوه بكرىلا مظلوما (١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩، والبحار ج ٤٩ ص ٢٩٠، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١١٥. (٤٢٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، عبد الله بن موسى (١)، القتل (٢)، الموت (٢)، الظلم (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (١)

إلى آخر الأبيات (١).. وإبراهيم هذا هو الذى كان قد خرج على المأمون فى اليمن قبل ذلك أيضا. كما أن المأمون قد دس السم إلى أخيه زيد ابن موسى (٢)، الذى كان قد خرج عليه قبلا بالبصرة، وإن كان اليعقوبى يذكر أن المأمون قد عفا عن زيد وإبراهيم (٣)..

لكن من الواضح أن عفوه عنهما في الظاهر بسبب خروجهما عليه في البصرة واليمن، لا ينافي أنه دس إليهما السم بعد ذلك بأعوام بسبب مطالبتهما بدم أخيهما الرضا (ع).

كما أن بعض المصادر التاريخية تذكر: أن " أحمد بن موسى " أخا الإمام الرضا.. لما بلغه غدر المأمون بأخيه الرضا، وكان آنذاك في بغداد، خرج من بغداد للطلب بئرا أخيه، وكان معه ثلاثة آلاف من العلوية. وقيل: اثنا عشر ألفا. وبعد وقائع جرت بينه وبين " قتلغ خان، " الذي أمره المأمون فيهم بأمره، والذي كان عاملا للمأمون على شيراز.. استشهد أصحابه، واستشهد هو، وأخوه " محمد العابد " أيضا (٤). (١) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٠٨، والبحار ج ٤٨ ص ٢٧٨ باختصار. ولكن في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩١ وصفة الصفوة ج ٣ ص ١٧٧ والكنى والألقاب. ج ١ ص ٣١٦، ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٩٣، والطبري في أحداث سنة ١٨٣:

أن تاريخ وفاة محمد بن السماك كانت سنة ١٨٣ هـ. وأما وفاة إبراهيم فهي إما سنة ٢١٠، أو سنة ٢١٣، فلا يمكن أن يكون ابن السماك هو المتولى لحده، فضلا عن أن ينشد الشعر المذكور.. اللهم إلا- أن يكون ابن السماك اثنين، أحدهما الفقيه، والآخر: القصاص، أو لعل هناك تصحيف عمدي، أو عفوى من الراوى.

(٢) البحار ج ٤٨ ص ٣١٥، وكذا هامش ص ٣٨٦ منه وشرح ميمية أبي فراس ص ١٧٨.

وعمدة الطالب ص ٢٢١، وأيضا حياة الإمام موسى بن جعفر.

(٣) مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٩.

(٤) راجع: كتاب قيام سادات علوى ص ١٦٩ (فارسي)، وأعيان الشيعة ج ١٠ من المجلد ١١ ص ٢٨٦، ٢٨٧، نقلا عن كتاب: الأنساب، لمحمد بن هارون الموسوى النيشابورى. وراجع أيضا: مدينة الحسين (السلسلة الثانية) ص ٩١، والبحار ج ٨ ص ٣٠٨، وحياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤١٣، وفرق الشيعة هامش ص ٩٧ عن بحر الأنساب ط بمبى وغير ذلك. (٤٢٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، مدينة البصرة (١)، أحمد بن موسى (١)، مدينة بغداد (٢)، الشهادة (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، محمد بن هارون (١)، موسى بن جعفر (٣)، القصاص (١)، الوفاة (٢)

وأیضا.. فإن شرطة المأمون قد قتلوا " هارون بن موسى " أخا الرضا، حيث إن هارون هذا كان فى القافلة التى كانت تقصد خراسان، وكانت تضم (٢٢) علویا، وعلى رأسها السيدة فاطمة أخت الرضا (ع) (١).

فأرسل المأمون إلى هذه القافلة، فقتل وشرذ كل من فيها، وجرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه وهو يتناول الطعام فقتلوه (٢). وأما زعيمة القافلة السيدة فاطمة بنت موسى (ع) فيقال إنها هى الأخرى قد دس إليها السم فى ساوة، ولهذا لم تلبث إلا- أياما قليلة واستشهدت (٣).

وآخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون " حمزة بن موسى، " أخا الإمام (ع)، حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون (٤).

فيكون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)، لأنهم طالبوه بدم أخيه، أو كادوا. وألحق بهم ما شاء الله ممن تابعهم، أو خرج معهم.

ويقول الكاتب الفارسى، على أكبر تشيد " : إن كثيرا من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان، أيام تولى الإمام العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل، وذلك بسبب استشهاد الإمام (ع)، وأمر المأمون الحكام، وأمرء البلاد بقتل، أو القبض على كل علوى " (٥). (١) قيام سادات علوى ص ١٦١.

(٢) جامع الأنساب ص ٥٦، وقيام سادات علوى ص ١٦١، وحياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢.

(٣) قيام سادات علوى ص ١٦٨.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢.

(٥) قيام سادات علوى ص ١٦٠. (٤٢٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، هارون بن موسى (١)، خراسان (٢)، القتل (٥)، الطعام (١)، الشهادة (١)، موسى بن جعفر (٢) وفى الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك:

بل إن دعبلا المعاصر للإمام والمأمون، يرثى الإمام (ع) فيقول:

شككت: فما أدرى أمسقى شربة \* فأبكيك أم ريب الردى فيهن أيا عجا منهم: يسمونك الرضا \* ويلفاك منهم كلحة و غصون فدعبل لم يكن شاكا فى الأمر، بدليل البيت الثانى، أعنى قوله:

أيا عجا منهم يسمونك إلخ.. وبدليل مرثيته الأخرى للإمام، التى يقول فيها:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه \* من ذى يمان ولا بكر ولا مضر إلا وهم شركاء فى دمائهم \* كما تشارك أيسار على جزر إلى آخر الأبيات.. ومهما شككت فى شىء، فإننى لا أشك فى أن أقوال دعبل هذه هى التى دعتهم لاتهامه بالزندقة، والمروق من الدين.. ويقول السوسى:

بأرض طوس نائى الأوطان \* إذ غره المأمون بالأمانى حين سقاه السم فى الرمان (١) والقاضى التنوخى أيضا يقول:

ومأمونكم سم الرضا بعد بيعه \* فآدت له شم الجبال الرواسب (٢) وأبو فراس أيضا يقول فى شافيته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته \* وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا (١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٧٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٢٨، وفى الغدير ج ٣ ص ٣٨٠، هكذا: "تود ذرى شم الجبال إلخ..". ولعل الصواب فيه: "تهد ذرى إلخ..". (٤٢٩) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)، ابن شهر آشوب (٢)

عصابة شقيت من بعدما سعدت \* ومعشر هلكوا من بعدما سلموا لا بيعه ردعتهم عن دمائهم \* ولا يمين، ولا قربى، ولا ذم وهكذا.. يتضح بما لا مجال معه للشك: أن كون المأمون هو الذى اغتال الإمام قد كان معروفا لدى الناس، وشائعا بينهم منذ ذلك الحين..

ولا غرابة فى ذلك فلقد كان وعد حاجبه، وجمعا من العباسيين بأنه سوف يدبر فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه!

الإمام وآباؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته:

وبعد كل ما تقدم.. نرى أنه لا بد لنا قبل أن نأتى على آخر هذا الفصل من الإشارة إلى أن الإمام نفسه قد أخبر أكثر من مرة بأنه سوف يقضى شهيدا بالسم، بل لقد أخبر بذلك آباؤه الطاهرون، وغيرهم ممن عاشوا فى ذلك الزمان.

ونستطيع أن نقسم هذه الروايات الكثيرة جدا إلى ثلاث طوائف:

١ - طائفة وردت على لسان النبى صلى الله عليه وآله، والأئمة (ع): يخبرون فيها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) فى طوس، وهذه على ما يبدو خمسة أحاديث.

٢ - طائفة وردت عن الإمام نفسه، يخبر فيها بهذا الأمر، وبأن المأمون نفسه هو الذى سوف يقدم على ذلك، وأنه سوف يدفن فى طوس إلى جنب هارون.

وهذه الطائفة كثيرة جدا - وفى بعضها يصرح بذلك للمأمون نفسه، كما المحنا إليه - حتى إنه زاد فى قصيدة دعبل، من أجل تميم قصيدته قوله: (٤٣٠) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله

عليه وآله (١)، الشهادة (٢)، الدفن (١)، الجنابة (١)

وقبر بطوس يا لها من مصيبة \* ألحت على الأحشاء بالزفرات (١) ٣ - تلك الطائفة التى تشرح لنا كيفية دس السم إليه. وأنه بالعنب، أو بإدخال الإبر المسمومة فى، أو بالرمان، أو بهما معا، أو بغير ذلك.

وهذه الطائفة كثيرة أيضا، وقد ورد بعضها عن الإمام نفسه. وقال بعض الكتاب: إنه تتبع هذه الروايات، فوجدناها تنتهى إلى ستة

أشخاص، هم:

أبو الصلت عبد السلام الهروى، والريان بن شبيب، وهرثمة بن أعين (٢) ومحمد بن الجهم، وعلى بن الحسين الكاتب، و عبد الله بن بشير (٣).

ولكننى قد راجعت بدورى هذه الروايات، فوجدت: أن عددا آخر غير هؤلاء قد رووا ذلك أيضا. وحتى الزيارة تؤكد على استشهاده (ع):

وأخيرا.. فقد ورد فى الزيارة الجوادية قول الإمام الجواد (ع): (١) ينابيع المودة ص ٤٥٤، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٣٨، والبحار ج ٤٩ ص ٢٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) لم يكن هرثمة حيا حين وفاة الإمام، لأنه بعد مقتل أبى السرايا ذهب إلى مرو، فلم يمهله المأمون. وتخلص منه بعد أيام قلائل من وصوله، فروايته لكيفية وفاة الإمام عليه السلام لا تصح. إلا أن يكون هرثمة اثنين.. هذا ويلاحظ بعض التشابه بين رواية هرثمة، ورواية أبى الصلت.. فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى، أو أنه قد ذكر اسم هرثمة لحاجة فى نفسه قضاها..

(٣) القائل بذلك هو على موحى فى كتابه: ولاية عهدى إمام رضا.. (٤٣١) صفحهمفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (١)، عبد الله بن بشير (١)، هرثمة بن أعين (١)، على بن الحسين (١)، ريان بن شبيب (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، ابن شهر آشوب (١)، القتل (١)، الوفاة (٢) "السلام عليك من إمام عصب، وإمام نجيب، وبعيد قريب، ومسموم غريب (١)..".

وفى كامل الزيارة لابن قولويه، وهو من الكتب المعتمدة، والموثوقة، وغيره: قد ورد قولهم (ع) فى زيارته "قتل الله من قتلك بالأيدى والألسن (٢).." وفقرة أخرى فى زيارته تقول "السلام عليك أيها الشهيد السعيد، المظلوم المقتول.. إلى أن قال: لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك (٣)..".

وأما قولهم (ع): أيها الصديق الشهيد، فهى موجودة فى غير مورد من زيارته، وفى مختلف الكتب الموردة لها. القمة الشامخة الخالدة:

والآن.. وبعد أن أصبح الصبح واضحا لكل ذى عينين، وبان وظهر ما جهد المأمون ومن يدور فى فلكه فى إخفائه وطمسه - الآن - قد آن لنا أن نقول:

فليكذ المأمون كيده، وليسع سعيه، وليناصب جهده، فلقد بقى الإمام (ع) رغم كل مؤامراته ودسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه الأهواء، ولم تتل منه العوادي.. ويبقى - وإلى الأبد - كعبة الزوار، ومهوى الأفتدة، من شرق الأرض وغربها.

أما المأمون.. فبيوء بعارها وشارها، ويذهب إلى لعنة إلى.. لعنة الله والتاريخ. (١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣.

(٢) كامل الزيارات ص ٣١٣. ومفاتيح الجنان ص ٥٠١، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧٠ (٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٩.

(٤٣٢) صفحهمفاتيح البحث: ابن قولويه (١)، الصدق (١)، القتل (٢)، الشهادة (١)، الخلود (١)، الظلم (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه (١)

## دعبل والمأمون

دعبل والمأمون!:

الموقف الجريء جاء فى أمالى الشيخ ج ١ ص ٩٨، ٩٩، وأمالى المفيد ص ٢٠٠، ٢٠١، وط الحيدرية فى النجف ص ١٩٢ - ١٩٣ والأغانى ٨ ص ٥٧، والغدير ج ٢ ص ٣٧٥، ٣٧٦ عنه، وعن ابن عساكر فى تاريخه ج ٥ ص ٢٣٣ وأخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص

٩٤ - ٩٥ ما يلى:

عن يحيى بن أكثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه الله، وآمنه على نفسه، فلما مثل بين يديه، وكنت جالسا بين يدي المأمون، فقال له: أنشدني قصيدتك "الرائية" فجحدها دعبل، وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما آمنتك على نفسك، فأنشده:

تأسفت جارتى لما رأت زورى \* وعدت الحلم ذنبا غير مغتفر ترجو الصبا بعدما شابت ذوائبها \* وقد جرت طلقا في حلبة الكبر  
أجارتى: إن شيب الدهر يعلمنى \* ذكر المعاد، وأرضانى عن القدر لو كنت أركن للدنيا وزيتها \* إذن بكيت على الماضين من نفر  
(٤٣٣) صفحهمفاتيح البحث: كتاب أمالى الصدوق (٢)، مدينة النجف الأشرف (١)، ابن عساكر (١)، يحيى بن أكثم (١)

أخنى الزمان على أهلى فصدعهم \* تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر بعض أقام، وبعض قد أصاربه \* داعى المنية والباقي على الأثر  
أما المقيم: فأخشى أن يفارقنى \* ولست أوبى من ولى بمنتظر أصبحت أخبر عن أهلى وعن ولى \* كحالم قص رؤيا بعد مذكر \* \*  
\* لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا \* من أهل بيت رسول الله لم أقر وفى مواليك للحرين مشغلة \* من أن تبيت لمشغول على أثر كم  
من ذراع لهم بالطف بائنة \* وعارض بصعيد الترب منعفر أمسى الحسين ومسراهم لمقتله \* وهم يقولون هذا سيد البشر يا أمه السوء ما  
جازيت أحمد فى \* حسن البلاء على التنزيل والسور خلفتموه على الأبناء حين مضى \* خلافة الذئب فى انفاد ذى بقر \* \* قال  
يحيى: وأنفذنى المأمون فى حاجه، فقمت، فعدت إليه، وقد انتهى إلى قوله:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه \* من ذى يمان، ولا- بكر، ولا- مضر إلا- وهم شركاء فى دمائهم \* كما تشارك أيسار على جزر قتلا،  
وأسرا، وتخويفا ومنهبة \* فعل الغزاة بأهل الروم والخزر أرى أمية معدورين إن قتلوا \* ولا أرى لبنى العباس من عذر قوم قتلتم على  
الإسلام أولهم \* حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر أبناء حرب، ومروان، وأسرتهم \* بنو معيط، ولاه الحقد والوغر \* \* \* إربع  
بطوس على قبر الزكى بها \* إن كنت تربع من دين على وطر (٤٣٤) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، بنو عباس (١)، القبر (١)،  
القتل (١)، الحرب (١)

قبران فى طوس: خير الناس كلهم \* وقبر شرهم، هذا من العنر ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا- \* على الزكى بقرب الرجس من  
ضرر هيهات كل امرئ رهن بما كسبت \* له يدها فخذ من ذاك أو فذر قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، وقال:  
"صدقت والله يا دعبل."

صفحة (٤٣٥)

## كلمة ختامية

كلمة ختامية:

وفى الختام:

فإننى أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة، للكشف عن الحقائق التى أريد لها أن تبقى طى الكتمان.. وأن يكون القارئ قد  
وجد فيها ما يصح أن يكون جوابا على الأسئلة الكثيرة، التى قد يثيرها لديه هذا الحدث التاريخى الهام، الذى لم يكن طبيعيا، وعاديا  
كسائر ما يجرى وما يحدث..

الاكتار من النصوص التاريخية فى الكتاب:

ولعل المطلع على هذا الكتاب يكون قد لاحظ: أننى أكثر فيه من النصوص التاريخية، ولم يكن هدفى إلا أن لا يجد القارئ كبير  
عناء فى استخلاص الحقائق، بعيدا عن نزوات العاطفة، وعثرات الميول..

ولا شك أنه يكون قد لاحظ أيضا: أننى لم أحاول انتقاء ألفاظه، ولا صياغة جملة صياغة فنية أنيقة.. وإذا كنت مقتنعا بأن ذلك من  
مميزاته وحسناته، لا اعتقادى بأن ذلك هو ما تفرضه طبيعة البحث

صفحة (٤٣٦)

الموضوعى الهادئ. فلسوف لا- أستغرب، ولا- أتألم إذا كان هناك الكثيرون، ممن يعتقدون أنه عيب ونقص، كان بالإمكان تجنبه، والابتعاد عنه. ومع ذلك: فلن أجد نفسى مغبونا حين أقدم - بإخلاص - اعتذارى لهم، وطلب المسامحة، وغض النظر منهم. رجاء واعتذار:

وإذا كان يجوز لى أخيرا: أن أطلب من إخوانى الأجزاء شيئا، فإن رجائى الأكيد من كل من يقرأ كتابى هذا: أن يتحبنى بملاحظاته، وأن يبنهنى لما يجده، أو يراه خطأ، أو نقصا، فإن الإنسان - إلا من اصطفى الله - معرض للخطأ وللصواب.. وإذا كان كثيرا ما يكون له فضل فيما أصاب، فكثيرا ما يكون له العذر أيضا فيما أخطأ. شكر وتقدير:

هذا.. ولا يسعنى هنا إلا أن أتقدم بجزيل شكرى، وعميق تقديرى لسماحة حجة الإسلام المحقق السيد مهدي الروحانى، ولأصحاب السماحة والفضيلة. من أساتذتى وإخوانى، الذين تفضلوا بمطالعة هذا الكتاب، حيث كان لآرائهم الصائبة، وتوجيهاتهم السديدة، وملاحظاتهم الدقيقة أكبر الأثر على هذا الكتاب، إن فى الشكل، وإن فى المحتوى.. وأخيرا.. فإننى أتقدم أيضا بخالص شكرى، وفاق تقديرى للقارئ الكريم. الذى جعلنى مدينا له، بما منحنى من وقته. وعقله، وفكره. وأرجو أن أكون قد وفقت للفوز بثقته أيضا.

ولا أطيل عليك - قارئى الكريم -، فقد كان الفراغ من نقله إلى (٤٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (١)، الحج (١)، الجواز (١)

المبيضة ليلة الأحد السابع من صفر، الساعة التاسعة منها سنة ١٣٩٦ هـ.

ق. الموافق ٨ شباط سنة ١٩٧٦ م ش.

والحمد لله، وله المنه، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى..

نزىل قم المقدسة جعفر مرتضى الحسينى العالمى

صفحة (٤٣٨)

## وثائق هامة

وثائق هامة ١ - رسالة الفضل بن سهل إلى الإمام (ع).

٢ - وثيقة ولاية العهد.

٣ - رسالة المأمون إلى العباسيين.

٤ - رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون.

٥ - رسالة سفيان إلى هارون.

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى. (٤٣٩) صفحهمفاتيح البحث: ابو فراس الحمدانى (١)، عبد الله بن موسى (١)، الفضل بن سهل (١)

## رسالة الفضل بن سهل إلى الإمام

رسالة الفضل بن سهل إلى الإمام (ع) هذه الرسالة:

هذه الرسالة هى التى أرسلها الفضل بن سهل إلى الإمام (ع)، يطلب فيها منه القدوم، من أجل عقد ولاية العهد له..

وقد اطلعت عليها فى وقت متأخر، وتحدثت عن بعض ما يمكن استخلاصه منها فى بعض فصول الكتاب.

ونظرا لأهميتها.. فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامة، ليطلع عليها القارئ بنفسه.



وقد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعي، الشافعي، القزويني المتوفى سنة ٦٢٣ هـ. في كتابه "التدوين".

والكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما في مكتبة "ناصرية" القسم الثاني رقم ٧٨٢ في لكنهو. والأخرى: خطية أيضا موجودة في الإسكندرية.. وهناك نسختان مصورتان عنهما: إحداهما: في مكتبة دار التبليغ الإسلامي في قم مصورة عن نسخة لكنهو، والأخرى:

في مكتبة المرعشي النجفي العامة في قم مصورة في طهران عن نسخة الإسكندرية. (٤٤١) صفحهمفاتيح البحث: مدينة طهران (١)، محمد بن عبد الكريم (١)، الفضل بن سهل (٢)، عبد الكريم (١)، الوفاة (١)

وهي في النسخة المصورة عن لكنهو موجودة في المجلد الثاني. وفي المصورة عن مكتبة الإسكندرية موجودة في ج ٤ ص ٥١. ونقلها عن هذه النسخة السيد المرعشي النجفي في ج ١٢ من ملحقات الاحقاق ص ٣٨١، ٣٨٢: نص الرسالة:

قال في التدوين: والنص لنسخة: لكنهو:

ولما عزم المأمون على تفويض العهد إليه (أى إلى الرضا)، بسعى ذى الرياستين الفضل بن سهل.. كتب إليه ذو الرياستين: بسم الله الرحمن الرحيم:

لعلى بن موسى الرضا، وابن رسول الله المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحى الله، من وليه الفضل ابن سهل، الذى بذل فى رد حقه إليه مهجته، ووصل ليله فيه بنهاره..

سلام عليك أيها المهتدى ورحمة الله وبركاته.

فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فإني أرجو أن الله قد أدى لك، وأذن لك فى ارتجاع حركك ممن استضعفك، وأن يعظم مننه عليك، وأن يجعلك الإمام الوارث. ويرى أعداك، ومن رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون..

وإن كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد الله الإمام المأمون (٤٤٢) صفحهمفاتيح البحث: ذو الرياستين (١)، الفضل بن سهل (١)

ومنى: على رد مظلمتك عليك، وإثبات حقوقك فى يديك، والتخلى منها إليك، على ما أسأل الله الذى وقف عليه: أن تبلغنى ما أكون بها أسعد العالمين، وعند الله من الفائزين، ولحق رسول الله من المؤدين.

ولك عليه من معاونين، حتى أبلغ فى توليتك ودولتك كلنا الحسنين (١).

فإذا أتاك كتابي - جعلت فداك - وأمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى باب أمير المؤمنين، الذى يراك شريكا فى أمره، وشفيعا فى نسبه، وأولى الناس بما تحت يده.. فعلت ما أنا بخيرة الله محفوف، وبملايكته محفوظا، وبكلاءه محروسا. وإن الله كفيل

لك بكل ما يجمع حسن العائده عليك، وصلاح الأمة بك.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

وكتبت بخطي. (١) الظاهر أنها: الحسنين، لأنها اقتباس من الآية الكريمة.. (٤٤٣) صفحهمفاتيح البحث: الفديء، الفداء (١)، الكرم، الكرامة (١)

وثيقة ولاية العهد مصادر الوثيقة:

نذكر من المصادر التي أوردت هذه الوثيقة، على سبيل المثال لا الحصر:

القلقشندی فی صبح الأعشى ج ٩ من ص ٣٦٢، إلى ص ٣٦٦، وأكملها بذكر ما كتبه الرضا (ع) والشهود في نفس الجزء من ٣٩١ وحتى ٣٩٣، وأوردها أيضا في مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ٢ من ص ٣٢٥ حتى ص ٣٣٦، وهي أيضا في شرح ميمية أبي فراس من ٢٩٩ إلى ٣٠٣، وفي نور الأبصار ١٤٢، ١٤٣، وفي البحار ج ٤٩ ص ١٤٨، إلى ١٥٣ ومسند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ من ص ١٠٢ إلى ص ١٠٧، والفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص ٢٩٣.

ووسيلة النجاة لمحمد مبین الهندی ابتداء من ص ٣٨٧، طبع لكنهو، ورواها أيضا الكاشاني في معادن الحكمة، والشراوى في الإتحاف بحب الأشراف مختصرا وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، والإربلي في كشف الغمة، والسيد الأمين في المجالس السنية، وأعيان الشيعة، وابن الجوزي في التذكرة، وذكر الأخيران إنها قد ذكرها عامة المؤرخين، وعن التفتازاني إن الوثيقة كانت موجودة في عهده، والإربلي أيضا يقول (٤٤٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، ابن شهر آشوب (١) بأنها كانت موجودة في عهده، وأنه في سنة سبعين وستماية اطلع على وثيقة العهد الأصلية، ونقلها في كتابه حرفا بحرفا.. وأشار إليها أيضا ابن الطقطقي في الفخرى في الآداب السلطانية.

وغير هؤلاء كثير. ونحن نذكر الوثيقة موافقة لما في صبح الأعشى، ومآثر الإنافة، فنقول:

نص الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، لعلي بن موسى بن جعفر، ولي عهده.

أما بعد:

فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينا، واصطفى من عباده رسلا دالين عليه، وهادين إليه، يبشر أولهم بآخراهم. ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وآله، على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فحتم الله به النبيين، وجعله شاهدا لهم، ومهيما عليهم. وأنزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل وحرم، ووعد وأوعده، وحذر وأنذر، وأمر به، ونهى عنه، لتكون له الحجة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بينه، ويحيى من حي عن بينه، وإن الله لسميع عليم.

فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به: من الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة التي هي أحسن، ثم بالجهد والغلظة، (٤٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن هارون (١)، موسى بن جعفر (١)، الباطل، الإبطال (١)، الشهادة (١)

حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده صلى الله عليه وآله، فلما انقضت النبوة، وختم الله بمحمد صلى الله عليه وآله الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها وعزها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة، التي يقام بها فرائض الله تعالى وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه.

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم، ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وأمن السبيل، وحقق الدماء، وصلاح ذات البين، وجمع الألفة، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين، واختلالهم، واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا والآخرة فحق على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه،

أن يجهد الله نفسه، ويؤثر ما فيه رضا الله وطاعته، ويعتد لما الله موافقه عليه، ومساائله عنه، ويحكم بالحق، ويعمل بالعدل فيما أحله الله وقلده، فإن الله عز وجل يقول لنبية داود: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى، فضلحك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب."

وقال الله عز وجل: "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون."

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: "لو ضاعت سخله بشاطئ الفرات، لتخوفت أن يسألني الله عنها."

وأيم الله، إن المسؤول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله، ليعرض على أمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة، وبالله الثقة. وإليه المفزع والرغبة في التوفيق والعصمة، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة.. (٤٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، نهر الفرات (١)، سبيل الله (٢)

وأنظر الأمة لنفسه، وأنصحهم لله في دينه وعباده، من خلائقه في أرضه، من عمل بطاعة الله وكتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله في مدة أيامه، وبعدها، وأجهد رأيه فيمن يوليه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علما لهم. ومفزعاً في جمع ألفتهم. ولم شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم. وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزع الشيطان وكيد عنهم، فإن الله عز وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الإسلام وكمالها، وعزه، وصلاح أهلها، وأهم خلفاء من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة، والسعي والفرقة، والتريص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، وثقل حملها، وشدة مؤوتتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمله منها. فأنصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عز الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناصحا له في دينه، وعباده، ومختارا لولاية عهده. ورعاية الأمة من بعده: أفضل من يقدر عليه: في دينه وورعه، وعلمه، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه، مناجيا بالاستخارة في ذلك. ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته، في آناء ليله ونهاره. معملا في طلبه والتماسه في أهل بيته: من ولد عبد الله بن العباس، وعلى بن أبي طالب فكره، ونظره. مقتصر من علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة عمن خفى عليه أمره جهده وطاقته.. حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة، فكان خيرته بعد (٤٤٧) صفحهمفاتيح البحث: السنة النبوية الشريفة (١)، عبد الله بن عباس (١)، على بن أبي طالب (١)

استخارته الله، وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلادته في البيتين جميعا:

على بن موسى، بن جعفر، بن محمد ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب لما رأى من فضله البار، وعلمه النافع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس..

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متفقه، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، وناشئا، وحدثا، ومكتهلا، فعقد له بالعقد والخلافة من بعده (١).

واثقا بخيرة الله في ذلك. إذ علم الله أنه فعله إيثارا له، وللدين، ونظرا للإسلام والمسلمين، وطلبا للسلامة، وثبات الحجّة، والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين، ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدمه فبايعوا مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم. ممن هو أشبك منه رحما، وأقرب قرابة.

وسماه "الرضا" (٢) إذ كان رضا عند أمير المؤمنين (١) في بعض نسخ كشف الغمة في الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت قوله:

"والخلافة من بعده " قوله " بل جعلت فداك."

(٢) فى بعض نسخ كشف الغمة فى الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت كلمة:

"الرضا" قوله: "رضى الله عنك وأرضاك، وأحسن فى الدارين جزاك" وفى أخرى:

أنه كتب تحت ذكر اسمه عليه السلام بقلمه الشريف: "وصلتكم رحم، وجزيت خيرا،" وكتب بقلمه الشريف تحت الثناء عليه:

أثنى الله عليكم فأجمل، وأجزل لديك الثواب فأكمل. ("٤٤٨) صفحهمفاتيح البحث: على بن موسى بن جعفر بن محمد (١)، على بن الحسين بن على (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (٢)، الفديء، الفداء (١)

فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، ومن بالمدينة المحروسة، من قواده وجنده، وعامة المسلمين، لأمر المؤمنين، وللرضا من بعده على ابن موسى على اسمه وبركته، وحسن قضائه لدينه وعباده، يبعه مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم. عالمين بما أراد أمير المؤمنين، بها، وآثر طاعة الله، والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين بها: من قضاء حقه فى رعايتكم، وحرصه على رشدكم وصلاحكم، راجين عائدة ذلك فى جمع ألفتكم، وحقن دمائكم، ولم شعنتكم، وسد ثغوركم، وقوة دينكم، وورغم عدوكم، واستقامة أموركم.

وسارعوا إلى طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين، فإنه الأمن إن سارعتم إليه، وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله.

وكتب بيده يوم الاثنين، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدى ومائتين.

قال القلقشندى: "ثم إنه تقدم إلى على بن موسى، وقال له:

اكتب خطك بقبول هذا العهد، وأشهد الله، والحاضرين عليك بما تعده فى حق الله، ورعاية المسلمين، فكتب على الرضا تحته إلخ."

صورة ما كان على ظهر العهد، بخط الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الفعال لما يشاء، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور. وصلاته على نبيه محمد، خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين.

أقول - وأنا على بن موسى الرضا بن جعفر -: إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، (٤٤٩)

صفحهمفاتيح البحث: شهر رمضان المبارك (١)، الجهل (١)، الطهارة (١)

فوصل أرحاما قطعت، وأمن أنفسا فزعت، بل أحيها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضا رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره، وسيجزى الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين..

وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى - إن بقيت - بعده، فمن حل عقده أمر الله بشدها، وفصم عروء أحب الله إيثاقها، فقد أباح الله حريمه، وأحل محرمه، إذ كان بذلك زاريا على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام. بذلك جرى السالف، فصر من على الفلتات، ولم يعترض على العزمات، خوفا من شتات الدين، واضطراب جبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز، وبايقه تبتدر..

وقد جعلت الله على نفسى، إن استرعانى أمر المسلمين، وقلدنى خلافته: العمل فيهم عامة، وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وأن لا أسفك دما حراما، ولا أبيع فرجا. ولا مالا، إلا ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه.

وأن أتخير الكفاه جهدى وطاقتى، وجعلت بذلك على نفسى عهده مؤكدا، يسألنى الله عنه، فإنه عز وجل يقول: "وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا."

وإن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، وللنكال متعرضا. وأعوذ بالله من سخطه. وإليه أرغب فى التوفيق لطاعته، والحوال بينى وبين معصيته، فى عافية لى وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم. إن الحكم إلا لله، يقضى بالحق (١)، وهو خير الفاصلين.. (١)

الظاهر أن الصواب هو "يقص الحق" كما فى معالم الإنافة (٤٥٠) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله

عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، الجهل (١)

لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمنى وإياه، وأشهدت الله على نفسى بذلك، وكفى بالله شهيدا.. وكتبت بخطى، بحضور أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، والفضل ابن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، فى شهر رمضان، سنة إحدى ومائتين.

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، وبطنه.  
وهو يسأل الله: أن يعرف أمير المؤمنين، وكافة المسلمين ببركة هذا العهد، والميثاق. وكتب بخطه فى تاريخ المبين فيه..  
عبد الله بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.  
شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره وبطنه، وكتب بيده فى تاريخه بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.  
الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه هذه الصيغة. التى هى صيغة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها وبطنها، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، بين الروضة والمنبر، على رؤوس الأشهاد، بمرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم، وسائر الأولياء والأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجته به على جميع (٤٥١) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، شهر رمضان المبارك (١)، عبد الله بن طاهر (٢)، حماد بن النعمان (٢)، يحيى بن أكثم (٢)، بنو هاشم (١)، الشهادة (٢)

المسلمين، ولتبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين " وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه. " وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه (١).

إنتهى.. (١) وفى هامش نسخة مصححة قال: مصححها " قال العبد الفقير إلى الله تعالى، الفضل بن يحيى عفى الله عنه: قابلت المكتوب الذى كتبه الإمام على بن موسى الرضا صلوات الله عليه، وعلى آباءه الطاهرين بأصله الذى كتبه الإمام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. وألحقت ما فات منه، وذكرت أنه من خطه. وذلك يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع وتسعين وست مائة الهلالية بواسطة، والحمد لله، وله المنه " انتهى أقول: والذى ألحقه هو ما قدمناه فى هوامش الصفحات المتقدمة.. (٤٥٢) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، الصلاة (١)، الطهارة (١)

## رسالة المأمون إلى العباسيين

رسالة المأمون إلى العباسيين مصادر الكتاب:

هذا الكتاب مذكور فى طرائف ابن طاووس، الترجمة الفارسية من ص ١٣١، إلى ص ١٣٥، نقلا عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه، صاحب كتاب حوادث الإسلام.. وفى البحار للعلامة المجلسى ج ٤٩ من ص ٢٠٨ إلى ص ٢١٤، وفى قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٥٦، إلى ٣٦٠، وفى ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ٤٨٤، ٤٨٥ مختصرا، ونقل فى الغدير ج ١ ص ٢١٢ قسما منه عن عبقات الأنوار للهندي ج ١ ص ١٤٧، وأشار إليه غير واحد من المؤلفين.

نص الكتاب:

كتب العباسيون كتابا إلى المأمون، وطلبوا منه الإجابة عليه، فأجابهم بما يلى:

" بسم الله الرحمن الرحيم: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد. على رغم أنف الراغمين.. (٤٥٣) صفحهمفاتيح البحث: الشيخ سلمان البلخي القندوزى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، العلامة المجلسى (١)، الصلاة (١)

أما بعد:

عرف المأمون كتابكم، وتدبير أمركم. ومخض زبدتكم. وأشرف على قلوب صغيركم وكبيركم، وعرفكم مقبلين ومدبرين، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم. في مروضة الباطل، وصرف وجوه الحق عن مواضعها، وبذكم كتاب الله والآثار، وكلما جاءكم به الصادق محمد (ع)، حتى كأنكم من الأمم السالفة، التي هلكت بالخسفة، والغرق، والريح، والصيحة، والصواعق، والرجم..

أفلا- يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟. والذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد، لولا- أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتمكم، من سوء أخلاقكم، وقله أخطاركم. وركاكه عقولكم، ومن سخافة ما تأوون إليه من آرائكم، فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائبا..

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمدا على فترة من الرسل، وقريش في أنفسها، وأموالها، لا يرون أحدا يساميه، ولا يباريه، فكان نبينا صلى الله عليه وآله أمينا من أوسطهم بيتا، وأقلهم مالا، فكان أول من آمن به خديجة بنت خويلد، فواسته بمالها. ثم آمن به أمير المؤمنين على بن أبي طالب سبع سنين، لم يشرك بالله شيئا طرفه عين، ولم يعبد وثنا، ولم يأكل ربا، ولم يشاكل الجاهلية في جهالاتهم، وكانت عموه رسول الله إما مسلم مهين، أو كافر معاند، إلا حمزة فإنه لم يمتنع من الإسلام، ولا يمتنع الإسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه.

وأما أبو طالب: فإنه كفله ورباه، ولم يزل مدافعا عنه، ومانعا منه، فلما قبض الله أبا طالب، فهم القوم، وأجمعوا عليه ليقتلوه، (٤٥٤) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، القرآن الكريم (١)، الباطل، الإبطال (١)، الصدق (١)، الأكل (١)، القتل (١)

فهاجر إلى القوم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم. يحبون من هاجر إليهم. ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من المهاجرين كقيام على بن أبي طالب (ع): فإنه آزره ووقاه بنفسه، ونام في مضجعه. ثم لم يزل بعد مستمسكا بأطراف الثغور، وينازل الأبطال، ولا ينكل عن قرن، ولا يولى عن جيش، منيع القلب، يؤمر على الجميع، ولا يؤمر عليه أحد. أشد الناس وطأة على المشركين، وأعظمهم جهادا في الله، وأفقههم في دين الله، وأقرأهم لكتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام، وهو صاحب الولاية في حديث " غدير خم " وصاحب قوله:

"أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي" وصاحب يوم الطائف، وكان أحب الخلق إلى الله تعالى، وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصاحب الباب، فتح له، وسد أبواب المسجد. وهو صاحب الراية يوم خيبر. وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة. وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين المسلمين.

وهو منيع جزيل. وهو صاحب آية: "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا، وييتيما، وأسيرا." وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خديجة (ع). وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، ربه وكفله. وهو ابن أبي طالب في نصرته وجهاده. وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة.

وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان أمرا حتى يسألانه عنه، فما رأى إنفاذه أنفاذاه، وما لم يراه رداه. وهو دخل من بني هاشم في (٤٥٥) صفحهمفاتيح البحث: أبو طالب عليه السلام (١)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (١)، حديث المؤاخاة (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، بنو هاشم (١)، غدير خم (١)، الطعام (١)، السجود (١)، الزوج، الزواج (١)

الشورى، ولعمري لو قدر أصحابه على دفعه (١) عنه (ع)، كما دفع العباس رضوان الله عليه، ووجدوا إلى ذلك سبيلا لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه، فإن الله تعالى يقول: "أجعلتم سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله، لا يستون عند الله."

والله، لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل، والآي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل من رجالكم. أو غيره، لكان مستأهلاً متأهلاً للخلافة، مقداً على أصحاب رسول الله بتلك الخلة.

ثم لم يزل الأمور تتراقى به إلى أن ولي أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بنى هاشم إلا- بعبد الله بن عباس، تعظيماً لحقه، ووصلة لرحمه، وثقة به، فكان من أمره الذي يغفر الله له..

ثم.. نحن وهم يد واحدة - كما زعمتم - حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم. وضيعنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بنى أمية إياهم.. ويحكم، إن بنى أمية إنما قتلوا من سل منهم سيفاً، وإنا معشر بنى العباس قتلناهم جملاً، فلتسألن أعظم الهاشمية بأى ذنب قتلت، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره..

وأما ما وصفتم في أمر المخلوع، وما كان فيه من لبس، فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم، إذ هونتم عليه النكث، وزينتم له الغدر، وقتلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك، وهو رجل مغرب، ومعك الأموال والرجال، نبعث إليه، فيؤتى به، فكذبتم، ودبرتم، (١) في الترجمة الفارسية هكذا: "على دفع على (ع) عنها إلخ. (٤٥٦) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (١)، مدينة الكوفة (١)، نهر الفرات (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، بنو هاشم (١)، مدينة بغداد (١)، سبيل الله (١)، مسجد الحرام (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١) ونسيتم قول الله تعالى: "ومن بغى عليه لينصرنه الله."

وأما ما ذكرتم: من استبصار المأمون في البيعة لأبى الحسن الرضا (ع)، فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره، عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبيض فضلاً، ولا أظهر عفة، ولا أروع ورعاً، ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصة والعامه، ولا أشد في ذات الله منه. وإن البيعة له لموافقة رضا الرب عز وجل. ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم.

ولعمري، لو كانت بيعتي بيعة محاباة، لكان العباس ابني، وسائر ولدي أحب إلى قلبي، وأجلى في عيني، ولكن أردت أمراً، وأراد الله أمراً، فلم يسبق أمرى أمر الله وأما ما ذكرتم: مما مسكم من الجفاء في ولايتي: فلعمري ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم عليه، على (خ د) ومما يلتكم إياه، فلما قتلتته وتفرقتم عباديد، فطورا أتباعا لابن أبى خالد، وطورا أتباعا لأعرابي، وطورا أتباعا لابن شكله، ثم لكل من سل سيفاً على، ولولا أن شيمتى العفو، وطبيعتى التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه.

وأما ما سألتم: من البيعة للعباس ابني.. أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟! ويلكم، إن العباس غلام حدث السن، ولم يؤنس رشده، ولم يمهل وحده، ولم تحكمه التجارب. تدبره النساء، وتكفله الإماء، ثم.. لم يتفقه فى الدين، ولم يعرف حلال من حرام، إلا معرفة لا تأتي به رعية، ولا تقوم به حجة، ولو كان مستأهلاً، قد أحكمته التجارب، وتفقه فى الدين، وبلغ مبلغ أمير العدل فى الزهد فى الدنيا، وصرف النفس عنها.. ما كان له عندى فى الخلافة، إلا ما كان لرجل من عكك وحمير، فلا تكثرأوا من هذا المقال، فإن لسانى لم

(٤٥٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، القتل (١)، الحج (١)، الزهد (١)

يزل مخزوناً عن أمور وأنباء، كراهية أن تخنث النفوس عندما تنكشف، علماً بأن الله بالغ أمره، ومظهر قضاة يومنا.

فإذ أبيتكم إلا كشف الغطاء، وقشر العطاء، فالرشيد أخبرنى عن آباءه، وعمما وجدته فى كتاب الدولة، وغيرها: أن السابع من ولد العباس، ولا تقوم لبنى العباس بعده قائمة، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودعها، فإذا أودع فودعها، وإذا فقدتم شخصى، فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، وهيهات، ما لكم إلا السيف، يأتىكم الحسنى الثائر البائر، فيحصدكم حصداً، أو السفينانى المرغم، والقائم المهدي لا يحقن دماءكم إلا بحقها.

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، واختيار منى له، فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم. وهى الطريق أسلكها فى إكرام آل أبى طالب، ومواساتهم فى الفيء بيسير ما يصيبهم منه.

وإن تزعموا: أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة، فإنى فى تدبيركم، والنظر لكم ولعقبكم، وأنبائكم من بعدكم.. وأنتم ساهون، لاهون، تائهون، فى غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، وما أظلمت عليه من النعمة، وابتزاز النعمة. همه أحدكم أن يمسى مركوبا، ويصبح مخمورا تباهون بالمعاصى، وتبتهجون بها، وآلهتكم البرابط، مخثون. مؤثون لا يتفكر متفكر منكم فى إصلاح معيشة، ولا استدامة نعمة، ولا اصطناع مكرمة، ولا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أضعتم الصلاة، واتبعتم الشهوات، وأكببتم على اللذات، فسوف تلقون غيا. وأم الله، لربما أفكر فى أمركم. فلا- أجد أمة من الأمم استحقوا (٤٥٨) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، الكسب (١)، الشهوة، الإشتهاء (١)، الإختيار، الخيار (١)، الصلاة (١) العذاب، حتى نزل بهم لخله من الخلال، إلا أصيب تلك الخلء بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها، ولا أمر بالعمل بها. وقد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز عن قوم صالح:

أنه كان فيهم تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، فأيكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين فى الأرض، قد اتخذتموهم شعارا، ودثارا، استخفافا بالمعاد، وقله يقين بالحساب، وأيكم له رأى يتبع، أو روية تنفع، فشاهت الوجوه، وعفرت الخدود. وأما ما ذكرتم: من العثرة كانت فى أبى الحسن (ع) نور الله وجهه، فلعمري، إنها عندى للنهضة والاستقلال الذى أرجو به قطع الصراط، والأمن والنجاة من الخوف يوم الفرع الأكبر. ولا أظن عملا هو عندى أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لى بذلك، وأنى لكم بتلك السعادة.

وأما قولكم: إنى سفهت آراء آبائكم، وأحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركوا قريش: "إننا وجدنا آباءنا على أمة. وإننا على آثامهم مقتدون." ويلكم، إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، وما أراكم تعقلون. وأما تعييركم إياى: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الأنفة (١) من ذلك، ولو ساستكم القرده والخنازير، وما أردتم إلا- أمير المؤمنين.

ولعمري، لقد كانوا مجوسا فأسلموا، كآبائنا، وأمهاتنا فى القديم، فهم المجوس الذين أسلموا وأنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقربون من الخير، ويتباعدون من الشر، ويذوبون عن حرم المسلمين، (١) الظاهر أن الصواب: "فما أذهبكم عن الأنفة." (٤٥٩) صفحهمفاتيح البحث: الأمر بالمعروف (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، العزة (١)، الفرع (١)، الخوف (١)، العذاب، العذب (١) يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير.. منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فى عقله وتدييره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. والله، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا ودثارا، وصناعة وأخلاقا..

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا تأنفون، ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من بيت مركوبا، ويصبح بإثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة، وتربده المظمورة، فشتت الأحوال.. فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح. وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم.. وإلا فدونكم تلغوا بالحديد..

ولا قوة إلا بالله، وعليه توكلى، وهو حسبي. (٤٦٠) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (١)، القتل (١)، المنع (١)



## رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون

رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الأصفهاني، صاحب كتاب "الأغاني"، في كتابه:

مقاتل الطالبين ص ٦٣٠، ٦٣١، في معرض حديثه عن عبد الله بن موسى، بن عبد الله بن الحسن، بن علي بن أبي طالب (ع)، الذي كان قد توارى في أيام المأمون:

" وأخبرني جعفر بن محمد الوراق الكوفي، قال: حدثني عبد الله بن علي بن عبيد الله العلوي الحسيني، عن أبيه، قال:

كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى، وهو متوار منه، يعطيه الأمان، ويضمن له: أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول: .. "ما ظننت أن أحدا من آل أبي طالب يخافني، بعدما عملته بالرضا.."

وبعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد الله بن موسى:

" وصل كتابك، وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي. (٤٦١) صفحهمفاتيح

البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، عبد الله بن

الحسن (ع) (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، علي بن عبيد الله (١)، عبد الله بن موسى (٣)، محمد الوراق (١)

وعجبت من بذلك العهد، وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا! ففي أي شيء ظننت أني أرغب من ذلك؟!.

أفي الملك الذي قد غرتك نصرته وحلاوته؟! فوالله، لأن أقذف - وأنا حي - في نار تتأجج أحب إلي من أن ألي أمرا بين المسلمين، أو أشرب شربة من غير حلها، مع عطش شديد قاتل..

أم في العنب المسموم، الذي قتلت به الرضا!؟.

أم ظننت أن الاستتار قد أملني، وضاق به صدري؟! فوالله، إنني لذلك، ولقد مللت الحياة، وأبغضت الدنيا، ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك، حتى تبلغ من قبلي مرادك. لفعلت ذلك، ولكن الله قد حظر على المخاطرة بدمي. وليتك قدرت علي، من غير أن أبذل نفسي لك. فتقتلني، ولقيت الله عز وجل بدمي، ولقيته قتيلا مظلوما، فاسترحت من هذه الدنيا.

واعلم: أني رجل طالب النجاة لنفسي، واجتهدت فيما يرضى الله عز وجل عني، وفي عمل أتقرب به إليه، فلم أجد رأيا يهدي إلى شيء من ذلك. فرجعت إلى القرآن. الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفحته سورة سورة، وآية آية، فلم أجد شيئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة في طلب مرضاته.

ثم تتبعته ثانية، أتأمل الجهاد أيه أفضل، ولأي صنف، فوجدته جل وعلا يقول: " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة " فطلبت أي الكفار أضر على الإسلام. وأقرب من موضعي، فلم أجد أضر على الإسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم. وأنت خلت المسلمين بالإسلام، وأسرت الكفر، فقتلت بالظن، وعاقبت بالتهمة، وأخذت مال

الله من غير حله، فأنفقته في غير حله، وشربت الخمر المحرمة صراحا، (٤٦٢) صفحهمفاتيح البحث: القرآن الكريم (١)، القتل (٢)

وأنفقت مال الله على الملهين، وأعطيته المغنين، ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام. وأحطت بأقطاره إحاطة أهله، وحكمت فيه للمشرك، وخالفت الله ورسوله في ذلك، خلافة المضاد المعاند، فإن يسعدني الدهر، ويعني الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسي في جهادك، بذلا يرضيه مني، وأن يمهلك ويؤخرك، ليجزيك بما تستحقه في منقلبك، أو تختر مني الأيام قبل ذلك. فحسبي من سعيي ما يعلمه الله عز وجل من نيتي، والسلام."

وثمة نص آخر:

وكان أبو الفرج قد ذكر قبل ذلك أي في ص ٦٢٨، ٦٢٩ من نفس الكتاب نصا آخر هو إما رسالة أخرى. أو نص آخر لهذه الرسالة

نفسها.. والظاهر أنه رسالة أخرى.. وكيف كان فقد قال أبو الفرج:

"وكان عبد الله توارى في أيام المأمون، فكتب بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور، ليجعله مكانه، ويباع له، واعتد عليه بعفوه عمن عفا من أهله، وما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها:

فبأى شئ تغرنى؟ ما فعلته بأبى الحسن - صلوات الله عليه - بالعنب الذى أطعمته إياه فقتلته.

والله، ما يقعدنى عن ذلك خوف من الموت، ولا كراهة له، ولكن لا أجد لى فسحة فى تسليطك على نفسى، ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحنى من هذه الدنيا الكدره.

ويقول فيها:

هبنى لا تار لى عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا، (٤٦٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الفرج (٢)، الموت (١)، الخوف (١)، الوفاة (١)

الذين جاهروا فى أمرنا فحذرناهم. وكنت أطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا والتستر لمحنتنا، تختل واحدا فواحدا منا، ولكننى كنت امرءا حيب إلى الجهاد، كما حيب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفى، وركبت سنانى على رمحى، واستفرهت فرسى، لم أدر أى العدو أشد ضررا على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شئ، فقرأته، فإذا فيه: "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدا فيكم غلظة."

فما أدرى من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم" فعلمت أن على أن أبدأ بما قرب منى..

وتدبرت، فإذا أنت أضرت على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، وخالفوه، فحذرهم الناس، وقاتلوه، وأنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسك الناس. وطفقت تنقض عراه عروه، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه.. " ثم قال أبو الفرج:

وهى رسالة طويلة أتينا بها فى الكتاب الكبير.. (٤٦٤) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، الفرج (١)، القتل (١)

## رسالة سفيان إلى هارون

رسالة سفيان إلى هارون مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميرى فى حياة الحيوان ج ٢ ص ١٨٨، ١٨٩، نقلا عن ابن بليان، والإمام الغزالي، ودحلان فى الفتوحات الإسلامية ط مصطفى محمد ج ٢ ص ٤٤٩ حتى ٤٥٣.

وأشار إليها ابن خلدون فى مقدمته، ص ١٧ مستدلا بها على تدين الرشيد والتزامه.. وذكر جرجى زيدان شطرا منها فى كتابه: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول، جزء ٢ ص ٣٨٥، ٣٨٦، والمجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٨٠، ونحن نذكرها هنا عن الدميرى مع بعض تعديلات عن دحلان.

مناقشة لا بد منها:

ولكن الرسالة تذكر أن الذى كاتبه الرشيد، والمجيب له هو سفيان الثورى.. وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا، فإن سفيان قد توفى فى خلافة المهدي متخفيا، فى سنة ١٦١ هـ، وهارون لم يتول الخلافة إلا فى سنة ١٧٠ هـ. (٤٦٥) صفحهمفاتيح البحث: كتاب حياة الحيوان للدميرى (١)، الدميرى (٢)

ولعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفيان بن عيينه، المتوفى سنة ١٩٨ هـ. عن إحدى وتسعين سنة.

ولعل الراوى قد اشتبه عليه الأمر، عفوا، أو عمدا! لحاجة فى نفسه قضاها. وأياما كانت الحقيقة، فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية

هامئة، لأنها تصور لنا حقيقة الوضع فى تلك الفترة من الزمن..

وتعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمى، ورسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من مآثم، وما يرتكبونه من موبقات..

نص الرسالة:

وملخص حكاية هذه الرسالة هى: أن الرشيد أرسل إلى سفيان الثورى! - وقد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عيينة - كتابا يتودد إليه فيه، ويطلب منه أن يقدم عليه.

فلما وصل الكتاب إلى سفيان، رماه من يده، وقال لإخوانه:

ليقرأه بعضكم، فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم.

فلما قرأوه، أمرهم أن يكتبوا إلى الظالم فى الجواب ما يلى:

"من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذى سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن. أما بعد:

فإنى كتبت إليك أعلمك: أنى قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وقليت موضعك، وأنك جعلتني شاهدا عليك، بإقرارك على نفسك فى كتابك: بما هجمت على بيت مال المسلمين، فأنفقته فى غير حقه، (٤٦٦) صفحهمفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (١)،

عبد الله بن موسى (١)، سفيان بن عيينة (١)، الخوارزمى (١)، القرآن الكريم (١)، الظلم (٢)، العفو (١)، الموت (١)، الشهادة (١)

وأنفذته بغير حكمه، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى، حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك، فأما أنا فإنى قد شهدت عليك، أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك، وسئوى الشهادة غدا بين يدي الله الحكم العدل..

يا هارون، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها فى أرض الله، والمجاهدون فى سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن، وأهل العلم؟!

أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟!

أم رضى بذلك خلق من رعيتك؟!

فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جوابا، وللبلاء جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدي الله الحكم العدل، فاتق الله فى نفسك، إذا سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن. ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما.

يا هارون، قعدت على السرير، ولبست حرير، وأسبلت سترادون بابك. وتشبهت بالحجة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون. ويشربون الخمر، ويحدون الشارب، ويزنون، ويحدون الزانى، ويسرقون، ويقطعون

السارق. ويقتلون، ويقتلون القاتل، أفلا- كانت هذه الأحكام عليك، وعليهم، قبل أن يحكموا بها على الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادى المنادى من قبل الله:

احشروا الظلمة. وأعاونهم أين الظلمة، وأعاون الظلمة، فتقدمت بين يدي الله، ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك، وأنت لهم إمام، أو سائق إلى النار. (٤٦٧) صفحهمفاتيح البحث: سبيل الله (١)، القرآن الكريم (٢)،

القتل (١)، الشهادة (١)، الزنا (١)، الزهد (١)

وكأنى بك يا هارون.. وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك، وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك، بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون فى رعيتك. واحفظ محمدا صلى الله عليه وآله فى أمته.

واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك. إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها، واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإنى أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته.

وإياك، ثم إياك أن تكتب إلي بعد هذا، فإني لا أجيئك..  
والسلام..".

ثم بعث بالكتاب منشورا، من غير طي، ولا ختم.. (٤٦٨) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (١)، الخسران (٢)

### قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني

قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني نقاط رئيسية:

كنت قد وعدت القارئ الكريم في فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد في أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني المعروفة بـ "الشافية".

وقد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد. وقبل ذلك، لا بأس بالإشارة إلى:

أن أبا فراس قد ولد في سنة ٣٢٠ هـ. وتوفي في سنة ٣٥٧ هـ. عليه الرحمة والرضوان..

وفي زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، وآل بويه السلاطين، وآل حمدان الأمراء.

ولاء. وشجاعة:

وأما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التي يتحامل فيها على العلويين، والتي أولها: (٤٦٩)

صفحهمفاتيح البحث: ابو فراس الحمداني (٢)، بنو عباس (١)، الكرم، الكرامة (١)

بنى على دعوا مقاتلكم \* لا ينقص الدر وضع من وضعه فحمى أبو فراس، ونظم هذه القصيدة، التي سارت بها الركبان، ودخل بغداد،

وأمر أن يشهر في المعسكر خمسمائة سيف، وقيل: أكثر من ذلك.. ثم أنشد هذه القصيدة، وخرج من الناحية الأخرى (١) وقد شرح

هذه القصيدة عدد من الأدباء والعلماء منهم ابن خالويه، ومنهم محمد بن أمير الحاج حسيني.

والقصيدة هي:

الدين مخترم والحق مهتضم \* وفي آل رسول الله مقتسم والناس عندك لا- ناس فيحفظهم \* سوم الرعاع ولا شاء ولا نعم إنى أبيت

قليل النوم أرقنى \* قلب تصارع فيه الهم والهمم وعزمة لا ينال الدهر صاحبها \* إلا على ظفر في طيه كرم يسان مهري لأمر لا أبوح به

\* والدرع والرمح والصمصامة الخدم وكل مائة الضبعين مسرحها \* رمث الجزيرة والحذراف والعمم وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا \* يوما

ورأيهم رأى إذا عزموا \* \* \* يا للرجال أما لله منتصر \* من الطغاة، أما للدين منتقم بنو على رعايا في ديارهم \* والأمر تملكه النسوان

والخدم (١) راجع: شرح الشافية، لمحمد بن أمير حاج حسيني ص ٦، وقاموس الرجال ج ١٠.

ص ١٥٧، ورجال المامقاني ج ٣ ص ٣٠ من باب الكنى، ورجال أبي على ص ٣٤٩، والغدير ج ٣ ص ٤٠٣، والكنى والألقاب ج ١ ص

١٣٧، والفتونى فى كشكوله، وغير ذلك. (٤٧٠) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، الحج (١)، النوم (١)

محلاون فأصفى وردهم وشل \* عند الورود وأوفى شربهم لمم فالأرض إلا على ملاكها سعة \* والمال إلا على أربابه ديم فما السعيد

بها إلا- الذى ظلموا \* وما الشقى بها إلا- الذى ظلموا للمتقين من الدنيا عواقبها \* وإن تعجل فيها الظالم الإثم \* \* \* لا يطغين بنى

العباس ملكهم \* بنو على مواليهم، وإن رغبوا أتفخرون عليهم لا أبا لكم \* حتى كأن رسول الله جدكم وما توازن يوما بينكم شرف \*

ولا تساوت لكم فى موطن قدم ولا لكم مثلهم فى المجد متصل \* ولا لجدكم مسعاة جدهم ولا لعرقكم من عرقهم شبه \* ولا نثيلتكم

من أمهم أمم \* \* \* قال النبى بها " يوم الغدير " لهم \* والله يشهد، والأمل-ك، والأمم حتى إذا أصبحت فى غير صاحبها \* باتت

تنازعها الذؤبان والرخم وصيروا أمرهم شورى كأنهم \* لا يعلمون ولاء الحق أيهم تالله ما جهل الأتوام موضعها \* لكنهم ستروا وجه

الذى علموا \* \* \* ثم ادعاها بنو العباس ملكهم \* وما لهم قدم فيها، ولا قدم لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا \* ولا يحكم فى أمر لهم

حكم ولا رأيهم أبو بكر وصاحبه \* أهلا لما طلبوا منها وما زعموا فهل هم يدعوها غير واجبة \* أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا (٤٧١)

صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (٢)، الوسعة (١)، الظلم (١)، الجهل (١)، الشهادة (١)

أما على فقد أدنى قرابتكم \* عند الولاية إن لم تكفر النعم أينكر الحبر عبد الله نعمته \* أبوكم، أم عبيد الله، أم قثم بئس الجزاء جزيتم في بنى حسن \* أباهم العلم الهادي، وأهمهم لا بيعه ردعتكم عن دمائهم \* ولا يمين، ولا قربي ولا ذمهم هلا صفحتهم عن الأسرى بلا سبب \* للصافحين بدر عن أسيركم هلا كفتهم عن الدياج سوطكم \* وعن بنات رسول الله شتمكم ما نزهت لرسول الله مهجته \* عن السياط فهلا- نزه الحرم ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت \* تلك الجرائر إلا دون نيلكم \* \* \* كم غدره لكم في الدين واضحة \* وكم دم لرسول الله عندكم أأنتم آله فيما ترون وفي \* أظفاركم من بينه الطاهرين دم هيهات لا- قربت قربي. ولا- رحم \* يوما إذا أقصت الأخلاق والشيم كانت مودة سلمان لهم رحما \* ولم تكن بين نوح وابنه رحم \* \* \* يا جاهدا في مساويهم يكتمها \* غدر الرشيد يحيى كيف ينكتم ذاق الزبيرى عبء الحنث وانكشفت \* عن ابن فاطمة الأقوال والتهم ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا \* مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم (١) بأؤا بقتل الرضا من بعد بيعته \* وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا يا عصبه شقيت من بعد ما سعدت \* ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا لبئسما لقيت منهم وإن بليت \* بجانب الطف تلك الأعظم الرم (١) كان هذا البيت مقدما على الذى قبله فى بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيرها، ليتحد السياق، وينسجم المعنى.. (٤٧٢) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، القتل (١)، الحرب (١)، الطهارة (١)

لا عن أبى مسلم فى نصحه صفحوا \* ولا الهيرى نجى الحلف والقسم ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا \* فيه الوفاء، ولا عن غيهم حلموا \* \* \* أبلغ لديك بنى العباس مألكة \* لا- تدعوا ملكها ملاكها العجم أى المفاجر أمست فى منابرهم \* وغيركم أمر فيها، ومحتكم أنى يفيدكم فى مفخر علم \* وفى الخلاف عليكم يخفق العلم يا باعه الخمر كفوا عن مفاخرهم \* لمعشر بيعهم يوم الهياج دم خلوا الفخار لعالمين إن سئلوا \* يوم السؤال، وعمالين إن علموا لا يغضبون لغير الله إن غضبوا \* ولا يضعون حكم الله إن حكموا تنشى التلاوة فى أبياتهم سحرا \* وفى بيوتكم الأوتار والنغم إذا تلوا آية غنى إمامكم: \* قف بالديار التى لم يعفها قدم منكم عليه أم منهم، وكان لكم \* شيخ المغنين إبراهيم، أم لهم \* \* \* ما فى بيوتهم للخمر معتصر \* ولا- بيوتهم للشر معتصم ولا تبيت لهم خنثى تنادهمم \* ولا- يرى لهم قرد له حشم \* \* \* الركن، والبيت، والأستار منزلهم \* وزمزم، والصفاء، والحجر، والحرم وليس من قسم فى الذكر نعرفه \* إلا وهم دون شك ذلك القسم وبذلك ينتهى هذا الكتاب، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

جعفر مرتضى الحسينى العاملى (٤٧٣) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (١)، الغضب (١)، الطهارة (١)، الصلاة (١)

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفُسكم فى سبيلِ الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).  
قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبَاب و عموم الناس إلى التحرّي الأدقّ للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.  
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيّه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفتق و فاني/ " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان  
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

